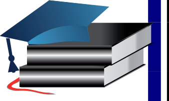
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة – الجزائر



المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي

ما بين القرنين: 5-7هـ/11-13م

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط.

إعداد الطالب :
عبد الغني حروز

إشراف الأستاذ الدكتور :
مبارك بوطارن.

السنة الجامعية:1436-1437هـ/2015-2016م

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة – الجزائر

المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي

ما بين القرنين: 5–7هـ/11–13م

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب : عبد الغني حروز.

إشراف الأستاذ الدكتور : مبارك بوطارن.

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الصفة
أ.د. عبد العزيز شهبي	رئيساً
أ.د. مبارك بوطارن	مشرفا و مقرراً
أ.د. خالد كبير علال	عضوا مناقشاً
أ.د. توفيق مزاري عبد الصمد	عضوا مناقشاً
د. فاطمة الزهراء بوعمامة	عضوا مناقشاً
د. عبد القادر ربوح	عضوا مناقشاً

السنة الجامعية:

1436–1437هـ/2015–2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

بادئ ذي بدء نشكر الله عز وجل الذي مهد لنا طريق النجاح، ونحمده راجين منه العفو والمغفرة ثم الصلاة و السلام على رسوله المصطفى وآله و بعد:

لله نجزي الثناء و نقدم عملا نرجو منه الرضا بحمده أكملنا دراستنا الموسومة:

المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين: 5-7هـ/11-13م

و إن كان لابد أن نرجع الفضل لأهله و التقدير إلى صاحبه، فإننا نبادر بتقديم الشكر و التقدير للأستاذ الدكتور **مبارك بوطارن** على قبوله الإشراف على موضوعنا و صبره الدائم علينا و تشجيعه لنا.و هذا عرفانا منا بأمانته و جهوده المتواصلة و مساعدته طيلة انجاز هذه الدراسة نصحا و توجيها و إرشادا.

كما نتقدم بالشكر الخالص إلى الأساتذة : د. خالد الكبير علال، و د. عبد العزيز شهبي، د . عبد العزيز بوكنة، د .بوعمامة فاطمة الزهراء،د. ديب صفية.

كما لا ننسى أ.د. عمارة علاوة. من جامعة الأمير بقسنطينة.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من أخذنا على يده حرفا لفك طلاسم الجهل من معلمينا و أساتذتنا من المدرسة إلى الجامعة.

كما لا يفوتنا أن نشكر جميع عمال المكتبات الذين قدموا لنا يد العون في الحصول على بعض المصادر و المراجع ، كمركز آل سعود بالدار البيضاء و دار الحديث الحسينية بالرباط - المغرب الأقصى- ، و المكتبة الوطنية الحامة، و المكتبة الجامعية بوزريعة.

و في الختام أشكر جميع أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة الموضوع.

الإهداء

إلى **أمي و أبي**

سندي في هذه الحياة أطال الله في عمرهما

إلى زوجتي و لباسي الطاهر **هاجر** و جميع أفراد عائلتها

التي تحملت و عانت معي طيلة انجاز هذه الدراسة

إلى أخوتي و أخواتي كل باسمه

إلى كل من ساهم في بناء وطننا الغالي **الجزائر**.

عبد الغني حروز.

مقدمة

مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [1]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [2]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الكلام كلام الله تعالى وخير الهدي هدي محمّد صلى الله عليه وسلم وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

ثمّ أما بعد: فإنّه لا يخفى ما للعقيدة[4] من دور متميّز في حياة المسلمين إيمانا وسلوكا فهي الأساس الّذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال، قال تعالى:﴿ ولقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين﴾ [5] فالواجب على المسلم أن يكون اعتقاده مبنيا على ما جاء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم فهما المصدران اللّذان يعوّل عليهما في هذا الشأن، لذا لم ينشأ النزاع في المسائل العقديّة في عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان لثباتهم على هذا المبدأ، لكن لما ظهر من لم يكتف بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم و بنى عقيدته على علم الكلام وفلسفة اليونان حصل الانحراف في الاعتقاد ونشأ النزاع

---

1 – سورة: آل عمران، الآية:102.

2 – سورة: النساء، الآية:01.

3 – سورة: الأحزاب، الآية:70، 71.

4– العقيدة مشتقة من العقد، و هو الرّبط و الشد و الإحكام، و هي فعيلة بمعنى مفعوله أي معقود على ما دلت عليه مما يجب لله تعالى و ما يجوز و يستحيل. ينظر: جمال علال البختي: العقيدة البرهانية الأشعرية لأبي عمرو السلالجي الفاسي،ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان،2008،ص53.

5 – سورة : الزمر،الآية: 62.

و الاضطراب و هذا ما أدى إلى اختلاف الكلمة وتفرق الجماعة وتصدّع بناء المجتمع الإسلامي، فظهرت الفرق والطوائف كلّ واحدة منها تدعو إلى معتقد جديد وسلوك طريق تدّعي أنّه الطريق المستقيم. لذا حظي موضوع العقيدة بأهمية بالغة في حياة كل مسلم، و باعتبار الحضور المميز للعقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي التي شكلت معلما من معالمها الثقافية و الحضارية ، التي لم تنته كما انتهت بعض العقائد الأخرى، و إنما امتدت ما يقارب عشرة قرون، لذا فالاهتمام بتاريخ حضورها يشكل غاية معرفية جديدة بالتوقف عندها و السعي في تحصيلها.

و في هذا السياق جاء عنوان هذه الدراسة بـ :

المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين 5-7هـ/11-13م

وهي تستهدف الحضور الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، و ترصد عملية تطوره التاريخي، مع إبراز عوامل دخوله و انتشاره خلال فترة الدراسة، مع محاولة إبراز المواقف المختلفة من الحضور الأشعري ببلاد المغرب.

إشكالية الدراسة:

لقد تبادر إلى ذهننا و نحن نهّم بالولوج إلى هذا الموضوع جملة من التساؤلات، كانت هي الإشكالية التي دفعتنا إلى البحث، و التي يتمحور حولها الموضوع و التي سنحاول الإجابة عليها حول دخول و انتشار و تطور المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي و هي:

- ما هي طبيعة حضور و تشكل المذهب الأشعري في بلاد المغرب ؟

و لتقديم إجابة عن هذه الإشكالية كان علينا أن نجيب على تساؤلات فرعية تطرح نفسها في هذا المقام أهمها:

- كيف انتقل المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي؟
- هل طغى الطابع ذاته على مختلف أطوار الحضور الأشعري بهذه البلاد؟
- ما هي الوسائل التي حركت هذا الفكر؟
- كيف هي صورة المنحنى الذي سلكه المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي؟
- هل كان للفكر الأشعري المغربي ثوابت خاصة تميزه ؟ أم أنه ظل رهين المدرسة الأشعرية في

المشرق الإسلامي؟

-كيف كان وقع ميلاد المذهب الأشعري وتسربه إلى الجهة الغربية من العالم الإسلامي على أصحاب المذاهب الأخرى؟

- بماذا تميز المذهب الأشعري زمن المرابطين ؟ و هل كان له حضور؟

- كيف صار هذا المذهب العقدي مذهبا رسميا للموحدين؟ وهل عرف في ذلك تطورا؟

أهمية الدراسة:

أسئلة كثيرة يمكن أن تطرح في هذا الصدد، و مع أنّ الإجابة عنها ليست قطعية، إلا أنها كفيلة – إلى حدّ ما – لتحقيق الهدف الذي ننشده من هذه الدراسة، و هو:

- المساهمة في إحياء تراثنا الخالد، و تنشيط ثقافتنا الإسلامية و العربية، خاصة أمام محاولات المسح الثقافي الذي تتعرض له البلاد الإسلامية، و كلنا إيمان أننا لن نستطيع الصمود أمام تلك المحاولات المتكررة لطمس هويتنا إلا إذا رجعنا إلى ماضينا العريق، و استخلصنا منه العبر لتثبيت صرح هويتنا الذي يوشك أن ينقض، و علينا أن نتذكر دائما أنه من غير استيعاب الماضي لا يمكن فهم الحاضر، فالحاضر درس الماضي، و المستقبل جني الحاضر.

- كما تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تكشف فترة هامة من فترات التاريخ الإسلامي بالمغرب، و تبرز لنا البواعث الأولى للعقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي، و مما دفعنا إلى تناول هذا البحث أيضا لأهميته التاريخية خاصة الجانب الحضاري التي خلفته هذه العقيدة.

- رغبة منا في توضيح بعض الجوانب المهمة للمذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، و التي لا تزال بحاجة إلى الدراسة و التمحيص خاصة الجانب العقدي ، لما له من أهمية بالغة في إحداث التطور الحضاري للأمم و الشعوب.

منهج الدراسة:

لقد حاولنا خلال معالجتنا لموضوع هذه الدراسة أن نتجاوز العرض الكرونولوجي، و التسجيل السطحي للأحداث و الوقائع إلى فهم الدلالات و التوجيهات التاريخية، و لذلك اقتضى الأمر تعدد المناهج في التعامل مع المادة التاريخية و هي: المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، المنهج المقارن.

كان اعتمادنا على المنهج التاريخي من خلال العودة إلى المادة التاريخية المتناثرة بين أمهات المصادر و المراجع، و محاولة استقراء بعض الأفكار و استنتاج بعض الحقائق أو التصورات عما أجحفت المصادر عن ذكره أو الفصل فيه.

أما اعتمادنا المنهج التحليلي النقدي فكان من خلال محاولتنا البحث في أسباب و مسببات بعض الأحداث و إعطاء تعقيبات و ملاحظات.

في حين تمثل انتهاجنا للمنهج المقارن في المقارنة بين مختلف آراء الفرق و الملل و النحل و ذلك بمقابلتها بآراء المذهب الأشعري، كما اعتمدنا عليه في محاولة المقارنة بين الروايات التاريخية في ذات الموضوع بين الحين و الآخر، أو المقارنة بين بعض النصوص العقدية، و كذا اعتمادنا عليه لتبيان مدى صدق الفكرة القائلة بأن: "المذهب الأشعري مذهب وسطي"، كما عملنا على الإكثار من الاستشهاد و انتقاء الفقرات من المصادر، و هذا لتأكيد الإستنتاجات المتوصل إليها و للدفاع عنها.

كما اعتمدنا على المنهج الإحصائي الوصفي من خلال محاولة تمثيل المعطيات و الحوادث التاريخية بأشكال بيانية مختلفة(دوائر نسبية، منحنيات بيانية، أعمدة بيانية) و هذا من أجل توضيح انتشار و تطور المذاهب العقدية و الفقهية تارة، وتارة أخرى من أجل تبيين مسار المذهب الأشعري و تطوره ببلاد المغرب الإسلامي.

خطة الدراسة:

بناء على ما توفرت لدينا من معطيات مستقاة من مصادر و مراجع و دراسات أكاديمية، فقد بنينا خطة عمل، انتقلنا فيها من العام إلى الخاص، و تتبعنا فيها الحضور الأشعري من خطواته الأولى إلى أن استوي على سوقه.

و قد قسمنا بحثنا إلى : مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

أما **المقدمة** فتضمنت تحديد عنوان البحث مع الإطار الزماني و المكاني ثم أهمية الموضوع و إشكاليته و دوافع اختياره، بالإضافة إلى المنهج المتبع، و البنود العريضة للموضوع، فعرض و تحليل مختصر لأهم المصادر و المراجع المعتمدة في البحث، منتهين بالصعوبات التي واجهتنا.

جاء **الفصل الأول** تحت عنوان: **"الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب قبل القرن 5هـ/11م "** استهللناه بالحديث عن المذاهب الأصولية ثم المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري، أي حاولنا عرض أفكار و عقائد مختلف الفرق و الملل و النحل التي كانت منتشرة و سائدة في بلاد المغرب قبل دخول الأشعرية، و جاءت عناصر هذا الفصل كالأتي:

أولا: المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.

المطلب الأول: أهل السنة و الجماعة.

المطلب الثاني: الخوارج.

لمطلب الثالث:الشيعة.

المطلب الرابع: المعتزلة.

المطلب الخامس: المرجئة.

و قد تناولنا كل فرقة من هذه الفرق بالتعريف، كما أبرزنا نشأتها بالمشرق، و تعرضنا لآراء كل فرقة على حدى، منهين حديثنا بدخول هذه الفرق و الملل إلى بلاد المغرب الإسلامي.

ثانيا: المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.

لمطلب الأول: المذهب الثوري.

المطلب الثاني: مذهب الأوزاعي.

المطلب الثالث: المذهب الحنفي.

المطلب الرابع: المذهب المالكي.

المطلب الخامس: مذهب الشافعي.

المطلب السادس: المذهب الحنبلي.

المطلب السابع: المذهب الظاهري.

حيث عالجنا فيه بداية الأمر المذاهب الأولى التي دخلت بلاد المغرب ثم ما لبثت أن اندثرت، مثل المذهب الثوري و مذهب الأوزاعي، ثم انتقلنا للحديث عن بقية المذاهب التي كتب لها الاستمرار لعدة قرون في بلاد المغرب.

أما **الفصل الثاني** فجاء تحت عنوان: **" دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي"** عالجنا فيه البيئة التي ولد فيها أبو الحسن الأشعري و مذهبه، و التي اتسمت بالتعصب للرأي و المغالاة، و بعدها عرفنا بأبي الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) صاحب هذا المذهب و مؤسسه، و وقفنا خلالها على أسباب عدوله عن مذهب الاعتزال و إعلانه المذهب الجديد، ثم عرضنا الآراء التي كان يذهب إليها أصحاب هذا المذهب و المواقف المختلفة منها، ثم تحدثنا عن نشأة المذهب في المشرق الإسلامي و انتشاره في الأفاق، و في ختام هذا العنصر حاولنا معرفة أسلاف الأشاعرة و ذلك بمقارنة الأشعرية بالآراء الكلامية لأئمة الفقه و السلف من أهل السنة و الجماعة، و موقفهم من هذا المذهب.

كما تطرقنا فيه إلى دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، فأشرنا إلى العقائد التي كانت سائدة ببلاد المغرب الإسلامي قبل تسرب الفكر الأشعري إليها، و هي مذهب أهل السنة ثم الخوارج، فالشيعة، فالمعتزلة، فالمرجئة، أما العقيدة التي كانت تفرض نفسها في بلاد المغرب فهي عقيدة أهل التسليم و التفويض و التي كانت ترى في أصحاب الكلام أنهم مبتدعة، ثم تحدثنا بعد ذلك عن العوامل التي ساعدت في دخول و انتشار المذهب ببلاد المغرب، و صنفناها إلى عوامل دينية و علمية و أخرى تاريخية و سياسية، و التي كانت حاسمة و مشجعة لدخول المذهب، كما عرجنا في حديثنا إلى مثبطات و عوائق اعتناق و انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب. و بينا كذلك المرجعيات المذهب الأشعري عند المغاربة.

و أنهينا هذا الفصل بالحديث عن الحاملين و الدعاة الأوائل للفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي،

و قد كان بعضهم معاصرا، أو جاء مباشرة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) كدارس بن إسماعيل الفاسي (ت 357 هـ/967م)، و القلانسي (ت 359 هـ/969م)، و استمرينا في تعداد باقي الممثلين إلى حدود العصر المرابطي، وهم في جلهم مفكرين مغاربة هاجروا إلى المشرق طلبا للعلم فعادوا و قد استهوتهم العقيدة الأشعرية فعملوا على نشرها و بثها في بلادهم.

أما **الفصل الثالث** فجاء تحت عنوان:" **المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين**".

حيث اخترنا أن نعالج فيه قيام دولة المرابطين حتى تكون لنا وللقارئ الكريم معرفة بهذه الدولة والظروف المحيطة بنشأتها وكذا أصلها، حيث تضمن هذا المبحث نسب المرابطين وأدرجنا فيه أهم الروايات التاريخية التي تتناول أصل المرابطين، ثم تناولنا موطن هذه الدولة وذكرنا إطارها الجغرافي وامتدادها ، وعرجنا على توسعها إلى بلاد الأندلس وضمها إياها ، ثم تناولنا أهم التسميات التي عرفت بها دولة المرابطين وعلة كل تسمية كما أوردها المؤرخون القدامى والمتأخرون .

بعدها تناولنا أسس الدعوة المرابطية، وكيف أنها كانت منهجا للتغيير والإصلاح الديني والاجتماعي قبل أن تتحول إلى مشروع سياسي طموح ، ثم تطرقنا إلى مكانة الفقيه وأدواره في دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، حيث عرفنا أن الفقهاء لعبوا أدوارا طلائعية ، وهذا ما لم تعرفه عدة تجارب سياسية أخرى ، حيث أن السلطة السياسية كانت منفصلة عن السلطة الدينية ، بل وأحيانا دخلتا في صراع تحول إلى امتحان حقيقي للفقهاء والسلطة على السواء ، ثم أفردنا عنصرا خاصا بدور الفقيه عبد الله بن ياسين في قيام دولة المرابطين ، حيث كان له الدور البالغ في نشوء هذه الدولة وتكوين جيلها الأول ، منذ أن اعتكف بالرباط وبدأ أنصاره يتزايدون اليوم تلو الآخر .

كما تطرقنا إلى الوضع المذهبي و الفكري الذي كان سائدا مع بداية الدولة المرابطية، الذي اتسم مع بداية القرن الخامس الهجري باشتداد الصراع الفكري بين أهل الحق و الباطل، خاصة فيما يتعلق بعلم الكلام.

ثم تناولنا وضعية المذهب الأشعري في هذا العصر من خلال الوقوف على مختلف المواقف من

دخوله، فعالجنا بداية الأمر موقف العلماء و الفقهاء المرابطين من تسرب الفكر الأشعري، ثم رأي السلطة المرابطية من الأشعرية ممثلة في أمرائها و حكامها، و ختمنا فصلنا هذا بالحديث عن الأشعرية بين المرابطين و ابن تومرت مظهرين الصراع الذي دار بينهما.

أما **الفصل الرابع** فجاء تحت عنوان:" **المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين**"

و تطرقنا فيه إلى ترسيم المذهب الأشعري و انتشاره في بلاد المغرب الإسلامي، لتبيين حال المذهب الأشعري بعد تقويض أركان الدولة المرابطية و قيام الدولة الموحدية التي اتخذت من هذا المذهب مذهبا رسميا لها.

و قد عالجنا في هذا الفصل نشأة الدولة الموحدية من حيث الأصل و التسمية، كما تطرقنا فيه إلى بداية الدعوة الموحدية على يد الإمام عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 451 هـ / 1059م)، ثم تحدثنا عن توسعات الدولة الموحدية على يد عبد المؤمن بن علي. كما بينا الأسس التي قامت عليها الدعوة الموحدية، بداية من قضائهم على دولة المرابطين وصولا إلى ترسيم العقيدة الأشعرية و اعتمادها كمذهب رسمي للدولة. كما أبرزنا فيه مكانة الفقهاء الذين حضوا باهتمام كبير من طرف أمراء الدولة الموحدية.

و قبل حديثنا عن دخول الأشعرية إلى المغرب الأقصى زمن دولة الموحدين، تطرقنا إلى الأصول الأولى للفكر الأشعري بالمغرب الأقصى. ثم حاولنا إظهار مراحل تطور المذهب الأشعري في زمن الدولة من خلال تركيزنا على ست شخصيات كان لها الفضل في التمهيد لهذا الترسيم، و بذلت مجهودات نظرية و عملية لبسط سلطان هذا المذهب بين الخاصة و العامة، و هم "المهدي" بن تومرت (ت 524 هـ/1130م)، أبو بكر بن العربي (ت 543 هـ/1148م)،و أبو الحسن بن حرزهم(ت559هـ/1163م)،أبو علي المسيلي (ت 580هـ/1184م) و أبو عمرو عثمان السلالجي (ت 594 هـ/1197م)، و الإمام الكتاني (ت 596هـ/1199م)، و كان اختيارنا لهذه الشخصيات على أساس توفر نصوصهم التمثيلية و الشاهدة على ما بذلوه من مجهود نظري في تدعيم المذهب الأشعري و إرسائه مذهبا للبلاد، كما راعينا مبدأ الأسبقية عند اختيارنا هذا، و ذلك لأن كل من ابن تومرت،و ابن العربي و السلالجي و غيرهم كان لهم فضل السبق في تثبيت دعائم هذا المذهب بالمغرب الإسلامي و ترسيخ تعاليمه، و أن من جاءوا بعدهم إنما

كانت مهمتهم تكميلية لما بذله أولئك الرجال، و مع ذلك لم نبخل في ذكرهم في ختام هذا الفصل.

و في الأخير ختمنا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا أن نصور فيها مسار المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، كما ضمناها بمجموعة من الاستنتاجات و الخلاصات التي أدت إليها الدراسة.

عرض المصادر و المراجع:

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على أنواع متنوعة من المصادر و المراجع القديمة و الوسيطة ، منها كتب الجغرافيا و الرحلة و الموسوعات التاريخية و كتب التراجم و الطبقات، سنسوق أهميتها، و قد ارتأينا أن نصنفها على النحو التالي:

1) كتب التراجم و المناقب:

لقد استفدنا من هذا النوع من الكتب، و كان اعتمادنا عليها بشكل مكثف شمل مختلف فصول هذه الدراسة، يأتي في مقدمتها:

- كتاب " **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**" لابن عساكر علي بن الحسن (ت 571 هـ/1175م)، و يعد هذا الكتاب أقدم مؤلف للتعريف بأبي الحسن الأشعري، و على الرغم من أنّ المؤلف وقع أسير العواطف الجياشة التي كان يكنها للإمام الأشعري مما جعله لا يفرق بين الغث و السمين، إلا أننا استفدنا منه كثيرا عند حديثنا عن حياة أبو الحسن الأشعري و بعض أصحابه.

- كتاب " **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" و كتاب" **تراجم أغلبية**" للقاضي عياض اليحصبي (ت 544 هـ/1149م)، و هو موسوعة ذات فائدة كبيرة بسط فيها القول عن علماء المالكية بمن فيهم المشتغلين بعلم التوحيد و العقائد ابتداء بالإمام مالك بن أنس إلى عصر المؤلف، فجاءت مليئة باللمحات التاريخية و المباحث العلمية.

كما اعتمدنا كذلك على مؤلفات أخرى لتراجم الأعلام، و على الرغم أنها ذكرت الأشاعرة ضمن التعريف بالعلماء عامة إلا أن فضلها كان كبيرا في الكشف عن بعض الحقائق التي عجزت المصادر الإخبارية عن كشفها، و من هذه المؤلفات نذكر:

- كتاب "**طبقات الشافعية الكبرى**" للسبكي أبو نصر عبد الوهاب (ت 771 هـ/1311م)، كتاب"**وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**" لابن خلكان أبو العباس أحمد (ت 681 هـ/1282م)، و كتاب "**معالم الإيمان في معرفة القيروان**" لعبد الرحمن الدباغ (ت 696 هـ/1296م)، و كتاب "**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، و علمائهم و محدثيهم، و فقهائهم و أدبائهم**" لابن بشكوال (ت 578 هـ/1182م)، و كتاب **المن بالإمامة** لابن صاحب الصلاة (ت594هـ/1198م)، و كتاب "**التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي**" لابن الزيات (618 هـ/1221م)،و كتاب **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** لابن مريم (ت 1014هـ/1605م)، و كتاب **الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب** لابن فرحون (ت 799هـ/1396م)، و كتاب **أنس الفقير و عز الحقير** لابن قنفد(ت 810هـ/1407م)، و كتاب **بيوتات فاس الكبرا** لابن الأحمر(ت 810 هـ/ 1407 م) ، و كتاب **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس** للكتاني (596هـ/1199م)، و كتاب **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** لابن القاضي (ت 1025هـ/1616م)، و كتاب "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036 هـ/1626م)، وكتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** للمقري (ت1041هـ/1631م)، كتاب **سير أعلام النبلاء** للذهبي(ت 748هـ/1347م)، وكتب التراجم الحديثة ككتاب **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لابن مخلوف (ت 1360هـ/1941م) ، و كتاب **الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام** للسملالي(1378هـ/1959م)، و **معجم أعلام الجزائر** لعادل نويهض.

كما يمكننا أن ندرج في هذا الصنف من الكتب كتاب "**المهدي بن تومرت حياته، آراؤه ثورته الفكرية و الاجتماعية**" و " **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**" لعبد المجيد النجار، و الذي استفدنا منه كثيرا في الفصل الرابع.

2) كتب الفرق و النحل:

كان اعتمادنا على هذا النوع من الكتب بالدرجة الأولى في الفصل الأول و الثاني، و الملاحظ أن أصحابها كانوا فريقين، إما متحيزين للمذهب الأشعري كالشهرستاني (ت 548 هـ/1153م) في كتابه "**الملل و النحل**" و البغدادي (ت 429 هـ/1037م) في كتابه "**الفرق بين الفرق**" أو متحاملين عليه و على أصحابه كابن النديم (ت 380هـ/990م) في كتابه "**الفهرست**"، كما اعتمدنا على النوبختي (ت300هـ/912م) في كتابه " **فرق الشيعة**"، و الإيجي (ت 756هـ/1355م) في كتابه " **المواقف في علم الكلام**"، و ابن حزم (ت 456 هـ/1064م) في كتابه "**الفصل بين الملل و الأهواء و النحل**"، و قد وجدنا أن هذا الكتاب كبير الفائدة خاصة عند حديثنا عن موقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري إلى المغرب الإسلامي، أما كتاب "**مقالات الإسلاميين اختلاف المصلين**" لأبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ/935م) و الذي يعتبر أول كتاب أرخ للمذاهب و النحل في الإسلام، فقد أفادنا كثيرا في حديثنا عن أقسام المسلمين و البيئة التي ظهر فيها المذهب الأشعري. و كتاب **مجموع الفتاوى** لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ/1327م) الذي اعتمدنا عليه في الرد على أفكار بن تومرت في عقيدته المرشدة.

بالإضافة إلى هذه المصادر فقد استعنا ببعض المراجع في طليعتها "**تاريخ المذاهب الإسلامية**" لمحمد أبو زهرة، و كتاب "**الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**" لألفرد بل ، و كتاب "**ظهر الإسلام**" لأحمد أمين، و عبد الله المعتق في كتابه" **المعتزلة و أصولهم الخمسة**"، و غالب بن علي عواجي في كتابه "**فرق معاصرة**"، و إسماعيل سامعي في كتابه" **دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي**"،و عبد المجيد معلومي في كتابه" **منهج الأشاعرة في تقرير العقيدة**"، و محمود إسماعيل عبد الرزاق في كتابه **الخوارج في بلاد المغرب**، و محمد بن عميرة في كتابه" **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**"، و عبد العزيز المجدوب في كتابه "**الصراع المذهبي بإفريقية**"، و نجم الدين الهنتاتي في كتابه" **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر**

الميلادي"و غيرها من المراجع.

3) **كتب التاريخ العام:**

نذكر منها كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**" لعبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ/1249م) الذي لم يقتصر على التاريخ الرسمي، بل تناول أخبار القراء و أعيان الكتاب، و لهذا أفدنا كثيرا فيما يخص مواقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري إلى المغرب الإسلامي، غير أنّ ما يؤاخذ عليه أنه كان متحاملا على المرابطين، و يعتبر هذا الكتاب ذو أهمية كبيرة لان صاحبه قريب من فترة المرابطين ، وعايش فترة الموحدين ، وينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن فترة علي بن يوسف بن تاشفين وعن أهم كتابه ، كما شخص لنا هذا المؤرخ بعض أسباب اختلال أحوال المرابطين في فترة علي بن يوسف ، ورسم لنا صورة حية عن بداية دعوة الموحدين وكذا الصراع المرابطي الموحدي في عهد المهدي بن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي .

- كتاب " **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر**" لابن خلدون (ت 808 هـ/1405م) حيث يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب خاصة الجزء السادس منه ، فهو يتناول تاريخ بلاد المغرب ويسرد لنا الأخبار والحقائق بالترتيب ، وقد تناول التاريخ المرابطي ومن بعده الموحدي بشيء من التفصيل ، و قد أشار هذا المجلد إلى دخول الأشعرية إلى المغرب الإسلامي، و الدور الذي لعبه ابن تومرت في ذلك.

كما أن كتابه الآخر وهو **المقدمة** يعتبر مؤلفا هاما حيث استعنت به فيما يتعلق بموضوعي في التعريف ببعض المصطلحات و الأعلام .

- أما كتاب" **المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**" للمقريزي (ت 845 هـ/1441م) فقد أفادنا في التعريف بأبي الحسن الأشعري، و في انتشار الأشعرية بالمشرق الإسلامي و دخولها إلى المغرب.

و بالإضافة إلى ما ذكرناه من مصادر في هذا الصنف، فقد استعنا بمجموعة أخرى من أهمها : كتاب **افتتاح الدعوة** للقاضي النعمان (ت 363هـ/973م)، و كتاب " **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**" لصاحبه ابن القطان (كان حيا سنة 650 هـ / 1252 م) وتكمن أهمية هذا الكتاب في انه قريب زمنيا من فترة المرابطين ، فقد عايش صاحبة فترة الدولة الموحدية

وكان على صلة كبيرة بالخلفاء الموحدين ، ويرصد لنا هذا الكتاب المهم الأحداث التاريخية ابتداء من المائة السادسة وهو ما يتوافق مع بحثنا هذا ، ويرتب صاحب هذا الكتاب الأحداث بطريقة تسلسلية (طريقة الحوليات) ، غير أن من المآخذ التي سجلناها على هذا المؤلف هو انحيازه للموحدين على حساب المرابطين ، لكنه يبقى ذو أهمية بالغة لما يرصده لنا من حقائق تاريخية هامة .

– و كتاب "**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**" لمؤلف مجهول من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، ويعتبر هذا الكتاب ذو أهمية بالغة لأنه يؤرخ لدولتي المرابطين والموحدين ، حيث يسرد أخبار كليهما بالتفصيل ، وينقل لنا صورة مفصلة عن بدايات الدولة المرابطية وتأسيس مراكش ، وفترة يوسف بن تاشفين و ابنه علي ، كما يرصد لنا أخبار الدولتين المرابطية و الموحدية بشيء من التفصيل وهو ما جعل استفادتي منه تكون بالغة ، كما لمسنا عند هذا المؤرخ شيء من الحيادية فهو يتعامل مع الحدث التاريخي بصورة محايدة ، دون الوقوع في الانحياز لطرف ما .

– و كتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**" لابن أبي زرع الفاسي(كان حيا سنة 726 هـ / 1326م) حيث ينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن تاريخ بلاد المغرب ويرتب هذه الأحداث بطريقة كرونولوجية تساعد على ترتيب الحوادث التاريخية في ذهن القارئ والمؤرخ على السواء ، وقد افرد الفترة المرابطية بشيء من التفصيل سيما عهد علي بن يوسف .

و كتاب "**الكامل في التاريخ**" لابن الأثير (ت 630 هـ/1232م)، و كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**" لابن عذارى المراكشي (ت .ق.7هـ/13م) ويعتبر من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب والأندلس ، وهو يتشكل من خمسة أجزاء ، إذ لا يمكن لأي باحث في تاريخ بلاد المغرب أو الأندلس الاستغناء عنه و قد استعنت به، و ابراهيم الزركشي(كان حيا سنة 894 هـ / 1489 م) في كتابه" **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**"، و البيذق (ت 555 هـ / 1160 م) في "**كتابه أخبار المهدي ابن تومرت و بداية دولة الموحدين**" وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه من المصادر الأولية والهامة لتاريخ دولة الموحدين ، خاصة فترة

المهدي ، لأن البيذق كان كاتب المهدي بن تومرت ورافقه أثناء كل حروبه مع دولة المرابطين ، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الثالث و الرابع ، حيث قدم لنا الحقائق التاريخية بالتفصيل عن هذه الحقبة.

و غيرها من الكتب التي تتحدث عن الدولتين المرابطية و الموحدية، فقد أفادتنا كثيرا في التعريف بالدولتين و كذا التعرف على ابن تومرت و الدور الذي لعبه في نشر العقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي.

إلى جانب هذه المصادر فقد اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها:

السلاوي(ت 1315 هـ / 1897 م) في كتابه" **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**"، عبد الله كنون في كتابيه " **النبوغ المغربي**" و " **جولات في الفكر الإسلامي**"، و عز الدين عمر موسى في كتابه" **الموحدين في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم**"،و كتاب "**التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية**" لأحمد شلبي، و كتاب "**تاريخ المغرب العربي**" الجزء الرابع لسعد زغلول، و غيرها كثير.

4) الكتب العقائدية:

و تأتي في طليعتها تلك التي وضعها الأشعري للتعريف بفكره و أرائه العقدية، أو وضعها مؤلف أخر للتعريف بالفكر العقدي للإمام الأشعري، و من أهم هذه المصادر:

كتاب "**الإبانة عن أصول الديانة**" لأبي الحسن الأشعري (324 هـ/935م)، و كتاب "**التمهيد**" لأبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ/1012م)، و كتاب "**الإقتصاد في الإعتقاد**" لأبي حامد الغزالي (505 هـ/1111م)، و كتاب "**محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و الحكماء و المتكلمين**" لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ/1209م)، و تتمثل أهمية هذه المؤلفات في أنها نقلت لنا أراء كبار علماء المذهب الأشعري و منظريه بأقلامهم لا بأقلام غيرهم، مما أضفى نوعا من المصداقية على العنصر الذي تناول أراء المذهب الأشعري.

و كتاب "**أعز ما يطلب**" لابن تومرت (ت 524 هـ/1130م)، و كتاب "**العواصم من القواصم**" لأبي بكر بن العربي (ت 543 هـ/1148م)، فبفضلهما توصلنا إلى معرفة مدى مساهمتها في ترسيم المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي.

5) الكتب التي تناولت المذهب الأشعري في إطار الدراسات الفلسفية:

لقد نال هذا النوع من المراجع الحظ الوافر من إهتمامنا، و استفدنا منها كثيرا في كامل فصول الدراسة. غير أننا كلما تعمقنا في الموضوع إلا و قلت استفادتنا منها لأن اهتمامها كان منصبا على الجانب الفكري دون التاريخي، و من هذه الكتب:

كتاب "**تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**" لمحمد أبو ريان، و كتاب "**في علم الكلام**" بأجزائه الثلاث- المعتزلة، الزيدية، الأشاعرة- لأحمد محمود صبحي، و كتاب "**نشأة الأشعرية و تطورها**" لجلال محمد موسى، و كتاب "**أصالة علم الكلام**" لمحمد الصالح، وكتاب "**تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية**، الجزء الأول في الشمال الإفريقي" ليحي هويدي، و قد تركز اهتمامنا على هذا الكتاب في الفصل الثالث و الرابع، و القائمة لا تزال طويلة.

6)كتب الرحلات والجغرافيا :

– **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** لأبي عبيد الله البكري (ت 487 هـ / 1094 م) وتكمن أهمية هذا الكتاب في انه يرصد لنا الأخبار بالتفصيل عن بدايات المرابطين وعن حركة ابن ياسين ،كما يقدم لنا وصفا مفصلا عن بلاد المغرب والسودان الغربي إلى غاية تأسيس مراكش عاصمة المرابطين ، وقد استفدت من هذا الكتاب في كل من الفصل الأول و الثالث، لأن المؤرخ لم يطل به العمر إلى غاية فترة علي بن يوسف .

– **الاستبصار في عجائب الأمصار** لمؤرخ مجهول عاش في القرن السادس الهجري (حي سنة 587 هـ / 1191 م) وهو شبيه بكتاب البكري ، إلا أنه جاء في فترة لاحقة أي في العهد الموحدي ، حيث ينقل لنا أخبار عن المدن المغربية وما جرى بها من حوادث ، كما يقدم لنا وصفا مفصلا عن مدن السودان الغربي .

- **الروض المعطار في خبر الأقطار** لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727 هـ / 1327 م) ، يرصد لنا هذا الكتاب وصفا مفصلا عن المدن المغربية والأندلسية وبعض أوصافها وأحوال سكانها ومعيشتهم ،كما ينقل لنا أحيانا معلوما تاريخيه هامة خدمتنا في دراستنا .

– **المغرب وارض السودان ومصر والأندلس** للإدريسي (ت 560 هـ / 1165 م) ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة كونه قدم لنا وصفا دقيقا عن عديد المدن المغربية والأندلسية ، في

فترة قريبة جدا من العهد المرابطي ، إضافة إلى كتب جغرافية أخرى مثل: كتاب **صورة الأرض** لابن حوقل (ت 368هـ/978م)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) ، و ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ / 1286 م) في كتابه **الجغرافيا**، حيث نقلت لنا معلومات وافية عن المدن المغربية والأندلسية .

7)كتب تناولت موضوع المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي:

هذا النوع من الكتب محدود جدا، واستفادتنا منه كانت مركزة، الكتاب الأول هو" **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**" ليوسف أحنانة و الذي كان لنا سندا في جميع فصول الدراسة و أفادنا كثيرا، حيث أنه وجهنا للمادة العلمية المتعلقة بالدراسة، حيث تناول فيه العقائد السائدة في الغرب الإسلامي ثم انتقل إلى الحديث عن دخول المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي، مقسما دخوله إلى مراحل منها: مرحلة الدخول و الانتشار، ثم مرحلة الترسيم و التغلغل و التوسع ، كما يتحدث في نهاية كتابه عن انتشار العقيدة الأشعرية في عهد الإمام السنوسي، أما الكتاب الثاني فهو "**فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب**" لعبد المجيد النجار، تناول مجموعة من البحوث قسمت على محورين محور يتعلق بالفكر العقدي، و آخر يتعلق بالفكر الأصولي الفقهي، و قد تناول الفصل الأول من محور الفكر العقدي انتشار الفكر الأشعري بإفريقية و المغرب، و تناول الفصل الثاني نموذجا من أشاعرة المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري، أما الفصل الثالث فتناول الفكر العقدي لابن تومرت، و قد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في كامل الدراسة ، على الرغم من أنه ركز على الحضور الأشعري بإفريقية أكثر من غيرها من مناطق المغرب الإسلامي، كما أفادنا أيضا في معرفة دور ابن العربي و ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، و يأتي بعد هذا الكتاب من حيث الأهمية دراسة حول "**جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**" لإبراهيم التهامي، فطبيعة الموضوع المعالج اقتضت إيراد ثلاثة فصول تتناول الحضور الأشعري بالمغرب الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري إلى أواخر القرن السابع الهجري و مجابهة علماء المغرب له، و على الرغم من أن هذا الكتاب هو في الحقيقة عبارة عن أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، فقد خدمنا كثيرا في بناء مادة الدراسة، فكان موجها لنا طيلة مراحل الدراسة.

و كذلك كتاب" **عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية**" لجمال علال البختي و الذي اعتمدنا عليه في الفصل الرابع ، عندما تحدثنا عن السلالجي (ت 594هـ/1197م) و عقيدته البرهانية، و قد أفادنا كثيرا، حيث أن هذا الكتاب تناول عصر- نهاية العصر المرابطي و بداية العصر الموحدي- السلالجي و بهذا يطلعنا على مختلف الأوضاع خاصة الوضع الفكري خاصة يتعلق بالمذهب الأشعري. بالإضافة إلى كتاب "**جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري**" لخالد زهري و آخرون، و الذي أعطى لنا صورة واضحة عن وضعية المذهب في مختلف مراحل تطوره و انتشاره في بلاد المغرب الإسلامي، كما صحح لنا بعض الآراء من بعض القضايا.

أما عن الكتب الأجنبية التي اعتمدنا عليها كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية للمؤرخ شارل أندري جوليان **CHARLES-ANDRÉ JULIEN (histoire de l'afrique du nord)**

و كتاب:

Goldziher. M.hamed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'ferique au xde siècle

و كتاب:

Hadi roger idriss: issai sur la diffesion de lacharlsme en afrique.

و كتاب:

Mahfoud kaddache, L'Algérie des Algériens de la pré histone a 1994
MAHFOUD KADDACHE : l'algerie medievale

و كتاب:

RACHID BOUROUIBA: abd al-mu'min (flambeau des almohades)

إلى جانب هذه المراجع استعنا كذلك بمجموعة معتبرة من الدراسات الأكاديمية من دوريات و رسائل جامعية و غيرها، يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر و المراجع.

صعوبات الدراسة:

و نحن بصدد انجاز هذه الدراسة اعترضت سبيلنا عراقيل جمة، نحاول إيجازها فيما يلي:

- ندرة النصوص التمثيلية المطبوعة التي تمثل هذا الفكر و تشهد على حضوره في منطقة المغرب الإسلامي، فهي لا تزال مخطوطة تحتاج لمن ينفض الغبار عنها، هذا بالإضافة إلى صعوبة الحصول على المصادر و المراجع التي كان لا بد من دراستها عند كتابة تاريخ الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي.

- طبيعة الموضوع الفكرية، كون البحث في المسائل المادية و ما يشبهها واضح محدود، و ما يطرأ عليها من تغيرات ظاهر جلي، أما البحث في فكرة ما كيف نبتت، و كيف نمت، و ما العوامل في إيجادها، و ما العناصر التي غذتها و ما الطوارئ التي طرأت عليها فعدلتها أو صقلتها، فذلك من الصعوبة بما كان التعامل مع بعض المصطلحات الفلسفية.

- صعوبة فهم و استيعاب بعض النصوص المتعلقة بالجانب الفكري من الموضوع لطبيعتها الفلسفية الغامضة.

- كثرة الشخصيات الواردة في متن الدراسة، الأمر الذي صعب علينا إيجاد تعاريف لها جميعا، خاصة و أن بعضها كان مغمورا.

- و من بين الصعوبات الأخرى ذاتية المؤرخين حيث صادفنا في دراستنا هذه انحياز بعضهم، في قضية التزمين لدخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي، خاصة بين الباحثين المعاصرين، حيث لاحظنا بروز الذاتية بحيث ينسب كل واحد منهم دخول الأشعرية لأحد أعلام البلد الذي يتنمي له هو.

رغم ذلك فإننا لم نتوان لحظة في محاولة تذليل هذه المثبطات بغية تقديم دراسة عن جانب من جوانب الفكر الإسلامي بالمغرب الإسلامي.

- الشكر و العرفان:

و في الأخير لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذه الدراسة من قريب أو من بعيد، و نخص بالذكر الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور أمبارك بوطارن، على حلمه وصبره معنا وعلى كل توجيهاته القيمة ، و الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و بإرشاداته، و كذلك نشكر كل من الأستاذ الدكتور خالد كبير علال و الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهبي، و الأستاذ الدكتور عبد العزيز بوكنة على مساعدتنا طوال مشوار البحث فلهم منا أسمى عبارات الشكر و الاحترام و التقدير، كما لا ننسى الأستاذ الدكتور عمارة علاوة من جامعة الأمير بقسنطينة الذي أمدني بالمعلومات القيمة، و نهيب كل من يقف على أخطائنا و هفواتنا أن يرشدنا على الصواب و يعيننا على تجنب الزلل، و صلى الله على سيدنا محمد ﷺ و على آله و صحبه و سلم.

عبد الغني حروز.

حمام الضلعة– المسيلة/ يوم الجمعة12 ربيع الثاني 1437هـ

الموافق لـ 22 جانفي2016م

الفصل الأول:

الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ/11م.

1- المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.

1-1- أهل السنة و الجماعة.

1-2- الخوارج.

1-3- الشيعة.

1- 4- المعتزلة.

1-5- المرجئة.

2- المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.

2-1- المذهب الثوري.

2-2- مذهب الأوزاعي.

2-3- المذهب الحنفي.

2-4- المذهب المالكي.

2-5- مذهب الشافعي.

2-6- المذهب الحنبلي.

2-7- المذهب الظاهري.

خلاصة .

سار المسلمون على نهج الرّسول صلّى الله عليه وسلم[1]. وكانوا يقتفون أثره في الأقوال والأفعال، فكانت الأمّة لحمة واحدة تحكمها كلمة التّوحيد ولكن بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلم دخل الكلّ في حيرة من أمرهم حول تعيين الخليفة، فمن سيحمل لواء ونهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تسير شؤون هذه الأمة ؟

اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لتعيين خليفة رسول الله ﷺ، وهنا بدأت الاحتدامات والمجادلات بين كل من المهاجرين والأنصار، خصوصا أنّ المهاجرين يرون أنّهم الأحق بالخلافة نظرا لمكانتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما كاد الأنصار يعيّنون سعد ابن عبادة[2] خليفة للرّسول بلغ الخبر أبو بكر الصديق[3]رضي الله عنه، فأتاهم مسرعا و معه عمر ابن

---

[1] – **محمد صلى الله عليه وسلم (عام الفيل–11هـ/571–632م)**: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، و أمه آمنة بن وهب من بني زهرة، ولد بمكة و بها بعث نبيا و رسولا للعالمين و عمره أربعين سنة، دعا إلى ديانة التوحيد الإسلام، توفي و عمره 63 سنة بعدما أكمل الرسالة و أتم الدين الذي بعث به، ينظر: أبو محمد عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا و آخرون،ج1، ط2،تراث الإسلام، القاهرة،ب.ت،ص01، 02؛ محمد ابن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: السيرة النبوية،تحقيق أحمد فريد المزيدي،ج1،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2004،ص17 و ما بعدها؛المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي أبي الفدا: المختصر لأخبار البشر،تحقيق محمد زينهم محمد عزب و آخرون، تقديم حسين مؤنس،ج1،ط1،دار المعارف،مصر،1998،ص–ص:142–188؛أكرم ضياء العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج1،مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة،1994،ص:90، 91؛ صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم،وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، قطر،2007،ص47 و ما بعدها.

[2] – هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي حزيمة وقيل حارثة بن حزام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي،كان نقيب بني ساعدة وكان حينها في الأنصار وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها (ت15هـ).ينظر: أبي الحسن على بن محمد ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج2،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)،ص203.

[3] –هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، التميمي القرشي هو أول الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ،وهو وزير النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة توفي سنة 13هـ.أنظر:ابن الأثير: أسد الغابة ،ج3،ص310؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة،1414هـ،ص–ص:71–74.

الخطاب [1] رضي الله عنه وعبيدة ابن الجراح[2]، فقال: "ما هذا فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منّا الأمراء و منكم الوزراء". [3]

وفي هذه الأثناء قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمبايعة أبي بكر الصّديق، وبايعه الناس في المسجد إلا فئة قليلة من آل البيتأما علي رضي الله عنه [4] فتأخرعن مبايعته بسبب انشغاله بدفن الرّسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك مجموعة من الناس لم تبايع أبا بكر الصديق، وهذه الفئة هي التي ستنحرف عن مبادئ الدّين والعقيدة و تكون سببا في الإفتراق و التشتت.[5]- غير أنه يجب أن نشير أن هذا كذب و افتراء على صحابة النبي ص و آل بيته فالمتفق عليه أنهم بايعوه كلهم إلا سعد بن عبادة فتخلف ثم بايعه-.

تجاوز المسلمون هذا الخلاف السّياسي وبقوا مجتمعا واحدا متماسكا، فهذا الخلاف لم يؤدّي حينها لأيّ شقاق ولا نزاع ولا تفرّق، و لم تظهر أيّة أحزاب بل بقي المسلمون أمّة واحدة[6].

ولكنّ رغم تجاوز هذا الخلاف عمليا إلا أنّه بقي في الأذهان و العقول وبقي في صدر آل البيت حرقة و امتعاضا، لأنهم شعروا بأنّ الآخرين سلبوا منهم حقّهم المسلم به، كما تبيّن ذلك في الكثير

[1] - هو عمر بن خطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح، من بني عدي بن كعب، القرشي اسلم بعد أربعين رجلا واحدا عشر امرأة ،كان شديدا على المسلمين وزاهدا متواضعا وهو ثاني الخلفاء الراشدين قتل سنة 23هـ.ينظر : ابن الأثير : أسد الغابة ،ج3، ص64.؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص-ص:75- 79.

[2] - هو أبو عبيدة ابن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح بن كنانة بن عدنان القرشي المكي ,شهد له النبي صل الله عليه وسلم بالجنة وسماه أمين الأمة ,قتل يوم الجمل .ينظر :شمس الدين احمد بن عثمان الذهبي :سير أعلام النبلاء، تحقيق:شعيب الأرناؤوط ،ج1،ط2،مؤسسة الرسالة،1982م ,ص13.

[3] - ابن جرير أبي جعفر الطبري:صحيح وضعيف الطبري،تحقيق محمد بن طاهر البرزجي، ج8،دار ابن الكثير، بيروت ،2007،ص15.

[4] - هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي الهاشمي.ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول الناس إسلاما (ت 40هـ) في رمضان.ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة،ج3،ص588؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص-ص:86- 92.

[5] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني:الملل و النحل، تصحيح و تعليق أحمد فهمي محمد، ج1،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،1992،ص13.

[6] - سعد رستم : الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط1، أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء،2008م،ص.ص:26.25.

من الأحاديث التي رواها الشّريف الرّضي في نهج البلاغة، من قول علي لما زعموا على بيعة عثمان حيث قال: " لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، والله لا أسلمن ما سلمت أمور المسلمين، و لم يكن جورا إلا علي خاصة التماسا لأجر ذلك و فضله و زهده فيما تنافستموه من زخرفه و زبرجه "[1]

وتجدر بنا الإشارة إلى أن المتمعن في هذا الحديث يجد أنه كلام مغلوط؛ وهذا استنادا لآراء أهل السنة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيميّة بعدم صحّة نسب هذا الحديث لعليّ بن أبي طالب، وذلك استنادا لحجج وبراهين، أهمّها عدم وجود سند لهذا الحديث المروي عن علي رضي الله عنه ،كما أنّ مؤلّف كتاب نهج البلاغة هو محمّد بن الحسين بن موسى الذي تلقّبه الطّائفة الإثناعشرية بالشّريف الرّضي، والذي كان موجودا بعد علي رضي الله عنه بما يقارب من أربعمائة عام.[2]

وكما يرى أهل السّنة أنه يوجد في كلام البيان والتّبيين- قام الشريف الرضي بدس قصص و روايات من البيان و التبيين و نسبها كأحاديث لعلي رضي الله عنه-، أنّ هذا الحديث قد أُسقط أصلا من ناحية الإسناد[3]، فهم يرون أنّ هذا الكتاب مكذوب على الإمام علي لأنّ فيه السّب الصريح والشّتم لعلي رضي الله عنه[4].

بعد تولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة عين— بعد استشارة الصحابة- بعده مباشرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و يليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه[5]، فهذا الأخير كان

---

[1] - الشريف الرضي: نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب،تحقيق:صبحي الصيالح،(د.ن)،(د.م)،(د.ت)،ص102.

[2] - أبي العباس تقي الدين ابن تيمية:منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق:محمد رشاد سالم، ج7، (د.ن) (د.م)، 1996،ص96.

[3] - المصدر نفسه، ج8،ص،ص:56.55.

[4] - أبي عبد الله شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال،ج3، تحيق:محمد بركات،دار الرسالة العلمية،(د.م)،2009،ص124.

[5] - عثمان بن عفان بن أب العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأموي القرشي ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من السباقين للإسلام يكنى بذو النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول صلى اله عليه وسلم استشهد سنة35هـ وعمره 82سنة دفن بالبقيع بالمدينة المنورة.ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي،ج3، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، 1987،ص74 و ما بعدها، أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص-ص:80-85.

معروفا بالحياء و الحلم و العدل و التواضع، و قد كان تعيينه بعض أقاربه من -بني أمية- في مناصب الدولة أثار حفيظة بعض الرعية، فلم تخمد نار الثورة في نفوسهم، حتى قتلوه سنة (35هـ /655م).[1]

وحين تولى علي رضي الله عنه الخلافة كان على علم بهذا الحدث فأراد عزل معاوية ابن أبي سفيان[2] -حاكم الشام- لكن هذا الأخير رفض و طالبه بالاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه فجرت بينهما حروب، منها معركة صفين.[3] التي نتج عنها في الأخير حزب الخوارج[4] ،الذي شقّ أصحابه عصى الطاعة في وجه علي ومعاوية عند التحكيم، واعتصموا بأن "لاحكم إلا لله "، فحاربهم علي بعد أن يئس من رجوعهم إلى الهدى، وهزمهم في موقعة شهيرة هي موقعة النهروان[5] وقتل منهم كثيرا فزادتهم هذه الهزيمة حقدا على علي حتى دُبرت مكيدة لقتله، واستعانوا في ذلك بعبد الرحمن بن ملجم سنة(40هـ/661م) هاته السّنة التي تعتبر سنة معلميّة غيّرت مجرى التّاريخ

---

[1] – إن تعيين عثمان رضي الله عنه أقاربه ولاة ليس بحرام، فلا يوجد نص سواء في نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية يحرم على الحاكم إسناد الإمارة لأقاربه،ثم أن عثمان رضي الله عنه لم ينفرد عن الخلفاء الراشدين بتعيين أقاربه ولاة له، فقد أسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه الإمارة لأقاربه، و لأناس مطعون فيهم. للمزيد ينظر: خالد كبير علال: الثورة على سيدنا عثمان بن عفان-دراسة في أسبابها الظاهرة و الخفية-،ط1،دار البلاغ للنشر و التوزيع،الجزائر،2003،ص6 و ما بعدها.

[2] – معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وأحد كتاب الوحي، و أول الخلفاء في دولة بني أمية، توفي سنة60هـ.ينظر:ابن الأثير.: أسد الغابة،ج7، ص281.

[3] – **صفين**: موقع بقري الرقة على شاطئ الفرات من غربيها، و هي معركة وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان سنة(36هـ/657م) بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا وعندما استلم علي الحكم امتنع معاوية و أهل الشام عن مبايعته فأصر عليا الأمر بعزله(أي معاوية) وجرت لمدة تسعة أيام.ينظر:الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج3،ص161و ما بعدها؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص462.

[4] – من الأحزاب التي خرجت عن الأمويين وكانوا من أشياع علي رضي الله عنه ثم خرجوا عليه،وسنتطرق إلى التعريف بالخوارج في المبحث القادم.ينظر:حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،ج2،دار الجليل،القاهرة،1957،ص8.

[5] – **النهراون**: هي إحدى المعارك الإسلامية وقعت سنة(37هـ/658م) بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين الخوارج و و النهروان موقع بين حلوان وبغداد.انتهت هذه المعركة بانتصار علي ولم ينجوا من الخوارج إلا أربعين شخصا.ينظر:الطبري:تاريخ الأمم والملوك،ج3، ص212 و ما بعدها؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص479.

الإسلامي، وتفرّعت منها كل المذاهب والفرق(أهل السنة، الخوارج، الشيعة)، والتي مازالت إلى يومنا هذا.[1]

1- المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب[2] الأشعري:

لقد كانت بلاد المغرب أرضا خصبة لكثير من الفرق[3] التي مثّلت كل واحدة منها دعوى مذهبيّة معينة، وللتعرف أكثر على المذاهب التي كانت سائدة آنذاك كان من الضّروري التّعريف بهذه المذاهب.

1-1- أهل السنة و الجماعة :

يعرفهم الباحث خالد كبير علال بقوله:"... مثّل أهل السنة و الجماعة جمهور المسلمين منذ أن عُرفوا بذلك الاسم ، على إثر انفصال الخوارج و الشيعة عن جماعة المسلمين ،في أثناء الفتنة الكبرى (35-40هـ/ 655-660م) ،و ما بعدها ، ثم انفصلت عنهم جماعات أخرى في القرن الثاني الهجري و ما بعده ، كان من بينها المعتزلة ،و الجهمية ، و الكرّامية ، لكن أهل السنة- مع ذلك- ظلوا ظاهرين يمثلون جمهور الأمة الإسلامية ، مقابل هؤلاء الذين انفصلوا عنهم ، كالخوارج الشيعة و المعتزلة و المجسمة .

و أما أصولهم المذهبية –أي أصول أهل السنة- فهي معروفة و متواترة ، لا تحتاج إلى توثيق ، منها : الاعتماد على الكتاب و السنة الصحيحة ، كمصدرين معصومين وحيدين ، و منها تقديم

---

[1] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع،تونس،2008 ،ص32و ما بعدها.

[2] – **المذهب**: يعرفه ابن عثيمين بأنه القول الذي يقتدى به بعده أو الذي يختاره أو يرجحه، ويسمى مذهبا له أي مسلكا سلكه، وقولا يرجحه على غيره بدليل اقتران به، أما المذاهب فيراد بها الأقوال التي تنسب إلى أربابها و يطلق المذهب على كل قول قاله إمام مجتهد مات وهو مجتهد ومتمسك به سواء اقتدي به أو لم يقتدى به، ينظر: محمد بن صالح ابن عثيمين: عقيدة أهل السنة والجماعة,مؤسسة الشيخ بن صالح العثيمين الخيرية,ط2,الرياض,1929,ص20.

[3] – ينظر خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، الملحق رقم:01،ص363.

الشرع على العقل ، و الاعتقاد بأن الإيمان هو اعتقاد بالجنان ،و قول باللسان ،و عمل بالجوارح يزيد و ينقص..."[1]

"...و منها أيضا : موالاة كل الصحابة ،و إنهم عدول غير معصومين من الخطأ ، أفضلهم – بعد رسول الله عليه الصلاة و السلام- الخلفاء الأربعة بالترتيب : أبي بكر الصديق ، و عمر بن الخطاب ،و عثمان بن عفان ، و علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

و منها : إثبات كل الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه ،و أو صفه بها رسوله –عليه الصلاة و السلام- في الأحاديث الثابتة عنه ، بلا تشبيه و لا تمثيل ،و لا تأويل ،و لا تعطيل ،و لا تكييف ، و إنما هو إثبات و تنزيه . و هذا الأصل –أي الأخير- هو الذي نركّز عليه في مبحثنا هذا ، لأن دراستنا القادمة-بحول الله تعالى- تقوم عليه أساسا ..."[2]

و هم الفرقة الناجية الذين أخبر عنهم الرسول بأنهم سيسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف، متبعين الكتاب والسنة[3]، كما قال الرّسول عليه الصلاة والسلام: " ...و ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة." قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:" ما أنا عليه و أصحابي" و في لفظ هي الجماعة.[4] و قال:" لا يزال ناس من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله و هم ظاهرون"[5]. و قال:" لا تجتمع أمتي على ضلالة" [6] ، وقد سمو أهل السنة لاستمساكهم و إتباعهم لسنة النبي صل الله عليه وسلم و سمو بالجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم في إحدى روايات الحديث السابق أنهم جماعة الإسلام، الذين اجتمعوا على حق، ولم يفترقوا

---

[1] – خالد كبير علال: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث- خلال القرنين:5-6 الهجريين- مظاهرها ، آثارها ، أسبابها ، و الحلول المقترحة لها،ط1، دار مالك، الجزائر،2005،ص 07.

[2] – المرجع نفسه،ص07.

[3] – أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد بن عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988،ص26.

[4] – أخرجه أحمد و أبو داود و الطبراني و غيرهم و هو صحيح: ينظر، ربيع بن هادي عمير المدخلي: منهج أهل السنة و الجماعة في نقد الرجال و الكتب و الطوائف،ط1،دار المنهاج،مصر،1423ه/2002م، ص18.

[5] – أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري،ط1، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق- بيروت، 1423ه/2002م، الحديث رقم:3640،ص895.

[6] – الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص05.

في الدين و اتبعوا منهج أئمة الحق و أهل الأثر[1].قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [2] بينما يعرفهم الغمام ابن حزم فيقول:"... إن أهل السنة هم أهل الحق، فإنهم الصحابة رضوان الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها..." [3]

1-2- الخوارج:

1-2-1- التعريف بالخوارج:

لغة:الخوارج لفظ مأخوذ من الخروج مصدر خرج. و لهذا الأصل تعاريف عدة رجع بها ابن فارس إلى معنيين: الأول: النفاذ عن الشيء و الثاني: اختلاف اللونين.[4]

أما من الناحية الأولى: الخراج و الخرج: الأتاوة، لأنه مال يخرجه المعطي، و منه الخارجي، و هو الرجل المسود بنفسه من غير أن يكون له قديم، كأنه خرج بنفسه، و منه قول كثير عزة:

أبا مروان لست بخارجي ۞ و ليس قديم مجبك بانتحال[5]

أما من الناحية الثانية: الخرج: لونان من سواد و بياض، و منه أرض مخرجة: إذا كان نبتها في مكان دون مكان[6]

و لعل التصاريف العائدة إلى المعنى الأول من الأليق أن يعاد بها إلى معنى الظهور و البروز، و لهذا يقال خرجت خوارجه، أي ظهرت نجابته[7]، و يوم الخروج أي يوم العيد، و خرج فلان من

---

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق،ص26.

[2] – سورة : الإسراء، الآية: 77.

[3] – أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري: الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة،ج4، ط2،دار الجيل، بيروت،1996، ص217.

[4] – أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991، ص175.

[5] – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ،:لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، د.ت،، ص250 (باب الجيم فصل الخاء)

[6] – ابن فارس: المصدر السابق، ج2، ص176.

[7] – محمد يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص192.

العلم و الصناعة خروجا إذا نبغ، و خرجت السماء، أصبحت و أنقشع عنها الغيم[1]، أما ربط المعنى الثاني باللون فلعله مجرد تمثيل، و إلا فإن تصاريف أخرى من الباب نفسه لا علاقة لها باللون و منه خرج عمله: جعله ضروبا مختلفة. و فلان خراج ولاج، للمتصرف و هو يعرف موالج الأمور و مخارجها، و مواردها و مصادرها. اللهم إلا إذ يحمل النفاذ على الحقيقة و الظهور على المجاز للمعنى الأول و يحمل اختلاف اللونين على الحقيقة و مجرد الاختلاف على المجاز الثاني، و هو جلي من ضليع الزمخشري[2].

و منه نستطيع القول أن لفظ الخوارج من الناحية اللغوية يدل على المعنى الأول أي النفاذ أو الظهور و البروز.

اصطلاحا:

اختلف الباحثون في التعريف الاصطلاحي للخوارج، و مرد ذلك يرجع إلى:

– منهم من عرفهم تعريفا سياسيا عاما، و اعتبر الخارج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجا من أي زمن كان.[3]

و في هذا الصدد يقول الشهرستاني: " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين لو كان بعدهم على التابعين. لهم بإحسان و الأئمة في كل زمان."[4]

و منهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه، قال الأشعري:" و السبب الذي سموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"[5]

و قد زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه بالخارجين على الإمام علي أو من شاركهم في أي زمن.

---

[1] – محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة،ط1،دار النفائس، بيروت، 1992، ص157.

[2] – الزمخشري: المصدر السابق،ص175.

[3] – غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة، ج1، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001، ص227.

[4] – الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ص 114.

[5] – أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين، تعليق أحمد فهمي،ج1،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992،ص 156.

و هو بذلك يتفق مع تعريف الشهرستاني.[1] بالمقابل يتفق كثير من الباحثين على أن الخوارج هم " الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروراء [2] و النهروان.

و من انتمى لهم إليهم فيما بعد "[3] و هذا أشهر في تعريف الخوارج، و هو بالأحرى تعريف فرقي تاريخي، و يفهم من ضم أهل النهروان مع من أطلق عليهم الخوارج كالأزارقة و النجدات و غيرهم ممن ينتسب إلى النهروان في نسق واحد أن الجامع بينهم أمران، الخروج على الأئمة،و تكفير المخالفين لهم.

غير أن الحافظ ابن حجر قد وسع الدائرة لتشمل أهل النهروان في قسم أول للخوراج، و من خرج في طلب الملك لا للدعاء إلى معتقده في قسم ثان، و هؤلاء أيضا قسمين:

- أ- قسم خرجوا غضبا للدين من أجل جور الولاة و ترك عملهم بالسنة النبوية و هؤلاء أهل الحق، و منهم الحسين بن علي و أهل المدينة في الحرة و القراء الذين خرجوا على الحجاج.

-ب- قسم خرجوا لطلب الملك فقط سواء كانت فيهم شبهة أم لا، و هم البغاة.[4]

و كلاهما صريح في اعتبار أمر واحد و هو الخروج على الإمام المنصوب مع تخصيصه بالعادل فكل من يخرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة أو اختارته غالبية الأمة يسمى خارجيا.[5]

---

[1] - ابن حزم: الفصل في الملل و الأهواء و النحل ،ج4،ص 157.

[2] - **حروراء**: وضبطه ياقوت الحموي بفتح الحاء والراء المهملتين ، وبعدهما واو ساكنة و ألف ممدودة ، وقيل : هي قرية بظاهر الكوفة . وقيل : موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنسبوا إليها . وقال ابن الأنباري : حروراء كورة .وقال أبو منصور : الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج ، وبها كان أول تحكيم واجتماعهم حين خالفوا عليه أنظر: ياقوت الحموي بن عبد الله: معجم البلدان ،ج2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت، ، ص245.

[3] - يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة اليديني، الرباط، المملكة المغربية، 2003، ص 10 ،11 ؛ محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص47؛ خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، دار كنوز الحكمة، الجزائر،2009، ص229، 230؛ الأمين شريف يحي: معجم الفرق الإسلامية،ط1، دار الأضواء، بيروت 1986،ص122.

[4] - ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج14، دار الفكر، بيروت، 1993،ص289.

[5]- البغدادي: الفرق بين الفرق، ص72.

1-2-2- نشأة الخوارج في المشرق الإسلامي:

ظهرت حركة الخوارج في المشرق الإسلامي بعد معركة صفين التي وقعت على شاطئ الفرات في سنة (37ه/657م) بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، حيث عندما أوشكت المعركة على الانتهاء – انتصرت حيلة الأموي على أمانة علي رضي الله عنه-[1] بانهزام جيش معاوية لجأ هذا الأخير إلى حيلة بارعة شتت بها جيش خصمه[2]

حيث رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح و السيوف بطلب من عمر بن العاص، الذي اقترح على علي رضي الله عنه أيضا أن يرفع المصاحف هو و جيشه فوافقه و أمر جيشه برفعها و دعوا إلى إحكام كتاب الله[3] و لما تبين لعلي رضي الله عنه أن معاوية خدعهم؛ فحاولوا استئناف القتال من جديد منتظرين حكم الله قائلين " لا حكم إلا لله "، غير أن جماعة منهم اعتبرت أن قبول التحكيم جريمة كبيرة ، و طلبوا من علي رضي الله عنه أن يتوب عما ارتكب لأنه كفر عندما وافق على ذلك[4] و أنه ارتكب كبيرة كافر يجب قتله و محاربته، فعلي رضي الله عنه – في نظرهم- كن مؤمنا ، لكنه لما خضع للتحكيم صار كافرا، لأن خضوعه إلى التحكيم اعترافا لمعاوية بحقه في الخلافة، و تلك كبيرة الكبائر، لذلك وجب الخروج عليه و محاربته[5] و هنا انفصلت عنه جماعة فقد فقد روي أن علي رضي الله عنه عندما رجع من صفين إلى الكوفة انفصلت عنه جماعة القراء- الخوارج- بمكان يعرف بحروراء، و خرجت عليه و آذنته بالحرب[6] و كان عددهم أربعة ألاف، و نظرا لخروجهم من الكوفة قد سموا بالخوارج، أي الخارجون من المدينة التي كان فيها جيش علي

---

[1] – أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة، تصحيح:ه.رتر، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول، 1931، ص56؛ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1981، ص141؛أكرم ضياء العمري: الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة، 1414ه،ص464.

[2] – بن عميرة: المرجع السابق، ص47.

[3] – خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص228.

[4] – الشهر ستاني: الملل و النحل، ج1، ص106، 107 ؛ألفرد بل: المرجع السابق، ص141، 142

[5] – يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص11.

[6] – الطبري: تاريخ الرسل و الملوك،ج3،ص202؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص229.

رضي الله عنه أبان الهدنة، و صاروا منذ ذلك يقاتلون عليا و معاوية و حتى من يخالفهم الرأي في الحكم على خلافة عثمان و علي رضي الله عنهما من المسلمين[1]

و هذا ما دفع علي رضي الله عنه يواجههم و يدخل معهم في معركة النهروان في أواخر سنة(37هـ/ 658م) فهزموا لأول مرة على يد جيش علي رضي الله عنه، فتشتت الخوراج و استتروا و قرروا قتل علي رضي الله عنه و معاوية و عمر بن العاص، فنجحوا في قتل علي رضي الله عنه سنة 40هـ/ 660م، و واصلوا القتال ضد الأمويين في الشام، و لم يتم اخضاعهم في العراق فيما بعد إلا على يد الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أجرى فيهم مذابح و قضى عليهم نهائيا سنة 87هـ/ 696م.[2]

و من هنا يمكن القول أن أساس مذهب الخوارج سياسي، ذلك أنهم اعتبروا أن عليا رضي الله عنه و معاوية كليهما إنما يتبعان في هذه المسألة مصلحتهما الخاصة للوصول لإلى السلطة و لا يقودهما غير الطمع في الحكم.

1-2-3- أسماء الخوارج وألقابهم:

أطلق على الخوارج طائفة من الأسماء ،منها :

الخوارج[3]:يعتبر هذا الاسم من أشهر الأسماء التي أطلقت على هذه الطائفة ،وقد غلب عليه الطابع اللغوي ،فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ،سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الائمة في كل مكان[4] وعلماء الشريعة يسمونهم بغاة[5].وقد أطلق عليهم هذا الاسم لخروجهم على علي رضي الله عنه[6].

---

[1] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص142.

[2] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص144؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص48؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص230؛ أكرم ضياء العمري: المرجع السابق، ص481.

[3] – جاء في القاموس المحيط : " الخوارج من أهل الأهواء ، وسموا به لخروجهم على الناس "، الفيروز آبادي ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 885.باب الجيم .

[4] – الشهرستاني ، الملل و النحل،ج1 ،ص114.

[5] – عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ط1،دار الرشاد،1413هـ | 1993م ص215.

[6] – الأشعري، مقالات الإسلاميين،ج1، ص207.

أهل النهروان: ومن أسمائهم أهل النهروان ،لأن عليا قاتلهم هناك[1].

الحرورية :سموا بهذا الاسم نسبة إلى حروراء ،وهي قرية بظاهر الكوفة ،انحاز إليها الخوارج لما خرجوا على علي ، فنسبوا إليها [2]،ويبدوا أن هذا الاسم كان مشهورا بين المسلمين ، حيث وقع لمعاذة بنت عبد الله البدوية أنها سألت أم المؤمنين عائشة :أتقضي إحدانا الصلاة أيام محيضها ؟ فقالت له عائشة :أحرورية أنت ؟! قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ثم لا تؤمر بقضاء .

وربما أطلق علماء الفرق هذا الاسم على فرقة بعينها من فرق الخوارج ،يؤيد ذلك ما ذكره الملطي[3] في التنبيه ، حيث جعل الحرورية الفرقة السابعة من فرق الخوارج العشرين ، تم تحدث بإسهاب عن آرائها ومعتقداتها.[4]

النواصب :جمع ناصبي ، وهو الغالي في بغض علي[5]،جاء في (القاموس المحيط) ما نصه : وً النواصب والناصبية وأهل النصب : المتدينون ببغض علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له أي عادوه [6]".

---

[1] – تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الإيمان الأوسط ، تحقيق محمود أبو سن أبو يحي ، ط1 ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1424ه ،ص27

[2] – البغدادي : المصدر السابق ، ص75؛ عامر النجار: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، مصر، د.ت،ص42.

[3] – الملطي : (000. 377ه | 000. 987م) محمد بن أحمد بن عبد الرحمان ، أبو الحسين ، الملطي العسقلاني ، عالم بالقرءآت ، من فقهاء الشافعية ، من أهل " ملطية " نزل عسقلان ، وتوفي بها ينظر: خير الدين الزركلي : الأعلام، ،ج 5 ، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986ص 311

[4] – محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسيني الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ، تقديم و تحقيق و تعليق: محمد زينهم محمد عزب،ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1992،ص42.

[5] – الحفني : المرجع السابق ، ص216.

[6] – الفيروز آبادي : المصدر السابق ، ج 1، ص133، فصل النون ، باب الباء.

الشراة : بضم الشين ، على وزن رماة وقضاة ، جمع شارٍ ، وهو من الأسماء المفضلة لدى الخوارج .وهم يفسرون ذلك على أن الشاري الذي هو مفرده الشراة ، اسم فاعل من الشراة ويزعمون أنهم سموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى على أن لهم الجنة ، وهم . كما يقولون عن أنفسهم . الذين قصدهم الله تعالى بقوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[1].

وأما خصومهم فيفسرون هذا الاسم تفسيرا مغايرا ، فيرون بأن الشاري اسم فاعل من شرى إذا استطار وزاد وتفاقم ، وأيضاً فإننا نقول : شرى الرجل إذا غضب ولج في الخصومة وغيرها[2].

وقريب منه ما ذكره ابن سيده [3]عن أبي علي الفاسي[4] أنهم سموا بذلك لأنهم لجوا وغضبوا ، فأما هم فقالوا :نحن الشراة.

من قوله عز وجل :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ .[5]

يقول المقريزي :" والخوارج يقال لهم الشراة !واحدهم شاري ، مشتق من شرى الرجل إذا ألج ، أو معناه يشتري بالشر ،أو من قول الخوارج : شرينا أنفسنا لدين الله ، فنحن لذلك شراة ، وقيل :

---

[1] – سورة : التوبة، الآية:112.

2 – الحفني ، المرجع السابق ، ص 216؛ بكير بن سعيد أعوشت: دراسات اسلامية في الأصول الإباضية، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988،ص15.

[3] – ابن سيدة : (398– 458هـ / 1007 –1066م) علي بن إسماعيل ، أبو الحسن : إمام في اللغة وأدابها ، ولد بمرسية (في شرقي الأندلس) ، وانتقل إلى دانية فتوفي بها . كان ضريراً .ينظر : الزركلي : الأعلام، ،ج 4، ص262.

[4] – أبو علي الفاسي (288 . 377هـ | 900 . 987م) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، أبو علي ، أحد الأئمة في علم العربية ، ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة 307هـ ، فأقام مدة عند سيف الدولة ، وعاد إلى فارس ، فصحب عضد الدولة ابن بويه ، وتقدم عنده ، ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها .أنظر الزركلي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص 179 ، 180.

[5] – سورة : البقرة، الآية: 205.

إنه من قولهم : شاريته أي لاحيته وماريته ، وقيل : شرى الرجل غضبا إذا استطار غضبا ً، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين[1].

المارقة: سميت به الخوارج لخروجهم عن الدين[2] ، وقد اشتق هذا الاسم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم :« يمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[3] ، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[4]

المحكمة :جاءت هذه التسمية من خلال الشعار الذي أطلقه الخوارج بعد قبول علي رضي الله عنه بالتحكيم :«لا حكم إلا لله ، ولا حكم للرجال» [5]، فلما سمعنا علي قال :«كلمة حق أريد بها باطل » [6]، وقد ضاق أمير المؤمنين ذرعا بهذا الشعار ، وقد اتخذته الخوارج دينا وديدناً ،فكانوا يقاطعونه في كثير من الأحيان وهو على المنبر يخطب بقولهم : لا حكم إلا لله[7].

وقد اختلف فيمن كان أول المحكمة ، فقيل : إن أول من حكم عروة بن حدير أخو مرداس الخارجي ، وقيل : أولهم يزيد بن عاصم المحاربي [8]، وقيل : رجل من بني يشكر بن بكر بن وائل ، وكان مع علي بصفين ، فلما اتفق الفريقان على التحكيم ، ركب جمله [9]وحمل على أصحاب علي علي فقتل منهم واحداً ، ثم حمل على أصحاب معاوية فقتل منهم واحدا ، ثم نادى بين المعسكرين أنه بريء من علي ومعاوية ، وأنه خرج من حكمهم ، وقتله رجل من همذان[10] .

---

[1] – تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ،ج3،مؤسسة حلبي و شركائه للنشر و التوزيع ،القاهرة ، ب.ت ، ص419.

[2] – المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج3 ، ص419.

[3] – الشهرستاني : الملل و النحل،ج1 ، ص115.

[4] – الأشعري : مقالات الإسلاميين ،ج1، ص 207.

[5] – المقريزي ، المواعظ و الاعتبار، ج3 ، ص415.

[6] – الشهرستاني : الملل و النحل،ج1، ، ص116.

[7]– أحمد أمين : فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة، مصر ،2012،ص 277.

[8] – الأشعري : مقالات الإسلاميين ،ج1، ص209 .

[9] – البغدادي ، المصدر السابق ، ص75.

[10] – الأشعري ، مقالات الإسلاميين ،ج1، ص 209.

وقيل إن أول من حكم رجلان من عنزة ، اسمهما جعد ومعدان ، وكان مع علي منهم أربعة آلاف رجل ، وقد مر براياتهم الأشعب بن قيس وهو يقرأ كتاب التحكيم ، فخرج جعد ومعدان ، فقالا : لا حكم إلا لله ثم شدا على أهل الشام ، فقاتلا حتى قتلا .

وقال آخرون : أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .

وقال غيرهم : إن أول من حكم ولفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر من بني صريم ،يقال له الحجاج بن عبد الله ، ويعرف بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على أليتيه يوم حاول اغتياله[1].

وتزعم الخوارج أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي[2].

يقول الملطي :" وكان هؤلاء الحمقى يخرجون بسيوفهم في الأسواق ، فيجتمع الناس على غفلة ، فينادون : لا حكم إلا لله ، ويضعون سيوفهم فيمن يلحقون من الناس ،فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا ، وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع أو يقتل ،فكان الناس منهم على وجل وفتنة ، ولم يبقَ منهم اليوم أحد على وجه الأرض بحمد الله"[3].

ويفهم من سياق مختلف الروايات التي ذكرناها آنفا أن الذين حكموا لم يحكموا في وقت واحد أو موقف ، حيث جرى التحكيم في أكثر من مناسبة ، وأكثر من موقف ، فمنهم من حكم بين الصفين في موقعة صفين ، ومنهم من حكم حينما كان الأشعث يطوف على الجند من كلا الطرفين المتحاربين ، يقرأ كتاب التحكيم الذي تم الاتفاق عليه بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ،ومنهم من حكم في مواقف أخرى ، على نحو ما رواه المبرد ، أن الخوارج حين استقروا في الكوفة بعد عودتهم مع علي أول الأمر ، أشاعوا أنه رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، فأتى الأشعث بن قيس عليا وأخبره بما يقول الخوارج ، فخطب علي الناس فقال : من زعم أني رجعت عن

---

[1] – الأشعري ، مقالات الإسلاميين ،ج1، ص 209.

[2] – عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير : البداية والنهاية ،،ج7 ، ط6 ،مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 1985م ، ص 279.

[3] – الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ، ص38.

الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالاً فهو أضل. فخرجت الخوارج عن المسجد فحكمت ، فقيل لعلي : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون[1].

كما سموا أيضا باسم " الوهبيين" نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي زعيم الخوارج في معركتهم الأولى بالنهروان.[2]

1-2-4- أراء الخوارج:

كانت أراء الخوارج موحدة قبل لجوئهم إلى الأهواز سنة 64هـ/684م منها أنهم كانوا يرون أن الخليفة لا يمكن أن يعين إلا بالاختيار الحر تقوم به جماعة من المؤمنين دون اعتبار المولد أو الأصل المكي القرشي، و هكذا عادوا إلى مبدأ الاستفتاء و الذي تقرر غداة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، و عندهم الخليفة يستمر في مباشرة أعماله و مهامه ما دام مستقيما أمينا و مخلصا و حارسا للشريعة، فإن حاد عن الصواب وجب عزله أو قتله.[3]

و قالوا:" أنه لا حاجة إلى إمام[4] إذا أمكن الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن التناصف لا يتم إلا بالإمام، يحملهم على الحق فأقاموه جاز."[5]

و الخليفة عندهم لا يلقب إلا بـ " الإمام " أي الذي يؤم الناس جماعة المصلين و يرأس الجماعة، و يجب أن يكون مثلاً أعلى للتقوى؛ و الإمام عند الخوارج يمكن أن يكون عبداً أسود، إذا توافرت فيه شروط العلم و الخلق.

و قد كفروا أهل الذنوب فكل مؤمن يرتكب أحد هذه الذنوب يستحق ليس فقط العذاب الأبدي، بل يعد في نظر الخوارج عدواً (إلا إذا تاب و كفر عن ذنبه) بما في ذلك الخطأ في الرأي

---

[1] – أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، ج1 ، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987م ، ص233.

[2] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145.

[3] – الشهرستاني: الملل و النحل ، ج1، ص 108؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142؛ بن عميرة: المرجع السابق،ص50.

[4]– هذا رأي فرقة النجدات من الخوارج.

[5] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ب.ت، ص61.

و هذا ما جعلهم يكفرون الخليفة علي رضي الله عنه لأنه قبل التحكيم، و كتاب الله واضح لا يقبل التحكيم.[1]

و اتفقوا على أن العمل جزء من الإيمان، فالإيمان ليس فقط الاعتقاد و النطق بالشهادتين، و إنما يجب أن يتم ذلك العمل بأوامر الدين كالصلاة و الصوم و الصدقة و العدل، و من آرائهم أيضا يقول شيخ الإسلام :" الخوارج هم أول من كفر المسلمين ، يكفرون من خالفهم في بدعتهم،و يستحلون دمه و ماله"[2].

و من الأمور أيضا التي خالف فيه الخوارج أهل السنة و الجماعة توحيد الأسماء و الصفات، و هم معتزلة في هذا الباب، قال الأشعري:" فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة."

و من آرائهم أيضا إنكار عذاب القبر و نعيمه قال الأشعري:" و الخوارج لا يقولون بعذاب القبر و لا ترى أحداً يعذب في قبره".

و منها أيضا الخروج على أئمة المسلمين و عدم الطاعة و الانقياد لهم قال الأشعري:" و أما السيف، فإن الخوارج جميعا تقول به و تراه، إلا الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، و لكنهم يرون إزالة أئمة الجور، و منعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف، أو بغير السيف"[3] كما يعتقدون أن جميع المسلمين كفار إلا من اعتقد عقيدتهم، و اتبع سبيلهم، و نهج

---

[1]- البغدادي: المصدر السابق، ص73؛ أبو زهرة: المرجع السابق، ص 61، 62؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142، 143؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص50.

[2] – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج3،مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، السعودية،1995،ص279.

[3] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص203.

مناهجهم، و اعتبروا أن جميع بلاد المسلمين بلاد كفر، يجب الهجرة منها، و بذلك استحلوا دمائهم، و البراء منهم، و كفروا من لم يهاجر إليهم.[1]

و من آرائهم أيضا ما ذكره الحافظ ابن حجر بقوله:" و زاد نجة على معتقد الخوارج: أن من لم يخرج و يحارب المسلمين، فهو كافر،و لو اعتقد معتقدهم."[2]

هذه مجمل اعتقاداتهم الباطلة التي خالفوا بها أهل السنة و الجماعة، و لهم أراء شاذة محلها كتب السنة و العقائد.[3]

1-2-5- فرق الخوارج:

تتعدد و تتضارب مصادر و كتب الفرق الإسلامية في تناولها الخوارج،و تختلف في تقسيم و ذكر فرقهم،بحيث من الصعوبة الوقوف على معتقدات الخوارج من واقع كتبهم نفسها لحرصهم الشديد عليها، و هي قليلة فالغالب أن مكتبات المسلمين تكاد تخلو من مؤلفاتهم[4]

و عند رجوعنا إلى كتب الفرق وجدنا اختلاف حول فرق الخوارج فمنهم من أفرد لهم عدداً كبيرا كالإمام الرازي الذي عدد لهم واحد و عشرين فرقة[5] أو ما يقرب من نصف هذا العدد عند الملطي[6] بينما جمعهم الإمام الأشعري في أربعة فحسب[7]

و الملاحظ على هذه الفرق أن اسم كل فرقة مأخوذ أحيانا من اسم زعمائهم الأوائل أو الكبار[8]

و قد أوصلها الإمام البغدادي إلى عشرين فرقة حيث يقول: ((....إن الخوارج عشرون فرقة و

---

[1] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص204.

[2] – ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج14، ص285.

[3]– البغدادي: المصدر السابق،ص 264؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1،ص 203؛ الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص122.

[4] – علي بن الحسين الهاشمي الخطيب: وقعة النهروان و الخوارج، مطبعة الحيدري، طهران، د.ت، ص 154.

[5] – فخر الدين محمد بن عمر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، مراجعة علي سامي النشار، القاهرة، 1938،ص- ص، 46- 51.

[6] – الملطي: المصدر السابق،ص37- 43.

[7] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص101.

[8] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 145.

هذه أسماؤها: المحكمة [1] و الأزارقة[2]، و النجدات[3] و الصفرية[4]، ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية و المعلومية، و المجهولية و أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، و الصلتية، و الآخنسية، و

[1] - **المحكمة الأولى**: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين، و اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة و رئيسهم عبد الله بن الكواء،و عتاب بن الأعور، و عبد الله بن وهب الراسي و عروة بن حدير؛ و سموا بذلك لرفضهم تحكيم الحكمين، و مرددين كلمة ((لا حكم إلا لله))رافعين سيوفهم في الأسواق، ينظر:الملطي، المصدر السابق،ص 38؛ المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص415؛ البغدادي: المصدر السابق، ص73؛ عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ب.ت، ص 424؛الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ص107؛غالب بن علي عواجي: المرجع السابق،ص231،؛ عامر النجار: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، ،ص42،43.

[2] - **الأزارقة**:و هي أشد فرق الخوارج تطرفا و زعيمها نافع بن الأزرق الذي كان رأيه" البراءة من سائرة المسلمين و تكفيرهم و و الاستعراض و قتل الاطفال و استحلال الأمانة لأنه يراهم كفارً" و قد كتب رسالة في هذا المضمون إلى زعيمي المعارضة ابن اباض و ابن الصفار و لما قرأت على أصحابها تفرقوا فالتفت جماعة منهم حول ابن اباض فسموا اباضية، بينما التفت جماعة أخرى حول ابن الأصفر فسمو صفرية. ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص415، 416؛البغدادي: المصدر السابق،ص-ص، 78- 81؛ الإيجي: المصدر السابق،ص424؛أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ج3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، لبنان، 2000،ص182؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص111؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص145؛ بن عميرة محمد: المرجع السابق،ص50، 51.

[3] - **النجدات**: و هم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، و قيل عاصم، و هم يختلفون عن الأزارقة في كل ما سبق، و الدين عندهم أمران: الأول معرفة الله تعالى و معرفة رسله، و الثاني ما سوى ذلك الناس معذورون فيه، و أجمعت النجدات على أن لا حاجة للناس إلى إمام قط، و قد افترقت هذه الفرقة إلى عطوية(الذين نسبوا إلى عطية بن الأسود اليماني الحنفي) و فديكية(نسبوا إلى أبي فديك الخارجي أحد بني قيس بن ثعلبة) ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص416 ؛ البغدادي:المصدر السابق،ص-ص،81- 84؛ الإيجي:المصدر السابق،ص424؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج3،ص182؛الشهرستاني: الملل و النحل، ج1،ص 118، 119.

[4] - **الصفرية**:و هي أقل الفرق تطرفا، و هم أتباع زياد بن الأصفر، و قولهم في مجمله كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم و نسائهم، و أهم أراء الصفرية تدور حول القعدة عن القتال(أي التخلف عن الخروج إلى القتال) فهم لم يكفروهم و لم يسقطوا الرجم، و قالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، و قد انقسمت هذه الفرقة على ثلاث فرق حسب البغدادي، ينظر: البغدادي: المصدر السابق،ص-ص، 81- 84؛الإيجي: المصدر السابق، ص424؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص134؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص145؛بن عميرة:المرجع السابق،ص52؛ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي،مركز الإسكندرية للكتاب، مصر،1996، ص95.

الشيبية، و الشيبانية، و المعبدية و الرشيدية و المكرمية، و الخمرية، و الشمراخية، و الابراهيمية، و الواقفة و الإباضية[1] منها ما افترقت فرقا معظمها فريقان: حفصية و حداثية. فأما اليزيدية من الإباضية و الميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة....))[2].

1-2-6- دخول و انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي:

كان فشل الخوارج في المشرق نتيجة الاضطهادات العنيفة التي وجهت ضدهم من طرف قادة بني أمية، فالخوارج لم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم بسبب أن حركاتهم كانت ينقصها التنظيم السياسي، و كذا التنظيم العسكري نتيجة غياب الإعداد المسبق[3] مما سهل على الخلافة الأموية وولاتها مهمة مناهضتها و استئصال أصولها، و ما كاد ينتهي القرن الأول الهجري اندثرت فرقتي الأزارقة و النجدات و هما من أهم فرق الخوارج[4].

[1] – **الإباضية**:هم أصحاب عب الله بن اباض، و يرى أتباع هذا التيار" أن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين" أي يحكم لهم بحكم المنافقين، فهم " كفار بالنعم و الأحكام"، لكنهم " براء من الشرك و الإيمان"، و أجازو مناكحتهم و غنيمة أموالهم من سلاحهم حلال،و ما سواه حرام، و حرام قتلهم و سبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال و إقامة الحجة، و قالوا:" إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فهو دار بغي، و أن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون" ، كما توقفوا في أطفال المشركين، و جوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، و تتميز هذه الفرقة بالاعتدال بالمقارنة مع الفرق الأخرى و هذا ما حقق لها انتشارا و نجاح كبير في شمال افريقية و لا يزال إلى اليوم في كل من ميزاب و عمان و زنجبار، ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص417؛ البغدادي: المصدر السابق،ص 95. 96؛الإيجي: المصدر السابق، ص425؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص131، 132؛ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج3، ص182.
و أيضا: ألفرد بل: المرجع السابق،ص145؛بن عميرة:المرجع السابق،ص51، 52؛ عبد المجيد معلومي: منهج علماء الأشاعرة في تقرير العقيدة،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2006،ص31.

[2] – البغدادي: المصدر السابق، ص 72، 73.

[3] – موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص153؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، 1985،ص42.

[4] – إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص42.

و كان من الطبيعي أن تلجأ فرقتا الصفرية و الإباضية إلى أسلوب جديد و مغاير قوامه تنظيم الدعوة السرية[1] و بعث الدعاة في أطراف العالم الإسلامي لنشر المذهب [2]، و من هنا بدأتا التنقل بين الأمصار الإسلامية، و الهجرة إلى حيث لا تنالهم أيدي البطش و الطغيان، أي في البيئات التي ما زال مسلموها ينعمون بحياتهم الدينية في إطار البساطة المذهبية و الاتجاهات الغير المتحزبة[3].

لقد وجد الخوارج في بلاد المغرب البيئة المناسبة، و التربة الخصبة لنشر أفكارهم،و تقوية نفوذهم و صفوفهم، و بث دعوتهم، فقد كانت بلاد المغرب من أهم أقاليم الأطراف التي اتجهت إليها جهود الخوراج.[4]

وفي هذا الصدد يذهب ألفرد بل إلى قوله:" ...و قد انجذب دعاة الخوارج إلى بلاد الشمال الإفريقي منذ عهد مبكر لأنها كانت بعيدة عن سلطان الخلافة، و كان أهلها يقاومون القواد و الولاة و العرب بشدة، فاستطاعوا أن يجدوا فيها تربة خصبة لبذر أفكارهم".[5]

يستشف من هذا القول أن حركة الخوارج قد كان تواجدها في بلاد المغرب في وقت مبكر ، أي مع منتصف القرن الأول الهجري، غير أن الخوارج باعتبارها فرقة كلامية تمكنت أفكارها من أن تصل إلى بلاد المغرب الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن الثاني الهجري،و بالضبط في الزمن الذي سبق وواكب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(105هـ-125هـ/

---

[1] – و قد نضج التنظيم الدعوي السري في عهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، و ساعد على انتشار الإباضية الظروف السياسية و الاجتماعية، و الاقتصادية التي سادت المغرب، ينظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني نموذجا ، فصل من كتاب: الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص97؛ ينظر: رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيوخ الإباضية بالمغرب، الملحق رقم:03،ص366.

[2] – إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب ، ص 42، 43.

[3] – موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص153.

[4] – إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص43؛ موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص153

[5] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 146،145.

723-742م) الذي نكل بالخوارج و طاردهم من المشرق الإسلامي، فاضطرتهم الظروف إلى الفرار من ملاحقته و بطشه لهم إلى الاتجاه صوب بلاد المغرب فكتب لها الانتشار بها.[1]

و من أهم العوامل التي ساعدت دعاة الخوارج في نشر مذهبهم، السرية التامة في الدعوة، و استغلال التجارة و الرحلة للكسب كعامل مهم في نشر الأفكار و العادات لاسيما الفكرة الخارجية[2]، و مما جعل مذهب الخوارج يلقى نجاحا كبير بين قبائل البربر أنه كان يناسب وضعهم الاجتماعي و السياسي، فاتخذوه عنوانا للمعارضة القومية ضد أي سيادة تفرض عليهم كالسيادة العنصرية أو المذهبية.[3]

كما يقف على رأس العوامل المساعدة في نشر الحركة الخارجية في بلاد المغرب حركة الدعاة، و أول من دعا إليها و جاء بها إلى المغرب الداعية سلمة بن سعيد [4]– الذي كان يدعوا إلى الإباضية[5]– أقبل من البصرة مع عكرمة[6] بن عبد الله مولى ابن عباس(ت 105هـ/723م)[1] –

---

[1] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص145، 146؛ إسماعيل عبد الرزاق:المرجع السابق،ص43؛ عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص97.

[2] – موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص 153.

[3] – لسان الدين ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال، تحقيق و تعليق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب العربي، الدرا البيضاء، المغرب، 1964، ص 10.

[4] – كان حيا في سنة135هـ/752م

[5] – من عبقرية سلمة بن سعيد في تكوين الدعاة، أنه اختار خمسة طلاب و أرسلهم إلى مدينة البصرة، المركز العلمي الثقافي حينئذ في العراق، و هم عاصم جميل السدراتي، و إسماعيل بن درار الغدامسي، و أبو داوود النفزاوي، و عبد الرحمن بن رستم، و أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغاوري اليمني الأصل، و كانت هذه البعثة قد توجهت إلى البصرة سنة 135هـ و عادت بعد خمس سنوات إلى المغرب و بعد خمس و عشرين سنة كللت جهود هؤلاء بإقامة دولة إباضية مستقلة سنة 160هـ في تيهرت دامت إلى سنة 296هـ حين قضى عليها العبيديون.أنظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص97، 98.

[6] – يبدوا أن عكرمة البربري استطاع أن يكون بالمسجد الجامع بالقيروان مدرسة صفرية نفذت تعاليمها إلى قلوب البربر و أهوائهم بمختلف بلاد المغرب، وجد دعاتها هنا و هناك يؤلبون القوم للانقضاض على الدولة الأموية التي بددت الخوارج بالمشرق و ظلمت البربر بالمغرب، و أقامت سلطتها على نسق جاهلي تتحكم فيها العصبية. لذلك أثمرت تعاليم عكرمة بينهم فقد تمكن حفيد تلميذه سعد، عيسى بن يزيد بن سعد أن يجمع حوله قبائل كثيرة من زناتة التي سرى إليها من قبل مذهب الصفرية، و يكون بهم دولته بسجلماسة بأقصى الجنوب للمغرب سنة (140هـ/757م) على أساس مذهبي مستغلا سقوط

– الذي كان يدعوا إلى الصفرية– يتداولان بعيرا واحد ركوبا، وصلا إلى المغرب و نشطا في دعوتهما نشاطا ملحوظا[2] و قد اتبعوا طريقة في نشر أرائهم و هي الدعوة باسم الدين وحده و هو أحسن شيء يتفق مع مزاج البربر[3]، إضافة إلى أنهما جاءا في فترة حساسة، إذ أن البربر قد ضاقوا ذرعا بحكم الولاة الأمويين وجورهم[4]، و ربما استغلوا خصومات العرب المشهورة فيما بينهم من قيسية و يمنية.[5]

و هكذا تكون الأسباب قد تكاثفت لقيام ثورات البربر أو كما يطلق عليها ثورات الخوراج في المغرب الإسلامي ابتداءا من سنة 122هـ/740م، حيث شهد المغرب الإسلامي العديد من الثورات لكن كان أولها ثورة بربرية صفرية بقيادة ميسرة المطغري سنة 122هـ/740م، تم تلتها ثورة إباضية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني سنة 140هـ/757م، و قد استمرت هذه الثورات دون توقف إلى أن يؤسس الصفريون دولتهم المدرارية بسجلماسة في المغرب الأقصى

=الدولة الأموية، و اضطراب الدولة العباسية في بدايتها لتكون أول دولة خارجية في التاريخ. ينظر:علي الشابي:مباحث في علم الكلام،ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان،2002،ص: 148، 149.

[1] – هو أبو عبد الله عكرمة، عبد بربري، من أهل المغرب، أو من سبيهم، وصل المدينة فاشتراه عبد الله بن عباس، أو وهبه له والي البصرة الحصين بن أبي الحر العنبري. للمزيد ينظر: لطيفة بشاري:أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى اعبد الله بن عباس،مجلة الدراسات التاريخية،العدد الثالث عشر،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر2،1433هـ-2011م،ص23 و ما بعدها.

[2] – عمار طالبي، الاتجاه الكلامي،ص97؛ موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص153؛ يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري،ص 34.

[3] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 147؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص65.

[4] – و في عهد هشام بن عبد الملك اشتكى وفد من البربر ما يعانونه من تصرفات الولاة من أخذ البات الجميلات، و الجلود العسلية المزاود التي يذبح من أجلها العشرات من الأغنام، و لكن هذا الوفد لم يستقبل و لم يقع الاهتمام به فعاد خائبا و عزم على التغيير. وابتداء من سنة 124هـ/ 743م أخذت الثورة تنتشر من طرابلس إلى طنجة، و تجمعوا حول إمارة سجلماسة إلى أواسط القرن الرابع الهجري.ينظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص98.

[5] – بن عميرة: المرجع السابق، ص65.

سنة 140هـ/757م، و يؤسس الإباضيون دولتهم الرستمية[1] بالمغرب الأوسط و الأدنى سنة 160هـ/777م. [2]

إن الإباضية و الصفرية بعدما أسستا دولتين مستقلتين عن المشرق الإسلامي(الخلافة العباسية) استطاعت أن تحقق نجاحا باهرا في نشر الدعوة، حيث سنلاحظ اعتناق البربر المذهبين بكثرة و أخلصوا لهما، و هذا ما أمكن مذهب الخوارج أن ينتشر بشكل سريع في المغرب الإسلامي لما تحمله تعاليمه من التزام بتطبيق الشرع، و التشدد في ذلك ، و الابتعاد عن الظلم و الظالمين، و الثورة على كل حاكم ظالم لا يقيم الشرع.

و الجدير بالذكر أن هاتين الدولتين- المدرارية و الرستمية- لم تعمرا طويلا، حيث ارتبطت نهاية دولتي الخوارج بظهور الدعوة العبيدية، فقيام الدولة العبيدية سنة 297هـ/909م تم على أنقاض الدول المستقلة في بلاد المغرب، و من بينها دولتي بني مدرار و بني رستم الخارجيتين[3]

فضلا عن ذلك فإن حركة الخوارج لم تنطفئ بقدوم الشيعة في بداية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بل استردت قوتها بعد ذلك بعدة سنوات[4]

حيث اندلعت ثورات الصفرية في سجلماسة على أثر رحيل (المهدي) منها إلى رقادة سنة 297هـ/909م، و لم تفلح سياسة القمع و العنف التي لجأ إليها العبيديين تارة، و لا سياسة اللين و الدهاء لم تأت أكلها لجعل و تحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبني مدرار.[5]

---

[1] – تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي الإباضي، الذي فر إلى تيهرت بعدما طارده الأغالبة عمال الخلافة العباسية من القيروان ،حيث توافد عليه مجموعة من العلماء من جميع الأقطار من طرابلس من جبل نفوسة ثم بويع بالإمامة نظرا لعلمه ومكانته، وكان ذلك عن طريق الشّورى، ينظر: ابن الصغير المالكي:أخبار الأئمة الرستميين,تحقيق: محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986،ص26؛ يحي بن أبي بكر أبو زكرياء: سير الأئمة الرستميين و أخبارهم،تحقيق: إسماعيل العربي، ط 3 ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر,1984 ، ص35.

[2] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 148؛بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية،ط2، المطبعة العربية،الجزائر، 1993،ص-ص،62-95.

[3] – إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق،ص 42، 43، 210؛ يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري، ص34.

[4] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 150، 151.

[5] – أبي عبيد البكري:المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب(جزء من كتاب المسالك و الممالك)، دار الكتاب العربي، القاهرة، القاهرة، ب.ت، ص150؛ إسماعيل عبد الرزاق:المرجع السابق، ص219.

و قد تعددت أسباب اندلاع هذه الثورات بين سياسية و اقتصادية و اجتماعية و مذهبية و حتى جغرافية[1] لتزيد في عداء الخوارج الصفرية للحكم العبيدي الشيعي، و استمرار ثوراتهم عليه[2] التي انتهت بعدم استسلام الصفرية للحكم العبيدي، و من هنا نستنتج أن سياسة العبيديين المتأرجحة بين اللين و العنف لم تجد نفعا في دعم نفوذهم في سجلماسة معقل الخوارج الصفرية في المغرب[3]، و بالمقابل رغم زوال الحكم الرستمي من تيهرت[4] سنة 297هـ/909م و تبدد شمل الخوارج الإباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبي على يد العبيديين، حيث رفضوا الإذعان للمذهب الشيعي، و استكانوا إلى حين للمسالمة و الرضى بالواقع انتظارا لسنوح الفرصة، و رغم بروز محاولات للثورة على العبيديين نذكر منها ثورة القرلين من إباضية هوراة بناحية طرابلس ، إلا أنه كان مصيرها الفشل، و بقي الإباضية قابعين في نفوسة ينتظرون الفرصة حتى أتت ثورة الإباضية الكبرى التي احتوت كافة عناصر الإباضية وهبية[5] و خلفية و نفاثية

---

[1] – للوقوف على هذه الأسباب بالتفصيل ينظر: إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص– ص، 219– 228.

[2] – إسماعيل عبد الرزاق: نفسه، ص219.

[3] – المرجع نفسه:ص228.

[4] – مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة (160هـ777م)،و كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة و الأخرى محدثة،فالقديمة منها ذات سور على قمة جبل ليس بالعالي، و بها خيرات المزارع و المياه المتدفقة ، و هي في سفح الجبل يدعى جزول و لها ثلاثة أبواب باب الصفا و باب المنازل و باب المطاحن، و تتميز بقساوة المناخ، و تيهرت الحديثة في قبليها لواتة و هوارة و غربيها زواغة و مطماطة و زناتة و مكناسة و في شرقيها حصن هو تاهرت القديمة ؛ينظر: عيسى بن الذيب و أخرون : الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر ،2007.ص28، 29.

[5] – الإباضية الوهبية: هي فرقة الإباضية الأم التي حكمت الدولة الرستمية بتيهرت (المغرب الأوسط)، و هي تنتسب إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فالوهبية هم أتباع الإمام عبد الوهاب، و قد ظهرت تلك التسمية إثر فتنة أشعل نارها يزيد بن فندين الذي أنكر إمامة عبد الوهاب بن رستم، فعرف أتباعه لذلك بالنكارية، ينظر:كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي،ص 96.

و نكارية[1] [2]،و التي هددت بها الحكم العبيدي ، و كانت هذه الثورة بزعامة أبي يزيد[3] الملقب بصاحب الحمار الذي هدد المهدية[4] نفسها و هي عاصمة(المهدي) الشيعي في محاولة أخيرة قام

[1] – يقال لهم النجويه وهم خوارج المغرب والأندلس من الإباضية وهم جماعة يزيد بن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن أنه لم يكن إماما بالإجماع.أنظر:عبد المنعم المتقي:موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999،ص.ص253.252.

[2] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهدي بني زيري من القرن 10 إلى 12م)، تر: حمادي الساحلي، ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1992، ص-ص،335-360.

[3] – أبي يزيد مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريمت بن تنفراس بن سميدن بن يفرن، و يفرن هو أبو الكاهنة، كنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد من قبيلة يفرن الزناتية، كان أبو كيداد من أهل توزر، وكان يشتغل بالتجارة بين بلاد السودان وإفريقية ومن المعروف أن قوافل التجارة كانت تمر بمدينة أورجلان وهي ورقلة حاليا وكان سكانها من الإباضية وأكثرهم من أهل تيهرت الذين رحلوا عنها بعد سقوطها في أيدي الفاطميين واستقرارهم في ورجلان. ولد أبو يزيد مخلد بالسودان من جارية هوارية فأتى بها أبوه إلى توزر فنشأ بها، وتعلم القرآن منذ طفولته وخالط جماعة من النكارية فمالت نفسه إلى مذهبهم الخارجي، وهو من الإباضية أتباع ابن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم، أما ابن خلدون فيقول«وخالط النكارية من الخوارج وهم الصفرية و مال إلى مذهبهم» ثم رحل إلى تيهرت واشتغل بتعليم الصبيان العلوم الدينية وأخذا يدعوا إلى الخروج على سلطان الفاطميين، في سنة(316هـ/928م) اتجه بدعوته إلى تغيير المنكر وتكفير الفاطميين والثورة عليهم واستباحة أموالهم، لقب بصاحب الحمار، لركوبه حمار أشهب أهدي له بمرماجنة لما أراد القيام بالثورة له أربعة أولاد، يونس، أيوب، يزيد، فضل، ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص52؛ أبو عبد الله محمد ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق:ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج1،ط3،دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983، ص216؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال،ج1، ط2،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة، 1996،ص85؛ أبي الفداء : تاريخ المختصر في أخبار البشر، ، ص427؛محمد بن عميرة،المرجع السابق، ص-ص197-198؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص- ص، 216- 223.؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ج1،ط3،مكتبة مدبولي،القاهرة،1994، ص78،79.ينظر كذلك:

Mahfoud kaddache, «L'Algérie des Algériens de la pré histone a .1994»,Edif,alger,2000, p.202

[4] – مدينة استحدثها عبيد الله المهدي بالمغرب(308/303هـ) وهي في نحر البحر،أصبحت عاصمة للخلافة العبيدية (الفاطمية) سنة ثمان وثلاثمائة، بينها وبين القيروان مرحلتين، كثيرة البضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد و الأقطار .حسب ابن حوقل: المصدر السابق، ص73؛ و يقول عنها بونار أنها مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة و صفاقس ، و لما أتم بنائها أطلق عليها اسم المهدية ، و نقل إليها حكومته سنة 308هـ واتخذا عاصمة دولته، و قد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال : " المهدية مدينة جليل قدرها ،شهير في قواعد الإسلام ذكرها، و هي من بناء

بها البربر في سبيل استقلالهم سنة 333هـ/945م . وتعبّر هذه الثّورة عن السّخط الذي كان يجيش في صدور أهل إفريقية والمغرب الأوسط من جراء السياسات العبيدية الرّامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي[1] على السّكان و على السّياسة المالية الصّارمة التي كانت تنتهجها الدّولة والمتمثّلة أساسا بالضّرائب الفادحة التي تفرضها على التجارات والزروع[2]

و لكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح حيث سقط زعيمها أسيرا جريحا في يد الخليفة العبيدي المنصور، و مات متأثرا بجراحه، وسلخ و حشى جلده بالقش ووضع في قفص ليكون ألعوبة، فكان مصيرها الفشل كالثورة التي لحقت بها ثورة أبو خزر يغلى بن زلتان وأبي سعيد سنة358هـ/969م، و هكذا انتهى آخر فصل من فصول الثورات الخارجية في الشمال الإفريقي،و هكذا قضى على الخوارج الذين أوشكوا أن يغرقوا المغرب في مذهبهم، و زال مذهب الخوارج من المغرب بوصفه دين الدولة. و لم ينهض من هذه الضربة بعد ذلك.[3]

3- الشيعة:

3-1-1- التعريف بالشيعة:

لغة:

=عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين ، المغرب العربي تاريخه وثقافته, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1981م ،ص 130.

[1] – و كانت هذه السياسة سببا في انضمام فقهاء المالكية لثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد ضد العبيديين، و يذكر أبو العرب أنه:" لما كان يوم الجمعة تقلدوا أسلحتهم و أتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع و صلى بهم أحمد بن الوليد و دعاهم للجهاد"، ينظر: أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم: طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ب.ت ،ص 19، 20.

[2] – بوبة مجاني:أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية،مجلة الدراسات التاريخية، العدد:67.-68، دمشق، كانون الثاني حزيران،1999م،ص.ص،142.141.

[3] – المقريزي: المقفى الكبير – تراجم أغلبية و مشرقية من الفترة العبيدية–،تحقيق محمد اليعلاوي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987،ص171؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص 163.

أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة [1]، يقول ابن خلدون:" اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب و الأتباع و يطلق على عرف الفقهاء و المتكلمين من الخلف و السلف"[2]

يقول ابن دريد (ت321هـ/933م)في تعريف الشيعة:" فلان من شيعة فلان أي ممن يرى برأيه و تشيع الرجل على الأمر تشيعا إذا أعنته عليه، و شايعت الرجل على الأمر مشايعة."[3]

والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.

و كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة.

استعمال مادة (شيعة) في القرآن الكريم:

وردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مراداً بها معانيها اللغوية الموضوعة لها على المعاني التالية:

: – بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [4] أي من كل فرقة وجماعة وأمة.[5]

– بمعنى الفرقة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [6]أي فرقاً

– وجاءت لفظة أشياع بمعنى أمثال ونظائر:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[7]أ ي أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية. الماضية.

---

[1] – الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج3،ص47.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق،ج1،ص246.

[3] – أبوبكر محمد بن الحسن ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق:منير بعلبكي،ج2، دار العلم للملايين،بيروت،1987،ص87.

[4] – سورة: مريم، الآية:69.

[5] – عواجي: فرق معاصرة،ج1،ص306.

[6]– سورة: الأنعام، الآية:160.

[7] – سورة : القمر، الآية:51.

- بمعنى المتابع والموالي والمناصر:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْه﴾[1] [2]

اصطلاحا:

يعرف الإمام الأشعري الشيعة بقوله:"...و إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، و يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم."[3]

أما ابن خلدون فيعرف الشيعة بقوله:" ...هم الذين كانوا يرون أنهم أحق بالأمر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، و أن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش"، و هم أيضا :"جماعة كانوا يتشيعون لعلي رضي الله عنه و يرون استحقاقه للخلافة على غيره...".[4]

بينما عرفهم الشهرستاني بقوله:"...هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص، و قالوا بإمامته نصا، ووصية،إما جليا أو خفيا، و اعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده،و إن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا: أن ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، و ينتصب الإمام، بل هي قضية أصولية. هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله و إهماله." و قالوا أيضا بعصمة الأنبياء و الأئمة وجوبا عن الكبائر و الصغائر، و التبري قولا، و فعلا، و عقدا إلا في حالة التقية.[5]

كما يطلق اسم الشيعة على كل من فضل عليا رضي الله عنه على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا، و يرون أن أهل البيت أحق بالخلافة، و أن خلافة غيرهم باطلة.[6]

و بذلك تكون الشيعة في الأصل أولئك الذين شايعوا عليا، و أيدوه، غير أنهم في تشيعهم افترقوا إلى فرق كثيرة،حسب نزاعاتهم و آرائهم التي تجاوزوا بها حدود العقائد الإسلامية إلى أن وقع الكثير

---

[1] - سورة: القصص، الآية:14.

[2] - عواجي: فرق معاصرة،ج1،ص307.

[3] - الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1،ص65.

[4] - ابن خلدون: المصدر السابق،ج3،ص 214، 215.

[5] - الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص 144، 145.

[6] - عواجي: فرق معاصرة،ج1،ص 308.

منهم بمغالاتهم الباطلة و دعاويهم الزائفة في الكفر عندما ادعى بعضهم الألوهية لعلي رضي الله عنه، في حين ادعاها آخرون لبعض ذريته. و الشيعة بهذا تصبح أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، و إن هذا الفريق نما و ترعرع في عهد علي رضي الله عنه من غير أن يعمل على تنميتها.[1]

1-3-2- مبادئ الشيعة:

على العموم فإن الشيعة بدورهم تمكنوا من تأسيس مجال نظري لتوجهاتهم و أفكارهم العقدية، لخصوها في أربعة ثوابت و هي: - - الوصية.

- الإمامة.
- العصمة.[2]
- المهدية.[3]
- التقية.

فالشيعة آمنوا بأن الخلافة ينبغي أن تكون خاضعة لمبدأ الوصية؛ و أن تستمد منها مشروعيتها، فالرسول صلى الله عليه وسلم – في نظرهم- كان قد أوصى لعلي رضي الله عنه بالخلافة إلا أن أبا بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم، قاموا باغتصاب هذا الحق. و من أهم شروط الخلافة عندهم هو انتماء الإمام إلى آل البيت، و بذلك يكون معصوما من الأخطاء: لا يخطئ، و لا ينسى، و لا يرتكب الكبائر و لا الصغائر، بل أنه المرجع الوحيد لتأويل الشريعة الإسلامية.

في ظل هذه المبادئ العامة[4] يمكن أن نعدد الأفكار التي كانت تنادي بها فرقة الشيعة في نقاط أهمها كالآتي:

- إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين و قاعدة، و لا يجوز للنبي إغفالها، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، و يكون من الصغائر.

---

[1] – عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص 32.

[2] – ينظر تعريفها عند: محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،1989،ص42.

[3] – ينظر تعريفها عند: أحمد أمين بك: المهدي و المهدوية، ط1،شركة نوابغ الفكر، القاهرة،2009،ص 6 و ما بعدها.

[4] – يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص12.

و الإمامة أو الخلافة كما يبين ابن خلدون حقيقتها:" إن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين و سياسة الدنيا، فصاحب الشرع متصرف في الأمرين:
أما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها و حمل الناس عليها.
و أما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري."[1]
– عين رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا للخلافة بنصوص ينقلونها و يؤولونها لا يعرفها فقهاء الشريعة و أهل الحديث، و من هنا نشأت فكرة الوصية، و لقب علي بالموصى، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب، و قد أوصى علي رضي الله عنه لمن بعده. و هكذا على كل إمام أن يوصي لمن بعده.
– علي رضي الله عنه أفضل الخلق في الدنيا و الآخرة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عاداه أو حاربه فهو عدو الله إلا إن ثبتت توبته و مات على حبه.
– لم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل منهم المغالي و المقتصد. و قد اقتصر المعتدلون على تفضيله على بقية الصحابة من غير تكفير أو تفسيق لأحد، و قالوا: ليس بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين علي رضي الله عنه إلا مرتبة النبوة.
أما المغالون المتطرفون فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء و عصمته، بل رفعوه إلى مرتبة النبوة، و منهم من أَلَّهَه أي زعم حلول الإله فيه.[2]
يقول ابن خلدون:"... و منهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزا حد العقل و الإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية و هو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه و لقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم و سخط."[3]
وهكذا كان التشيع أرضا خصبة لظهور القول بالرجعة والحلول و التناسخ و التجسيم و التشبيه. و يمكن القول بأن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، و من يريد

[1] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص246، يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص12.
[2] – عبد المجيد معلومي: المرجع السابق ،ص34، 33.
[3] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص248.

إدخال تعاليم آبائه من يهودية و نصرانية و مجوسية و غيرها في الإسلام.كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهوائهم.

1-3-3- نشأة الشيعة في المشرق الإسلامي:

ترجع جذور المذهب الشيعي إلى فترة مبكرة في تاريخ الإسلام، حيث أن هذه الفرقة نشأت هي الأخرى لأسباب سياسية في المشرق هي اختيار الخليفة ، فقد برزت مقدماته منذ أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم 11هـ/632م. و كان رأي بعض الصحابة أن أولى الناس بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته- رغم أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم نص قاطع أو إشارة واضحة إلى من يكون الخليفة من بعده- من بني هاشم و أبرز هؤلاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[1] و لكن اجتماع السقيفة المشهور انتهى باختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه كخليفة للمسلمين ، و اضطر علي رضي الله عنه أن يبايع له،لكن غلاة المتحمسين لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطيعوا قبول أن يكون خليفة النبي صلى الله عليه وسلم من غير آل بيته[2].[3]يقول ألفرد بل:"... لهذا كون أنصار علي رضي الله عنه " شيعة" له ، أي حزبا؛ و سمى كل منهم "شيعياً" أي نصيرا لعلي..."،[4] و قبل وفاة الخليفة أبو بكر رضي الله عنه قام باختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة له عن طريق التعيين، و أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده إلى ستة من بينهم علي رضي الله عنه. لكن تم اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه،و خلال هذه الفترة نشأت الشيعة يقول أبو زهرة:"...قامت الشيعة كظاهرة في آخر عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و قد نمت و ترعرعت في عهد علي رضي الله عنه، من غير أن يعمل على تنميتها..."[5]

---

[1] - النوبختي: فرق الشيعة،ص02؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص21؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص151؛ بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ،لبنان، 2003،ص257.

[2] - ينظر: شجرة نسب آل أبي طالب، الملحق رقم:04،ص367.

[3] - ألفرد بل: المرجع السابق،ص151.

[4] - المرجع نفسه: ص152.

[5] - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص31.

و الجدير بالذكر أنه خلال فترة أبو بكر و عمر رضي الله عنهما سكن الخلاف بين المسلمين، و خلال فترة خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالذات برز من جديد التنافس بين بني أمية و بني هاشم على الخلافة.[1]

و مما لا شك فيه أنه لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ساد المجتمع الإسلامي العدل بكل مظاهره، و قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بدوره المنوط به،كما كان ولاته عادلين و مع هذا ثارت طائفة من رعيته متذرعين بأسباب واهية تحججوا بها للثورة على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و الواقع أن السببين الرئيسيين الحاسمين وراء هذه الثورة أولهما الحسد و الحرص على متاع الدنيا،و ثانيهما الدور الخفي الذي لعبته السبئية في تأليب الناس و الكيد للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[2]. وهذا ما أدى إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35هـ/655م، و الذي كان إيذانا بانقسام المسلمين و تقطعهم فرقا تحارب بعضها البعض، و بدأ صراع سياسي على الساحة الإسلامية من جديد حول الخلافة.

بالطبع فقد كان مقتل عثمان رضي الله عنه، و تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بعده،[3] حدثا دفع معاوية بن أبي سفيان إلى المعارضة السياسية، فحمل قميص عثمان المدمى، و راح يطوف به بين القبائل العربية يحمسها، و يدفعها إلى الأخذ بدم القتيل، و الاقتصاص من القاتلين قبل كل شيء. فكان هذا أول حدث سياسي عرف على إثره المسلمون انشقاقا و انقساما، جعلهم طائفتين: طائفة يمثلها الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و من معه كابن

---

[1] – النوبختي: فرق الشيعة،ص03،أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص23؛بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص257.

[2] – **السبب الأول**: قد تمثل ذلك في طائفة من الناس دفعها الحسد و الحرص على المتاع الزائل، إلى الطعن في في عثمان رضي الله عنه و رجاله، و العمل على الإطاحة بهم، و قد مثل هذه الطائفة رؤوس الفتنة، كالأشتر النخعي، وابن الكواء، و عمير بن ضابيء، و محمد بن أبي حذيفة، و محمد بن أبي بكر، و **السبب الثاني**: هو الدور الخفي الذي لعبه أعداء الإسلام و المسلمين، قصد إفساد الدين و تسميم الفكر الإسلامي، و الكيد للمسلمين، و قد قام بهذا الدور عبد الله بن سبأ و أعوانه ينظر: خالد كبير علال: الثورة على سيدنا عثمان بن عفان، ص59.

[3] – بايع أهل المدينة و بعض أهل مكة عليا خليفة في سنة 36هـ/656م و رأى أنصار علي رضي الله عنه أن أملهم تحقق. ينظر: ألفرد بل: المرجع السابق،ص152.

عباس، و عمار بن ياسر، و الحسن و الحسين رضي الله عنهم جميعا، حيث أصر على موقفه في تأجيل القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، و عزم على استخدام القوة تجاه كل من خالفه.

و طائفة أخرى يمثلها أهل الشام و في مقدمتها معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و النعمان بن البشير رضي الله عنهم، الذين رأوا ضرورة التعجيل بالقصاص لدم عثمان رضي الله عنه، هذا التباين في وجهات النظر، و الإصرار على المواقف هما اللذان جرا الطائفتين إلى اصطدامات عسكرية كثيرة كان أشهرها موقعة صفين [1] التي كاد النصر يكون حليف علي رضي الله عنه و أتباعه، لولا أن معاوية التجأ و بإيعاز من الداهية عمرو بن العاص إلى حيلة رفع المصاحف على الرماح و السيوف، و حمل شعار " لا حكم إلا لله"، و بعد اخذ و رد، توقف القتال و انتهت بقبول علي رضي الله عنه بالتحكيم، هذه العملية أفرزت خيبة أمل كبيرة في صفوف أتباع علي رضي الله عنه، و أنقسم جيشه إلى ثلاث طوائف: طائفة أولى خرجوا على صفوف علي و كفروه، بحجة أنه خضع للتحكيم ارتكب كبيرة فسميت هذه الطائفة بهذا الخروج السياسي طائفة الخوارج، أما الطائفة الثانية التزمت الحياد السياسي، و لم تساند في هذه الحرب لا عليا و لا معاوية، و نظرت إليهما نظرة واحدة،و هذه الطائفة أطلق عليها اسم طائفة المرجئة، أما الطائفة الثالثة فهي التي ظلت متشبثة بموقفها السياسي المساند لعلي رضي الله عنه، و التشيع له دون قيد أو شرط، و هي التي عرفت لذلك التشيع السياسي بطائفة الشيعة.[2]

و بعد التحكيم استمرت الحرب بين أتباع علي رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، حتى انتهى الأمر فيما بعد بمقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخوارج ، يقول النوبختي: " ....حتى قتل علي –عليه السلام– قتل في شهر رمضان ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله ليلة تسع عشرة و توفي ليلة إحدى و عشرين ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة و هو ابن ثلث و ستين سنة..."[3]

---

[1] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص10؛ خالد كبير علال:الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى،ط1، دار البلاغ للنشر و التوزيع،الجزائر،2003،ص: 8، 9؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص31.

[2] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص:10، 11؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص32.

[3] – النوبختي: فرق الشيعة،ص17.

و هكذا بدأت الأمور تسير شيئا فشيئا لمصلحة الأمير الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي أعلن نفسه خليفة في السنة التالية 41هـ/661م، و قد اكتسب شرعيته بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما على الخلافة حرصا على الجماعة، و اجتنابا للفرقة.[1]

أما الشيعة فكانت أهم حركاتهم الثورية خروج الحسين بن علي في أيام يزيد بن معاوية،و انتهت ثورته بقتله و جميع من كانوا معه في مذبحة كربلاء عام 61هـ/680م، كما أوقع يزيد بعد ذلك بأهل المدينة من الأنصار في موقعة الحرة سنة 63هـ/682م حيث كان الأنصار يعطفون على قضية الشيعة خاصة بعد مذبحة كربلاء التي أثرت فيهم كثيرا.[2] و رغم الإخفاقات السابقة واصل الشيعة كفاحهم من أجل ما يرون هم و أتباعهم حقا شرعيا لهم و المتمثل في الإمامة " الخلافة"، و لم يتحقق لهم ذلك رغم سقوط الدولة الأموية عام 132هـ/ 750م و قيام الدولة العباسية، و من ثم لم يجد الشيعة بدا من الاستمرار في تنظيم أنفسهم في محاولة جديدة للقضاء على الدولة العباسية التي لقي العلويون في عهدها مشقة و عناء يفوق ما كانوا يلاقونه أيام بني أمية، يقول أبو زهرة:"...و قد كان العصر الأموي محرضا على المغالاة في تقدير علي رضي الله عنه، لأن معاوية سن سنة سيئة في عهده و في عهد ابنه و من خلفه من الأمويين حتى عهد عمر بن عبد العزيز، و تلك السنة هي لعن إمام الهدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب تمام الخطبة، و لقد استنكر ذلك بقية الصحابة و نهوا معاوية وولاته عن ذلك، حتى لقد كتبت أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كتابا تنهاه و تقول فيه" إنكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، ذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب و من أحبه، و أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه"و فوق ذلك فإنه في عهد يزيد قتل " الحسين بن علي" الذي هو و أخوه سيدا شباب أهل الجنة؟ كما ورد في الأثر– قتلة فاجرة و ذهب دمه عبيطا، من غير أن ترعى حرمة دين. و أخذت بنات

[1] – بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص258.

[2] – النوبختي: فرق الشيعة،ص23؛ألفرد بل: المرجع السابق،ص158؛ بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص258

" الحسين" و بنات علي رضي الله عنه سبايا إلى يزيد بن معاوية، و هم بنات النبي صلى الله عليه وسلم، و العترة النبوية الطاهرة..."[1]

و عندما اشتدت متابعة العباسيين للعلويين، اضطر العلويون أن ينهجوا نهجا آخر خوفا على أئمتهم فتبعوا مبدأ لتقية في تعيين الإمام، و في نشر الدعوة أيضا و كسب الأتباع، و قد حقق العلويون نتيجة لذلك نجاحا كبيرا شهد به خصومهم من العباسيين، فانتشر أتباع الشيعة- قبل قيام الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي- في كل من مصر، و بلاد الشام و اليمن و بلاد المغرب و في بغداد نفسها مركز الخلافة.[2]

و هكذا نشأ المذهب الشيعي، الذي ظل إمامه يطمح في إقامة دولة – علوية- شيعية تحل محل الخلافة العباسية، و تيسر ذلك الأمل جزئيا بقيام الدولة العبيدية في افريقية و بلاد المغرب منذ عام 297هـ/909م.

1-3-4- فرق الشيعة: تفرقت فرق الشيعة بين فرق غالوا، و فرق قد اقتصدوا، وفرق بين هؤلاء و أولئك، فالغلاة المتطرفون قد رفعوا عليا رضي الله عنه إلى مرتبة الألوهية[3] و منهم من رفعه إلى مرتبة النبوة، و جعلوه في منزلة أعلى من النبي صلى الله عليه وسلم ، و لنذكر بعض من هؤلاء الغلاة الذين خرجوا بمغالاتهم عن الإسلام، و ينكر الشيعة الحاضرون نسبتهم إلى الشيعة، و نحن ننكر نسبتهم إلى الإسلام. و من هؤلاء:

- السبئية(الغلاة):

وهم أول فرق الشيعة التي قالت بالغلو، وهم أتباع عبد الله بن سبأ،كان يهوديا من أهل الحيرة،و أمه أمة سوداء، و لذلك يقال عنه" ابن السوداء"، أظهر الإسلام في خلافة عثمان رضي الله عنه، و أخذ يطوف بالحجاز و البصرة و الكوفة و الشام و مصر، و كان له دور في الثورة على

---

[1] – أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص32.

[2] – بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص259 .

[3] - على رأسهم عبد الله بن سبأ الذي لا يقل شأنا عن سلمان الفارسي غير أنه مال إلى عدم التصديق بهزيمة علي أو مقتله مؤكدا أن هذا الأخير يحمل رسالة إلهية (ليقود الناس بعصاه)و يجبر من خرجوا عليه من المسلمين على التسليم به، لذا ظل يترقب رجوعه؛ أنظر: مارشال هودجسون:كيف تطور التشيع إلى مذهب، مجلة الاجتهاد، العدد:19، السنة الخامسة،دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، بيروت،لبنان، 1993،ص: 142، 143.

عثمان رضي الله عنه،ثم اتصل بعلي رضي الله عنه و أظهر له الولاء، ثم أخذ ينشر بين الناس أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا، و أن عليا رضي الله عنه وصي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أنه خير الأوصياء، ثم ناداه بصفات الألوهية: أنت الإله، فنفاه علي رضي الله عنه إلى المدائن، و نقل من أتباعه ممن قال له : أنت إله.[1]

و لما قتل علي رضي الله عنه استغل ابن سبأ محبة الناس له كرم الله وجهه و ألمهم لفقده، فأخذ ينشر حول موته الأكاذيب التي تجود بها قريحته إضلالا للناس و إفساداً لهم. فصار يذكر للناس أن المقتول لم يكن عليا رضي الله عنه و إنما كان شيطانا تصور للناس في صورته، و أن عليا رضي الله عنه صعد إلى السماء، كما صعد إليها ابن مريم عليه السلام، و أن الرعد صوته، و البرق تبسمه، و من سمع من السبئيين صوت الرعد يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، و قد روى عمر بن شرحبيل أن ابن سبأ قيل له: إن عليا رضي الله عنه قتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته،لا يموت حتى ينزل من السماء و يملك الأرض بحذافيرها.[2]

و هذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي رضي الله عنه دون غيره، و في هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوي قصيدة برئ فيها من الخوارج، و الروافض، و القدرية منها، هذه الأبيات:

برئت من الخوارج لست منهم ۞ من الغزال منهم و ابن باب
و من قوم إذا ذكروا عليا ۞ يردون السلام على السحاب
و لكني أحب بكل قلبي ۞ و أعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله و الصديق حبا ۞ به أرجو غدا حسن الثواب

---

[1] – غلا ابن سبأ في علي رضي الله عنه و زعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم انه إله، و دعا إلى ذلك قومه من غلاة الكوفة فرفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، ينظر:المقريزي:المواعظ و الاعتبار،ج3،ص412؛ النوبختي:فرق الشيعة، ص19؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص206 ؛ الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص177؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص35 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص34.

[2] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص205؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36.

و إن من هؤلاء السبئية من كان يقول:أن الإله حل فيه و في الأئمة من بعده، و هو قول يوافق بعض الديانات القديمة التي كانت تقول بحلول الآلهة في بعض البشر، و أن روح الإله تتناوب الأئمة إماما بعد إمام، كما كان يقول المصريون القدماء في الفراعنة.[1]

و من السبئية أيضا طائفة كانت تقول عن علي رضي الله عنه :" إن الإله قد تجسد فيه" و قالوا له: " هو أنت الله".[2]

– الغرابية:

و هي فرقة من الغلاة، و هذه الفرقة لم تؤله عليا رضي الله عنه، كما فعل السبئية و لكنها كادت تفضله على النبي صلى الله عليه وسلم، فزعموا أن الرسالة كانت لعلي رضي الله عنه، و لكن جبريل عليه السلام أخطأ فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بدل أن ينزل على علي رضي الله عنه، و سموا (الغرابية) لأنهم قالوا أنه يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما يشبه الغراب الغراب و الذباب بالذباب، و زعموا أن عليا رضي الله عنه كان الرسول و أولاده بعده هم الرسل. و هذه الفرقة تقول لأتباعها:" العنوا صاحب الريش"، يعنون جبريل عليه السلام، و كفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود، فالغرابية من الرافضة[3] يلعنون جبريل عليه السلام و محمد صلى الله عليه وسلم..[4]

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص206؛ الشهرستاني: الملل و النحل، ج1،ص177؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36.

[2] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36.

[3] – الرافضة: عرفهم المقريزي بقوله:(هم الغلاة في حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و بغض أبي بكر و عمر و عثمان و معاوية و آخرين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، و سموا رافضة لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، امتنع من لعن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، و قال:" هما وزراء جدي محمد صلى الله عليه وسلم، فرفضوا رأيه)، المواعظ و الاعتبار، ج3،ص407.

[4] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج3،ص413؛ النوبختي، فرق الشيعة،ص19؛البغدادي: الفرق بين الفرق، ص221؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36

– الزيدية:

تعتبر هذه الفرقة من أشهر فرق الشيعة و هي أقربها إلى مذهب أهل السنة و الجماعة و أكثرها اعتدالا ، و هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، و كان تلميذا لواصل بن عطاء، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، و لم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل (فاطمي) عالم شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهم.[1]

و هذه الفرقة لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة، بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس، و لكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،و قد خرج إمامها على هشام بن عبد الملك بالكوفة فقتل و صلب، و يحي بن زيد الذي خلفه في الإمامة قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها، و محمد الإمام الذي خلف يحي قتله بالمدينة عيسى بن ماهان،و إبراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر بقتله المنصور، و لم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك، و الزيدية ثلاثة أصناف جارودية و سليمانية و بترية، و الصالحية منهم و البترية على مذهب واحد.[2]

و الملاحظ على هذه الفرقة أنها لم تغل في عقائدها و لم يكفر الأكثرون منهم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و دليل ذلك ما أورده البغدادي بقوله:"... و كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق و هو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين، فلما استمر القتال بينه و بين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له:" إنا ننصرك على أعدائك بعد إن تخبرنا برأيك في أبي بكر و عمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب"، فقال زيد:" إني أقول فيهما إلا خيرا، و ما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا، و إنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، و أغاروا على المدينة

[1] – الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص153، 154؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص40 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

[2] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص411؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص156؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص-ص،41-43 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

يوم الحرَّة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق و النار"، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم:" رفضتموني" و من يومئذ سمو رافضة.[1]

-الإمامية[2]:

و هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا، و تعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، و سموا إمامية لتركيز آرائهم حول الإمامة، و لقد اتفق الإمامية فيما بينهم على أن عليا رضي الله عنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم بالنص، و قرروا أن الأوصياء من بعد علي رضي الله عنه هم أولاده من فاطمة، الحسن و الحسين رضي الله عنهما و هؤلاء هم المجمع عليهم، و يستدلون بحديث غدير خم الذي يزعمون فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إلى غدير خم أمر بالدوحات فقمن و نادوا الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرجال:" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره،و اخذل من خذله، أدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت ثلاثا"، فادعت الإمامية أن هذا النص صريح ، و يستدل الإمامية أيضا باستنباطات استنبطوها من وقائع كانت من النبي صلى الله عليه وسلم، و منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على علي رضي الله عنه أحدا من الصحابة قط، حينما انفرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أو سرية كان هو الأمير.[3]

و لم تقتصر هذه الطائفة على القول باستحقاق علي رضي الله عنه للخلافة بل حكموا بتكفير كل الصحابة و على رأسهم أبو بكر و عمر رضي الله عنهما، يقول الشهرستاني:"...ثم إن الإمامية

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص44، 45.

[2] – **الإمامية**:"... ساقو الخلافة في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد ...يسمون الإمامية نسبة إلى مقالتهم باشتراط معرفة الإمام و تعيينه في الإيمان و هي أصل عندهم ... "، ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص408 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج3،ص247.

[3] – الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص163، 164؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص46؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص155؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعنا و تكفيرا، و أقله ظلما و عدوانا..."،[1] و قد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم، و الرضا عن جماعتهم قال تعالى:﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[2]، و كانوا إذ ذاك ألفا أربعمائة، و قال تعالى ثناء على المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان،: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[3]، و قال: ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾[4]، و قال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [5]

و قد كانت الإمامية أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم و تمادي الزمان اختار كل فرقة طريقة، و صارت الإمامية بعضها معتزلة، إما وعيدية، أو تفصيلية، و بعضها إخبارية إما مشبهة و إما سلفية.و الجدير بالذكر أن فرقة الإمامية تميزت بعدائها و مخالفتها للزيدية و الكيسانية و الغلاة، و قد افترقت حسب البغدادي: "... إلى خمس عشرة فرقة: الكاملية، و المحمدية، و الباقرية، و الناووسية، و الشيميطية،و العمارية،و الإسماعيلية و المباركية، و الموسوية، و القطعية ، و الإثنا عشرية، و الهشامية ، و الزرارية، و اليونسية ،و الشيطانية."، بينما يذهب أبو زهرة في اختلاف فرقة الإمامية مذهبا أخر فيقول:"...و قد اختلفوا من بعد ذلك على فرق مختلفة الأئمة بعد هؤلاء، بل قيل أنهم قد اختلفوا من بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة. و أعظمها فرقتان، (الإثنا عشرية) و (و الإسماعيلية)."[6]

---

[1] – الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، 164
[2] – سورة: الفتح، الآية:18.
[3] – سورة التوبة، الآية:101.
[4] – سورة: التوبة، الآية:118.
[5] – سورة: النور، الآية:53.
[6] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص56؛ الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص166؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص46.

- الإثنا عشرية[1]:

يرى الإثنا عشرية أن الخلافة بعد الحسين رضي الله عنه لعلي زين العابدين، و من بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلي الرضا، ثم لمحمد الجواد ثم لعلي الهادي، ثم للحسن العسكري، ثم لمحمد ابنه، و هو الإمام الثاني عشر، و يعتقدون أنه دخل سردابا في دار أبيه و لم يعد بعد، ثم اختلفوا في سنه و وقت اختفائه، فقيل كانت سنة إذ ذاك أو أربع سنين و قيل ثماني سنوات،و يزعمون أنه لا يزال يعيش منذ ذلك الحين مستورا عن الناس في مكان خفي، إلى أن يظهر في لآخر الزمان، و كذلك اختلفوا في حكمه، فقال بعضهم إنه كان في هذه السن عالما بما يجب أن يعلمه الإمام، و أن طاعته كانت واجبة، و قال آخرون: كان الحكم لعلماء مذهبه. و إن الإمامية الإثنا عشرية كسائر الإمامية يفرضون في الإمام سلطانا مقدسا يأخذه بإيصاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.[2]

و عقيدة هذه الفرقة التوحيد المحض بالنسبة لصفات الله، و تنزيه الخالق، و بطلان التناسخ و الإتحاد و الحلول و التجسيم و غير ذلك مما تورطت فيه فرق كثيرة من فرق الشيعة، و الإثنا عشرية يزيدون على أركان الإسلام ركنا سادسا هو الاعتقاد بالإمامة. و يقولون برجعة الإمام المعروف عندهم باسم المهدي المنتظر.[3]

و من العجب أن القائلين بإمامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه أحكام الإلهية و يتأولون قوله تعالى عليه: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

[1] - سموا بهذا الاسم لأنهم يؤمنون باثني عشر إماما متتابعين و هم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ابناه الحسن فالحسين، ثم علي زين العابدين بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد،ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن، ينظر: هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، =ترجمة نصر مروة و حسن قبيسي،ط2،عويدات للنشر و الطباعة،بيروت،1998،ص76و ما بعدها؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

[2] - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص46، ألفرد بل: المرجع السابق،ص155.

[3] - عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[1] قالوا هو الإمام المنتظر الذي يرد إليه علم الساعة، و يدعون فيه انه لا يغيب عنا، و يستخبرنا بأحوالنا حين يحاسب الخلق.[2]

و ما لبث الشيعة الإثناعشريون من بعد و الذين وصفوا أنفسهم بالمعتدلين أن استخدموا مفرد الغلاة للدلالة على كل شيعي آخر متطرف ذي أفكار أثارت في أنفسهم صدمة معينة ، و تعتبر إدانة الشيخين و عثمان أول ما قد يؤدي إلى إطلاق صفة الغلو على شخص ما، فقد كان ابن سبأ أول من نشر عقيدة الغلو و عقيدة الوقف و هي رفض التسليم بموت آخر الأئمة و عددهم إثنا عشر إماماً.[3]

– **الإسماعيلية[4]**:هم أحد فرق الشيعة الباطنية[5] نادوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، و قد اختلف أحفاد الحسين فقد تخلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العبدين بن الحسين عن محمد بن عبد الله لبن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه،و أخذ جعفر الصادق يعمل ليصل أبناؤه من بعده للخلافة و استطاع أن يقنع بقايا العلويين من نسل

---

[1] – سورة: التوبة، الآية:106.

[2] – الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص176.

[3] – مارشال هودجسون:كيف تطور التشيع إلى مذهب،ص 146.

[4] – **الإسماعيلية**: الإسماعيلية طائفة من الإمامية، سموا بالواقفية لأنهم يوقفون الأئمة عند إسماعيل بن جعفر الصادق، و يقولون بتعيينه بالنص من أبيه، و قد افترقوا فرقتين فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه، و فرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ حيث أن جعفر نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده،فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا انه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، و إلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية، ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص63؛هنري كوربان:تاريخ الفلسفة الإسلامية،ص132 و ما بعدها؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص35.

[5] – **الباطنية**: : يعرفهم الشهرستاني بقوله:"...و إنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم، بأن لكل ظاهر باطنا، و لكل تنزيل تأويلا، و لهم ألقاب كثيرة منها القرامطة، الملحدة...."، أبو زهرة فيعرفهم:"...و قد سموا الباطنية أو الباطنيين، و ذلك لاتجاههم إلى الاستخفاء عن الناس الذي كان وليد الاضطهاد أولا، ثم صار حالة نفسية عند طوائف أخرى،و منهم الذين كانوا يسمون بالحشاشين، و قد ظهرت أعمالهم في أبان الحروب الصليبية و إبان حرب التتار. و كان بعضها سوءاً على الإسلام و المسلمين."، الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص201، 202؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص52؛ للمزيد ينظر: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني:كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، 1985، ص22 و ما بعدها.

الحسن على تأييده باعتباره الوارث الحقيقي للخلافة عن علي و فاطمة رضي الله عنهما، و جعفر الصادق هو الإمام السادس – المعصوم- عند طائفة الإمامية التي ترى أن الإمامة تكون في سلالة علي رضي الله عنه عن ابنه الحسين و لا تكون في الأعقاب، و بعد موت جعفر الصادق سنة 148هـ/765م انقسمت الإمامية إلى فريقين الموسوية الذين نادوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، و الإسماعيلية الذين نادوا بأنه إسماعيل بن جعفر الصادق و هو أكبر أولاد أبيه.[1]

و يقول النوبختي فيها:"...و فرقة زعمت أن الإمام جعفر بن محمد ابنه اسمعيل بن جعفر، و أنكرت موت اسمعيل في حياة أبيه و قالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، و زعموا أن اسمعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس و أنه هو القائم لأن أباه أشار عليه بالإمامة بعده و قلدهم ذلك له و أخبرهم أنه صاحبه و الإمام لا يقول إلا الحق فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق و أنه القائم و أنه لم يمت، و هذه هي الفرقة هي " الإسماعيلية " الخالصة..."[2]

و يؤكد ذلك الإمام أبو زهرة فيقول:"...أما الإسماعيلية فيقررون أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل. و قد قالوا عن ذلك كان بنص من أبيه جعفر و لكنه مات قبله، و مع انه مات قبله أعملوا النص على إقامته من بعده، و كان إعمال هذا النص، بأن تبقى الإمامة في عقبه، فإن إعمال النص الذي يقوله الإمام أولى من إهماله. و لا عجب في ذلك، فإنهم يعتبرون أقوال الإمام كنصوص الشرع تماما، يجب إعمالها، و لا يسوغ إهمالها ، و قد انتقلت عن طريق إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم و هذا أول الأئمة المكتومين، أو المستورين إذ هم يقررون أن الإمام يصح أن يكون مستورا و تجب طاعته، و لا يمنع ذلك من إمامته..."[3]

بينما يذهب الشهرستاني إلى القول:"...الواقفية قالوا عن الإمام بعد جعفر، إسماعيل نصا باتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه. فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص62؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص50؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص155.

[2] – النوبختي: فرق الشيعة، ص57، 58.

[3] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص51؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ،ص43.

تقية من خلفاء بني العباس و عقد محضرا، و أشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، و منهم من قال الموت صحيح، و النص لا يرجع قهقرى، و الفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل..."[1]

و يسمون أيضا بالباطنية لقولهم: إن القرآن ظاهرا و باطنا و لاعتقادهم بالإمام الباطن،و قد أثبتت المصادر التاريخية إن من وضعوا أساس مذهب الإسماعيلية كانوا من المجوس. و أهم مبادئهم:

- القول بقدم العالم و أن له مدبرين: الأول الله و الثاني النفس.
- الإمام يعين بالنص لا بالانتخاب.
- تكفير من اغتصبوا الخلافة من الإمام.
- للقرآن معنى ظاهر و معنى باطن لا يعلم باطنه إلا الأئمة، لأنهم ورثوا علم الباطن.
- لا يؤمنون بعلم و لا بحديث إلا ما روي عن أئمتهم.
- إنكار معجزات الأنبياء.
- إباحة المحرمات و المحارم، فأباحوا شرب الخمر و البنات و الأخوان و جميع الملذات.[2]

1-3-5- دخول و انتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي:

لقد كانت بداية دخول الشيعة إلى بلاد المغرب و انتشاره على يد الداعيين الّذين أرسلهما الإمام جعفر الصادق- هذا تلفيق و كذب على جعفر الصادق فالمعروف أن الشيعة لفقوا أكثر من 300 ألف حديث-(ت148هـ/765م)[3] إلى بلاد المغرب و قال لهما:" إنكما تدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثاها و كرباها و ذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه فيها"[4].

---

[1] - الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص170، 171.

[2] - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص52 ؛ عبد المجيد معلومي، المرجع السابق،ص36.

[3] - هو الإمام أبو جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا، ولد بالمدينة المنورة سنة (80هـ/699م) و هو الإمام السادس في اعتقاد الشيعة توفي سنة (148هـ/765م) ينظر: أبي العباس شمس الدين ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق: إحسان عباس،ج1، دار صادر،بيروت،1968، ص 327، 328.

[4] - المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج1،ص41؛إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، بيروت،2005،ص293؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ص263.

و كان وصول الداعيين إلى مرماجنة[1] بلاد المغرب عام 145هـ/762م ،أولهما كان أبو سفيان الحسن ابن القاسم الذي نزل بإحدى المدن المغربية و اسمها تالة و أقام بها مسجد وأظهر العبادة و النسك و الفضل فأقبل عليه الكثير من الناس من جميع الجهات، فكان يروي لهم أحاديث في فضل آل البيت و علمهم و قد تشيع على يده عدد كبير من أهل هذا البلد.

أما الداعية الثاني فكان يدعى عبد الله ابن علي ابن أحمد المعروف بالحلواني الذي نزل بإحدى المدن التونسية، فتزوج و ابتنى مسجدا و أظهر العبادة و النسك، فلم يزل يدعو الناس لطاعة أهل البيت و ينشره في أوساط سكانها حتى تشيع به كثير من أهل تلك المدينة، وقد وجد عدد كبير ممن يحمل الفكر الشيعي و يدين به، و ذلك قبل دخول أبي عبد الله الشيعي، و لعل ذلك بتأثير دعوة هذين الرجلين و سريانها في المغرب[2]

و من هنا يمكننا القول: أن هذه الرواية المنقولة عن الإمام جعفر الصادق لا ندري مدى صحتها، لأننا نعتقد أن الإمام جعفر الصادق كان من أهل السنة الذين يوالون أصحاب رسول –الله صلى الله عليه وسلم– جميعا و لا يفرقون بين أحد منهم، فلا يعقل أن يرسل داعيين ليمهدا بدعوتهما إلى قيام دولة باطنية ملحدة تضمر الإلحاد، و تظهر الإسلام و حب آل بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم– و إذا سلمنا أن هذه الرواية صحيحة فعلى افتراض لا يعدوا أن يكون إرسال هذين الداعيين، هو دعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، و مهما يكن الأمر فإن بجهود هذين الداعيين دخل التشيع إلى المغرب الإسلامي.[3]

فقد لعب الداعيان دورا بارزا في بذر بذور التشيع ، و يبدوا أن مهمتهما كانت محدودة في هذا الإطار فلم نسمع عن ثورة شيعية قامت قبل مجيء أبي عبد الله الشيعي كانت من نتائج جهود

---

[1] – **مرماجنة:** مدينة كبيرة قديمة أزلية، فيها أثار كثيرة و لها عيون سائحة و هي على نظر واسع كثير الزرع و الخيرات، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ب.ت،ص162؛ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج5،ص109؛ البكري:المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،ص715.

[2] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص293؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص264.

[3] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص292.

الداعيين أبي سفيان و الحلواني، ثم تنقطع الأخبار حول جهود دعاة الشيعة في بلاد المغرب و لفترة ليست قصيرة إذ إن المدة التي تفصل بين الداعيين و بين قدوم أبو عبد الله الشيعي كانت طويلة أي حوالي130سنة [1]،خلال هذه الفترة كلف أبو سفيان و الحلواني بتهيئة الأذهان و النفوس لتقبل تعاليم المذهب و مبادئه، إلى أن يحين زمن نشر هذه التعاليم و أساسها أحقية آل البيت في الإمامة. لينتقل بعد ذلك إلى العمل العسكري، بتأسيس إمارة شيعية و هو كلف به أبا عبد الله الداعي سنة 280هـ/893م ،[2]وهو الذي لم يقَّدر لهذين الداعيين أن يشهداه أو يعودا إلى المشرق، إذ ماتا حيث قاما بدعوتهما، و بهما انتشرت الدعوة الشيعية في جزء كبير من بلاد المغرب و أصبحت تلك البلاد مهيأة لقدوم الداعي صاحب البذر الذي سيبذر فيها دعوة آل البيت و مذهبهم،هذا الداعي هو أبو عبد الله الشيعي[3]، الذي سيره أبو الشلعلع إلى المغرب و أمره بالمرور على ابن حوشب باليمن ليفيد من علمه ، فجاءه و لزمه و أفاد منه حتى صار من كبار أصحابه فعهد إليه ابن حوشب بالذهاب إلى المغرب للدعوة، و قال له:" إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني و أبو سفيان، و ليس لها غيرك فبادر،فإنها موطأة ممهدة" [4]،و قبل التوجه إلى المغرب- كما أمر- مر أبو عبد الله الشيعي بمكة المكرمة و ذلك أواخر ذي القعدة و بداية ذي

---

[1] - بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص265.

[2] - بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، فصل من كتاب(قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي)،ط1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع،قسنطينة، الجزائر،2007،ص80.

[3] - هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا، و أصله من الكوفة و يعرف بالمعلم، ذهب إلى اليمن التي كانت مركزا هاما للدعوة الشيعية و هناك اتصل بداعي الشيعة فيها و اسمه ابن حوشب، فأخذ يحضر مجالسه و يفيد منه و يتمثل لأمره، و لما وثق به ابن حوشب أرسله للدعوة بالمغرب، قتل على يد عبيد الله المهدي سنة297هـ ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص164؛أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي: افتتاح الدعوة،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان،2005،ص26؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج14،ص-ص، 57- 59؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق،ج7، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،1987،ص-ص،31-37؛ المقريزي: إتعاظ الحنفا،ص-ص، 84- 88.

[4] - القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص 26؛ ألفر بل: المرجع السابق، ص157؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص294؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص266.

الحجة سنة 279هـ/892م حيث لقي جماعة كتامة[1] الذين يسروا له الطريق إلى المغرب التي دخلها في ثوب معلم للقرآن[2]، و قد تم استقباله عند وصوله من طرف أبو عبد الله علي بن حمدون بن سماك الجذامي الأندلسي الذي تربطه علاقة مصاهرة مع قبيلة جيملة [3] فزوجته كانت إحدى بناتها، و يعتقد أن رئاسة الدعوة في المغرب آلت إليه بعد موت الحلواني و أبي سفيان، و قد كان لهذه القبيلة السبق في اعتناق المذهب و احتضان دعاته، كما كان لها السبق كذلك في حمل السلاح للتمكين للمذهب. فالداعي استقر عند فرع من فروعها و هم بنو سكتان و كانت جيملة هي النواة التي كونت الجهاز العسكري العبيدي في بلاد المغرب[4].

و عندما تيقن أبو عبد الله من نصرة كتامة لدعوته ، أعلن بإمامتهم للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم و قال:" أنتم أنصار أهل البيت و شيعتهم"، و أخبرهم عن نفسه بأنه صاحب البذر

---

[1] – يذكر القاضي النعمان اجتماع عبد الله الشيعي برجال كتامة بمكة و مسيرهم لبلاد المغرب بقوله: " ووصل أبو عبد الله مع جملة الحجيج من أهل اليمن إلى مكة، فلما قضى الناس حجهم و استقروا بمنى جعل أبو عبد الله يمشي بمنى، فمر على جماعة من رجال كتامة ممن حج تلك السنة، و هم في رحالهم و فيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب الحلواني =رجلان: حريث الجميلي و موسى بن مكارمة، فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل علي رضي الله عنه، فجلس إليهما يذكر شيئا من ذلك معهما، فأقبل عليه جميعهم، و حدثهم حديث طويلا ثم نهض ليقوم فقاموا معه و مشوا لمشيه و قالوا: نحب أن نعرف مكان رحلك فجاء بهم إليه، فلما كان من غد أتوه فحدثهم و أوسع في الحديث، و ازدادوا فيه رغبة و عليه إقبالا، فجعل يسألهم عن بلدهم فيخبرونه، فلما حضر النفر من منى قالوا: أين توجهك؟ فقال: إلى مصر، فسروا بذلك و رحلوا برحله و جعلوا يمشون حوله إذا سار و ينزلون بقربه إذا نزل و يخدمونه و يعظمونه. فلما نزلوا أول منهل اشتروا له شاة فذبحوها و هيأوا له طعاما و نزلوا معه فأتوه بطعام قال: ما هذا؟ قالوا: هذه سنتنا في الضيف، و أنت ضيف فينا فداراهم في ذلك....و كذلك شأن كتامة اليوم، يعظمون من كان قبله أقل شيء من العلم و يقدمونه، حتى المعلم الذي يكون عندهم و إن كان لا يحسن غير القرآن فإنه له عندهم قدرا و حالا و مكانا." للمزيد عن بقية تفاصيل رحلة حجاج كتامة بصحبة عبد الله الشيعي من مكة باتجاه بلاد المغرب، ينظر: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص29 و ما بعدها.

[2] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص295 .

[3] – هي قبيلة جيملة الكتامية التي تتميز بالبأس و الشدة و الأموال، و لقد اختيرت لأنها تتوفر على عوامل النجاح، فأراضيها تصلح للعمل الدعوي، كما تصلح للعمل العسكري بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة، كما إنها تقع على طرف افريقية فهي بعيدة عن قلب الإمارة الأغلبية.ينظر: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص36؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص81؛ رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977،ص 163.

[4] – بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص80، 81.

الذي ذكر لهم أبو سفيان و الحلواني، ثم قال لهم:" أنا لا أدعوكم لنفسي، و إنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت." ، عند ذلك أعلن أهل كتامة طاعتهم له، و بدأ هو في تنظيم مجتمعهم بمحاربة بعض السلوكات القبيحة [1] – كما زعم- [2] أما عن أسلوب الدعاية الإسماعيلية قبل قيام الدولة العبيدية، فيختلف عنه بعد قيامها، حيث ارتكز على الإقناع السلمي[3]، و التركيز كان على الريف المغربي- كتامة- حيث ركزت الدعوة الإسماعيلية نشاطها في المناطق الريفية الأقل تحضيرا و البعيدة عن المراكز الإدارية الحيوية، لهذا اختيرت منطقة كتامة الجبلية الريفية لتكون مجالا لبذر المبادئ الشيعية الداعية إلى إقامة إمامة إسماعيلية، و استطاع الداعي أن يكون مجتمعا جديدا من مجتمع كتامة الريفي بفضل بعد نظره و ذكائه و خبرته، فاصطنع لنفسه منهجا ربّى عليه أتباعه ليصبح ولاء الفرد فيه ولاء للمذهب و ليس للقبيلة أو العصبية، و هذا بفضل سيرته فيهم و بما تميزت به تصرفاته من تعفف و إعراض عن الحياة الدنيا.[4]

و لقد ترك الداعي تازورت و استقر في إيكجان،و هذا من أجل أن ينقل الدعوة إلى مرحلتها العسكرية الهجومية حيث بدأ في حشد أكبر عدد من البربر ليكون جيشا قويا قادرا على التغلب على الأغالبة، ليبسط سلطان الدعوة الشيعية،الدينية، لان الغرض من حركته كان إحلال مذهب

---

[1] – على العكس من ذلك كانت قبيلة كتامة على أفضل حال من جميع الجوانب عكس بني عبيد و سيرتهم ببلاد المغرب، و ما يؤكد ذلك ما يورده إبراهيم التهامي بقوله:" ...و الذي يؤكد هذا سلوك بني عبيد و سياستهم المنحرفة في المجالات المختلفة، فقد كان سلوكهم لا يمت إلى الإسلام بصلة حيث تميز حكمهم بقتل العلماء، و العمل على إزالة ملة الإسلام و إشاعة الفاحشة و إباحة الخمر و الفروج...." إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص297؛أما حال قبيلة كتامة فيورده ابن حوقل بقوله:" ...و كتامة يضيفون المارة و يطعمون الطعام، و يتخلق قوم منهم بخلق ذميم من بذل أنفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام و لا يحتشمون به...." للمزيد ينظر: أبي القاسم ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992،ص91.

[2] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص295 .

[3] –Charles(A . J), Histoire De L'afrique Du nord, payot, paris, 1952, p54.

[4] – بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و فلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، المغرب،2005، ص54.

الشيعة محل مذهب أهل السنة المعادي لمذهب الشيعة.[1] إذن باسم الدعوة الدينية قام الداعي الشهير بتمهيد السبيل لمجيء مولاه "المهدي" عبيد الله[2]، و ذلك بتحقيق انتصارات و مكاسب إقليمية؛ فدفع قبيلة كتامة إلى مهاجمة دولة الأغالبة أولا[3]، حيث استطاع أن يقضي على الدولة الأغلبية و نزل برقادة حيث غادرها آخر ملوك الأغالبة زيادة الله فاراً إلى المشرق[4]، فبعث حينئذ إلى عبيد الله "المهدي" بن محمد بن الحبيب بن جعفر المصدق بن إسماعيل بن جعفر الصادق زعيم الإسماعيلية و إمامها يستقدمه و هو يومئذ مستخفيا بمصر، فخرج و معه ولده أبو القاسم و أبو العباس أحمد أخو الصنعاني، و اضطر إلى تجنب المناطق المراقبة خوفا من أن يقع في أيدي الأغالبة و قد علموا برحلته، لكنه وصل إلى سجلماسة في الجنوب، في نواحي تافيلالت، فوقع في قبضة أمراء بني مدرار في النواحي، و كانوا من الخوارج المتهاودين، فألقوا به في السجن، بناء على أمر الخليفة العباسي، و كانوا آنذاك على علاقة طيبة، و هنا جاء داعيه المخلص أبو عبد الله الشيعي

---

[1] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص157؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص85.

[2] – عبيد الله المهدي اختلف في نسبه فادعى انه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و قال سائر الناس إنه دعي، و إن انتسابه للطالبيين دعوة باطلة؛ و ذكروا عن أبي القاسم ابن طباطبا العلوي انه قال:" و الله الذي لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعي منا، ولا بيننا و بينه نسب" و قال مقاتل: هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري، و قد فضح القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني نسبه في كتاب(كتاب كشف الأسرار،و هتك الأستار) و ذكر:" أنهم قرامطة، و أن أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب، و نسبهم هذا النسب."، و حكى بعض المؤرخين أن جعفر بن علي كانت له جارية، فغشيها رجل من القرامطة، و قيل من اليهود، دفعت له مالا؛ فكان يهواها و تهواه، و قتلت جعفرا مولاها؛ فولدت جد عبيد الله هذا. فمن خفيت عليه هذه القصة قال أنه علوي، و من علمها علم دعوته و كذبه. ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص158، 159.

[3] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 157، 158.

[4] – ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص-ص،146- 149.

حوالي 297هـ/909م لتخليصه من السجن، بعد أن كان قد بسط نفوذه على الأغالبة في افريقية أولا [1].

و دولة الرستميين في تيهرت ثانيا[2]، حتى أن المدّ الشيعي قد وصل إلى منطقة السوس متمثلا في الشيعة البجلية.[3] حيث يذكر ابن عذاري طريق جيوش أبي عبد الله الشيعي و دخوله مدينة سجلماسة بقوله: "... و نظر أبو عبد الله في إقامة الجيوش و الاستعداد للغزو إلى سجلماسة. و كان بها عبيد الله الشيعي، و ابنه أبو القاسم، محبوسين....و استخلف على افريقية أخاه العباس...." [4] ، فسار أبو عبد الله حتى حل بمدينة تيهرت؛ فدخلها بالأمان، و قتل بها من الرستمية يقظان بن أبي اليقظان ثم نهض حتى احتل على مدينة سجلماسة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة. فأحاط بها جموعه و جيوشه، و حارب يوم الأحد لسبع خلون منه؛ ففتحها في هذا اليوم، و أخرج منها عبيد الله الشيعي و ابنه أبا القاسم؛ و كانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار. فلما بصر به أبو عبد الله الشيعي ترجل له، و خضع بين يديه، و بكى من إفراط سروره به. ثم مشى أمامه راجلا حتى أنزله في الفازة و سلم إليه الأمر، و قال لمن معه:" هذا هو

---

[1] – القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 101؛ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص ألفرد بل: المرجع السابق،ص 158.

[2] – للرجوع إلى حيثيات سقوط الدولة الرستمية على يد أبي عبد الله الشيعي ينظر:القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص141 و ما بعدها؛ ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص153؛ بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية، ص128.

[3] – عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا ،1995،ص50.

[4] – يبدو أن أبا العباس قد تحين فرصة خروج أبي عبد الله الشيعي لإنقاذ عبيد الله المهدي من سجلماسة، ليقوم باضطهاد فقهاء القيروان، و إرغامهم على تقبل المذهب الإسماعيلي، بل و أقدم على قتل بعضهم منهم ابراهيم بن محمد الفقي و أبو بكر بن هذيل و علي بن أبي العباس قتلهم بتهمة الطعن في إمامة علي رضي الله عنه ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج7، ص461.ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص155 .

مولاي و مولاكم! قد أنجز الله وعده، و أعطاه حقه، و أظهر أمره!" و انتهب أبو عبد الله الشيعي و رجاله...."[1] و رجع به قافلا إلى إفريقية.

و يذكر القاضي النعمان قدوم "المهدي" من سجلماسة إلى افريقية قائلا:" ...و أقبل "المهدي" فلما حاذى بلد كتامة مال إليه ووصل إلى ايكجان و أمر بإحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة و المشايخ، و كانوا قد دفنوها هناك، فأحضروها إليه و أمر بقبضها منهم و شدها أحمالا و قدم بها، فكان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة و توهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله يأمرون و ينهون و يقبضون و يبسطون."[2]

و يروي أيضا ابن الأثير خبر قدوم عبيد الله "المهدي" من سجلماسة بقوله:"...فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها و أهل القيروان[3] و أبو عبد الله، و رؤساء كتامة مشاة بين يديه، وولده خلفه، فسلموا عليه، فرد جميلا و أمرهم بالانصراف و نزل بقصر من قصور رقادة.و أمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد، و تلقب "بالمهدي" أمير المؤمنين...."[4]، و من هنا نلاحظ أنه لم يكن هدف العبيديين في بلاد المغرب تأسيس دولة لهم فحسب، بقدر ما كانوا يعتقدون أنه لا خلاص للناس إلا إذا اعتنقوا المبادئ الشيعية، حيث كانت المذاهب الدينية تمثل الاتجاه السياسي، و بخاصة خلال القرن الرابع الهجري الحادي عشر ميلادي و من ثم عمل العبيديون منذ الأيام الأولى لتأسيس دولتهم على انتهاج طريقين لاستدراج الناس و دعوتهم إلى مذهبهم.

الطريقة الأولى: أظهر فيها العبيديون مزيجا من الشدة و اللين إذ يروي ابن الأثير ذلك بقوله:"...

---

[1] – القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص168؛ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 151، 152.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص176.

[3] – أول المدن التي أنشاها المسلمون أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، أسسها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، تعتبر منبر و منارة العلم، و مركز أشعاع و انتشار الحضارة و العمران ببلاد المغرب، للمزيد ينظر دراسة: أمبارك بوطارن: تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان و سجلماسة نموذجا(دراسة تاريخية عمرانية)، أطروحة دكتوراه ،معهد الآثار ، جامعة الجزائر،2006،ص-ص:242- 254.

[4] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج7، ص461.

و جلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف، و معه الدعاة، و أحضروا الناس بالعنف، و دعوهم إلى مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، و من أبي حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس- و هم قليل- و قتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم...."، و إذا سلمنا بقول ابن الأثير، فإن عبيد الله "المهدي" أحب منذ الأيام الأولى لخلافته أن يغير الاتجاه المذهبي لأهل افريقية تمهيدا لنشر المذهب الشيعي في جميع المناطق التي تخضع لسلطاه و لكنه اصطدم بإتباع المذهب المالكي الذين رفضوا دعوته، ووقفوا ضد أتباع الشيعة، و لقي عدد منهم القتل ليكونوا عبرة لغيرهم. [1]

و هذا ما يؤكده كلام ابن عذارى الذي ذكر:".... أن عبيد الله "المهدي" بمجرد وصوله من سجلماسة إلى القيروان[2] حتى أظهر تشيعه القبيح، فسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و أزواجه، و حكم بكفرهم و ارتدادهم عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، و لم يستثن منهم إلا عليا و بعضا قليلا ممن أيدوه.....و منع المروزي الفقهاء أن يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد..." [3]

".... و مدحت الشعراء عبيد الله بالكفر، فاستجازه..."، و كان فيما مدح به شعر لمحمد بن البديل:

حل برقادة المسيح ۞ حل بها آدم و نوح

حل بها أحمد المصفى ۞ حل بها الكبش و الذبيح

حل بها ذو المعالي ۞ و كل شيء سواه ريح

وكانت أيمان كتامة أول دخولهم افريقية:"..و حق عالم الغيب و الشهادة مولانا المهدي الذي برقادة!"، و قد سخر بعض أحداث القيروان من تلك الدعاوي، و كتب هذين البيتين إلى "المهدي" و أرسلهما إليه في بطاقة يقول فيها:

---

[1] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص461، بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص264.

[2] - رأى المهدي عبيد الله أن من الخير إلا يتخذ من القيروان عاصمة له، لأنها كانت شديدة التعرض لهجمات البربر، و هو لم يكن يثق بهؤلاء، فأمر بتأسيس مدينة على لسان صغير يتقدم في البحر جنوبي المنستير و يسهل حمايتها من ناحية البر، و هي مدينة المهدية نسبة إليه و المعروفة باسم البيضاء أيضا، و صارت قاعدة حكمه و حكم العبيديين طول إقامتهم بالمغرب،و كان آخر عهده بها إلى أن رفع مصلوبا على سورها. ينظر:القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص199؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص185.

[3] - ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 159.

الجور قد رضينا ۞ لا الكفر و الحماقة

يا مدعي الغيوب ۞ من كاتب البطاقة [1]

الطريقة الثانية:و هي محاولة الحوار مع بعض علماء مذهب مالك لإقناعهم بأحقية العلويين في الإمامة، و بفضل علي رضي الله عنه و بنيه و تقديمهم على جميع الخلفاء الراشدين، و قد فشل العبيديون في هذه الطريقة أيضا، و قد استطاع عبيد الله "المهدي" أن يستميل من بقي من أتباع بني الأغلب من مواليهم، و رجالهم و أتباعهم الذين خافوا سوء العاقبة بعد سقوط دولة بني الأغلب، لكن عبيد الله المهدي عاملهم معاملة أتباعه فاندمجوا في الدولة الجديدة، و قاموا بدور فعال في تأييدها و مساندتها، و على الرغم من استمالة عبيد الله المهدي لكثير من أتباع الأغالبة، فإنه عجز عن استمالة أتباع مذهب مالك الذين وقفوا صفا واحدا يذبون و يدافعون عن المذهب و أتباعه، و كانوا يرون أن عبيد الله المهدي و أتباعه متطرفون و مغالون في التشيع و إظهار أمور تخالف في أحيان كثيرة قواعد الإسلام.[2]

كما واجه عبيد الله "المهدي" خطر انقلاب قادته عليه و كبير دعاته أبو عبد الله الداعي و أخوه أبو العباس، و كان على "الخليفة المهدي " أن يختار بين داعيته و بين مصلحة الدولة فاختار مصلحة الدولة و تخلى عن دعاته و قبيلة كتامة أنصار دعوته. و تعود أسباب هذا الانقلاب إلى الخلاف حول الأسلوب الذي سيست به كتامة جيش الدولة و قادتها، فالداعي يرى ألا تولى كتامة الأعمال الإدارية لأن ذلك سيفضي إلى حياة الترف و النعم. إضافة إلى ذلك كان سبب الخلاف هو السياسة العسكرية الذي سلكها " المهدي" اتجاه آل مدرار بسجلماسة، فالداعي لم يكن راضيا عن قتلهم و استباحة أموالهم و نسائهم، و السبب التي تجمع عليه معظم الروايات هو رفض الداعي مهدوية عبيد الله "المهدي"، و التي استند فيها إلى معرفة أخيه أبا العباس بحقيقة إمامة المهدي الإستيداعية، هذا الأخير لم يتوانى في تحريض أخيه و دفعه إلى رفض إمامته، هذا الأمر دفع

[1] – ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص160.

[2] – بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص270.

عبيد الله "المهدي" بأمر بتصفية الداعي[1] و أخيه و كبير القادة الكتاميين أبو زاكي تمام بن معارك الأجاني عام 298هـ/910م.[2]

و الجدير بالملاحظة أنه بعد نكبة الداعي و تصفيته جسديا مع من ناصره ضد الإمام" المهدي"، بدأ تهميش دور قبيلة كتامة[3]، إذ أن عبيد الله "المهدي" كان منذ البداية يهدف و يعمل على إشراك عصبيات مغربية أخرى في الجيش و في تسيير أمور الدولة، و هذا لكي لا تنفرد كتامة وحدها بهذه المهمة فتتحكم في أمور "الخلافة"، حيث أن " المهدي" عند قدومه من سجلماسة إلى رقادة و أثناء مروره ببلاد صنهاجة[4] عند الموضع الذي بنيت عليه مدينة أشير[5] سأل عن جبل صنهاجة فأشير له عليه فقال: " لنا في هذا الجبل كنز"، و المراد بالكنز هو قبيلة صنهاجة، و عندما تولى "الخليفة" الثالث المنصور الذي سلك أسلوبا آخر مع كتامة لاستعادة مكانتها في

---

[1] – للوقوف على أسباب وحيثيات قتل عبيد الله" المهدي" لداعيه عبد الله الشيعي ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 164، 165.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص176؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص، 87، 88.

[3] – بعد قتل الداعي عبد الله الشيعي و أخيه العباس و أبي زاكي، بدأ عبيد الله "المهدي" بارتكاب سلسلة من أصناف التقتيل و التصفية الجسدية للقادة الكتاميين، عن طريقة الدعوة الفردية أو عن طريق نفيهم للأقاليم البعيدة لكي يسهل قتلهم، ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 165.

[4] – صنهاجة مشتقة من صنهاج وهو اسم لرجل يدعى صنهاج بن يصوكان بن مسيور ، ونسبه يرتقي إلى يعرب بن قحطان ، وقد أكد هذا الطبري وأنكره غيره ، انظر : مفاخر البربر، المصدر السابق ، ص 144 ؛ ويذكر ابن حزم الأندلسي أن منهم بنو الغليظ رهط أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى الأديب ومنهم بنو دراج ومنهم بأشونة بنو عبد الوهاب من ولد ميمون بن أبي جميل وهو ابن أخت طارق بن زياد .ينظر: ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982 ، ص . ص 501 – 502 .

[5] –مدينة من مدن المغرب الأوسط تم إنشائها بعد قرار من زيري بن مناد الصنهاجي في أيام القائم بأمر الله سنة (324هـ /935م) و تعتبر أول الحواضر الثقافية الزيرية التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة الحمادية ، تتكون مدينة أشير من ثلاث تجمعات بشرية : منزه بنت السلطان، و أشير و بنية، و يقول البكري: « و هي جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما... بنى سورها بلجين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث ماية و خربها يوسف بن حماد بن زيري...»، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص60؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص89؛ بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص – ص ،104- 114.

الدولة و تظل قريبة منه، حيث قام ببناء قاعدة حكم جديدة بعد انتصاره على صاحب الحمار و سماها المنصورية و فرض على أربعة عشر ألف بيت كتامي من مدينة سطيف أن ينتقلوا إلى عاصمته الجديدة لتعميرها.

و لما تولى "الخليفة" الرابع المعز لدين الله الخلافة عمل على إعادة الاعتبار لكتامة بعد أن أبعدت عن العمل السياسي و العسكري، بسبب مناصرتها للداعي أثناء خروجه على الإمام "المهدي".[1]

حيث كان المعز يعقد المجالس لكبار وجوه كتامة و يثني عليهم لكي يعودوا إلى لعب دورهم في السياسة و الجيش الذي سوف يفتح بلاد المشرق.[2]

و لما عزم المعز الرحيل إلى مصر[3]، فكر فيمن سيخلفه في بلاد المغرب، ممن يتوفر صدق التشيع كما ذكر ابن خلدون.[4] حيث لم يجد الإمام المعز لدين الله مخرجا سوى التوجه إلى قائد صنهاجة بلكين بن زيري[5]، زيري[5]، ليعرض عليه ولاية إفريقية والمغرب، دون كتامة التي وقفت هي الأخرى موقفا جافيا، أشبه ما يمكن بموقف جعفر بن علي بن حمدون.[6]

---

[1]– بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص: 86، 87. 93.

[2] – المرجع نفسه:ص90.

[3] – كان موقف أهل إفريقية تجاه الدعوة الإسماعيلية و معارضتهم و تمسكهم بالمالكية سببا في أن يتجه العبيديون نحو مصر، ينظر: حورية عبده عبد الحليم سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1974،ص 33.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص205؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ب.ت، ص393؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص228.

[5] – عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1982 ، ص190.

[6] – بعث المعز إلى شيوخ كتامة رسولا من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم وولائهم للخلافة العبيدية وقال لهم: «يا إخواننا إن ننفذ ننفذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة يقيمون بينهم، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها علينا في بلادهم فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها، فاستعنا بها على ما نحن سبيله » فرد شيوخ كتامة بكبرياء قائلين له:«قل لمولانا والله لأفعلنا هذا أبدا، كيف تؤدي كتامة الجزية، يصير عليها في الديوان ضريبة؟ وقد أعزها الله قديما بالإسلام وحديثا معكم بالإيمان، سيوفنا بطاعتكم في المشرق و المغرب»، ينظر: المقريزي،اتعاظ الحنفا، ج1، ص98.

و بهذا يكون بلكين قد كشف عن سياسة ماهرة في الحوار الذي جمعه مع الإمام المعز لدين الله، مما يدل على نضجه السياسي ووعيه الدبلوماسي، فلعله يتحين الفرصة كما ذكر عبد العزيز فيلالي[1]، حتى يحصل على ما كان ينشده، فقد تصنع الخوف من مسؤولية ولاية إفريقية والمغرب بكل ما فيها من فوضى سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات مذهبية، بقوله لم تصف لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف تصفو ليوسف بلكين وهو صنهاجي بربري.[2]

1-4- المعتزلة[3]:

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص190.

[2] – نص الحوار الذي دار بين المعز و بلكين بن زيري: « قال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك، وقال يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح، فما زال به المعز حتى أجاب بشريطة أن المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الحيز لمن يثق به ويجعله قائما بين أيدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الأمر لهم، ويصير كالخادم بين أولئك» ينظر: المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج2، ص- ص36-37.

[3] – **المعتزلة**: فرقة كلامية سبقها في النشأة فرق كالجهمية و القدرية، و لكن المعتزلة أهم فرقة عرضت موضوعات علم الكلام في نسق مذهبي متكامل، بل قد أصبحت مسائل علم الكلام تناقش في إطار الحدود التي وضعها رجال المعتزلة، و من المعروف أن المعتزلة نشأت بسبب الخلاف الذي دار بين أهل السنة و الخوارج، حول مرتكب الكبيرة، فالخوارج يقولون أن مرتكب الكبيرة كافر، و لو لأننا سلمنا بذلك لكانت النتيجة خروجه عن الدين الإسلامي، و لا تقبل له شهادة، أما أهل السنة فيرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن، له أن يتمتع بكل حقوقه،و ليس المعتزلة هو الاسم الوحيد الذي أطلق على هذه الفرقة، فالمعتزلة يحبون أن يسموا باسم الفرقة العدلية، لأن العدل أحد أهم أصولهم الخمسة،كما يسمون أنفسهم أهل التوحيد و العدل، أما خصومهم فقد نبذوهم بعدة ألقاب منها المعطلة لأنهم نفوا الصفات القديمة عن الله، و على رأسهم واصل بن عطاء بدعوى أنه لو كانت هذه الصفات لشاركت الله في القدم الذي هو أخص الوصف له. و المعطلة و الصفاتية ضدان ، و مذهبهم مبني على أساس انتقائي للأفكار و الآراء السائدة في عصرهم، فعن الجهمية أخذوا القول بنفي الصفات و القول بخلق القرآن، كما أخذوا مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من الخوارج، و اتفقوا مع الشيعة في كثير من الآراء الخاصة بالإمامة ،و يرى أبو الحسن الخياط:" أن ما من أحد يستحق اسم اعتزال حتى يقول بالأصول الخمسة". ينظر:الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص:38-39؛ لويس غارديه،ج. قنواتي:فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية،ترجمة الشيخ صبحي الصالح،ج1،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1967،ص91؛عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية،ط4،دار العلم ،بيروت، لبنان،1980،ص180؛أحمد محمود صبحي:في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين-المعتزلة ،ج1، ط5،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1985،ص112؛أبو الحسن الخياط:

1-4-1- التعريف بالمعتزلة:

لغة:

الاعتزال مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُون﴾[1]. أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي.[2]

وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.[3]

اصطلاحا:

هم أتباع واصل بن عطاء الغزال[4] تلميذ الحسن البصري " ت 110هـ/728م"، و هو المؤسس الأول لفرقة المعتزلة و السبب في ظهورهم أن رجلا دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة و هم وعيدية الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة و هم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا اعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك و قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا و لا كافر مطلقا، بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن و لا كافر،ثم قام واعتزل إلى اسطوانات المسجد، يقرر ما

=الانتصار و الرد عن ابن الروندي الملحد،تحقيق نبيرج، ط2،الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان،1993،ص121؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص380؛ هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية،ص169 و ما بعدها.

[1] – سورة : الدخان، الآية:20.

[2] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995،ص13.

[3] – ابن منظور:لسان العرب، ج11 ، ص 440 ، الفيروز آبادي: قاموس المحيط، ج4،ص 15.

[4] – واصل بن عطاء:"80-131هـ/700-748م" ولد بالمدينة، و نشأ بالبصرة، من أئمة البلغاء والمتكلمين، له تصانيف منها " المنزلة بين المنزلتين" و " أصناف المرجئة" و معاني القرآن" . ينظر ترجمته:البغدادي،الفرق بين الفرق،ص107؛ الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج5،ص464، 465، عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بافريقية، ص105.

أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو و أصحابه معتزلة.[1]

و المعتزلة باعتبارها طائفة كلامية حملت على عاتقها مهمة إصلاحية، تمثلت في تأسيس مفهوم للتوحيد، يقوم على التنزيه المطلق للذات الإلهية، و على إصلاح المجتمع من المظالم و المفاسد، وذلك من خلال تهديم فكرة الجبر، و إقامة تصور جديد عن العدل الإلهي. و بذلك استطاعت هذه الطائفة أن تقدم بناءا فكريا متناغما و منسجما.[2]

1-4-2- نشأة المعتزلة في المشرق الإسلامي:

هناك اختلاف في بداية ظهور المعتزلة، حيث نجد ثلاثة مذاهب في ذلك:

المذهب الأول: يرى أصحابه أن بدايتهم من عهد الصحابة، و أن مذهبهم هو المذهب الحق، و هو قول المعتزلة.

المذهب الثاني: يرى أصحابه أن بداية نشأة المعتزلة كانت سنة 40هـ/660م عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية و في ذلك يقول الملطي:" و هم سموا أنفسهم معتزلة و ذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر. اعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس، و ذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، و لزموا منازلهم و مساجدهم و قالوا: نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذلك معتزلة. و الاعتزال هنا هو من ناحية اللغة فقط، أما من ناحية الاعتقاد و الفكر فلم يكن لهم اعتقاد خاص يميزهم عن غيرهم."[3]

---

[1] - يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف،ج1،أضواء سلفية، المدينة المنورة، 1419هـ،ص 67؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص107؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص118؛الشهر ستاني: الملل و النحل،ج1، ص38؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص195؛ ؛عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1163؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص37؛ نسيم نوار: النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب و أثره في تجديد المذهب المالكي " من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية 269-443هـ/909-1051م"، مذكرة ماجستير ،جامعة الجزائر 2، بوزريعة،1432هـ/2011م،ص35.

[2] - يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص13.

[3] - الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،ص30؛ جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص195

و هذا ما ذهب إليه أبو زهرة بقوله:" نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي. و لكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن . و يختلف العلماء في وقت ظهور المعتزلة، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه اعتزلوا السياسية و انصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان..."، و يستدل هذا القول من أبو الحسن الطرائفي في كتابه- أهل الأهواء و البدع. [1]

المذهب الثالث: و هو مذهب جمهور مؤرخي الفرق، الذين يرون أن البداية الحقيقية لظهور فرقة المعتزلة كانت على عهد واصل بن عطاء المؤسس الأول لفرقتهم. [2]

و من هنا نلاحظ اتفاق بين معظم الباحثين على مسألة اعتزال واصل بن عطاء حلقة أستاذه الحسن البصري، بسبب اختلافه معه في قضية مرتكب الكبيرة كما أشارنا لها سابقا، و هو سبب تسمية هذه الفرقة بالمعتزلة، و يؤرخون لظهورها بالثلث الأول من القرن الثاني الهجري ، و النصف الأول من القرن الثامن الميلادي ، و هو الرأي الراجح عندهم في ظهور هذه الفرقة.

1-4-3- أصولهم و أهم عقائدهم:

1-4-3-1- أصولهم الخمسة:

-التوحيد[3]:

يتفق أهل الملة على أن الله واحد، و هو الخالق المدبر المسير لشؤون الكون، لم يلد لم يولد، لا شريك له و لا ند. و يأخذ مفهوم التوحيد عند المعتزلة - هو لب مذهبهم. و أساس نحلتهم- دلالة خاصة فهو يعني تنزيه الذات الإلهية من كل ما من شأنه أن يسقطنا في اعتقاد التعدد و التشبيه في هذه الذات،فإن كل فكرة قد تشعرنا بأن الذات الإلهية تعددا أو تجسيما ، سيعمل المعتزلة على رفضها و تبرير ذلك الرفض عقلا و نقلا. فالآيات مثلا تفيد في منطوقها تجسيم

---

[1] - أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية،ص118.

[2] - البغدادي، الفرق بين الفرق،ص107؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص118؛الشهر ستاني: الملل و النحل،ج1، ص38؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص195؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص105 ؛ عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بافريقية، ص105؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1163 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص36؛ نوار نسيم: المرجع السابق،ص35.

[3] - ينظر: شرح قول المعتزلة في التوحيد و غيره، الملحق رقم:05، ص368.

الذات الإلهية و تشبيهها مثل قوله تعالى:﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾، و قوله عز وجل:﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، و قوله:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ،تعتبر آيات متشابهات في نظرهم، تحتاج إلى تأويل عقلي كي لا تتناقض مع مفهومهم للتنزيه المطلق و مع آيات أخرى يعتبرونها محكمات مثل قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ و قوله:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [1]، و قد برع المعتزلة في التأويل العقلي أيما براعة و اجتهدوا في ذلك حتى وضعوا للتأويل قانونا له دواعيه و شروطه و حدوده، و تماشيا مع فحوى التوحيد المعتزلي وقف المعتزلة من مسألة الذات الإلهية و علاقتها بالصفات موقفا يرى أن مجموع الصفات الإلهية التي وصف الله بها نفسه من قدرة و إرادة و علم، ليس لها وجود واقعي خارج الذات الإلهية لأنهم تفطنوا إلى أن إثبات الوجود الواقعي للصفات الإلهية من شأنه أن يوقع في التعدد إي القول بقديمين هما الله من جهة،و صفاته من جهة أخرى. لأجل هذا عمدوا إلى إدماج الصفات الإلهية. فقالوا: إن الله قادر بقدرة و قدرته عين ذاته. مريد بإرادته و إرادة عين ذاته.و هكذا دواليك بالنسبة لباقي صفات الذات. فأصبحت الصفات هي عين الذات الإلهية. [2]

و من ثم لم يعد ممكنا بالنسبة إليهم القول بأن هناك موضوعا وصفة. أو جوهرا و أعراضا، بل أن مفكرا معتزليا هو أبو هاشم الجبائي استطاع ببراعة ومراوغة لغوية أن يتجاوز مشكل علاقة الصفات بالذات من خلال وضعه لنظرية الأحوال. فالصفات عنده أحوال. و الحال هو كل صفة لموصوف لا تتصف بالوجود و لا بالعدم. فمثلا بدل القول بان الله يتصف بصفة القدرة يقول إن الله على حال من القدرة، و بذلك يكون قد تجاوز التعدد في الذات الإلهية بهذه الطريقة.

---

[1] – سورة : الإخلاص، الآية:04.

[2] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛الأشعري: مقالات الإسلاميين،ص2016؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص105؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص120؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 40؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:81-150؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص14؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1164؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38؛ عبد المحسن بن محمد العباد البدر: قطف الجني الداني" شرح مقدمة ابن زيد القيرواني"،ط2،منار السبيل، الجزائر،2003،ص26.

و في إطار أصل التوحيد كذلك طرح المعتزلة مسألة إمكانية رؤية الله ذلك أن هذه الإمكانية تطرح إشكالا حول التنزيه المطلق للذات الإلهية باعتبارها ستؤدي إلى إلحاق جهة و المكان بالذات الإلهية، في حين أنها تتعالى عن ذلك و تتنزه. لأجل ذلك عمد المعتزلة إلى رفض هذه الإمكانية رفضا عقليا، و أولوا الآية التي تفيد إمكانية الرؤية قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] تأويلا عقليا بارعا.

أما مسألة خلق القرآن فإنها أيضا طرحت إشكالا على التنزيه المطلق للذات الإلهية، إذ لو كان القرآن و هو كلام الله قديما لكان هناك قديمان هما الله و كلامه (القرآن)، و هذا سقوط في التعدد. لهذا التجأ المعتزلة إلى أن نظروا إلى صفة الكلام على أنها صفة فعل و خلق، و ليست صفة ذات،بمعنى أن كون الله متكلما هو كونه فاعلا بالكلام و خالقا له. والقرآن بذلك مخلوق لله و فعلا له.[2]

– العدل :

لما كان المعتزلة قد نظروا إلى الله نظرة تنزيهية مطلقة، فنزهوه بذلك عن جميع النقائص بما في ذلك الظلم لأنه قبح و نقيصة،لا يصدر إلا عن ذي فاقة محتاج أو عن جاهل. والله غير ذلك، فالله لا يمكن أن يتصف بالظلم بتاتا. و حتى ما نلاحظه من زلازل، و براكين، و كوارث طبيعية يذهب ضحيتها الأبرياء فإن المعتزلة يرون فيها صلاحا للبشرية خفيا عليهم. لأن الله لا يفعل إلا ما يرى فيه أكبر قسط من الصلاح للبشرية. فلو أن هناك أمرين، أحدهما صالح و الآخر أصلح منه لكان الله فاعلا للذي هو أصلح.و لقد أدى أصل العدل الإلهي بالمعتزلة إلى طرح مشكل المسؤولية،و حرية الإرادة الإنسانية، فإذا كان الله لا يفعل القبح و لا ينبغي له، فكيف يمكن تفسير القضاء و القدر من هذا المنطق؟ الحقيقة أن المعتزلة أسندوا أفعال العباد إلى العباد أنفسهم، و جعلوهم

---

[1] – سورة: القيامة، الآية:22، 23.

[2] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛الأشعري: مقالات الإسلاميين،ص2016؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص105؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص120؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 40؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص14؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1164؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1، ص121

مسؤولين عما يفعلون، فهم مختارون لأفعالهم بإرادتهم الحرة، و الله لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوا و فعلوا،فيثيب المحسنين و يعاقب المسيئين، لأنه لو كان الله يقدر على الناس ما يشاء، ثم يعاقبهم على ذلك لكان في ذلك ظلم، و هذا لا يصح في حق الله تعالى.[1]

– الوعد و الوعيد:

و هو الأصل الذي يرى بصدده المعتزلة أن الله قد وعد المؤمنين بالجنة، و توعد الكافرين بالنار، و هو عند وعده ووعيده، ملتزم بهما لا يمكنه أن يخلفهما، لأنه لو فعل لكان كاذبا، و الكذب صفة قبيحة لا تليق بالذات الإلهية، و من هذا الباب نفى المعتزلة اللطف الإلهي و الشفاعة.[2]

– المنزلة بين المنزلتين:

و هو أصل يعكس وجهة نظر المعتزلة من مرتكب الكبيرة،أنه كافر هو أم مؤمن؟ فقد ذهب المعتزلة بهذا الصدد إلى أن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن،فهو ليس كافر لأن الكافر هو الذي لا يعترف بأركان الإسلام، في حين أنه يفعل. وليس مؤمنا لان المؤمن هو الذي يربط بين جانب الاعتقاد و جانب العمل. فمرتكب الكبيرة إذن في منزلة وسطى بين منزلة الكفر و الإيمان، و مصيره النار خالدا فيها، لكن عذابه مخفف.[3]

---

[1] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص121؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:151-208؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص15؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص 141؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص359؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38.

[2] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص121 ،122؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 42، 43 ؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:209-254؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص15؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص157؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص359؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38.

[3] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص108 ؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص122؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 42، 43 ؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:255-264؛أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص16؛ أحمد محمود

- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

و هو الأصل الأخير الذي تمسك به المعتزلة شعارا لهم في دعوتهم الإصلاحية السياسية. فحيثما كان هناك فسق و فساد أو تظالم، سواء من طرف الحاكمين أو من طرف العامة إذا لا بد من تغيير المنكر و لو حتى على الخليفة لأنه في نظرهم إن كان ظالما وجب الخروج عليه و محاربته لإحقاق الحق و الأمر بالمعروف.[1]

1-4-3-2- أهم عقائدهم:

إن جذور المعتزلة ترجع إلى حركات فكرية سابقة كمذهب القدرية الذين قالوا بالحرية الإنسانية، و آراء الجهمية[2] الذين نفوا الصفات عن الذات الإلهية، و إنكار رؤية الله، و تأكيد دور العقل في اكتشاف ما في الأشياء والأفعال من حسن و قبح. إذن المذهب الاعتزالي قد استقى أفكاره من هذه الحركات الفكرية و أخضعتها لعملية تطوير واسعة.

و للمعتزلة كغيرهم من الفرق الكلامية آراء و أفكار و معتقدات كثيرة، يمكن عرض أهمها بإيجاز في النقاط الآتية:

- اختلفوا في المكان لله تعالى، فذهب بعضهم إلى أن الله تعالى في كل مكان بتدبيره، و هذا قول أبي الهذيل و الجعفرين، و الإسكافي، و محمد بن عبد الوهاب الجبائي، و منهم من ذهب إلى

صبحي:في علم الكلام،ج1،ص162؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص359؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38.

[1] - يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص122 ،123؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:265-281؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص16؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص166؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص360؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص39.

[2] - **الجهمية**: أصحاب جهم بن صفوان، و هو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، و قتله سلم بن أحوز المازني بمرو ، في آخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء،منها قوله:لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة بها خلقه، للمزيد ينظر: المقريزي:المواعظ و الاعتبار،ج3،ص407؛ الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ص73، 74.

القول أن الله تعالى لا في مكان؛ بل هو على ما لم يزل عليه، و هذا قول هشام الفوطي و عباد بن سليمان و أبي زفر.[1]

- نفيهم عن الله عز وجل صفاته القديمة الأزلية، فقد لبس الشيطان عليهم حتى انساقوا في فلك علم الكلام المذموم و الفلسفة الدخيلة الممقوتة فسموا ذمهم لله تعالى بإنكارهم لصفاته تعالى باسم ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب، أي أن ظاهره التنزيه و لكن باطنه تمام التشبيه و التعطيل، كما نفوا عنه الرؤية
- اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله، و حدوث أمره و نهيه و خبره.
- اتفاقهم على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها و شرها، و ليس الباري سبحانه و تعالى خالقا لأفعالهم.
- اتفاقهم على أن الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن و لا كافر، و إذا خرج من الدنيا من غير توبة استحق الخلود في النار، و لكن عقابه أخف من عذاب الكفار.
- اتفاقهم على استحالة رؤية الله بالأبصار، يقول ابن حزم:"....ذهبت المعتزلة و جهم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يُرى في الآخرة..."[2]
- اتفاقهم على الحسن و القبح يجب معرفتهما بالعقل، و أنه يجب على الله تعالى من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

و عموما اتفقوا على موقف واحدا من صفات الله تعالى، فقالوا بنفيها بعبارات تلبيسية من جهة، و تظاهروا بإثبات بعضها، و نفوا بها عنهم اتهام غيرهم لهم بنفيها من جهة ثانية . و تأوّلوا الصفات الخبرية تأويلا تحريفيا من جهة ثالثة.[3]

---

[1] – عواجي: فرق معاصرة،ص1175.

[2] – ابن حزم:الفصل في الملل و النحل ،ج3،ص07؛ عواجي: فرق معاصرة،ص1176.

[3] – خالد كبير علال: جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها، آثارها ، أسبابها – قراءة نقدية تكشف جنايات المعتزلة و تناقضاتهم و تحريفاتهم في حق العقل و الشرع –،ط1،دار المحتسب،الجزائر،2012،ص06.

1-4-4- أسماء المعتزلة:

ليس اسم المعتزلة هو وحده الذي أطلق على هذه الفرقة، بل هناك أسماء أخرى، منها من أطلقوها على أنفسهم، و منها من أطلقها عليهم غيرهم:

الفرقة العدلية: يحب المعتزلة أن يتسموا باسم الفرقة العدلية، حيث أن العدل أهم أصولهم الخمسة، إذ يتضمن أغلب نظرياتهم فضلا عن أن الأصول الثلاثة الأخيرة لازمة عنه، كما يحب أن يسموا أنفسهم بأهل العدل و التوحيد، أما خصومهم فقد نبذوهم بعدة ألقاب منها المعطلة لتنزيههم الله عن صفات المحدثين تنزيها ينطوي على كثير من الصفات السلبية إلى حد للتعطيل في رأي الخصوم.

القدرية: كما سميت فرقة المعتزلة باسم القدرية لقولهم بحرية الإنسان أو بالأحرى أن قدر الإنسان بيده، و بسبب موافقتهم القدرية في إنكار القدر و إسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، و هو لا يرضون بهذا الاسم و يرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره و شره من الله تعالى لا عليهم؛ لأنهم لا يقولون بذلك، بل يقولون بأن الناس هم يقدرون أعمالهم، و كان أول المتكلمين في القدر و المقررين له معبد الجهني و غيلان الدمشقي.[1]

الجهمية: أول من أطلق على المعتزلة لقب الجهمية هو الإمام أحمد بن حنبل في كتابه" الرد على الجهمية"؛ لأن مناظراته في زمنه كانت مع الجهمية في القول بنفي الرؤية و الصفات و خلق القرآن فضلا عن التأويل العقلي، و اعتبار العقل مصدر المعرفة، إن تلقيبهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم لهم في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة و تمهيدهم السبيل للتوسع فيها، على أن نشير أن المعتزلة لا يعدون الجهم من رجالهم أو طبقاتهم لاختلافهم معه في مسائل جوهرية، فقد كان جهم بن صفوان جبريا و المعتزلة قدرية، و الإيمان عند جهم اعتقاد في القلب

---

[1] - يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص68؛أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص112؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1167.

فقط، بين معتزلة اعتقاد و قول و عمل، أي ما وقر في القلب و نطق به اللسان و صدقه العمل.[1]

و قد ذكر المقريزي تسميات أخرى أطلقها الخصوم و لكنها ليست شائعة كاسم المفنية لقول أبي هذيل العلاف بفناء حركات أهل الخلدين، و سميت باللفظية لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة ، كما سموا بالقبرية لإنكارهم عذاب القبر. و منها أيضا الثنوية و المجوسية لمذهبهم القائل : الذي يقرر أن الخير من الله و الشر من العبد، و هو بذلك يشبه مذهب الثنوية و المجوس الذي يقرر بوجود إلهين : أحدهما للخير و الآخر للشر.و منها أيضا المعطلة، و الوعيدية.[2]

1-4-5- فرق المعتزلة:

قبل الحديث عن هذه الفرق ، لا بد من الإشارة إلى أن هذه الفرق تجمعها مبادئ و تختلف في مبادئ أخرى، أولا ما تتفق عليه: أن المعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة و هي: التوحيد، و العدل، و الوعد و الوعيد، و المنزلة بين المنزلتين، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[3]

ثانيا ما تختلف فيه: إن المعتزلة كغيرها من الفرق- عند نشؤها- قد بدأت محدودة التفكير مقتصرة على الأصول الخمسة التي سبق ذكرها آنفا، و لكن سرعان ما تعمق المعتزلة في بحث تلك الأصول، و توسعوا في شرحها، فنشأ بذلك مسائل فرعية من هذه الأصول، و سبب ذلك الاعتماد على العقل، و عدم التقيد بالنصوص من الكتاب و السنة و أيضا انغماسهم في الفلسفة اليونانية التي أخذوا يدرسونها؛ و يستمدون بعض الأفكار و يمزجونها بعقيدة المسلمين، بسبب ذلك دب الخلاف بينهم، و تشعبت لآرائهم و اشتد الحوار و الجدل، فانقسموا إلى اثنين و عشرين فرقة

---

[1] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج3،ص 407؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص-ص، 111-113؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1166.

[2] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج3،ص 401؛ عواجي: فرق معاصرة،ص 1167.

[3] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص51.

لكل واحدة منها أفكارها و آراؤها الخاصة، و تتبع كل فرقة أحد رؤوس الإعتزال البارزين.[1] و هي: " الواصلية[2]، و العمرية، و الهذلية، و النظامية، و الثمامية، و المعمرية، و البشرية، و الهشامية، و المردارية، و الجعفرية، و الأسوراية، و الأسكافية، و الخابطية و الحدثية، و المويسية، و الصالحية ، و الجاحظية، و الشحامية، و الخياطية، و الجبائية، و الكعبية، و البهشمية و الحمارية"[3]

1-4-6- دخول و انتشار مذهب المعتزلة في المغرب الإسلامي:

لم يكن علم الكلام[4] مرغوبا فيه في المغرب الإسلامي، و كان رجاله منبوذين من قبل علماء السنة الذين ناصبوا العداء كل اتجاه منحرف عن اتجاه أهل السنة.و لم يجد علم الكلام له نشاطا واسعا في المغرب، و لم يلق من التشجيع و كثرة الأنصار ما لقيه في المشرق، و ما من شك أن المذهب المالكي و هو صاحب السيادة المذهبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي لعب دورا في فرض نفوذه و محاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر، إلا أن هذا لا يعني أن المغرب كان خاليا تماما من هذا النوع من الفكر، بل المصادر تشير إلى أنه رغم العداء المستحكم من قبل أهل السنة المغاربة لعلم

---

[1] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها ،ص52.

[2] – الواصلية: هم أتباع واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة و داعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهني، و غيلان الدمشقي، ينظر: البغدادي: الفرق بن الفرق،ص107، الشهر ستاني: الملل و النحل،ج1،ص40.

[3] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص-ص:52- 76.

[4] – علم الكلام: توجد عدة تعريفات لعلم الكلام، نذكر منها تعريف الفارابي بأنه:" ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء و الأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة، و تزييف كل ما خالفها بالأقاويل"، و أيضا يعرفه الإيجي في المواقف بقوله:" علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج و دفع الشبه، و المراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، و بالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الخصم و إن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام"،و إن كان كل من الفارابي و الإيجي قد جعلا علم الكلام يقوم على العقيدة الإسلامية دون تمييز بين الفرق الإسلامية، فإننا نجد ابن خلدون يحصر التعريف في نصرة الاعتقادات على مذهب السلف و أهل السنة و يخرج باقي الفرق فيقول في تعريفه لعلم الكلام:" هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة"، و هو في هذا يوافق ما ذهب إليه الغزالي في المنقذ من الضلال، من خلال التعريفات السابقة يمكننا أن نستخلص أن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية، فهو بذلك يقوم بتوضيح أصول العقيدة و شرحها و تدعيمها بالأدلة العقلية. ينظر: الايجي: المواقف،ص07؛ عبد الرحمن ابن خلدون:المقدمة، دار العودة، بيروت، 1981م، ص303 ؛ علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية (مدخل و دراسة)،ط2،مكتبة وهبة، القاهرة،1995،ص11.

الكلام فقد وجد له أنصار، و في ذلك يذكر الإمام ابن حزم في رسائله فيقول:" ...و أما علم الكلام فإن بلادنا و إن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم و لا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في الباب، فهي على كل حال غير عربة عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار في أصول الدين و لهم فيها تأليف".[1]

و لقد كانت المعتزلة من أقدم الفرق دخولا إلى المغرب و من أكثرها تأثيرا فيه، و لكن الذي يلاحظ بادئ ذي بدء أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة و فكرها، نادرة جدا، فما هي إلا إشارات عابرة لا تكاد تفي بالمقصود و تراجم رجالها أيضا نادرة. لعل السبب في ذلك يرجع إلى أن علماء المغرب من أهل السنة لم يكونوا يرون المبتدعة من العلماء، و لا يعدون خلافهم خلافا، و لذلك أسقطوهم من طبقاتهم التي ألفوها في الرجال؛ و هو نوع من أنواع المقاومة لفكرهم، على الرغم من أن كثيرا منهم كان لهم بروز في فنون أخرى من العلوم كالفقه و اللغة، و لكن ذلك لم يشفع لهم عند المغاربة ما دام الأصل غير سليم، و في هذا المعنى يقول ابن عبد البر:" أجمع أهل الفقه و الآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع و أهواء و زيغ و لا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، و إنما العلماء أهل الأثر و التفقه فيه".[2]

لكن رغم ذلك كله، فأن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب، و الأسباب التي ساعدت على انتشاره. يمكن أن نقسم الأسباب التي ساعدت على دخول الاعتزال إلى بلاد المغرب إلى أسباب مباشرة و أسباب غير مباشرة، و نقصد بالمباشرة وفود بعض رجال الاعتزال على المغرب من المشرق لنشر الاعتزال به، و تذكر المصادر في هذا الصدد أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة و أحد مؤسسي مذهبهم، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب. و كانت عادة مؤسسي المذاهب إرسال دعاتهم إلى البلاد المختلفة للدعوة إلى مذاهبهم و نشرها في الناس، فكان نصيب عبد الله بن الحارث من نصيب بلاد المغرب.و قد تمكن هذا الرجل من اجتذاب كثير من سكان البربر إلى دعوته، خاصة لدى

[1] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص195 ، 196.

[2] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص196.

القبائل البربرية [1]الخارجية، و امتد تأثيره حتى بلغ مساحات شاسعة من بلاد المغرب مما جعل ياقوت الحموي يذكر أن " مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريبا من تيهرت، و كان عددهم نحو الثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها."، و على الرغم مما قام به المعتزلة الواصلية من دور معادي لأئمة بني رستم إلا أنهم حضوا بتسامح ديني إلى أبعد الحدود، ذلك ان تاريخ المنطقة شهد فترات من وقائع الخلاف و التقارب بين المعتزلة و الإباضية،[2] و لعل السبب في سرعة انتشار الاعتزال في تلك القبائل، أن أهلها كان عندهم استعداد لتقبل أي دعوة جديدة،ففي هذه القبائل كانت قد انتشرت من قبل الديانة البراغواطية[3] فوجد ابن الحارث في هذه القبائل تربة صالحة لنشر مذهبه.

إلى جانب الأسباب المباشرة لدخول الاعتزال إلى المغرب هناك أسباب غير مباشرة تتمثل في وفود بعض الأقوام من الشام و من العراق ممن يدينون بالفكر الاعتزالي مع الولاة في أوقات مختلفة، و احتلالهم الوظائف الإدارية و العسكرية، فكان لهم بذلك دور كبير في التمكين للاعتزال بالمغرب.[4]

و منها أيضا تمذهب معظم الأمراء الأغالبة بالاعتزال، و لا شك أنهم كانوا في ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس أمثال المأمون و المعتصم و الواثق[5]،و من الأسباب غير المباشرة أيضا رجوع بعض من رحل من المغرب بعد أن تشبعوا بأفكار المعتزلة التي درسوها على رجالها المختصين الذين كانوا ينتشرون، و كان لهؤلاء دور كبير أو أثر عميق في نشر آراء المعتزلة و

---

[1] – انتشر الاعتزال بين قبائل زناتة و مزاتة كما قيا إن زعيم أوربة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد كان معتزليا– ، ينظر: ابن حوقل : صورة الأرض،ص94؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،ص118.

[2] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2،ص–ص،7–9عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص197؛ نسيم نوار، المرجع السابق،ص36.

[3] ـ **الديانة البرغواطية** : نسبة إلى برغواطة و هي أخلاط من قبائل شتى من البربر المصامدة، اجتمعوا إلى صالح بن طريف، كانت مواطنهم بين بسائط تامسنا و ريف البحر، حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك...للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 56، 57؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص–ص، 173–179.

[4] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص197.

[5] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص: 40- 43 ؛ نسيم نوار : المرجع السابق، ص36.

معتقداتهم، أمثال سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء أحد الفقهاء الأحناف في العهد الأغلبي رحل إلى العراق، ثم عاد يطرح العقائد الاعتزالية التي تلقاها عن أئمة الاعتزال بالمشرق أمثال:بشر المريسي و أبي الهذيل و غيرهما، عبر التأليف، حيث كان قد ألف عدة مؤلفات في الجانب العقدي على طريقة المعتزلة مثل:" أعلام النبوة"، و عدة كتب في " خلق القرآن"، وقد تميز الرجل بقدرة فائقة على الجدل و المناظرة، و بخاصة فيما يتعلق بالقرآن، و قام يحي بن عون سليمان بن عصفور بنفس الدور الذي قام به بشر المريسي في المشرق،حيث نشر البدعة في كل مدينة من مدن المغرب و كل زاوية من زواياه، و أصبح هو شيخ المعتزلة بالقيروان،و هناك فقيه آخر، هو عبد الله بن الأشج رحل إلى العراق ثم عاد إلى القيروان، ليساهم في نشر الفكر الاعتزالي، و كان من أهل المناظرة و الجدل ، و عند عودته سأل: فيم يتكلم أهل لقيروان؟ فقيل له: في الأسماء و الصفات. فقال: إنما تركت الناس في العراق يتكلمون في مسألتين: مسألة القدر، و مسألة الوعد و الوعيد.

و لقد تأثر كثير من رجال المغرب بالآراء الاعتزالية، و تمذهبوا بمذهبهم، من بينهم ابن أبي الجواد ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب، و كان مذهبه مذهبهم، و كذلك الحال لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء الذي كان من أعلام رجالهم، و كان يذهب بخلق القرآن و يناظر فيه المناظرة الشديدة، و من أكثر رجالهم تصرفا في علم الكلام و الجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر الذي كان يقول بخلق القرآن و يناظر فيه،و رجل آخر يدعى محمد الكلاعي، كان أيضا من أهل المناظرة و الجدل على مذهب المعتزلة.و منهم أيضا محمد المعروف بالمسحي الذي كان مقصد المعتزلة لتقدمه في المناظرة بخلق القرآن، و رجل يدعى ابن أبي روح و يلقب بالبغلة الذي كان معنيا بالجدل في الأسماء و الصفات، و منهم عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى(ت 261هـ/875م)، الذي كان يذهب بالقول أن الأرواح تموت، و كان ينسب إلى القدر.[1]

و منهم محمد بن الأسود الصديني الذي كان على مذهب المعتزلة، و تبوأ منصب القضاء في الدولة الأغلبية على عهد زيادة الله الثاني بن الأغلب ، و قد عسف و ظلم العامة، وصفه القاضي عياض بأنه:" كان خبيثا معتزليا"، و قد عزله و عين في مكانه حماس بن مروان، حيث

[1] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص198.

كتب إليهم:" إني قد عزلت عنكم الجافي المبتدع، ووليت حماس بن مروان لرأفته و رحمته و طهارته و علمه بالكتاب و السنة."[1]

و منهم عبد الله بن مسرة(ت 286هـ/899م) فقد كان متأثرا بالاعتزال، و من رجالهم أيضا رجل يدعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلى الله (ت369هـ/979م) كان بصيرا بالحجاج، و كان ينسب إلى الاعتزال.[2]

1-5- المرجئة:

1-5-1- التعريف بالمرجئة:

لغة:

كلمة المرجئة اسم فاعل من الإرجاء ، ويطلق على معان كثيرة منها:الأمل و الخوف و التأخير و إعطاء الرجاء قال تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[3]، أي لكم أمل في الله لا يوجد عندهم، و قال تعالى:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[4]، أي مالكم لا تخافون من عذاب الله تعالى؟ أما الإرجاء بمعنى التأخير فمثل قوله تعالى:﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَ أَخَاهُ ﴾[5] ،قرئ أرجه و أرجئه أي أخرهن و قال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾[6]، و قرئ مرجئون، ويقال هذا رجل مرجئ، و هم مرجئة، و إن شئت قلت مرج و هم مرجية، و قيل: إنما قيل لهذه العصابة المرجئة؛لأنهم قدموا القول و أرجئوا العمل؛ أي أخروه.[7]

بينما ذهب الشهرستاني في تعريفهم بقوله:" الإرجاء على معنيين أحدهما: التأخير، قال تعالى:﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَ أَخَاهُ ﴾ أي أمهله و أخره، و الثاني إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على

[1] – القاضي أبو الفضل عياض: تراجم أغلبية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض)، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968،ص344.

[2] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص199.

[3] – سورة: النساء، الآية:103.

[4] – سورة: نوح ، الآية:13.

[5] – سورة: الأعراف ، الآية:110؛ سورة:الشعراء ، الآية:35.

[6] – سورة: التوبة، الآية:107.

[7] – الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص197، عواجي :فرق معاصرة،ص1071.

الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية و العقد، و أما بالمعنى الثاني فظاهر، لأنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة."[1]

اصطلاحا:

الإرجاء في الاصطلاح مأخوذ من معناه اللغوي؛ أي بمعنى التأخير و الإمهال، و هو إرجاء العمل عن درجة الإيمان، و جعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان لا أنه جزء منه، و أن الإيمان يتناول الأعمال على سبيل المجاز، بينما هو حقيقة في مجرد التصديق، كما أنه قد يطلق على أولئك الذين كانوا يقولون: **لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع من الكفر طاعة.**

و يقول الأشعري :" و إنما سمو مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، و الإرجاء بمعنى التأخير، يقال:أرجيته، و أرجأته، إذا أخرته."

كما ذهب آخرون في تعريف الإرجاء إلى أنه يراد به تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه في الدنيا بحكم ما.[2]

و قد سميت هذه الطائفة بالمرجئة،من الإرجاء و هو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث، كما يتحرجون من إدانة أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها، يقول عضد الدين الإيجي:" المرجئة، لقبوا به لاتهم يرجئون العمل عن النية أو لأنهم يقولون: لا يضر الإيمان معصية، فهم يعطلون الرجاء." [3]

بينما يذهب الشهرستاني في تعريفهم فيقول:" و قيل الإرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار...و قيل الإرجاء تأخير علي –عليه السلام– عن الدرجة الأولى إلى الرابعة..."[4]

---

[1] – الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص 137.

[2] – الأشعري :مقالات الإسلاميين، ص 197 ؛أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص12؛ عواجي: فرق معاصرة،ص1082،1083.

[3] – الإيجي: المواقف في علم الكلام ،ص427.

[4] – الأشعري :مقالات الإسلاميين، ص 197 ؛ الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص 137 .

1-5-2- نشأة المرجئة في المشرق الإسلامي:

لقد ذكرنا سابقا أن عملية التحكيم قد شكلت خيبة أمل كبيرة في صفوف أتباع علي رضي الله عنه، و أبرزت لنا ثلاث طوائف تبنت مواقف متباينة، طائفة كفرت عليا رضي الله عنه، لأنه قبل بالتحكيم، و خرجت عن صفوفه و سميت بذلك بالخوارج، و طائفة ظلت متشبثة بموقفها السياسي الداعم لعلي رضي الله عنه، و التشيع له دون قيد و هي التي عرفت بالشيعة، أما الطائفة الثالثة فإنها التزمت الحياد السياسي، و لم تساند لا عليا رضي الله عنه و لا معاوية، و لم تحارب أي أحد منهما، وهي التي أطلق عليها طائفة المرجئة.

يرى أبو زهرة في ظهور:" هذه الفرقة نشأت في وسط شاع فيه الكلام من مرتكب الكبيرة: أهو مؤمن أم غير مؤمن؟ فالخوارج قالوا كافر، و المعتزلة قالوا غير مؤمن، و قد سمي مسلما، و الحسن البصري و طائفة من التابعين قالوا: أنه منافق، لأن الأعمال دليل على القلوب، و ليس اللسان دليلا على الإيمان، و قال الجمهور من المسلمين: هو مؤمن عاص أمره بيد الله إن شاء عذبه، و إن شاء عفا عنه. و في وسط هذا الاختلاف جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. و من المنتمين إليهم من قال أن أمر مرتكب الكبيرة يرجأ إلى الله يوم القيامة "[1]

و لقد احتدم النزاع بين أهل السنة و الخوارج و المعتزلة من جانب، و بين المرجئة من جانب آخر في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فقالت الخوارج أن مرتكب الذنب مخلد في النار، و المعتزلة تراه في منزلة بين المنزلتين في الدنيا و في الآخرة مصيره النار،فإذا بالمرجئة توسع المجال، فزعمت أنه مؤمن كامل الإيمان لم يتأثر إيمانه بالكبيرة مطلقا؛ لأنه مصدق بقلبه فلا مجال لأن يتأثر إيمانه؛ لأن الإيمان عندهم- على هذا المفهوم- لا يزيد و لا ينقص بل يبقى إيمانه كاملا إذا كان التصديق موجودا في قلبه. و في الحقيقة أن مذهب المرجئة تطور على هذا المفهوم حتى صار أوسع المذاهب و أكثرها تساهلا.[2]

[1] - أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية،ص 113؛ معلومي: المرجع السابق، ص39.

[2] - عواجي: فرق معاصرة،ص1080.

و في هذا الصدد يقول أبو زهرة:"...وفي ظل هذه الأقوال غير السليمة وجد المتعقبين لهذا المذهب من يستهين بحقائق الإيمان و أعمال الطاعات، و منهم من يستهين بالفضائل، و اتخذه مذهبا له كل مفسد مستهتر، حتى لقد ذكر فيه المفسدون، و اتخذوه ذريعة لمآثمهم، و منهلا لمفاسدهم، حيث صادف هذا المذهب هوى أكثر المفسدين."[1]، و يذكر أن أبو الحسن بن محمد – المعروف بن الحنفية– هو أول من ذكر الإرجاء – مرجئة السنة– في المدينة بخصوص علي و عثمان و طلحة و الزبير رضي الله عنهم، حينما خاض الناس فيهم و هو ساكت ثم قال: قد سمعت مقالتكم و لم أر شيئا أمثل من أن يرجأ علي و عثمان و طلحة و الزبير رضي الله عنهم، فلا يتولوا لا يتبرأ منهم، و لكنه ندم بعد ذلك على هذا القول و تمنى أنه مات قبل أن يقوله، فصار كلامه بعد ذلك طريقا لنشأة القول بالإرجاء، و لم يلتفت الذين تبنوا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك.[2]

1–5–3– مبادئ و أسس مذهب المرجئة:

إن الأساس الذي قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان و مم يتألف، و هل الإيمان فعل القلب فقط أو فعل اللسان، أو هو فعل القلب و اللسان معا؟ إلا أن أكثر فرق المرجئة اتفقت على أن الإيمان هو مجرد ما في القلب و لا يضر مع ذلك أن يظهر من عمله ما ظهر، حتى و إن كان كفر و زندقة، و هذا مذهب جهم بن صفوان، و لا عبرة عنده بالإقرار باللسان و لا بالأعمال أيضا؛ لأنها ليست جزاءا من حقيقة الإيمان.[3]

حيث أن ارتكاب المحظورات و ترك الفرائض هو من جنس الأعمال لا الاعتقادات، فاتفقت سائر فرقهم على إخراج الأعمال من مسمى الإيمان حتى يسلم لهم الأصل المذكور، فيظل تارك الفريضة أو مرتكب المحرم مؤمنا، بل لم يتورع بعضهم عن التصريح بمساواة إيمانه بإيمان الملائكة و النبيين بناء على هذا الأصل.[4]

---

[1] – أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص 115، 116.

[2] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص404؛ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي،ط1، دار الكلمة للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية،1999،ص244؛ عواجي: فرق معاصرة،ص1071.

[3] – عواجي: فرق معاصرة،ص1076.

[4] – سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء،ص244.

و يظهر أن المرجئة قد أخذوا مسألة العمل بنوع من الهزل ،يقول الإمام أبو زهرة:" ... و يظهر من هذا أنهم تجاوزوا الحد في الاستهانة بالعمل، من حيث اتصاله بأصل الإيمان، و من حيث أثره في دخول الجنة إن كان صالحا و دخول النار إن كان غير صالح..."[1]

و قد اختلفت فرق المرجئة في محل الإيمان فمنهم من يقول أن محله القلب، و منهم من يضيف إليه إقرار اللسان، و الذين قالوا محله القلب اختلفوا في التسمية، فقال بعضهم: هو المعرفة، و قال آخرون: هو التصديق،[2] فقد ذهبت الكرامية منهم إلى أن الإيمان هو القول باللسان، و لا يضر مع ذلك أن يبطن أي معتقد حتى و إن كان الكفر، و ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب و الإقرار باللسان، لا يغني أحدهما عن الآخر،أي فمن صدق بقلبه و أعلن التكذيب بلسانه لا يسمى مؤمنا.[3]

يلاحظ من خلال هذه النصوص أن المرجئة بالغوا في إثبات الوعد عكس الخوارج و المعتزلة المبالغين في إثبات الوعيد،و كانوا يرجون المغفرة و الثواب لأهل المعاصي، و يرجئون حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة، فلا يحكمون عليهم بكفر، و لا فسق، يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب و اللسان، و أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. و من هنا تحولت المرجئة إلى فرقة سياسية متطرفة، و ظهرت على الساحة كثالث حزب معارض بعد الشيعة و الخوارج.

1-5-3- فرق المرجئة:

يقول البغدادي:" و المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان و بالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة: كغيلان، و أبي شمر ، و محمد بن شبيب البصري، و هؤلاء داخلون في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية، و المرجئة يستحقون اللعنة من وجهين. وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان، و بالجبر في الأعمال، على مذهب جهم بن صفوان، فهم إذا من جملة الجهمية.و الصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية و القدرية، و هم فيما بينهم خمس فرق: اليونيسية، و الغسانية، و الثوبانية، و التومنية، و المريسية." و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] – أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص 115.

[2] – سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء،ص274.

[3] – عواجي: فرق معاصرة،ص1076.

أنه قال:" لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا"، قيل: من المرجئة يا رسول الله؟ قال:" الذين يقولون الإيمان كلام"، يعني الذين زعموا أن الإيمان هو الإقرار وحده دون غيره.[1]

و الفرق الخمس التي ذكرناها من المرجئة تضلل كل فرقة منها أختها و يضللها سائر الفرق،و سنذكرها على التفصيل إن شاء الله عز وجل.

اليونسية: هؤلاء أتباع يونس بن عون الذي زعم أن الإيمان في القلب و اللسان، و أنه هو المعرفة بالله تعالى، و المحبة و الخضوع له بالقلب، و الإقرار باللسان انه واحد قال تعالى:﴿ ليس كمثله شيء﴾[2]، ما لم تقم حجة الرسل عليهم السلام، فإن قامت عليهم حجتهم لزمهم التصديق لهم، و معرفة ما جاء من عندهم في الجملة من الإيمان، و ليست معرفة تفصيل ما جاء من عندهم إيمانا و لا من جملته. و زعم هؤلاء أن كل خصلة من خصال الإيمان ليست بإيمان، و مجموعها إيمان.[3]

الغسانية: هؤلاء أتباع غسان المرجئ الذي زعم أن الإيمان هو الإقرار أو المحبة لله تعالى و تعظيمه و ترك الاستكبار عليه، و قال:" إنه يزيد ولا ينقص"، و فارق اليونسية بأن سمى كل خصلة من الإيمان بعض الإيمان، و زعم غسان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة فيه، و هذا غلط منه عليه؛ لأن أبا حنيفة قال:" إن الإيمان هو المعرفة و الإقرار بالله تعالى و برسله و بما جاء من الله تعالى و رسله الجملة دون التفصيل، و إنه لا يزيد و لا ينقص، و لا يتفاضل الناس فيه"، و غسان قد قال بأنه يزيد و لا ينقص.[4]

التومنية: هؤلاء أتباع أبي معاذ التومني الذي زعم أن الإيمان ما عصم من الكفر و هو اسم لخصال من تركها أو ترك خصلة منها كفر، و مجموع تلك الخصال إيمان، و لا يقال للخصلة منها إيمان و لا بعض إيمان.

---

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق،ص 178؛ معلومي: المرجع السابق،ص40.

[2] – سورة: الشورى، الآية:09.

[3] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص405؛الإيجي: المواقف في علم الكلام ،ص427؛ الأشعري :مقالات الإسلاميين، ص198؛ البغدادي: الفرق بين الفرق،ص 178

[4] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص405؛الإيجي: المواقف في علم الكلام ،ص427؛ البغدادي: الفرق بين الفرق،ص 179.

و قال:" كل ما لم تجتمع الأمة على كفره بتركه من الفرائض، فهو شرع الإيمان و ليس بإيمان". و زعم أن تارك الفريضة التي ليست بإيمان يقال له: فسق، و لا يقال له فاسق على الإطلاق إذا لم يتركها جاحد. كما زعم أيضا أن من لطم نبيا أو قتله كفر، لا من أجل لطمه و قتله، لكن من أجل عداوته و بغضه له و استخفافه بحقه.[1]

الثوبانية: هؤلاء أتباع أبي ثوبان المرجئ الذي زعم أن الإيمان هو الإقرار و المعرفة بالله و برسله و بكل ما يجب في العقل فعله، و ما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المعرفة به من الإيمان و فارقوا اليونسية و الغسانية بإيجادهم في العقل شيئا قبل ورود الشرع بوجوبه.[2]

المريسية: هؤلاء مرجئة بغداد من أتباع بشر المريسي. و كان في الفقه على رأي أبي يوسف القاضي غير أنه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف و ضللته الصفاتية في ذلك.و لما وافق الصفاتية في القول بأن الله تعالى خالق أكساب العباد و في أن الاستطاعة مع الفعل، أكفرته المعتزلة في ذلك، فصار مهجور الصفاتية و المعتزلة معا.و كان يقول في الإيمان:" إنه هو التصديق بالقلب و اللسان جميعا"، كما قال ابن الراوندي في أن الكفر هو الجحد و الإنكار، و زعما أن السجود للصنم ليس بكفر، و لكن دلالة على الكفر.[3]

يقول الإمام الأشعري:"...ثم اعلم أن المرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج، و مرجئة القدرية، و مرجئة الجبرية، و المرجئة الخالصة، و الكلام هنا في الأخيرة"

و قد قسمها الإمام الأشعري إلى اثنتي عشرة فرقة من حيث اختلافها في مسألة الإيمان فيقول:"... اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو، و هم اثنتا عشرة فرقة..."[4]

و لقد قسم بعض العلماء المرجئة إلى قسمين : مرجئة السنة، و هم الذين قرروا أن مرتكب الذنب يعذب بمقدار ما أذنب و لا يخلد في النار،و قد يعفو الله عنه و يتغمده برحمته، فلا يعذب في

---

[1] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج3،ص405؛ الإيجي: المواقف في علم الكلام ،ص428؛ الأشعري :مقالات الإسلاميين، ص204؛ البغدادي: الفرق بين الفرق،ص 179.

[2] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج3،ص405؛ الإيجي: المواقف في علم الكلام ،ص427؛ الأشعري :مقالات الإسلاميين، ص199؛ البغدادي: الفرق بين الفرق،ص 180.

[3] – الإيجي: المواقف في علم الكلام ،ص427 ؛ البغدادي: الفرق بين الفرق،ص 180.

[4] – الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 195.

أصلا، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم، و في هذا القسم يدخل الفقهاء و المحدثين، و القسم الثاني مرجئة البدعة و هؤلاء هم الذين اختصوا باسم الإرجاء عند الأكثرين، و هم يستحقون مقالة السوء من الجميع.[1]

بينما يذهب النوبختي في تقسيم المرجئة إلى أربع فرق فيقول: "... و افترقت المرجئة بعد ذلك فصارت على أربع فرق:فرقة منهم غلوا في القول و هم الجهمية أصحاب جهم بن صفوان و هم مرجئة أهل خراسان، و فرقة منهم الغيلانية أصحاب غيلان بن مروان و هم مرجئة أهل الشام، و فرقة منهم الماصرية أصحاب عمر بن قيس الماصر و هم أهل العراق، و فرقة منهم يسمون الشكاك ."، و يقول أيضا:" ...و قال الفضل الرقاشي و أبو شمر و غيلان بن مروان و جهم بن صفوان و من قال بقولهم من المرجئة أن الإمامة يستحقها كل من قام بها إذا كان عالما بالكتاب و السنة و إنه لا يثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها."[2]

1-5-4- دخول و انتشار مذهب المرجئة في بلاد المغرب الإسلامي:

إن الدارس لتاريخ المذاهب العقدية بالمغرب يستطيع أن يلاحظ عدم ذكر لمذهب الإرجاء و لا فرقهم، حيث لم يكن للفكر الإرجائي رواج بالمغرب،كما هو شأن الفكر الاعتزالي أو الشيعي أو الخارجي، و لعل ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة هذا المذهب الحياد، و إلى طبيعة أصحابه الخاملين عن الدعوة لمذهبهم.و تشير المصادر المغربية إلى أنه لم يعرف بالإرجاء في المغرب إلا رجل واحد يدعى معمر بن منصور.[3]

---

[1] – أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص117.

[2] – النوبختي: فرق الشيعة،ص:6،7، 9.

[3] – ورد اسم معمر بن منصور في طبقات الخشني على أنه كان له سماع من أبي فروخ و من أسد بن الفرات، و كان أصح أصحاب أسد سماعا من أسد، و كان سحنون يوجه بالعشرة دنانير و نحوها صلة، و هو قريب من أسد بن الفرات في المولد، ثم يستدرك بقوله:" سمعت ذكر معمر سماعا مستفيضا، و لكن على ضد هذه الصفة التي ذكر أبو العرب في كتابه :فلست أدري إن كان الذي سمعت ذكره هو ابن مناور أو غيره، سمعت بعض الفقهاء يحكي عن عبد الله بن أحمد طالب قال:"أتاني معمر فشكا أن زوجته نفست و ليس معه ما يقيم لهاو يصلحها، فأعطيته أربعين مثقالا لنفسه و عشرة مثاقيل أرسلت بها إلى النفساء خاصة، قال ابن طالب: فلقد بلغني بعد هذا أن يوم عزلي عن القضاء كان في داره شبيه بالعرس فرحا، ثم قال ابن طالب: و معذور غير ملوم ، و كيف لا يكون هذا و نحن نلعنهم على المنابر"، قال الخشني: سألت ولد دحمان بن معافى أن يبيح لي تصفح كتب أبيه ففعل، فرأيت فيها، فقال دحمان: سمعت حمديس القطان يقول: سمعت ابن الزعواني يسأل معمرا فقال

و ليس غريبا كما تذكر المصادر أن يتبنى هذا الرجل مذهب الإرجاء لما كان عليه من سوء الطوية و الأخلاق، فقد كان ألف تأليفا في تحليل النبيذ، و كان يذهب إلى تقديم علي و تفضيله على أبي بكر و عمر رضي الله عنهم جميعا، و يصرح بسب معاوية و عمرو ابن العاص و يصرح بالإرجاء.

و لذلك تناوله علماء المغرب الذين ترجموا له بشدة ووصفوه بما هو أهله، كما فعل أبو العرب حيث قال:" لعنة الله عليه و على شيعته و متبعيه"[1]، و يقول فيه عبد العزيز المجدوب:" و ليس غريبا أن يذهب شخصا مثله هذا المذهب و هو الماجن العربيد، المضطرب المتقلب، يعلن التشيع و لا يتورع من لعن الصحابة، و لقد ظهر الإرجاء بظهوره و زال بزواله."[2]

و مما لا شك فيه أن العهد الأموي قد تميز بانتشار نزعة الإرجاء لأسباب سياسية تخدمه، و من المرجح أن معمر بن منصور و من كان معه في لم يجدوا صعوبة في ترويج الأحاديث الإرجائية ببلاد المغرب، نتيجة لقلة دراية أهل المنطقة بخصائص هذا الفكر، إلا أنه مع بروز علماء المالكية تم التصدي لهذه النزعة، و رغم الخمول الذي أصاب الإرجاء ببلاد المغرب إلا أنه تواصل لا على شكل فرقة بذاتها بل على شكل مجموعة من المبادئ، ساهم فقهاء الحنفية في بلورتها.[3]

و لقد برزت مقاومة علماء السنة المغاربة لكل من ينحرف عن المنهج، و منهم المرجئة التي و إن لم يكن لهم وجود بالمغرب، و لم يكن له دعاة يحملونه و يدعون إليه و بالرغم من ذلك، فقد وقعت

=له : تقول بإمامة علي؟ قال: نعم،قال حمديس: يريد تقديمه على أبي بكر الصديق و عمر، قال: تقول بالإرجاء؟ قال: نعم، فكأن الخشني بإيراده لهذه الروايات يريد أن يفرق بين رجلين يحملان نفس الاسم، فالأول محدث سمع من الكبار، و أما الثاني فهو رجل مبتدع. "، ينظر: أبو العرب: طبقات علماء افريقية، ص-ص:112-114؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 281.

[1] – أبو العرب، طبقات علماء افريقية،ص114 ؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 281، 282.

[2] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص 171.

[3] – نوار نسيم: المرجع السابق،ص 37، 38.

حادثة يحي بن سلام[1](ت 200هـ/815م) الذي كان من كبار علماء السنة و خيارهم، و الذي قامت ضده ضجة عنيفة بسبب شبهة الإرجاء التي حامت حوله، و قاطعه طلبة العلم و جرح و طعن في روايته،لكن الله برأ ساحته من هذه التهمة و ظهر أن رميه بالإرجاء كان خطأ، و كم كانت دهشته كبيرة عندما سأله رجل قائلا:" يا أبا زكرياء، إنهم يقولون:" إنك تقول بالإرجاء"، فضرب يده على جدار القبلة و قال:" و رب القبلة ما عبدت الله على شيءمن الإرجاء قط، كيف و قد حدثتكم أنه بدعة" ، و تروى هذه القصة بطريقة أخرى كما يوردها المالكي في قوله :" عن أبي القاسم السدري أنه كتب إلى عيسى بن مسكين يقول:" حدثني عون بن يوسف قال: قلت ليحي بن سلام: إن الناس يرمونك بالإرجاء"، قال عون:" فاخذ لحيته بين يديه و قال:" أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دنت الله عز وجل قط بالإرجاء" ،فقيل لعيسى:" فما تقول أنت فيه؟" فقال:" و الله إنه لخير منا، و قد برأه الله مما يقولون". و في موضع آخر: كيف و قد حدثتكم أنه بدعة؟ [2]

و أصل هذه التهمة يرجع إلى تقصير الشيخ أبي معاوية الصمادحي في نقل الرواية عنه، و ذلك " أنه سأله قائلا:"يا أبي زكرياء ما أدركت الناس يقولون في الإيمان؟"، فقال له:" أدركت مالكا و سفيان الثوري يقولون: الإيمان قول و عمل و أدركت مالك بن مغول وفطر بن خليفة و عمر بن ذر يقولون :" الإيمان قول"،فأخبر أبا معاوية الإمام سحنون ابن سعيد بما ذكر يحي بن سلام عن عمر بن ذر و فطر بن خليفة و مالك بن مغول من قولهم في الإيمان، و لم يذكر لهما نقل عن غيرهم كمالك و سفيان الثوري، فما كان من الإمام سحنون عندما ذكر له ذلك إلا أن رماه بالإرجاء لظنه أنه ما دام نقل هذا القول وحده و أعرض عن غيره،مع أن هناك قولا آخر و هو قول أهل السنة، ما دام الأمر كذلك فإنه يتبنى هذا القول و يذهب إليه فقال:" هذا رجل

---

[1] – ينظر ترجمته في: أبو العرب محمد بن أحمد تميم التميمي: طبقات علماء إفريقية، ص-ص، 37-39، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس، تحقيق :بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي،ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص-ص، 188-192.

[2] – المالكي: رياض النفوس،ج1،ص190.

مرجئ."[1]، و لما سئل أحد أمراء بني الأغلب الإمام سحنون عن رأيه في يزيد و معاوية، قال: لا أقول ما قالت به الإباضية، و لا ما قالت به المرجئة، من أن الذنوب لا تضر مع التوحيد، اقترف يزيد شيئا عظيما، و جسيما و الله يفعل ما يريد في خلقه[2]. و لكن رغم نبذ فقهاء المالكية الصريح للإرجاء و مواقفهم المناهضة له، فقد دخلت إحدى مسائله إلى إفريقية– أدخلها أبا الحكم الزيات عندما رجع من العراق أتى ببدعة " أنا مؤمن إن شاء الله" و ألقاها في القيروان–، و هي مسالة:" الاستثناء في الإيمان"، و يبدوا أن هذه المسألة قد التبست عليهم، لذا فقد ثار جدال واسع بينهم حولها، خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين/التاسع و العاشر الميلاديين، فقد كان ابن عبدوس يقول أنا مؤمن، إلا أنني لا أقطع لنفسي عند الله بذلك، لأنني لا أعرف بما يختم لي، و عارضه في ذلك محمد بن سحنون[3]، الذي كان يقول:" أنا مؤمن عند الله"، و صار لكل واحد منهما أتباعا و أنصارا في هذه المسألة، و انقسم أصحابهما إلى فريقين، و هما:

- المحمدية أو السحنونية.
- الشكوكية أو العبدوسية.[4]

---

[1] – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص 271، 272؛إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص283، 284.

[2] – القاضي عياض: تراجم أغلبية،ص181.

[3] – ينظر ترجمته في :المالكي: رياض النفوس،ج1،ص–ص، 443-461.

[4] – المالكي:رياض النفوس،ج1،ص461؛ القاضي عياض: تراجم أغلبية،ص184، عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص 173، 174.

2- المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري:

إذا كانت منطقة المغرب الإسلامي تشكل إحدى حواضر دولة الإسلام، فإنه من الطبيعي أن تدخلها مختلف المذاهب الفقهية[1] التي انتشرت في كافة أرجاء هذه الدولة الواسعة، و ذلك تحت تأثير الرحلات التجارية و العلمية في إطار التواصل الحضاري و الثقافي، لذلك يصح لنا القول:إن المغرب الإسلامي قد دخلته المذاهب المختلفة مثل المالكية و الظاهرية و الشافعية و الحنفية و الحنبلية و الشيعية و غيرها كثير.

2-1- المذهب الثوري:

ينسب إلى الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق و يكنى أبا عبد الله و جده ثور بن عبد مناة (97-151هـ/715-768م)كان إماما في علم الحديث و أحد الأئمة المجتهدين[2]، و يعتبر مذهبه من أسبق هذه المذاهب دخولا إلى المغرب، و ذلك في أعقاب سقوط الدولة الأموية و قيام الدولة العباسية، و قد ظهرت بعض أرائه و تعاليم مذهبه في افريقية على يد بعض الفقهاء[3]منهم البهلول بن راشد و أبو الحسن علي بن زياد (183هـ/799م) من أهل تونس و هما أول من أدخلا جامع سفيان الثوري إلى بلاد المغرب، كما نقله عنه آخرون[4]،كما ظهر بالمغرب الأقصى قبل قيام دولة الأدارسة، و من أعلامه هناك القاضي عمر بن محمد بن سعيد القيسي، و يبدوا أن المذهب الثوري ظل منحصرا في الحواضر و لم تعرفه إلا الخاصة الشيء الذي جعله يزول بزوال نشاطها الثقافي في تلك الحواضر و هكذا لم يترك أثرا ببلاد المغرب.[5]

---

[1] - ينظر خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، الملحق رقم:01،ص362.

[2] - الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج7،ص:229-279.

[3] - أبو العرب: طبقات علماء افريقية،ص 251؛ المالكي: رياض النفوس، ج1،ص234.

[4] - أبو العرب:طبقات علماء افريقية،ص251؛ المالكي:رياض النفوس، ج1،ص 234؛القاضي عياض: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة رجال مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ج1،دار مكتبة الحياة، بيروت1967،ص326؛ إسماعيل سامعي:دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إل الخامس الهجري(2-5هـ/8-11م)، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر،2006، ص28

[5] - المرجع نفسه:ص29.

2-2- مذهب الأوزاعي:

ينسب إلى الإمام أبي عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي (88-157هـ/706-773م)[1] الذي انتشر مذهبه في المغرب الإسلامي لا سيما الأندلس، و يجمع جمهور العلماء على أنه أول مذهب عرفته الأندلس منذ فتحها، هو مذهب الإمام الأوزاعي ، و برز في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) و واليه علي أبا الخطار حسام ابن ضرار الكلبي، يقول المقري:" .... و أعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي و أهل الشام منذ أول الفتح "[2]،كما يرجع الفضل في نشره إلى وجود جاليات من الشام و التي كانت على مذهب الأوزاعي الذي يعد من أنصار مدرسة الحديث . كما ساهم في نشر مذهب الأوزاعي الجند، و المهاجرون الشاميون الذي قام أبو الخطار بتوزيعهم على مناطق مختلفة من الأندلس، و كذا رجال الحكم، و من العلماء الذين مكنوا لمذهب الأوزاعي بالأندلس أسد بن عبد الرحمن السبائي.[3] و يبدوا أن جهود المالكية في استقطاب أعلام الأوزاعية قد حققت قدرا من النجاح،بحيث ترك بعض علماء الأوزاعية مذهبهم و دخلوا في دائرة المالكية. على غرار ما فعل الفقيه عبد الملك بن الحسن المعروف بزُونَان(ت 232هـ/846م) ، إن قلة رجال المذهب من علماء و مجتهدين و هذا ما أدى إلى ضعفه،و لم يستطع تكوين مدرسة تصونه و تضمن استمراره[4]، لذلك ما إن تبنى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (172-180هـ/ 789-796م) مذهب مالك و اعتقده الناس هناك حتى أخذ المذهب الأوزاعي في الاختفاء من الأندلس و المغرب في نهاية القرن الثاني و مع بداية القرن الثالث الهجري/ الثامن و التاسع الميلادي. و رغم بقاء بعض أتباعه حتى القرن 4هـ/10م إلا

[1] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7،ص- ص:107-134.

[2] – أحمد بن محمد المقري:نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، ج3 ،ط1،مطبعة السعادة:مصر، ،1949م، ص230؛ ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض مراكش، العدد:15، 2000،ص 72.

[3] – ابن عذاري: البيان المغرب، ج2،ص 33؛ عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،تحقيق إبراهيم الأبياري، ج1 ،ط2،دار الكتاب المصري (مصر) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، 1989،ص 354- 358

[4] – ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ج1،ص 312؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق، ص 23.

إن المذهب الأوزاعي تضائل نفوذه بشكل كبير، إلى درجة أنه لا يعرف مصدر تطرق لطبقات الأوزاعية في الاندلس و المغرب مما يدل على انكماشه السريع نتيجة إزاحته من قبل المذهب المالكي[1] .

2-3- المذهب الحنفي[2]:

ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفارسي(80-150هـ/699-767م)[3] أحد أقطاب الفقه وأحد عباقرة التشريع الإسلامي، تأثرت أفكاره و آرائه التشريعية و الاجتهادية ببعض النظريات الفلسفية، و يظهر ذلك في آرائه الحرة الجريئة و إمعانه في الاعتماد على العقل[4]، أما عن الأصول التي بني عليها مذهبه هي على الترتيب:الكتاب، و السنة،و أقوال الصحابة رضي الله عنهم، و القياس، و الاستحسان، الإجماع، و العرف[5]، و قد عرف أبو حنيفة وأتباعه بـ " أصحاب الرأي" .

انتشر المذهب الحنفي بالعراق، ثم سرعان ما تجاوزها إلى أقطار أخرى. و يعود انتشار المذهب الحنفي في بلاد المغرب إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وقد ظل قائما إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، و لقد ساهمت عدة عوامل في انتقاله و انتشاره منها :

- أن الخلافة العباسية قد تبنت المذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة، لذا فقد انتشر في المناطق التي كان يشملها نفوذ الخلافة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بما في ذلك إفريقية، و ذلك عن

---

[1] - المقري: نفح الطيب، ج2،ص332؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص 23.

[2] - للإطلاع أكثر عن بدايات دخول المذهب الحنفي لبلاد المغرب ينظر دراسة: يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية 90-450هـ،ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1421هـ/2000،ص-ص:311-314.

[3] - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق الوراق ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، ب.ن،1971،ص255؛ ابن خلدون: المقدمة ،ص446؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص 374؛إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص44.

[4] - عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي، ص70.

[5] - حفيظ كعوان: أثر فقهاء المالكية الاجتماعي و الثقافي بإفريقية من ق(2-5هـ/8-11م)، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة،2008/2009،ص109.

طريق القضاة و الجند، و لا سيما رجال الدولة– الأمراء الأغالبة– منهم الذين ولوا الفقهاء الأحناف بعض خطط القضاء و مختلف التشريعات الفقهية.[1]

– انتشر عن طريق البعثات الرسمية في عهد بني الأغلب، حيث كان الأمراء يرسلون كل سنة بعثة لبغداد من أجل تجديد الولاء للخلافة العباسية ،و عند عودتها ترجع محملة بنفائس الكتب الفقهية طبعا وفق المذهب الحنفي المذهب الرسمي للخلافة، كما يصحب هذه البعثة نخبة من العلماء في مختلف العلوم، و هذا ما أسهم في نشر المعارف و العلوم عموما، و الفقه خصوصا، لا سيما الفقه الحنفي.[2]

– الهجرة:فقد كانت بلاد المغرب قبلة لعديد من أهل المشرق من أصحاب المذاهب و العلماء،و الرحالة، و الفنانين، و التجار، الذين كانوا يمارسون بعض الأنشطة، كالتجارة و التعليم و الفتيا، كل هذه الأعمال و النشاطات كانت عاملا مساعدا على انتشار المذهب الحنفي، و آراء أبي حنيفة، و أصحابه الفقهية، كما كان للرحلة دور نشر المذاهب الفقهية، حيث كانت مدن بلاد المشرق مثل: مكة،المدينة، الكوفة، البصرة ، مقصدا لبعض المغاربة من أجل طلب العلم ، أو أداء فريضة الحج، و هذا ما لعب دورا فعالا في انتشار المذهب الحنفي بإفريقية.[3]

– كما كان لكل من ازدهار التجارة و مرور طرقها على بلاد المغرب، و تنقل الناس بين المذاهب المختلفة خلال القرون الثلاثة الأولى الهجرية،و العادات و التقاليد و انتشارها بين سكان بلاد المغرب دور كبير في نشر أفكار و آراء المذهب الحنفي و التمكين له[4]، و من أوائل الأحناف و أبرزهم عبد الله بن المغيرة (عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري)، الذي تتلمذ على أبي حنيفة مباشرة. و كانت آراؤه شبيهة بآرائه من قبل اتصاله به. بل إنه كان صاحب اجتهاد و تأليف قيم في الفقه[5]، و لعل أول من ركز قواعد المذهب الحنفي بإفريقية من بعده هو عبد الله ابن

---

[1] – ابن عذاري: البيان المغرب،ج1،ص 72؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 68.

[2] – ابن عذاري: البيان المغرب،ج1،ص 137؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 68، 69.

[3] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 69، 70.

[4] – القاضي عياض: المدارك،ج2،ص 475؛إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص– ص:68-71 .

[5] – أبو العرب: طبقات علماء افريقية،ص 162، 107؛ المالكي: رياض النفوس،ج1،ص 177؛ القاضي عياض: المدارك،ج1،ص 339؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تحقيق محمد

فروخ الفارسي (115-176هـ/733-792م)، و أسد بن الفرات، و ابن أبي الجواد (ت 236هـ/850م)، و سليمان بن عمران (ت 270هـ/884م)، و هيثم بن سليمان (ت 275هـ/888م) صاحب كتاب" أدب القاضي و القضاء"[1]، كما انتشر المذهب الحنفي في المغرب الأوسط، منه منطقة الزاب و بقى هناك حتى القرن الخامس / الحادي عشر الميلادي و هذا ما يؤكده قول البكري:"... و أهل تهودة على مذهب أهل العراق..."، كما انتشر في الجهة الوسطى و الغربية من المغرب الأوسط و بالذات في مدينة تيهرت الرستمية، غير أنه كان بشكل محدودا، و محصورا في طبقة الخاصة فقط[2]، أما عن انتشاره في المغرب الأقصى فما ورد في المصادر ما هو إلا إشارات توحي بوصوله إلى هذه المنطقة،من بينها قول ابن فرحون:" و دخل منه شيئا ما وراءها – إفريقية- من الغرب بجزيرة الأندلس، و مدينة فاس"؛ و هذا يعني أن المذهب الحنفي انتشر في المغرب الأقصى لأن فاس تعني الدولة العلوية بالمغرب الأقصى.[3]

و ما يمكن استخلاصه هو أن المذهب الحنفي لم يكن واسع الانتشار بالمغرب الإسلامي، و أنه بقى مقصورا على الحواضر الكبرى دون البوادي، و على الخاصة دون العامة، و بقي محصورا في المنطقة الشمالية من المغرب الإسلامي، دون المنطقة الجنوبية منه.

أما عن الأندلس فقد كان انتشاره بها قليلا و نادرا، بل يكاد لا يظهر له أثر خاصة بعد القرار الذي أصدره الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل بإخراج أصحاب أبي حنيفة من الأندلس و انفراد المالكية بها، حيث قال:" لا أحب أن يكون في عملي مذهبان(يعني المالكي و الحنفي)" ، كما تجاهل وجود أبي حنيفة بقوله:" من أبو حنيفة؟"، فقالوا له:" من الكوفة"، فقال:" و مالك"،

=الأحمدي أبو النور، و محمد ماضور، ج1،مكتبة الخانجي (مصر) و المكتبة العتيقة (تونس)،1972، ص 210، 120؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص71؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 59.

[1] – محمد بن الحارث بن أسد الخشني: طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني، بيروت،ب.ت،ص 236، 240، 295

[2] – البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 73؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص62.

[3] – أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،بيروت،1996،ص17؛إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص63، 64.

قالوا:"من المدينة"، قال:" عالم دار الهجرة يكفينا"[1]، و مع هذا فقد ورد ما يؤكد وجود نوعي و محدود للمذهب الحنفي بالأندلس، حيث يذكر بأن الذين كانوا يرحلون إلى المشرق يتصلون هناك برجال المذاهب، و يأخذون عنهم دون تمييز، و نقتطف هذه الأمثلة التي تقول:" أن قاسم بن أنعم (ت 340هـ/951م) الذي رحل إلى المشرق و هو من أهل قرطبة اتصل بالكوفيين و البصريين، و بقاضي القضاة في بغداد وأخذ عنهم جميعا".[2]

و في الأخير يمكن القول أن المذهب الحنفي في الأندلس لم يتمكن من التمركز في البلاد، و أن الأندلس ساد فيها المذهب المالكي بعد أن أزاح مذهب الأوزاعي.

2-4- المذهب المالكي[3]:

ينسب إلى الإمام مالك بن أنس (93-197هـ/712-795م)[4] مؤسس المدرسة المالكية الحجازية و حجة الحديث، و يتلخص مذهبه في الاعتماد على النصوص — من الكتاب و السنة- و استخدام الرأي لاستنباط الأحكام الشرعية منها، و بعبارة أدق: يمتاز بالتزام القرآن و الحديث و الابتعاد عن التأويل و الاقتصاد في القياس ما أمكن[5]، و قد انتقل مذهبه إلى بلاد المغرب و الأندلس في حياته مؤسسه بواسطة تلاميذه، بل أصبح المذهب الرسمي للدولة الإسلامية في الأندلس في سبعينيات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[6]، و هذا بفعل عدة عوامل منها القوة الذاتية التي اكتسبها من خلال اعتماده على النص أو الأثر، و إسهام جند الحجاز ذلك أن معظم جيوش الفتح كانت تتكون من الحجازيين أو الشاميين، و كان هؤلاء يعودون إلى الحجاز و الشام

---

1 – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مطبعة بريل، ليدن،1977،ص237؛سامعي:ص 64، 65؛ ميمون باريش:نشأة المذاهب الفقهية تطورها في الأندلس و المغرب الكبير،ص73.

2 – ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،ج2،ص 611؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص 65، 66.

3 – للاطلاع أكثر على المذهب المالكي: ينظر: يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في لإفريقية،ص-ص: 275- 304؛ الحاج محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ط1، دار ابن حزم، بيروت،2010،ص-ص:59-71.

4–ابن النديم:الفهرست،ص251 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج8،ص 48-135

5 – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص44، 45.

6 – القاضي عياض: المدارك،ح1،ص 80.

لزيارة ذويهم و تأدية فريضة الحج فساعد ذلك على انتقال مذهب إمام مالك ، و كذلك لتشدد المذهب المالكي الذي يتجلى في مناهضته للتأويل المعتمد على العقل و قد انسجم ذلك مع عقلية و طبيعة أهل المغرب[1]،فالمذهب المالكي كان عملي أكثر منه نظري يتماشى مع فطرة المغاربة في بساطتها ووضوحها ،كذلك طبيعة أهل الحجاز التي تشبه طبيعتهم طبيعة أهل المغرب و تغلب عليها البساطة و البعد عن التعقيد يقول ابن خلدون:" ... و أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب ... فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب و الأندلس، و لم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة،و لهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم، و لم يأخذه تنقيح الحضارة و تهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"[2]، و هذا ما جعل عقليتهما – أهل الحجاز و أهل المغرب- تغلب عليها نزعة الحديث، كما كان لإقبال أهل المغرب و الأندلس على الأخذ من علوم المدينة و فقه إمام دار الهجرة مالك دور في انتشار المذهب المالكي و قد فسر ذلك ابن خلدون بقوله:" إن الحجاز كانت منتهى بلاد المغرب و أن العراق لم يكن طريقهم فاقتصروا عن الأخذ من علماء المدينة"[3] ،و منها أيضا النزعة الاستقلالية التي تميز بها سكان المغرب التي أخذت تتحقق بداية من النصف الأول من القرن الثاني الهجري، إذ تبنى السكان مذهب مالك ليقارعوا بها المذاهب الأخرى خصوصا الحنفي مذهب الدولة الرسمي، و ليضيفوا على نزعتهم الاستقلالية الشرعية الدينية، مستغلين في ذلك معارضة مالك للعباسيين في بعض القضايا، منها موقفه من ثورة العلويين في المدينة سنة 145هـ/762م بزعامة محمد النفس الزكية(ت 145هـ/762م)[4]، فقد أفتى أنه ليس على مكره يمين أو طلاق، و هذا يعني أنه من بايع بايع العباسيين مكرها يمكنه الخروج عنهم .و دخل مذهب الإمام مالك المغرب و الأندلس في وقت واحد تقريبا- و إن كان يرجح السبق في الدخول إلى الأندلس كما أشرنا سالفا-[5] و كان

---

[1] – علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة،(ضمن دراسات و بحوث مغربية)،ط1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة،الجزائر،2008،ص:181؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص24.

[2] – ابن خلدون: المقدمة،ص 805.

[3] – المصدر نفسه،ص 449.

[4] – ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج5،ص 147 و ما بعدها، إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص 24.

[5] – إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص 25.

ذلك بفضل جهود جيل من الفقهاء الأوائل[1]، الذين رجعوا إلى أوطانهم ببلاد المغرب الإسلامي، يحملون كتابه الموطأ، و فقه إمام دار الهجرة، حيث شرعوا في إرساء قواعد المالكية و تأسيس مدارس تابعة لها و من هؤلاء علي بن زياد التونسي (ت 183هـ/799م)، و هو أول من ادخل الموطأ إلى بلاد المغرب، و فسر لهم قول الإمام مالك، و كان أستاذا للإمام سحنون ، كما كتب مسائل الفقه و الفتاوى، و قام بتصنيفها و تبويبها و إخراجها على موضوعات الأحكام الفقهية، و منه يتضح أن مذهب الإمام مالك قد عرف طريقة إلى بلاد المغرب في وقت مبكر، أي أنه لم يكن وليد عصر الأغالبة و إنما دخل البلاد قبل قيام دولتهم ،كما قدساهم في نشر و توطيد المذهب المالكي بإفريقية و المغرب كل من عبد الرحمن بن أشرس (ت 170هـ/787م) و البهلول بن راشد (ت 183هـ/799م)،و أبو علي شقران بن علي القيرواني (ت186هـ/ 802م)، و أبو عبد الله محمد بن عبد الله عمر بن غانم الرعيني (ت 196هـ/812م)، ثم حدثت النقلة النوعية للمذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي حيث رحل أسد بن الفرات (ت 213هـ/828م) من افريقية ،و أخذ عن مذهب مالك و كتب فيه عن عبد الرحمن بن القاسم (ت 191هـ/806م) كتابه "الأسدية" ،و صقلاب بن زياد الهمداني(ت191هـ/806م)، و أبو خارجة عنبسة بن خارجة العقاقي (ت 220هـ/824م)، و أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي(ت 229هـ/843م)[2]، و منهم أيضا الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/ 854م) الذي رحل إلى المشرق و حظي بشرف ملازمة تلاميذ الإمام مالك بن أنس الكبار من أمثال : عبد الرحمن بن القاسم و عبد الله بن وهب (ت 197هـ/813م) و أشهب بن عبد

[1] – نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس،2004 ،ص 37؛يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري،ص 40.

[2] – مالك بن أنس الأصبحي: المدونة الكبرى، ج1،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1994،ص104؛ القاضي عياض: تراجم أغلبية،ص22؛ يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري،ص 40؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص25؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص-ص:122- 125؛ محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ص61.

العزيز (ت 204هـ/819م)[1]،و عاد سحنون بن سعيد إلى إفريقية سنة (ت191هـ/ 806م) بزاد علمي كبير فأظهر علم أهل المدينة ببلاد المغرب، و بذلك أصبح من أشهر الفقهاء ليس في افريقية فحسب بل في بلاد المغرب قاطبة حيث جلس للتدريس يسمع تلاميذه الموطأ بمختلف مروياته،كما اهتم بنشر مروياته و كتبه[2] و إسماع كتابه المدونة الكبرى، [3]و ظهر المذهب المالكي في عهده ظهورا كبيرا بإفريقية و المغرب[4]، حيث بفضل سحنون غلب المذهب المالكي في افريقية ، في حين السلطة السياسية بالقيروان كانت أحنفية بالكامل في عهد الأغالبة، واكب ذلك اعتناق السلطة السياسية بالمغرب الأوسط بين الإباضية بتيهرت و الزيدية التي كانت متمركزة خاصة في تلمسان و حمزة، و لعل التواجد الضعيف للنخب المالكية بتيهرت الرستمية جعل أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ/1012م) يعمل على نشر المذهب المالكي بمدن المسيلة[5] و تنس و تلمسان، و هو الأمر الذي مكن بوضع أسس صلبة للمالكية بالمغرب الأوسط، خاصة فترة بناء قلعة بني حماد التي تمثل زمن الاستقرار النهائي للمذهب المالكي، حيث نما هذا المذهب بالمنطقة بمجهودات علماء من أبرزهم أبي حفص الصابوني[6]، و قد تمكن سحنون من تصحيح مرجعية الفقه المالكي، يقول القاضي عياض:" ...و أما إفريقية و ما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها

[1] – مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج1،ص–ص:101–109؛ الخشني:طبقات علماء افريقية،ص–ص:129–132؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4،ص74؛ سعدي أبو حبيب: سحنون مشكاة نور و علم و حق، ط1، دار الفكر،دمشق،1981،ص 25 و ما بعدها ؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص101

[2] – ينظر: جدول أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين ، الملحق رقم:02،ص364–365.

[3] – أبو العرب:طبقات علماء إفريقية،ص102؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص102.

[4] – أبو العرب: طبقات علماء إفريقية،ص 184.

[5] – هي من مدن المغرب الأوسط يرجع تأسيسها إلى أبو القاسم محمد القائم ولي عهد عبد الله المهدي في أوائل القرن العاشر ميلادي،و بالضبط 315هـ/927م حملت اسم المحمدية في بداية تأسيها ثم عرفت باسم المسيلة، ثم للمزيد ينظر : ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص 36؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص72.أحمد أبو عبد الرزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1979م،ص66؛ الصالح مرمول"نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سيرتا ،معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، العدد04 ، 1980، ص29؛ عيسى بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط،ص،ص 74،75.

[6] – علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط –دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي–، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008،ص 132، 133.

في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد و ابن الأشرس، و البهلول بن راشد و بعدهم أسد بن الفرات و غيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس و لم يزل يفشوا إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه، و فض حلق المخالفين، و استقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا"[1]، كما استطاع تشكيل نواة للنخبة المالكية الثانية – الجيل الثاني- في القيروان المشكلة أساسا من طلبته و أصحابه ، هذا الأمر الذي مكن من ترسيخ المذهب المالكي الخالص الذي سيسهل عملية انتصاره فيما بعد،منهم محمد بن سحنون (256/202ه)، و سعيد بن الحداد (219-302ه/834-914م)، و ابن أبي زيد القيرواني (ت 386ه/996م)[2]، و على العموم فقد تمكن أهل السنة و السلف في جيلهم الثاني أن يؤسسوا نسقا عقديا متناغما مع روح مبادئهم السنية، و فقههم المالكي، و لعل المقدمة التي بدا بها ابن أبي زيد القيرواني " رسالته" الشهيرة أوضح نقل يمكن أن يسلط على طبيعة التصور العقدي الذي اعتقده أهل التسليم و التفويض في الغرب الإسلامي، و دافعوا عنه في مجادلاتهم مع خصومهم.[3]

و قد اعتبر تولي سحنون القضاء بتكليف من السلطة الأغلبية عام (234ه/ 849م)، بمثابة حد فاصل في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية، لاستغلال سحنون هذا المنصب في نشر المذهب و ضرب الجماعات المناوئة " لأهل السنة و الجماعة"[4]، و هذا ما يؤكده الونشريسي إذ يعلل انتشار مذهب مالك في المغرب و تمسك أهل هذه البلاد به، بتولي سحنون القضاء، حيث يذكر أنه قام

---

1 – القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4،ص25،26.

2 – الدباغ: معالم الإيمان، ج2،ص98؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص 41؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص-ص: 132-135؛ علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي،ص183.

3 – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص41، 42.

4 – علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي،ص181.

بتفريق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك، و اقتدى به القضاة و أهل الفتوى في معظم أنحاء المغرب، فصاروا يمنعون الإفتاء بغير المذهب المالكي و يؤدبون على ذلك.[1]

و في عهد الدويلات المستقلة عن الخلافة بدا المذهب المالكي أقل حضورا و فاعلية، و مع ذلك فإن فقهاء المالكية لم يتوقفوا في التمكين لمذهبهم من خلال الاستفادة من التسامح المذهبي الذي عرف به بنو رستم الإباضيون حكام تيهرت، و ما أبداه بنو مدرار الصفريون حكام سجلماسة من تحول تدريجي نحو اعتناق الاتجاه السني، و هذا ما سمح بوضع قواعد و أسس صلبة للمالكية بالمغرب الأوسط[2]، في حين أن المذهب المالكي سجل حضورا مبكرا بالمغرب الأقصى الذي انتقل إليه من الأندلس أيام الأدارسة[3]العلويين الذين ليس ثمة ما يدل على أنهم تعاملوا مع التشيع أكثر من كونه شعار سياسيا. في حين أبدوا منذ قيام دولتهم رغبة واضحة في الاختصاص بالمذهب المالكي، فالاعتدال من الناحية المذهبية الذي عرف به الأدارسة مكن من نشر المذهب المالكي بالمغرب الأقصى، ضف إلى ذلك دور الأمويين بالأندلس في توسيع المذهب المالكي بشمال المغرب الأقصى ، و حدث هذا بفعل التقارب بينهم و بين الأدارسة الموجه ضد العباسيين.[4]

كما تعزز و امتد بفضل النخبة العلمية التي قدمت من المشرق على عهد أبي القاسم بن واسول الخارجي الصفري و على رأسهم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الحراوي الفاسي (ت 357هـ/967م) و هو الذي أدخل مدونة سحنون بمدينة فاس و بهما انتشر مذهب مالك هناك، بعدما كان أهله على مذهب أبي حنيفة[5].

[1] – أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي: المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب، إشراف محمد حجي، ج2،نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط) و دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1981، ص169؛ ج12،ص26.

[2] – لخضر بولطيف: الفقيه و السياسة في الغرب الإسلامي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2005،ص31.

[3] – أحمد محمود صبحي:في علم الكلام– دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين– الزيدية ،ج3، ط3،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1991،ص93.

[4] – الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص : 128- 130.

[5] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 28.

كما يبرز لنا ابن حوقل عن وجود جماعة من المالكية في المناطق الجنوبية لبلاد المغرب الأقصى فيقول:"... و أهل السوس فرقتان مختلفتان، مالكيون أهل سنة، و موسويون شيعة...."[1]، كما انتشر المذهب المالكي بالمغرب الأقصى نتيجة جهود الإمام أبا العلاء إدريس بن عبد الله الأكبر، الذي أمر في جميع عمالته بضرورة إتباع مذهب مالك و قراءة كتابه الموطأ، بعد أن حارب مختلف المذاهب التي كان البرابرة قد اعتنقوها.[2]

ولكن الأمر لم يستمر بهذه البساطة و التسامح فقد تعرض المذهب المالكي و رجالاته إلى ابتلاءات و محن، نتيجة تغيير الحكام و الدول، و صارع لقرون عديدة مذاهب الخوارج، و الشيعة ، و المبتدعة، و خرج منها أقوى من أي وقت مضى.

إذ حاول بنو عبيد محو المذهب المالكي بنشر دعوتهم[3]، و إحلال المذهب الكوفي، و نال فقهاء المالكية من ذلك فتنا لا تعد و لا تحصى، و رغم الهزيمة العسكرية للثورة الإباضية في مواجهة أبي عبد الله الشيعي إلا أنها ساهمت في تحول الكثير من التجمعات القبلية نحو المذهب المالكي،حيث أصبحت بلاد المغرب بنهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في معظمها مالكية[4]، حيث جاء الفرج بحدوث القطيعة– سياسية و مذهبية– الزيرية[5] مع العبيديين فيما بعد على عهد المعز بن باديس الصنهاجي (ت 454هـ/1062م)[6]، و هذا ما يؤكده الشيخ محمد بن مخلوف عن السلطان المعز إذ يقول:" و كانت بإفريقية مذاهب الصفرية و الإباضية و النكارية و المعتزلة، و

---

[1] – ابن حوقل: صورة الأرض ،ص90.

[2] – ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير،ص73.

[3] – لم ينج أحد من أذى الإسماعيلية من أهل المذاهب الأخرى، و اعترى المذهب المالكي نوع من الركود نحو نصف قرن حتى كانت مناهضة الرافضية عندما اعتلى المعز بن باديس عرش المملكة 407هـ وكان يميل إلى أهل السنة، فهجم الناس على أهل الشيعة الروافض فقتلوهم و انتهبوا أموالهم و خربوا ديارهم، و ذلك كرد فعل لما قاسوه منهم.ينظر:محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 193.

[4] – علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط، ص133-135.

[5] – عن هذا التحول المذهبي و السياسي ينظر: عبد القادر بوعقادة: التحول المذهبي في العهد الصنهاجي– الحمادي الزيري– الزيري– و أثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافة و التراث، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، السنة التاسعة، العدد الرابع و السبعون، الإمارات العربية المتحدة، 2011،ص:06-16.

[6] – ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3،ص 78.

كانت بها مذاهب أهل السنة مذهب أبي حنيفة النعمان، و مذهب مالك ، فظهر له حمل الناس على التمسك بمذهب مالك، و قطع ما عداه لمادة الخلاف بالمذاهب...".[1]

و أما عن دخول المذهب إلى الأندلس فقد بدأ في الانتشار في وقت مبكر في عصر الدولة الأموية بالأندلس على عهد عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/754-789م) الذي يقول عنه المقري:"...أنه قطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس و سد المذاهب منهم دونها..."[2]، و يفهم من قوله أن الأمويين بالأندلس كانوا يرغبون في الاستقلال سياسيا و مذهبيا عن الخلافة العباسية بالمشرق، و عن عدم انتمائها للدولة العبيدية بالمغرب[3]؛ أي بداية الابتعاد عما تتبناه الخلافة العباسية من المذاهب و العقائد خصوصا المذهب الحنفي، و الشيعي إلى تبني مذهب قوي يقارع المذهب الحنفي مذهب الخلافة الرسمي، و إن كان معتنقوه بالأندلس ظلوا قليلين، و ظهر المذهب المالكي بعد هذا ظهورا كبيرا لا سيما على عهد هشام الرضا(172-180هـ/ 789-822م)، الذي مدحه الأمام مالك بقوله:" وددت أن الله زين موسمنا به"[4]، لكن السلاوي يقول أن هذا المدح كان لعبد الرحمن الداخل و ليس لهشام الذي قال:" لا أحب أن يكون في عملي مذهبان(يعني المالكي و الحنفي)، و عالم دار الهجرة يكفينا"[5]، و الذي يهمنا من قوله، تركيزه على نفاذ رأي الخليفة، و اختياره في تحول الأندلسيين من المذهب الحنفي إلى مذهب الإمام مالك.

و لقد ساهم عدد كبير من العلماء في نشر المذهب المالكي و التمكين له ، و هؤلاء رحلوا للمشرق درسوا على يد الإمام مالك نفسه،أو على أحد تلامذته منهم : الغازي ابن قيس الأندلسي (ت 199هـ/814م) الذي دخل بالموطأ إلى الأندلس،إلا أن زياد بن عبد الرحمن

[1] -محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- التتمة-،المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة،1350هـ،ص129.

[2] - المقري: نفح الطيب، ج1،ص327.

[3] - إبراهيم القادري بوتشيش: نشأة المدرسة المالكية بالمغرب و الأندلس و علاقة القاضي عبد الوهاب البغدادي، الملتقى الأول، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المؤتمر العلمي لدار البحوث، دبي،2004، ص286.

[4] - إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص26.

[5] - أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء،1955،ص61.

الملقب بشبطون (ت 199هـ/814م) كان أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس أما الذين نشروه و مكنوا له نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن شراحيل (ت 197هـ/812م) و قرعوس بن العباس (ت 220هـ/835م)،و أبو محمد عيسى بن دينار القرطبي (ت 212هـ/827م) و يحي بن يحي الليثي(ت 234هـ/849م)، و عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/852م)صاحب كتاب الواضحة.[1]

و منذ نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أخذ المذهب المالكي يسود المغرب و الأندلس حتى أصبحت له السيادة الكاملة خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين لا سيما على عهد الزيريين و المرابطين[2]. وهذا ما يؤكده ألفرد بقوله:"...أن الشمال الإفريقي عاد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) إلى مذهب مالك...".[3]

2-5- المذهب الشافعي:

ينسب إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(150-204هـ/767-819م)[4] الذي أقام مذهبه على الاستفادة من مدرسة الحجاز و العراق معتمدا على القرآن و السنة أما القياس فلا يأخذ به إلا عند الضرورة و منهاجه جلي في الرسالة[5]. التي أبدى فيها الإمام الشافعي قدرة فائقة في مجال تنظيم أصول الفقه[6]، و قد استقر الإمام الشافعي في آخر أيام حياته بمصر الأمر الذي وفر وفر كل الظروف الملائمة لانتشار مذهبه ببلاد المغرب كون مصر تقع على طريق الرحالة المغاربة، و منه ظهر مذهب الشافعي بالمغرب الإسلامي فنافس المذهبين المالكي و الحنفي، إلا أن انتشاره لم يكن على النحو الطبيعي المتوقع له، حيث أن سائر بلاد المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب

[1] – محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ص61؛ ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير،ص 74؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص27.

[2] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص28.

[3] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 114.

[4] – ينظر ترجمته في: ابن النديم: الفهرست،ص:263، 264؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج10،ص5-99؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج1،ص447.

[5] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص29.

[6] – حفيظ كعوان: المرجع السابق،ص115.

الشافعي، بل أكثر من ذلك فالمالكية كانت تبغض[1] الإمام الشافعي ، حيث أنه – حسبهم- أخذ العلم من مالك ثم خالفه[2]، و هذا ما أدى إلى قلة المتأثرين به أو الذين تبنونه كمذهب نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن علي البجلي(ت 314هـ/929م)، و أبو إبراهيم إسحاق بن النعمان (ت 315هـ/927م)، و أبو العباس السندي (ت 320هـ/؛932م)، على أن أبرزهم هو عبد الملك بن محمد الضبي المعروف بابن بردون الذي كان من المناظرين في الفقه و الجدل.

و الجدير بالذكر أن رجالات المذهب الشافعي ببلاد المغرب لم يعتلوا مناصب حساسة في الدولة تساعدهم على نشر مذهبهم و التمكين له، و بهذا لم يتمكنوا من تكوين قاعدة اجتماعية مرموقة[3]، وعلى العكس من هذا وجدت الشافعية بالأندلس مجالا للنشاط الديني و العملي، و هذا من خلال الدخول المبكر لهذه المنطقة،و الذي يعزى إلى جهود بعض الرحالة العلماء نذكر منهم: قاسم بن محمد بن سيار مولى الوليد أبا محمد القرطبي (ت 276هـ/889م) الذي كان أول من أدخل المذهب الشافعي للأندلس و حظي بالرعاية الرسمية ، حيث وفر له الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م) الحماية الكافية، حتى أصبح يدرس بقرطبة جنبا إلى جنب مع المذهب المالكي دون حرج[4]،و مهما يكن من أمر فإن التجربة الشافعية ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، خاصة و أن الشافعية تميزوا بميلهم إلى النظر و بتمرسهم في الجدل و المناظرة.

[1] – و نظرا لشدة امتعاضهم منه، فإنهم لم يتوانوا في وضع المؤلفات في الرد على الشافعي، منها" كتاب الرد على الشافعي و أهل العراق" لمحمد بن سحنون (ت 256هـ)، و "كتاب الرد على الشافعي " ليحي بن عمر(ت 289هـ) ينظر: =القاضي عياض: تراجم أغلبية،ص:173، 263؛ابن فرحون: الديباج المذهب،ص334؛ ،ص73؛ محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة،1349هـ،ص73.

[2] – نسيم نوار: المرجع السابق،ص32.

[3] – حفيظ كعوان: المرجع السابق،ص115.

[4] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص30؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص 32.

2-6- المذهب الحنبلي: ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ/780-829م)[1] تلميذ الشافعي الذي لقي محنة على أيام الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) و الخليفة المعتصم (218- 221هـ/833-842م) لعدم اتفاقه مع المعتزلة في مسألة خلق القرآن[2]، و كان مقلدا في مذهبه الذي ظهر في المغرب الإسلامي ظهورا خفيفا هو الآخر على يد بعض المقلدين منهم: عبد الله بن عبد الرحمن المروزي، و لم يكن له أي دور لا على المستوى العلمي و لا بين الخاصة و العامة.[3]

2-7- المذهب الظاهري[4]:

ينسب إلى مؤسسه أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني الملقب بالظاهري (201-270هـ/816-884م)[5]، هو أول من نادى به و دعا إليه، و يقوم مذهبه على منافاة كل اجتهاد و مجانبة أي تأويل ،أي كانت له طريقة خاصة تتلخص في الأخذ بظاهر النصوص معتمدا على الكتاب و السنة و رافضا الرأي و القياس و التأويل[6]، و يلخص ابن خلدون مذهبهم فيقول:" جعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص و الإجماع، و ردوا القياس الجلي، و العلة المنصوصة إلى النص،لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها"[7]، و هذا ما جلب له

1 - ينظر ترجمته في: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط2، هجر للطباعة و النشر و التوزيع، الجيزة،1409هـ،ص 12 و ما بعدها؛محمد أبو زهرة : أحمد بن حنبل حياته وعصره- آرائه وفقهه ، دار الفكر العربي، بيروت (د.ت) .ص14 و ما بعدها.

2 - للإطلاع أكثر ينظر دراسة: سمير بن لوصيف: موقف أهل السنّة والجماعة من قضية خلق القرآن في القرن الثالث هجري (مشرقا ومغربا)"، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة-الجزائر،2005-2006، ص25.

3 - إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص30.

4 - للإطلاع أكثر على نشأة و تطور المذهب الظاهري حتى عصر الموحدين ينظر: محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص37و ما بعدها؛ عباس عبد الله الجراري: المغرب و تيار المذاهب الإسلامية، مجلة الإيمان، جمعية شباب النهضة الإسلامية، العدد06، الرباط، 1966،ص:9-15.

5 - ابن النديم: الفهرست،ص271؛القاضي عياض: ترتيب المدارك،ج1،ص 54؛ أحمد بكير محمود: المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب،ط1، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، 1990، ص5

6 - عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص103.

7 - ابن خلدون: المقدمة،ص799.

نقمة الكثير من الفقهاء،حتى قال بعض العلماء:" إن مذهبه بدعة ظهرت بعد المائتين"[1]، و يبدوا أن سطحية هذا المذهب جعلت فقهاء إفريقية يستصغرون شأن داود و يسخرون منه، و يعتبرونه عقيم المدارك و محدود المعارف.[2]

و لقد ظهر أولا بالمشرق ثم انتقل إلى المغرب و الأندلس، أما عن دخول المذهب الظاهري للمغرب فإن المصادر التي بين أيدينا أفادتنا بمعلومات عن دخوله، فقد وجد هذا المذهب مجالا للظهور بإفريقية على أيدي أفراد قلائل لم يكن لهم شأن في نظر الناس. منهم أبو القاسم بن مسرور المعروف بابن المشاط الذي مال إلى مذاهب كثيرة بل إلى كافة المذاهب تقريبا[3]، وأبو جعفر بن خيرون الذي سعى به المروزي لدى عبيد الله، فقتله ،يقول الخشني عنه:"كان مالكيا ،أدخل بعض كتب أبي داود القيروان"[4]، و منهم أيضا عبد الله بن محمد قاسم هلال (ت 272هـ/885م) الذي رحل إلى المشرق و التقى بداود بن علي و أدخل كتبه كلها إلى الأندلس، و من المتوقع أنه كان له دور في نشره بالمغرب أو على الأقل ترك أثرا للمغاربة المالكيين الحديث عن المذهب الظاهري و أصوله،و ذلك أثناء رحلته من المشرق إلى الأندلس و التي حتما كانت تمر على المغرب،و كان ذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، و في عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) صار لهذا المذهب أتباعه بفضل جهود منذر بن سعيد البلوطي(ت 355هـ/965م) قاضي القضاة الذي كان يؤثره و يجمع كتبه و يحتج له و يأخذ نفسه و ذويه به، و يبدوا أن جهوده كانت مقدمة لازدهار المذهب[5] فيما بعد على يد محمد بن سليمان

---

[1] – الونشريسي: المعيار المعرب، ج2،ص491.

[2] – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص 104.

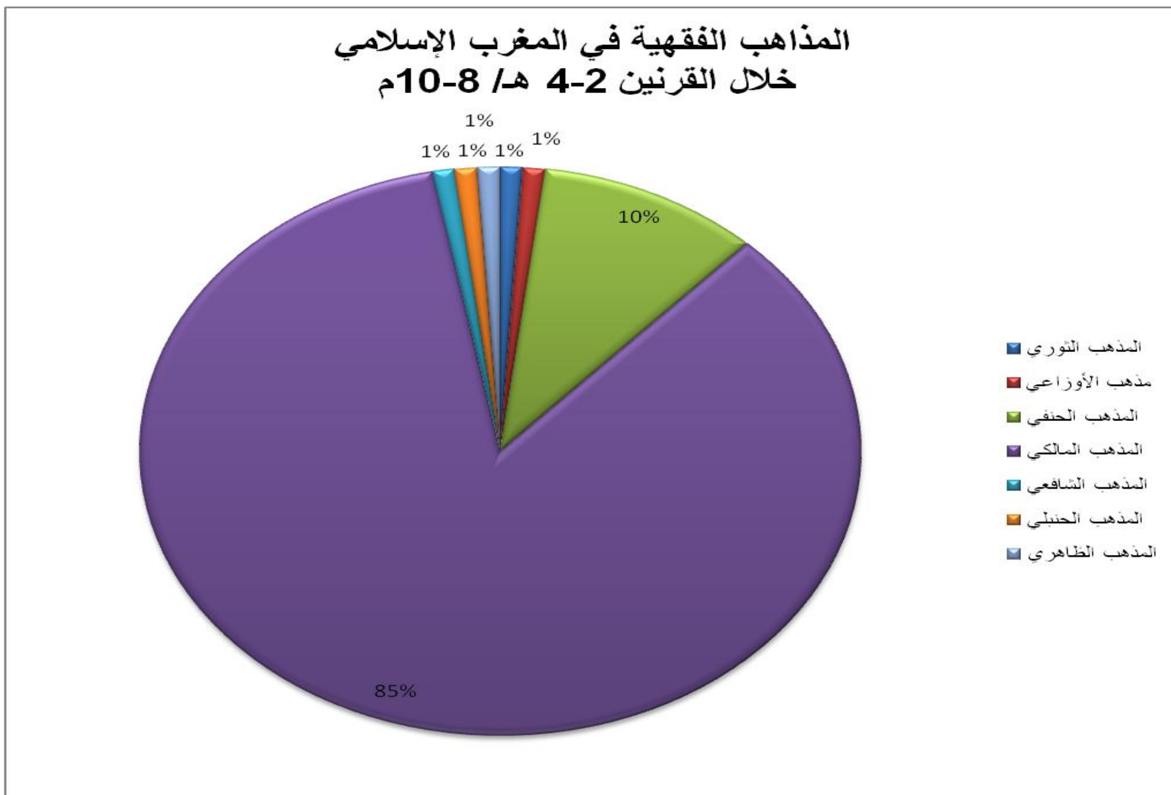
[3] – القاضي عياض:تراجم أغلبية،ص415، 416؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص103.

[4] – الخشني: طبقات علماء افريقية،ص 175؛ عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص104.

[5] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص30؛ عبد الباقي السيد عبد الهادي: المذهب الظاهري نشأته و تطوره بالمغرب و الأندلس حتى نهاية الموحدين،حولية سيمنار التاريخ الإسلامي و الوسيط،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،العدد الثاني، مصر،1433هـ/2012م،ص191، 192.

الظاهري، و الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت 466هـ/1063م)[1] الذي كان أبرزهم و الذي وجه نقدا للمذهب الأشعري.[2]

و منه نستطيع القول أن الظاهرية قد انتشرت في فترة بلغ فيها الاجتهاد الفقهي ذروته، و برزت فيها تحديات جديدة ناتجة أساسا عن المستوى الذي بلغه العالم الإسلامي من التحضر و الانحلال الذي صاحبه، فأصبح التحايل على نصوص الشريعة شغل الكثير من الفقهاء، مثل هذه الحالة ساهمت في تنشيط حركة الظاهرية، غير أن الوضع المذهبي ببلاد المغرب قد أخذ شكله النهائي بسيطرة شبه كاملة للمذهب المالكي.[3]



1 – محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره– آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، 1978، ص 35 و ما قبلها.

2 – للإطلاع على محتوى النقد ينظر: حسن أحمد الخطاف:نقد ابن حزم الأندلسي للمذهب الأشعري، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، السنة السادسة و العشرون، العدد الخامس و الثمانون، الكويت،2011م،ص:333-365.

3 – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 31؛ نسيم نوار،المرجع السابق،ص 34.

لقد تم رسم هذه الدائرة النسبية – التي توضح نسب انتشار المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي خلال القرنين (2-4هـ/08-10م) عن طريق الاعتماد على المنهج الرياضي الإحصائي، حيث حاولنا تحديد نسبة مئوية لكل مذهب فقهي حسب نسبة انتشاره و تغلغله. و مع ذلك فإن هذه المحاولة، لم تكن عبثا، و إنما مبنية على أساس المعطيات التاريخية الواردة في المصادر و المراجع حول هذا الموضوع، و التي عملنا على استنطاقها قدر الإمكان علّنا نخرج منها بنسبة تعكس لنا مدى ما بلغته هذه المذاهب من الانتشار. و لإعطاء صورة توضيحية أكثر.

خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل الأوضاع المذهبية في المغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، فقد توصلنا للنتائج التالية:

أولا: شهدت بلاد المغرب تنوعا مذهبيا خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين، فعرفت التربة المغاربية ولوج و تسرب مختلف الفرق و المذاهب العقدية من فكر خارجي، و إعتزال، و إرجاء و تشيع، غير أنه لم يكتب لها البقاء فزالت و اندثرت بزوال دعاتها، و لم يبق لها أي أثر.

ثانيا: شكلت منطقة المغرب الإسلامي إحدى حواضر دولة الإسلام، فكان من الطبيعي أن تدخلها مختلف المذاهب الفقهية التي انتشرت في كافة أرجاء هذه الدولة الواسعة، و ذلك تحت تأثير الرحلات التجارية و العلمية في إطار التواصل الحضاري و الثقافي، لذلك يصح لنا القول: إن المغرب الإسلامي قد دخلته المذاهب المختلفة مثل المالكية و الظاهرية و الشافعية و الحنفية و الحنبلية و الشيعية و غيرها كثير، إلا أن هذه الفرق والمذاهب لم تبلغ في عمومها من القوة والعمق ما تستطيع به أن تكون تيارا ذا شأن يستطيع أن يقارع التيار الغالب على أهل المغرب المتمثل في سلفيتهم القائمة على العقيدة في ثوبها المأثور عن الصحابة والتابعين، وعلى الفقه في ثوبه المالكي، وهو ما يفسر خلو المغرب من حركة حوارية تتناظر فيها الملل والنحل كما هو الشأن بالمشرق.

و في ظل هذه الفرق الكلامية و المذاهب الفقهية، التي تكلمنا عنها سالفا،كانت تقتضي وجود مذهبا سنيا جديدا الذي يمكنه أن يستوعب جوانب عقلانية و أخرى نقلية فيضمن لنفسه الاستمرارية و الدوام، و يوجد لعصره ما تبقى من المستقبل الحلول الوسطى و المواقف التوفيقية، و هذه الخصائص لا توجد إلا بالمذهب الأشعري.

الفصل الثاني:

دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي.

1- التعريف بالإمام أبو الحسن الأشعري.

2- نشأة المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي.

3- انتشار المذهب الأشعري و موقف السلف منه.

4- دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب .

5- عوامل دخول و انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب.

6- عوامل تأخر اعتناق المذهب الأشعري ببلاد المغرب.

7- مرجعيات المذهب الأشعري عند المغاربة.

8- رجالات الأشعرية ببلاد المغرب إلى حدود العصر المرابطي.

خلاصة.

فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني و الثالث الهجريين تحديا عقديا على أهل السنة مشرقا و مغربا، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثر بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطرا كبيرا على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات لم تكن في الحقيقة كافية لوقف زحف أفكار هذه الفرق و مقولاتها. و زاد من خطورة الأمر مؤازرة بعض الخلفاء العباسيين لفرقة المعتزلة التي توسع أهلها في التأويل[1]، و نادوا بتقديم العقل على النقل في استدلالهم على الأقوال، بخلاف أهل السنة، الذين اعتمدوا أساسا على النقل في مواجهة خصومهم، و سلكوا مسلك النقل و التفويض في تقرير العقائد الإيمانية. و هذا المنهج، و إن كان هو المنهج السليم من وجهة نظر أهل السنة، فإنه ظهر ضعيفا أمام قوة الاستدلال العقلي الذي عرف به المعتزلة و اكتسبوا به جاذبية فكرية. فكانت جهود أئمة المسلمين قوية لرد تحديات المعتزلة و بيان حقيقة العقيدة الإسلامية و توضيح منهجها. وسط هذا الصراع الفكري القوي، كانت الحاجة ضرورية لتوليد منهج قادر على تصحيح ما أفسدته مقالات المبتدعة في العقيدة، و على تقوية وضع أهل السنة و رد الاعتبار لهم، و على ترجيح كفتهم من جديد في الساحة الفكرية. فظهر أبو الحسن الأشعري الذي تمرس بمناهج المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذا إلمام واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقترح منهجا عقديا جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل و أصوله. و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام، بهدف الرد على المعتزلة بنفس أسلوبهم و منهجيتهم.

1- لغة: مأخوذ من الأول و هو الرجوع و الصيرورة و منه آلت إليه السلطة أي رجعت إليه، و آلت عن الشيء ارتددت،أما اصطلاحا فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. ينظر: عبد السلام محمد بكاري: تأصيل العقيدة و تأويل آياتها عند علماء المغرب خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين،ط1، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط،2005،ص:89-91؛ رشيد بلحبيب: التأويل بين الأصوليين و المتكلمين، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2009،ص:87-93؛ عبد الرحيم بودلال:التأويل عند الأشاعرة، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2009 ص:94-104.

فمن هو هذا الإمام الذي قلب الوضع الفكري لصالح أهل السنة؟ و ما هي أصوله التي قررها و صارت شعارا لجمهور المسلمين؟ و ما هو منهجه في ذلك؟

1- التعريف بالإمام أبو الحسن الأشعري:

1-1- البيئة التي ولد فيها أبو الحسن الأشعري و مذهبه الأشعري:

كان الصحابة رضوان الله عليهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم و بعدها بقليل على عقيدة واحدة و طريق واحد، و لم يكن أحدهم ليختلف مع الأخر إلا في اليسير من الأمور، و إن اختلفوا فلم يكن ذلك الاختلاف ليتعدى أمور اجتهادية كان الغرض من إثارتها إقامة مراسيم الدين و توطيد أركانه، بل أنهم اختلفوا في بعض هذه المسائل و الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم[1].

أو بالموازاة مع ذلك فقد كان المسلمون على عهد النبوة يعرضون عن الجدل و المراء و الخصومة في الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحذر من مغبة الجدل في مسائل الدين.[2]

و قد أشار المقريزي إلى أن الله سبحانه و تعالى لما بعث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الناس كافة وصف لهم ربهم بما وصف به ذاته في القرآن الكريم، و لم يجرؤ أحد من الصحابة باختلاف مشاربهم عن السؤال عنها، بل كلهم فهموا معنى ذلك و سكتوا عن الكلام فيها، و أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه جلّ شأنه على ذاته من غير تعطيل أو تشبيه، و اكتفوا بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج[3].

لقد انفرد الشهرستاني بذكر بعض الشبهات التي أثارها المنافقون على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، و اعتبرها أولى الإرهاصات لظهور الجدل في العقائد فيما بعد، منها على سبيل

1- الأشعري: مقالات الإسلاميين ،ص:34.

2- محمد أحمد عبد القادر: ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال و الغلو، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 2003م، ص: 599.

3- المقريزي: المواعظ و الاعتبار ،ج2،ص: 356.

المثال احتجاج ذي الخويصرة التميمي[1] على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم للغنائم، و قوله: "أنْ اعدل يا محمد فهذه قسمة ما أريد بها وجه الله"[2].

و من ثم يجب التسليم بأن المسلمين قد احترزوا في عهده صلوات الله عليه ،و صحابته الكرام عن الجدل حول العقائد و الخوض في مشكلات الأصول، و اكتفوا بما ورد في القرآن الكريم من عقيدة متكاملة فلم يبحثوا بحثا نظريا في أصول الدين، و لم يسعوا إلى التعلم من غير هذا المصدر الإلهي، فقد وجدوا فيه ما يجب معرفته عن الله و العالم و الإنسان.[3]

و بعد أن انقضى عهد الصحابة و التابعين على التسليم المطلق – كما سبق و أن أشرنا – بما ورد في الكتاب و السنة عن الذّات الإلهية و صفاتها، فلم يتنازعوا في مسألة واحدة من تلك المسائل، أعقبه عهد جديد كان على النقيض المطلق من ذلك.[4]

و الواقع أن الدين الإسلامي شأنه شأن أي دين آخر، قد مر بمرحلتين: أولهما مرحلة التصديق القلبي و الإيمان بالعقائد و الأصول. و الثانية مرحلة البحث و النظر و صوغ مسائل الدين صياغة أصولية[5]

فبالنسبة للمرحلة الأولى قد مضت وولّت، أما عن المرحلة الثانية فكانت بدايتها بتفرق كلمة المسلمين و انقسامهم إلى شيع و أحزاب تمخضت عن مشاكل سياسية بالدرجة الأولى، إلا أنه رغم الصيغة السياسية التي غلبت على هذه الحركات غير أنها هي التي كانت وراء انبثاق الفكر الإسلامي و انتفاضه و ظهور فرق أخرى، إذ أن كل فرقة سياسية كان لها رأي مستقل هو أحق بالخلافة، ثم ظهرت مشكلة مرتكب الكبيرة و حقيقة إيمان من يتبع الطرف الأخر أهو مؤمن أم

1- هو حرقوص بن زهير، شهد مع علي صفين. ثم صار من الخوارج، قتل سنة 37هـ. ينظر: الشهرستاني:الملل و النحل، ج1،ط2،ص10.

2- الشهرستاني: الملل و النحل، ،ج 1،ط2،ص ص: 12، 13.

3- محمد الصالح محمد السيد: أصالة علم الكلام، دار الثقافة و النشر و التوزيع، تونس، 1987م، ص ص: 22 - 23.

4- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص: 328.

5- محمد الصالح السيد: المرجع السابق، ص: 21.

غير مؤمن؟ و هكذا أدّى بهم البحث في مسألة الإيمان و حقيقته تدريجيا إلى الخوض في مسائل العقدية. [1]

و بالإضافة إلى ذلك فقد كان من أسباب ظهور تلك الخلافات التي جرت بين المسلمين هو اندماج أجناس مختلفة و عناصر متباينة دخلت تحت لواء الإسلام، إلا أن إسلامهم ذلك لم يكن إلاّ طلاء ظاهرا، و انتحالهم للملة المحمدية لم يكن إلاّ لضرب الإسلام في الصلب حقدا وحسدا من قلوبهم، و هكذا أخذوا يبثّون الأفكار المنحرفة التي لا عهد للمسلمين بها حتى يشكّكّوهم في مسلماتهم و يجرّوهم إلى الدرك الأسفل. [2]

فظهرت من جراء ذلك طوائف عديدة تناولت مسائل العقيدة الإيمانية، من بينها القدرية[3]، و الجبرية و إلى غير ذلك من الفرق التي استفحل أمرها و أخذ يهدد كيان الدّين الإسلامي. [4]

و لما كان الأمر بهذه الخطورة تحمل فريق من المسلمين مهمة الذّود عن الإسلام، و ذلك بتفنيد ما دعا إليه أعداء هذا الدين، و دحض كل الشبهات التي أثيرت من قبلهم، و قد تسلح هؤلاء المدافعون عن الدين بنفس السلاح الذي كان يتسلح به أعداء الإسلام آلا و هو الفلسفة اليونانية و المنطق اليوناني، و هذا لمواجهة هؤلاء الخصوم الذين حذقوا في المجال الديني، بيان ذلك إيذانا بميلاد علم الكلام. [5]

تعددت تعريفات هذا العلم و تباينت وجهات النظر حوله، و مع ذلك فجميعها تدل على نفس المعنى، سنقتصر بذكر بعض منها فقط.

1- محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص: 281- 282؛ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: المقدمات، علم الكلام، الفلسفة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، (د_ ت)، ص ص: 138،139.

2- البغدادي: الفرق بين الفرق، ص: 123.

3- تنسب هذه الفرقة إلى أول من قال بالقدر في الإسلام، و هو معبد بن عبد الله الجهني البصري، و قد تتلمذ على يد رجل نصراني من أهل العراق أظهر الإسلام يقال له سوسن، انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 1، ص: 10

4- المصدر نفسه: ج 1،ص: 10.

5- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص: 138 ، 139.

عرّفه "أبو حامد الغزالي" بقوله: « علم الكلام مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة و حراستها عن تشويش أهل البدعة....» [1].

أمّا"ابن خلدون" فجاء على لسانه: «هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، و الرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السّنة، و سرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»[2]

أما "الجرجاني" فعرّفه بقوله: «هو العلم المتكفّل بإثبات الصّانع و توحيده، و تنزيهه عن المشابهة بالأجسام و اتّصافه بصفات الجلال و الإكرام و إثبات النبوّة التي هي أساس الإسلام.... و به يترقّى في الإيمان باليوم الأخر من درجة التّقليد إلى درجة ١الإتقان...» [3]

تلك نماذج من تعريفات علم الكلام اكتفينا بها عن غيرها – ما دامت توضح المعنى و تجلي الغموض.

و الذي يمكن الخروج به من هذه التعريفات هو أن علم الكلام يتمثل أساسا في محاولة المسلمين لإثبات عقائدهم عن طريق العقل، و قد ظهر كحتمية ،حتى يواجه المسلم خصومه في العقيدة خاصة في زمن كالزمن الذي ظهر فيه، فقد سمحت الفتوحات الإسلامية التي شرّقت و غرّبت بمواجهات عقائدية بين المسلم و غيره من أصحاب الديانات الأخرى، فكان لا بد من إعمال العقل[4].

و تحمل المعتزلة وزر الخوض عما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، و من ثم لقوا إعراضا من التابعين و الفقهاء و أهل الحديث. [5]

1- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الكريم المراق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص: 37 ، 38.

2- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص: 363.

3- الشريف الجرجاني: شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس في الإلهيات، تحقيق:احمد المهدي، مكتبة الأزهر، القاهرة،ب.ت، ص ص: 22،23.

4- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص ص: 596 ، 597.

5- أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج1،ص: 15.

و كانت المعتزلة أجرأ الفرق في مواجهة الخصوم ومجادلتهم و نقد أفكارهم وتخطئتها،فلم يقتصر أصحابها على النظر في مبادئ الإسلام، بل توسعوا إلى جميع ما عرف من علوم و معارف و ما نقل عن الأقدمين و المحدثين بالنسبة لمرحلتهم و ناقشوا ذلك و وازنوا بينه و نقلوه، و أبطلوا حججا و أخذوا بأخرى لو كانت لغير المسلمين، ذلك أن العقل عندهم ليس حكرا على المسلمين و إنما ملك لكل إنسان، و قد ترد الحقيقة عند أيّ كان، و بذلك تتميز المعتزلة على حد تعبير إنعام الجندي: «بأنها تؤمن بالعقل إيمانها الراسخ».[1]

غير أن إعمال المعتزلة للعقل لم يكن بعقلانية، إذ أنهم كانوا يعتقدون أن العقل وحده قادر على إدراك حقائق الدين، و أن ما يدل عليه العقل لا يمكن أن يخطئ، فكانوا يعرضون كافة مسائلهم على سلطان العقل، فما قبِله أقروه، و ما رفضه رفضوه، و يشير أحد الباحثين إلى أنهم كانوا يحكمون على قيمة الأشياء حسنا و قبحا بالعقل قبل الشرع.[2]

هذا بالإضافة إلى أن المعتزلة قالت بالتأويل و عدم أخذ جميع الآيات الواردة في القرآن بحسب ظاهرها، فالظاهر في بعض الآيات يعطي فكرة بمبدأ الشك و عدم تقبل أية فكرة قبل عرضها على النقاش و النقد العقلي.[3]

و هكذا سلك التفكير الديني في الإسلام منذ العصر الأموي مسلكين أساسيين، مسلك أولئك الذين يتقبلون الأمور تقبُّلا يستند إلى الروايات و الأقوال التي قال بها السلف الصالح، و هم أهل النقل، ثم مسلك أولئك الذين يريدون أن يستندوا في الاعتقاد إلى ما يقبله العقل، و هم أهل الرأي.[4]

وقد أخذ كل فريق منهم في عرض أفكاره على أنه هو صاحب المنهاج القويم، و أن الآخر على المنهاج السقيم، فأصحاب العقل الذين عرفوا الفلسفة اليونانية و اتصلوا بها و جعلوها تجري من علومهم و من حوارهم مجرى الدم كانوا يتَّهمون أهل النقل بالتعصب و استحسان التقليد؛ و

1- إنعام الجندي:دراسات في الفلسفة اليونانية و العربية، ،مؤسسة الشرق الأوسط، بيروت، (د. ت)، ص: 264.

2- عبد الحميد خطاب: معالم في الفلسفة الإسلامية، مطبعة النخلة، الجزائر، 1991م، ص: 103.

3- إنعام الجندي: المرجع سابق، ص ص: 265 ، 266.

4- عمر فروخ: المنهاج الجديد في الفلسفة العربية، ط1،دار الملايين، بيروت، 1970م، ص: 79.

اللِّجاج في الخصومة، و أنهم قد انفتح عليهم باب الحيرة، و أوصدت في وجوههم أبواب اليقين[1]، و أما من رجّحوا كفة المنقول فكانوا يُسمُّون أهل الرأي بالمبتدعة، و أطلَق عليهم الإمام ابن الجوزي تلامذة إبليس.[2]

و اشتد الصراع و بلغ أوجه بين الطرفين، خاصة بعد أن وجد أهل العقل (المعتزلة) دعما سياسيا من قبل بعض خلفاء بني العباس، فعلى عهد المأمون[3]استشرى الاعتزال و توثقت أركانه، و شغل أعلامه المراكز الرفيعة في الدولة، و فرضوا مذهبهم على الناس و اضطهدوا خصومهم من المحافظين.[4]

و تعتبر محنة خلق القرآن إحدى صور ذلك الصراع الذي كان بين أصحاب العقل و النقل، فالمأمون لم يكفه قوله بخلق القرآن، و إنما أخذ في جبر العامة على القول بما ذهب إليه، فأرسل مرسوما لولاّة الأمصار يأمرهم فيه بتنفيذ ذلك[5]، و قد وصل ذلك المرسوم مصر سنة(218 هـ/833م) فامتحن والي مصر قاضيها حتى قال بخلق القرآن، و امتحن الشهود و المحدثين، حتى لم يبق أحد من فقيه و لا محدث و لا مؤذّن و لا معلم إلا و أخذ بالمحنة، فهرب كثير من الناس و ملئت السجون ممن أنكر عليهم، و أمر بكتابة «لا اله إلا الله ربُّ القرآن المخلوق» على المساجد[6].

1- الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص: 23.

2- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م، ص:313

3- المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة 170هـ، بويع بالخلافة بعد مقتل أخيه الأمين سنة 198هـ و استمر في الحكم إلى أن توفي سنة 218هـ انظر ترجمة: أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون،ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928م، ص ص: 191 ، 257.

4- كمال اليازجي: معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، ط5،دار العلم للملابين، بيروت، 1974م، ص: 155

5- أحمد فريد الرفاعي: المرجع السابق، ج1،ص397.

6- الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج1،ص: 22.

و قد كانت هذه المحنة أشد وطأة على الحنابلة منها على المذاهب الأخرى، فقد ابتُليَ الإمام "أحمد بن حنبل" خلال هذا الصراع أيُّما ابتلاء، إلاّ أنه و بقدوم المتوكلّ[1] انقلبت الآية، إذ أظهر هذا الخليفة الميل إلى السّنة، و أكرم "أحمد بن حنبل" و اعتذر له و كتب إلى الولاة و العلماء في الأمصار منذ سنة 234هـ/848م بنصرة السنة، و اضطهد المعتزلة و سجن وزير المأمون المتسبب في المحنة[2].

و من صور الصراع بين الأفكار نذكر أيضا محنة الصوفية من الحنابلة أو (محنة غلام الخليل) سنة 262هـ/875م، ففي هذه المحنة اتُّهم الصوفية بالزندقة و سُعي بهم عند الموفَّق[3] فأمر بالقبض على عدد كبير من الصوفية، و انتهت المحنة بقتل بعضهم و هروب آخرين .

و هكذا فقد شهد القرن الثالث قمة المواجهة بين مذاهب المسلمين و فرقهم (بين الفقهاء و الصوفية، بين الصوفية و الحنابلة، بين الحنابلة و المعتزلة، و بين المعتزلة و الجهمية خاصة من الشيعة، و بين الشيعة و أهل السنة، و بين السنة و الخوارج، و بين الخوارج و المرجئة). [4]

و لما كان الأمر كذلك جاء القرن الرابع الهجري ليأذن عن ميلاد فكر جديد حاول فيه صاحبه أن يوفق بين أصحاب العقل (المعتزلة) و أصحاب النقل (الحنابلة) و يُخَفِّف من حدة الصراع الذي كان بينهما، و هو المسلك الذي سيسلكه الإمام "أبو الحسن الأشعري" في تأسيس مذهبه الكلامي الجديد، الذي نسب إليه و هو **"المذهب الأشعري"** و هكذا مثّل عصره تمام التمثيل، و كان مسار الفكر عند منحى خطير، و قد تبلور في نفسه هذا المنحى الخطير بتحوله

1- المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة 205 هـ وبويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة 232 هـ بعد الواثق، مات مقتولا سنة 247 هـ انظر : جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء" الخلافة الراشدة إلى سنة 903هـ"، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، 2004م، ص ص: 376 ، 380.

2- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء ،مصطفى عبد القادر عطاء، ج11، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1992،ص ص: 206،208.

3- الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد أخو الخليفة المعتمد (256 — 279 هـ)، و قد كان الموفق هو صاحب الأمر و النهي، فكان المعتمد مجرد أداة طيعة في يد أخيه، توفي سنة 278 هـ انظر ترجمة: السيوطي،: تاريخ الخلفاء ،ص –ص: 396 ، 399.

4- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق،ج1، ص: 35

العنيف من الاعتزال إلى مذهب يقل فيه سلطان العقل، بعيدا عن تطرف المخالفين، و يكون فيه التوفيق بين العقل و النقل.

فمن هو " أبو الحسن الأشعري " ؟ و فيما تتمثل آراؤه الكلامية ؟

2-1- حياة الإمام أبو الحسن الأشعري و شخصيته:

حمل هذا المذهب اسم مؤسِّسِهِ "أبو الحسن الأشعري" ؟ و سلسلة نسبه الكاملة كما ذكرها "ابن عساكر" هي: علي ابن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل[1]، و قد اختلف المؤرخون في تحديد سنة ميلاده فمنهم من يرجعها إلى سنة 260 هـ/873م [2]، و منهم من يربطها بسنة 270 هـ/883م[3]، و بين هذا و ذلك ذهب المقريزي إلى القول بأنه ولد سنة 266 هـ/879م[4].

كان مولده بالبصرة، حيث كان النشاط العلمي قد بلغ أوجه في أواخر القرن التاسع الميلادي – الثالث الهجري – نشأ في بيت علم و أدب، حيث كان أبوه إسماعيل بن إسحاق (الملقب بأبي بشر) محدثا من أهل السنة والجماعة[5] درس الفقه على يد أبي إسحاق المروزي[6]، [7] و ورد في شذرات الذهب أنه أخذ الفقه و الحديث عن "أبو يحي الساجي"[8]،[1] و كما تلقّى العلم أيضا عن

1- أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: احمد حجازي السقا، ط1،دار الجيل، بيروت، 1990م، ص: 21.

2- أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناوي، ج1، مطبعة عيسى الباقي الحلبي، (ب – م)، 1964م، ص: 347.

3- ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج2،ص: 445.

4- المقريزي: المواعظ و الاعتبار ،ج2، ص: 359.

5- أحمد محمود صبحي: المرجع سابق، الأشاعرة، ج 2، ص: 44.

6- أبو إسحاق إبراهيم بن احمد المروزي (ت 340 هـ)، له "شرح مختصر المزني" و "الفصول في معرفة الأصول"، كتاب "الشروط و الوثائق" و كتاب "الخصوص و العموم..، انظر ترجمته: ابن خلكان: المصدر السابق: ج 1،ص: 7،8.

7- الحسين ابن عبد الرحمن ابن الأهذل: كشف الغطاء عن حقائق التوحيد و عقائد الموحدين و ذكر الأشعريين و بيان حال ابن عربي و أتباعه المارقين، تحقيق: أحمد بكير، الإتحاد العام التونسي، تونس، (د- ت)، ص: 136.

8- زكرياء بن يحي بن عبد الرحمن البصري، أبو يحي الساجي الحافظ، اخذ عن المزني و الربيع، رحل إلى الكوفة و الحجاز و البصرة، روى عنه الأشعري، توفي سنة 307هـ،انظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج 2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ص ص: 488، 489.

عن جملة من العلماء عدّدهم السبكي في طبقاته، نذكر منهم على سبيل المثال: العالم الفقيه "أبو محمد الضبي"[2]، [3].

و قد اختُلفَ في مذهبه الفقهي، أكان شافعيا أم مالكيا، فابن عساكر أورد روايتين إحداهما تقول أن "أبا الحسن" شافعي المذهب، و الثانية تقول أنه مالكي المذهب[4]، و قد فنّد السّبكي الرواية الأخيرة و ذكر بأنه شافعي، و أصل الخطأ في نظره هو أن "أبا بكر الباقلاني" [5] كان مالكي و قد دافع عن الأشعري دفاعا قويا بحيث أطلق عليه اسم أستاذي مما حمل البعض على القول بأنه مالكي[6].

و هناك من المؤرخين من لم يقل بهذا و لا بذاك، بل عدّه من الحنفية، و مثالنا على ذلك "المقريزي"، حيث ذكر أنه كان حنفي المذهب معتزلي الكلام[7].

أما عن صعوبة تحديد المذهب الفقهي الذي ينتسب إليه، تعود بالدرجة الأولى إلى الليونة التي اتصف بها "أبو الحسن الأشعري". عند التعامل مع هذه المذاهب، فهو لم يتحزّب لمذهب على آخر، إذ ورد عنه أنه كان يقول فيما معناه: «كل مجتهد مصيب، و كلهم على الحق، لم

1- أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 3، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، (د- ت)، ص: 309.

2- عبد الرحمن بن خلف بن الحصين أبو محمد الضبي المصري، توفي سنة 279 هـ، انظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج 6، ط1،دار صادر، بيروت ، 1326هـ، ص ص: 167 ، 168.

3- السبكي: المصدر السابق، ج 3، ص: 355.

4- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 120 ، 125.

5- محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، ولد في البصرة سنة 328 هـ يعد من أعيان علماء الكلام، هذب بحوث الأشعري، وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، توفي في بغداد سنة 403 هـ، من مؤلفاته " تمهيد الأوائل و تلخيص الدلائل" ، انظر ترجمته: السبكي: المصدر السابق، ج 3، ص: 299.

6- المصدر نفسه: ج 3، ص: 352؛ سعيد بن سعيد العلوي: قراءة جديدة في فكر الإمام الأشعري، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، السنة العشرة، العدد38، سلطنة عمان،2012،ص:213-233.

7- المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج 2، ص: 359.

يختلفوا في الأصول، و إنما اختلفوا في الفروع، فأدى إجتهاد كل منهم إلى شيء، فهو مصيب و له الأجر و الثواب على ذلك»[1].

و إذا كان الاختلاف قد مس مذهبه الفقهي، فتحديد مذهبه الكلامي لا يختلف فيه اثنان، إلاّ إذا استثنينا من ذلك ما ذكره "ابن النديم"حيث اعتبره من الحشوية[2] و الجبرية[3]،[4]، و هذا هذا قول لا أساس له من الصحة لما كان يُكنّه هذا المعتزلي للأشعري من حقد و ضغينة[5].ما عدا هذا القول فقد أجمع بقية المؤرخين على أنه كان معتزلي المذهب و ساعده على ذلك قربه الشديد من شيخ المعتزلة في ذلك الزمان زوج أمه "أبي علي الجبائي"[6]،[7]و هو الذي ربّاه و علمّه الكلام، و و اقتدى به عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة[8]، و ذكر ابن عساكر أن "أبا الحسن" لازم " الجبائي " أربعين سنة دون أن يفارقه فيها. [9]

ثم عدل بعدها عن مذهبه، و يذكر "ابن عساكر دائما أن رجوعه عن الإعتزال كان في حياة "الجبائي"[10]، و قد حدد بعض الدارسين تحول "الأشعري" عن أراء المعتزلة بحوالي سنة 300

1- لويس غربية، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية، ص ص: 97 - 98.

2- الحشوية: بإسكان الشين، ينتسبون إلى أهل السنة و الجماعة، غير أنهم يخالفونهم في الاعتقاد، و سُمّوا حشوية لحشوهم صفات التشبيه في صفات التنزيه، و هناك من جوّز فتح الشين، لأنهم كانوا يجلسون أمام"الحسن البصري"، فلما خالفوه قال ردّوهم إلى حشا الحلقة، انظر: ابن الأهذل، المصدر السابق، ص: 169.

3- الجبرية: القائلون بأن الإنسان مجبر (مسير و ليس مخير)، و تنسب هذه الفرقة إلى "جهم بن صفوان"، انظر :الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 1،ص:14.

4- ابن النديم: الفهرست، ، ص- ص: 179 -181.

5- جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية و تطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص: 160.

6- أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزان بن إبان الجبائي شيخ الإعتزال في عصره، ولد بمنطقة جبي سنة 235 هـ وتوفي سنة 303 هـ، انظر ترجمته: ابن خلكان: المصدر سابق، ج 3، ص ص: 398 ، 399.

7- زين الدين ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: احمد البدراوي، ج 1،دار المعرفة، بيروت،(د. ت)،ص: 410.

8- المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج 2، ص: 359.

9- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 60.

10- ابن عساكر: المصدر السابق ، ص: 66.

هـ/912م[1]، غير أنه و بإجراء عملية حسابية بسيطة سوف نهتدي إلى أن التواريخ التي تعتبر معالم معالم في حياة "الأشعري" غير محددة بدقة، إذ أن "ابن عساكر" كما سبق و أن أشرنا إلى ذلك حدد مولد الأشعري بسنة 260 هـ/873م، و ذكر في موضع آخر بأنه لازم "الجبائي" أربعين سنة، و قال بأن إعتزاله المذهب كان على حياة شيخ المعتزلة الذي توفي سنة 303 هـ/915م.[2]

إلا أنه إذا اعتبرنا سنة 303 هـ/915م هي السنة التي تبرأ فيها"الأشعري" مما كان يقوله، فهذا يعني أن "أبا الحسن" تبنى المذهب المعتزلي و هو ابن الثلاث سنوات، و هذا ما لا يقبله عقل سوي.

فقول "ابن عساكر" فيه من المبالغة بما كان،و هو ما جرنا إلى الميل حيث مال " كارل بروكلمان" و "هنري كوربان" الّذين ذكرا بأن "أبا الحسن الأشعري.. و هو في سن الأربعين من العمر انقلب من الإعتزال إلى السنة[3] و ليس ملازمته للجبائي دامت أربعين سنة.

و مهما يكن من أمر فقد حدث الانقلاب و التحول، و الآراء متباينة و متضاربة حول تحديد الأسباب التي حدت بالأشعري إلى هذا التحول الملحوظ و الباحثون فيها مذاهب شتى و لم يمط اللثام عن الأسباب الحقيقية حتى الآن.

فالروايات الواردة في نشأة المذهب الأشعري مختلفة، ذلك أن بعضها يقترن بهداية ربانية إلى المنام و الرؤى التي تراءى له فيها النبي صلى الله عليه و سلم حيث أمره بترك ما هو عليه و نصرة سنته[4].

1- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص: 195؛ يوسف أحنانة: المنحنى الشخصي لحياة الامام أبي الحسن الأشعري،مجلة الإبانة، مركز أبو الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية،العدد01،المغرب،2013،ص:87-97.

2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص – ص: 50 - 54.

3- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيلة أمين فارس، منير البعلكي، ط15،دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص: 324؛ هنري كوربان: المرجع السابق، ص: 180.

4- عن هذه الرؤى انظر: ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 50 -54؛ابن خلكان: المصدر السابق، ج 2، ص ص: 446 ، 447؛ السبكي: المصدر السابق، ج3،ص ص: 347 ، 348.

و يقترن بعضها الآخر بإفحام عقلي و مناظرات بين التلميذ و أستاذه حول موضوع من موضوعات علم الكلام، حيث تمكن فيها "أبو الحسن الأشعري.. من قهر "الجبائي" الذي لم يستطع أن يجيب على تساؤلاته[1].

و قد شكك "جلال محمد موسى" في مصداقية تلك الروايات، و ذكر بأنها موضوعة، و ذلك لإضفاء نوع من الشرعية على ما كان يذهب إليه "الأشعري. " خاصة و أن الأسئلة التي زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرحها عليه في المنام تختصر في مسائل معينة بالذات، و هي التي قال بها "الأشعري" فيما بعد، كما أن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الروايات وضعت بدقة، و قد حددت بأول رمضان و الثلثين الثاني و الثالث و في ليلة القدر بالذات، و هذا راجع إلى ما أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم من فضل تلك الليالي من شهر رمضان المبارك، حتى يكون مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن في هذه الأوقات أمرا يكاد يكون أقرب إلى الصدق منه إلى الخيال [2].

هذا من جهة، و من جهة أخرى ذهب "حسن الشيخ الفاتح" إلى القول بأن تلك الروايات لا تشكل سببا كافيا و مقبولا لإنشاء مذهب جديد، ذلك لأن إحجام "الجبائي"عن الإجابة لا تنم بالضرورة عن جهله، و من الطبيعي جدا أن يتوقف الأستاذ عن إجابة بعض الأسئلة، و زيادة على ذلك فمن غير الممكن أن يكون شيخ المعتزلة في ذلك الزمان بليدا إلى درجة عدم تفطنه للفخ الذي وضعه له "الأشعري" من وراء طرحه لتلك الأسئلة[3].

و أشار "محمد موسى" أيضا إلى أن تلك المناظرات التي تحدث عنها بعض المؤرخين بين "الأشعري" و "الجبائي" لا أساس لها من الصحة، و تم وضعها لغرض بيان عجز "الجبائي" و تفوق "الأشعري" عليه، حتى و إن كان من الممكن أن يكون التلميذ أبلغ من الأستاذ، لكن ذلك لا يكون دافعا لترك مذهب اعتنقه ردحا من الزمن. [4]

1- أما عن المناظرات التي كانت بين أبو الحسن الأشعري (ت324هـ/935م) و أساتذته فانظر: ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق،،ج3 ، ص303.

2- جلال محمد موسى: المرجع السابق، ص: 173.

3- حسن الشيخ الفاتح: كبرى الفرق الفكرية والسياسية في الإسلام، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص: 44.

4 -جلال محمد موسى: المرجع السابق، ص ص: 174 ، 175.

و لما كانت تلك الروايات و الأسباب سطحية و غير مقنعة ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى محاولة تقديم تفسيرات عن أسباب ذلك التحول، و يفهم من خلال ما ذهب إليه بعض الدارسين أن السبب الرئيسي الذي حدا بالأشعري إلى العدول عن مذهب الإعتزال يتمثل في شخصية "الأشعري" نفسه و إلى الوضع الخارجي، فأما الأول فهو إشفاقه على دين الله و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يذهبا ضحية الآراء المتطرفة التي كانت تنادي بها المعتزلة، و أما الثاني حتى يسهل للأمة الإسلامية مخرجا من الطريق المسدود الذي وضعه فيها الغلاة من أصحاب أهل العقل. [1]

و نفس التفسير تقريبا قدّمه "جلال محمد موسى"عن تحوُّل "الأشعري" عن المعتزلة، و يذكر بأنه لما كان العداء بين أهل العقل و النَّقل قد استشرى و بلغ أوجَّه، ساءه الوضع فسائل نفسه عن إمكان الجمع بين الطرفين، و التوفيق بين المذاهب، و على هذا الأساس رأى أن من الواجب عليه حتى يجسد فكرته التي اهتدى إليها على أرض الواقع أن يطلع على أراء الفقهاء و المحدثين، و لهذا كان يتردد على حلقة " أبي إسحاق المروزي" و درَّس و رجَّح بين الآراء، ووجد أن الوسيلة الأنجح لتوحيد كلمة المسلمين هو الجمع بين الفقه و الحديث و بين علم الكلام، و هدفه من ذلك كله الحفاظ على العقيدة و رسم طريق يرضي العامة و الخاصة و يجمع الكلمة و لا يفرقها. [2]

بيد أنه بالرغم من أن هذه التفسيرات هي أقربها للواقع و أكثر تقبلا، إلا أنها تبقى مجرد أراء مبنية على الظن و لا ترقى إلى درجة اليقين.

و مهما كان السبب، و مهما قدم المؤرخون من تفاسير المهم أن المعتزلة أنجبت من صلبها ولدا عاقا، ألا وهو المذهب الأشعري[3] الذي ساهم فيما بعد و مع مرور الأيام و السنوات في دحرها و كسر شوكتها تدريجيا.

1- هنري كوريان:المرجع السابق، ص ص: 180 ، 181.

2- جلال محمد موسى:المرجع السابق، ص - ص: 186 - 188.

3- للوقوف على المكونات المعرفية للمذهب الأشعري ينظر: سعيد بنسعيد العلوي: الخطاب الأشعري في دراسة العقل العربي الإسلامي،ط1، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت، لبنان،1420هـ/1992م،ص23 و ما بعدها.

و إن اختلف المؤرخون في تحديد سبب الرجوع عن الإعتزال فقد اتفقوا على أن قريحة "الأشعري" كانت فياضة، و أنه كان غزير الإنتاج عميق البحث.

1-3- مصنفاته: ذكر "الأهذل اليمني" أن مصنفاته تنيف عن الثلاثمائة و الثمانين مصنفا[1]، في حين ذكر"ابن عساكر" أن مؤلفاته في علم الكلام قريبة من مائتي كتاب، و قد أحصى ثلاثا و تسعين منها في كتابه "التبيين".[2]

تناولت مصنفاته عدة مسائل، و يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن منها ما ألفه إبّان فترة إتّباعه لمذهب المعتزلة، و منها ما ألّفه بعد ارتداده عنه، و قد عالجت تلك المؤلفات شتّى مواضيع الإلهيات في عصره، كما كانت بعض كتبه عبارة عن تفاسير و شرح للقرآن الكريم و الشريعة، و له كتب في الحديث و الرواية، و له مؤلفات أخرى يدحض فيها أقوال المذاهب الأخرى ذات المعنى و الاتجاه المخالف له، كما ألّف بعد ارتداده عن المعتزلة كتبا يدحض فيها مذهبهم[3].

و من الكتب نذكر على سبيل المثال كتاب "إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان"، و كتاب "الشرح و التفصيل في الرد على أهل الإفك و التضليل"، كتاب "الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ و الشبهات"، و كتاب "المختصرات في التوحيد و القدر"، و كتاب "المختزن" في التفسير.[4]

و من كتبه أيضا كتاب "كشف الأسرار و هتك الأستار" و فيه أظهر عورات المعتزلة و فضح معايبهم، و كتاب "الفضول في الرد على الملحدين و الخارجين عن الملة"، و كتاب "اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع"، و كتاب "الموجز"، و كتاب " تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان".[5]

و على الرغم من كثرة مصنفاته إلا أنه لم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير، و هناك كتابان لهما أهمية بالغة في فكره العقدي، أوّلهما كتاب "مقالات الإسلاميين"، و الثاني كتاب "الإبانة عن

1- ابن الأهذل: المصدر السابق، ص: 136.
2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص ص: 129 ، 130.
3- هنري كوربان: المرجع السابق، ص: 182.
4- ابن عساكر: المصدر السابق، ص ص: 129 ، 130.
5- ابن الأهذل: المصدر السابق، ص: 136.

أصول الديانة"، و لما توفر هذان الكتابان بين أيدينا ارتأينا أن نعرضهما عرضا في الكتاب الأول و الذي حمل عنوان "مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين" يعرض "الأشعري" و بكل دقة و أمانة لمختلف المذاهب المعروفة في عصره، و يعتبر هذا الكتاب أهم المصادر التي أرخت للمذاهب، كما أنه الكتاب الأول من نوعه في تاريخ المذاهب و النّحل في الإسلام، و قد انطوى على ثلاث أقسام، القسم الأول تناول فيه بإسهاب المذاهب و الفرق الإسلامية على اختلافها، و خَصّص القسم الثاني للحديث عن معتقد أهل الحديث و السنة، في حين تعرّض في القسم الثالث الأخير للمذاهب الكلامية المختلفة. [1]

أما الكتاب الثاني و المعنون بـ "الإبانة عن أصول الديانة"[2] يعرض فيه "الأشعري"معتقد أهل السنة، افتتحه بالإشادة بالإمام "أحمد بن حنبل"[3]، ثم بعد ذلك أورد عددا من المقالات دون مراعاة لأي أساس، و قد بحثت كلُّها على ضوء الاتجاه الذي سار فيه "الأشعري" بعد اعتزاله المعتزلة. [4] وبالإضافة إلى ذلك فقد ألّف الأشعري رسالة هامة هي "رسالة استحسان الخوض في علم الكلام" ، رغم أن عبد الرحمن بدوي وجورج مقدسي قد شكا فيها أيضا.[5]

1- أنظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين بأقسامه الثلاث.

2- يرى المنصوري:"...أن الاكتفاء بالإبانة لتوضيح فكر الأشعري ضلال كبير. إذ أن الأشعري قد سلك في الإبانة مسلكا يهتم بتقرير العقائد والإعلان عنها أكثر مما ينشغل بالحجاج عنها والانتصار لها. وهو منهج لم يتوخه اللاحقون من الأشاعرة، لأن الظاهر أن الأشعري قد حاول في بدايته التوفيق بين السنيين أهل الحديث والمعتزلة أهل الكلام. وهذه المحاولة التوفيقية بين الآراء العقدية ليست الأولى في تاريخ العقائد الإسلامية. كما أنها لن تكون الأخيرة. إنها مميز ثابت من مميزات تشكل الفكر الديني في الإسلام. والأمر جدير بدراسة مستقصية ،ويتضح المنهج التوفيقي الذي سلكه الأشعري من المقارنة بين كتابيه الأساسين: فمواقفه العقدية في "الإبانة" قريبة من عقائد أهل الحديث، في حين أنها في "مقالات الإسلاميين" قريبة من الأساليب الكلامية الاعتزالية. بل إن بعض الباحثين قد ذهب إلى الشك في نسبة "الإبانة" إلى الأشعري. وكان هذا الشك محل تفسيرات متعددة قديما وحديثا .المبروك المنصوري: الأشعريّة في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ومفهوم الأدوار الحضارية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة- تونس.(ب.ن)، (ب.ت)،ص10.

3- أحمد بن حنبل الشيباني، من فقهاء أهل السنة، له مذهب يحمل اسمه، ولد سنة 164 هـ و وفاته كانت في سنة 241هـ انظر ترجمته: ابن الجوزي:مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط1،دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م، ص: 13 -ص: 409.

4- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، تحقيق: عباس الصباغ، ط1،دار النفائس، بيروت، 1997م،ص33 و ما بعدها.

5- المنصوري: المرجع السابق،ص 10.

1-4- وفاته: هكذا و بعد حياة حافلة توفي الإمام "الأشعري". بمدينة السّلام ببغداد، و ذهب أغلب المؤرخين إلى اعتبار سنة 324 هـ/936م هي العام الذي ودع فيه "الأشعري" هذه الحياة. [1]

في حين ورد في تتمة المختصرات أن وفاته كانت سنة 330 هـ/941م[2]، أما بعض المؤرخين فقد اعتبروا أن وفاته كانت بعد مضيّ بضع سنوات عن الثلاثين بعد الثلاثمائة[3]، و حددها "أسعد السحمراني" بسنة 333هـ/944م[4].

توفي "الأشعري" و خلّف أتباعا كثيرين من مختلف المذاهب شافعية و مالكية، حنفية و حنبلية، فمن الآخذين عنه نذكر منهم "ابن مجاهد"، "أبو الحسن الطبري"، "أبو إسحاق الأسفراييني"، ثم جاءت بعد هؤلاء طبقة ثانية يتزعمها "أبو بكر الباقلاني" و "أبو بكر بن فورك"، و عن هؤلاء أخذ "الجويني" و "الغزالي" و " أبو المظفر الخواض" و الشهرستاني" و "الرازي".

و هكذا بعد أن عرّفنا بالمذهب و بصاحبه سنعرّج فيما يلي إلى أهم أراء الإمام "الأشعري" العقدية.

ففيما تتمثل أراء المذهب الأشعري الذي ولد في ظل ظروف حالكة و متوترة؟

1-5-أراء الإمام الأشعري وأتباعه:

سبق و أن ذكرنا أن الأشعرية جاءت لتضفي نوعا من الاعتدال على ذلك الجوّ المشحون الذي كان سائدا أواخر القرن الثالث الهجري، بحيث فشي الغلو و أصبح السمة البارزة التي تميز أغلب فرق ذلك العصر.

و حتى نلمس ميسم التوسط و الاعتدال لدى الأشاعرة رأينا أنه من المستحسن قبل التطرق إلى رأيهم في مسألة من المسائل، أن نستقصي رأي فرقة أخرى في ذات المسألة.

1- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 66؛ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق: ج 3، ص: 303.

2- ابن الوردي: المصدر السابق، ص: 66.

3- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 2، ص: 446.

4- أسعد السحمراني: أبو الحسن الأشعري، موسوعة الأديان الميسرة، كتاب جماعي، ط2،دار النفائس للطباعة و النشر، بيروت، 2002م، ص ص: 27-28.

بيد أنّه قبل الولوج إلى المسائل التي تناولها علماء المذهب و منَظّروه في كتبهم، علينا أولا أن نعرّف بمنهج الأشاعرة الذي اعتمدوا عليه في عرض أفكارهم و نظرياتهم، و في الحقيقة أنه نفس منهج المعتزلة و لكن بدرجة أقلّ، فقد استخدموا العقل و لكن ليس بدرجة استخدام المعتزلة إيّاه[1]، فهذه الأخيرة تعتبر العقل أداة صالحة للوصول إلى الحق، في حين لا ترى فيه الأشعرية أكثر من أداة لفهم التّكليف، لذا تبيح المعتزلة التّأويل عند كل اختلاف يقع بين حكم العقل و ظاهر النص، أما الأشعرية فتقيّده أو تمنعه قطعا، و تُؤْثرُ الإقرار بالجهل، و عليه فالمعتزلة تُجري مدلول النص بحسب حكم العقل، لكن الأشعرية تُجري حكم العقل بحسب مدلول النص و تقطع بوجوب الإيمان و التسليم المطلق، و هذا معنى قول المعتزلة بالعقل و قول الأشعرية بالسّمع.[2]

فالإتباع بالنسبة إليهم خير من الابتداع، و في ذلك يقول "الأشعري": «قولنا الذي نقول به و عقيدتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، و ما روي عن الصحابة و التابعين و أئمة الحديث، و نحن بذلك معتصمون... »[3]

في الواقع أن كل من المذهبين لجأ في إثبات أرائه إلى طريقة جدلية تسمى طريقة القسمة العقلية، و فيها يستقصي الباحث جميع الحالات الممكنة ثم يبرهن على فسادها جميعا ما عدا حالة واحدة هي الأصول.[4]

و سنعرض فيما يلي أراء المذهب الأشعري من خلال مقارنة نبين فيها كيف أن الأشعري حاول التوفيق بين تفريط البعض(العقل) و إفراط البعض الآخر (النقل):

- مسألة الذات و الصفات:

ذكر " ابن عساكر" أن " الأشعري" نظر في كتب المعتزلة و الجهمية، و وجد أنهم عطلوا و أبطلوا و قالوا " لا علم الله و لا قدرة و لا سمع و لا بصر و لا حياة و لا بقاء و لا إرادة..."[5]

1- هلالي عبد الله أحمد: الحقيقة بين الفلسفة العامة و الإسلامية و فلسفة الإثبات الجنائي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص: 313.

2- كمال اليازجي: المرجع السابق، ص: 157.

3- الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ، ص: 34.

4- محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية، ط4،دار المعارف، مصر، 1972م، ص: 67.

5- ابن عساكر: المصدر السابق،ص150.

فالمعتزلة ذهبت إلى القول أن صفات الله صفات سلبية، لا تقتضي للذات شيئا زائد عليها، ففي نظرهم أننا إذا قلنا أن الله عالم فقد أثبتنا لله علما هو ذاته، و نفيا عن ذاته الجهل و دللنا على أن هناك معلومات منكشفة لذاته، و إذا قلنا أن الله قادر فقد أثبتنا لله قدرة هي ذاته و نفيا عن ذاته العجز و دليلنا أن هناك مقدورا له و هكذا، و قال بعض المعتزلة أن هذه الصفات الغرض منها إفادة الناس معانيها، فإذا قلنا عالم فالغرض منه إفادة الناس علما بأنه لا يجهل، و كذلك بقية الصفات.[1]

بينما يرى أصحاب الإفراط و على رأسهم الحشوية و المجسمة و المكيفة و المحددة الذين قالوا أن لله علما كالعلوم، و قدرة كالقدر، و سمعا كالإسماع، و بصرا كالإبصار.[2]

أما رأي الأشاعرة فهو يظهر جليا إن الله عالما كما قال، من خلال قوله ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [3]. ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾[4].

و نثبت لله قدرة كما قال:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [5] و مما ذهب إليه الأشاعرة أيضا أن الصفات التي وصف بها الله سبحانه أولية قائمة بذاته لا يقال هي هو و لا غيره، و لا تشبه صفات الخلق بوجه من الوجوه.[6]

و مما تجدر الإشارة إليه أن الأشاعرة ميزوا بين صفات الذات و صفات الأفعال، و قالوا بقدم الصفات الإلهية، و ردوها إلى سبع صفات هي: القدرة، و العلم، و الحياة، و الإرادة، و السمع، و البصر، و الكلام، و الأسماء المشتقة منها قديمة أيضا مثل القادر، و العالم، و الحي ، و المريد، و السميع، و البصير. أما صفات أفعال الله كالخالق و المعز و المذل فهي غير قديمة في نظرهم.[7]

1- الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ط1،،ص129.

2- ابن عساكر: المصر السابق،ص150.

3- سورة: النساء، الآية:165.

4- سورة: فاطر، الآية:11؛ سورة: فصلت،الآية:46.

5- سورة : فصلت، الآية:14.

6- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة،ص36.

7- أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي،مصر،1972،ص.35

و يدلل الأشاعرة على أن صفات الذات قديمة بقولهم أنها لو كانت محدثة لأحدثها الله في ذاته، و هذا محال لأنه ليس محلا للحوادث، و من المحال أيضا أن يحدث الله صفاته في غير ذاته. و يبقى احتمال أخير و هو أن تكون الصفات محدثة قائمة بذاتها، و هذا أيضا محال لأن الصفة لا يمكن أن تقوم بذاتها بدون موصوف، و على هذا فصفات الله قديمة في ذاته و غير منفصلة بعضها عن بعض، و غير مباينة لبعضها الآخر و لا هي مغايرة لذات الله.[1]

- أفعال العباد:

قال الجمهور من المعتزلة:" أن العبد موجد لأفعاله لا على نعت الإيجاب، بل على صفة الاختيار"[2] فالبنسبة إليهم أن الله عادل، و من هذا المنطلق لا يحاسب العبد على عمل أجبر عليه.[3] كما أن أعمال العباد مخلوقة لهم و في قدرة العباد أن يفعلوها، و أن يتركوها من غير دخل لإرادة الله و لولا ذلك ما كان التكليف، إذ لو لم يكن قادرا على الفعل و عدمه ما صح أن يقال له إفعل و لا تفعلوا و لا مدح بفعل و لا ذم بترك.[4]

بينما ترى الجهمية أن العبد مجبر، و هو كالريشة في مهب الريح، فليس له القدرة و لا إرادة و لا اختيار، فأفعاله مخلوقة لله كأي شيء آخر، و اعتبروا أن إسناد الأفعال إلى الإنسان إنما ذلك على سبيل المجاز ليس إلا، كما هو الشأن بالنسبة لقوله تعالى:﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [5]

و بين الجبر و الاختيار جاء "الأشعري" بفكرة الكسب، و فيها يفصل بين إرادة العبد و عمله، و حصر حريته في الإرادة المجردة و اتبع عمله بإرادة الله، فالعبد يريد ما يشاء لكن الله هو الذي يخلق العمل متى سمح به فالفعل و الحالة هذه خلق من الله و كسب من العبد، و إنما نسب

1- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق،ص:198، 199.

2- فخر الدين أبو عبد الله محمد الرازي: محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و الحكماء و المتكلمين، بذيله تلخيص المحصل : نصر الدين الطوسي، راجعه: عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (ب.ت)،ص194.

3- محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي(دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)،ط1، مركز الوحدة العربية،بيروت،2001،ص82.

4- أبو عمران الشيخ: فكر المعتزلة، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد38، 1976،ص153.

5- سورة: الكهف، الآية:76.

إلى العبد على سبيل المجاز فقط، و لو كان العبد خالقا لأفعاله لشارك الله في الخلق.[1] بمعنى آخر أن الإنسان إذا عمل عملا لا يعمله وحده بل الله يعمله معه، و عمل الإنسان عمل و عمل الله مقترنان وقت حدوث العمل، و بذلك الاقتران الذي يثبت للإنسان عملا يكون للإنسان كسبه الذي سيحاسب عليه في الآخرة و الأولى.[2] و في ذلك يقول " الأشعري":"... أنه لا يكون في الأرض شيء من خير و شر ما شاء الله، و أن الأشياء تكون بمشيئة الله و أن أحد لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله، و لا نستغني عن الله و لا نقدر عن الخروج من علم الله، و أنه لا خالق إلا الله، و أن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له، كما قال تعالى:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [3]، و أن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا و هم يخلقون كما قال:﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [4]، و كما قال:﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [5].

و كما قال:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [6]، و هذا في كتاب الله كثير."[7]

– رؤية الله:

أنكرت المعتزلة رؤية الله في الدار الآخرة بأي حال من الأحوال، لأن الرؤية بالنسبة إليهم تقتضي الجسمية و شاكلاتها، و هذا ما يخل في نظرهم في نزاهة و قداسة الله جل و علا[8]، بالإضافة إلى المعتزلة هناك فرق أخرى أنكرت الرؤيا أيضا هي الجهمية و النجارية.[9]

بينما ترى الحشوية و المجسمة أن الله سبحانه و تعالى يرى مكيفا محدودا كسائر المرئيات.[10]

1- كمال اليازجي: المرجع السابق،ص:158، 159.

2- ابن عساكر: المصدر السابق،ص16.

3- سورة: الصافات، الآية:96.

4- سورة: فاطر، الآية:03.

5- سورة: الفرقان، الآية:03.

6- سورة: النحل، الآية:17.

7- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة،ص:36، 37.

8- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق،ص528.

9- لويس غرديه، ج. قنواتي: المرجع السابق،ص104.

10- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق،ص528.

بالمقابل أثبت" الأشعري" رؤية الله تعالى، و لكن من غير حلول و لا حدود، و في ذلك يقول:" ندين بأن الله يرى بالإبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الراويات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، و تقول أن الكافرين- إذا رآه المؤمنون- عنه محجوبون لقوله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [1] [2]

أما عن طبيعة الرؤية فهم يقولون إن إدراك الشيء لا يعني بالضرورة رؤيته و إبصاره من جميع جوانبه، لأن المراد من القول بإدراك الشمس لا يعني رؤيتها بالنسبة لرؤية الله.[3]

و يقول الغزالي في ذات المسألة:" أن الخصوم أنكروا الرؤية لأنهم لم يفهموا ما نريده(أي الأشاعرة) بالرؤية، و ظنوا أن نريد بها حالة تساوي التي يدركها الرائي عند النظر إلى الأجسام من الألوان، و هيهات فنحن نعترف باستحالة ذلك التصور في حق الله سبحانه، و لكن ينبغي أن يحصل معنى هنا اللفظ في الموضع المتفق ثم يحذف منه ما يستحيل في حق الله سبحانه و تعالى، و يتبقى من معانيه معنى لو يستحل في حق الله سبحانه، و يمكن أن يسمى ذلك المعنى رؤية".[4]

- التأويل:

اعتمدت المعتزلة في تقديم نظرياتها على مبدأ التأويل، فأولت المتشابه من القرآن. و فسروا (اليد) التي وردت في الآيات القرآنية كقوله تعالى:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [5] ، و قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [6]، بالنعمة و القدرة، و فسروا الوجه كما هو في قوله عز و جل:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [7] بوجوده سبحانه و تعالى، أما قوله جلا و علا: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [8] .

1- سورة : المطففين، الآية:15.

2- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة،ص38.

3- الرازي: محصل أفكار المتقدمين،ص193.

4- الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد،ص46.

5- سورة : المائدة، الآية:66.

6- سورة: ص، الآية:74.

7- سورة: الرحمن، الآية:25.

8- سورة: طه، الآية:04.

ففسروه باستيلاء و التمكن و الغلبة.[1] و على النقيض مما ذهبت إليه المعتزلة نجد الحشوية تتقيد بظاهر النص تقيدا مطلقا، فصنفت جنبا إلى جنب مع الفرق المجسمة الأخرى، فهم يقولون بأن لله يدا و وجها كما هو معروف و مألوف عند البشر، و قالوا في الاستواء على العرش بأنه جلوس و قعود على العرش و الحال في ذلك حال البشر.[2]

بينما التزم " الأشعري" هو الأخر بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه، لكن دون أن يقع في التجسيم أو التشبيه، فهو يعتقد أن لله وجها و يدا و أنه استوى على العرش دون أن يحاول أن يعطي تفسيرا لذلك. و في ذلك يقول:"... و جملة قولنا أن نقر...أن الله استوى على عرشه كما قال الرحمن:﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، و أن لله وجها كما قال:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، و أن لله يدا كما قال: :﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ، و أن له عينا بلا كيف كما قال تعالى:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [3] [4]

و يذكر أسعد السحمراني أن الأشعري قال في الاستواء على العرش ما نصه:" أنه تعالى في السماء، مستو على عرشه....استواء منزهاً عن الحلول و الاتحاد".[5]

- مسألة خلق القرآن:

قالت المعتزلة كلام الله مخلوق مخترع، فهو غير قديم انطلاقا من اعتبارات عديدة منها أن القول بقدم القرآن و إلى يعتبر خطابا لما فيه من أوامر و نواهي و أخبار و إلى غير ذلك؛ يقتضي أن يكون هناك مخاطب موجه إليه الخطاب على أن يكون المخاطب قديما أيضا، الشيء الذي يفضي إلى القول بتعدد القدماء، و بالتالي الشرك، هذا من جهة و من جهة أخرى فقد ذهبوا إلى القول بأن الخطاب حروف و ألفاظ و معان، و القول بأن القرآن غير مخلوق سيقضي إلى القول بقدم

1- لويس غرديه، ج. قنواتي: المرجع السابق،ص104.
2- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق،ص528.
3- سورة : القمر، الآية:14.
4- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة:ص-ص:35- 37.
5- أسعد السحمراني: المرجع السابق،ص28.

حروفه و ألفاظه عن معاينة الشيء الذي يفضي مرة أخرى إلى القول بتعدد القدماء، وبالتالي إلى الشرك أيضا.[1]

بينما قالت الحشوية و المجسمة أن الحروف المقطعة و الأجسام التي يكتب عليها، و الألوان التي يكتب بها و ما بين الدفتين غير مخلوق و كلها قديمة أولية.

في حين سلك الأشعري طريقا بينهما و قال:" القرآن كلام الله غير مغير و لا مخلوق و لا حادث و لا مبتدع، فأما الحروف المقطعة و الألوان و الأجسام و الأصوات فمخلوقات مخترعات.[2]

و بصياغة أخرى يمكننا القول بأن الأشعري فرق بين الكلام النفسي الذي يجول في النفس و الكلام المتلفظ به و هو دليل على الكلام النفسي، و الدليل غير المدلول، فكلام الله النفسي قديم و كذا الحال بالنسبة للقرآن، أما الحروف و الأصوات- القراءة- التي هي دلالة الكلام النفسي و التي هي دلالة الكلام النفسي و التي هي فعل القارئ فهي مخلوقة.[3] و في ذلك يقول الشهرستاني:" و كلامه واحد هو أمر و نهي و خبر و استخبار، و وعد و وعيد، و هذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه لا إلى عدد في نفس الكلام و العبارات، إذ للألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأدبي، و الدلالة مخلوقة محدثة و المدلول قديم أزلي، و الفرق بين القراءة و المقروء و التلاوة و المتلو كالفرق بين الذكر و المذكور فالذكر محدث و المذكور قديم."[4]

مما سبق يظهر لنا جليا أن الأشاعرة يفرقون بن القراءة و المقروء و التلاوة و المتلو، فقالوا بحداثة الأول و قدم الثاني، و يبرهن الغزالي على ذلك بقوله:" ...هنا ثلاثة ألفاظ قراءة و مقروء و قارئ، أما المقروء فهو كلام الله تعالى أعني صفته القديمة القائمة بذاته، أما القراءة فهي اللسان عبارة عن

1- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987،ص64.

2- أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص174.

3- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق،ص199.

4- الشهرستاني: الملل و النحل، ج1،ط1،ص199.

فعل القارئ الذي كان ابتداه بعد أن كان تاركا له، و لا معنى للحادث إلا أنه ابتدى بعد أن لم يكن..."[1]

تلك إذا كانت أراء الأشاعرة في جملة مسائل طرحت على الساحة الفكرية أواخر القرن الثالث الهجري، و لم يقتصر أصحاب هذا المذهب على تقديم أرائهم حول هذه المسائل الشائكة فقط، و إنما لهم أراء أخرى كرأيهم في معرفة الله و الشفاعة و غيرها، فهم يرون أن معرفة الله توجب بالوحي بينما قالت المعتزلة أنها توجب بالعقل قبل الشرع، و قد اختلف الفريقين أيضا حول وجوب أو جواز بعث الرسل. [2]

أما عن الشفاعة فهم يرون أن للرسول صلى الله عليه وسلم شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة يشفع لهم بإذن الله و أمره، و لا يشفع إلا لمن ارتضى، و قد استندوا فيما ذهبوا إليه مجموع الأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة لعصاة أهل الملة الإسلامية. [3]

لقد حاول الأشاعرة إذن أن يسلكوا مسلكا وسطا بين التيارات الفكرية المتنازعة خلال القرن الثالث هجري، و سعوا بأسلوبهم ذاك إلى التخفيف من وطأة الخلاف و أن يستميلوا إلى جانبهم أطراف النزاع من جهة، و كسب تأييد جمهور المسلمين من جهة أخرى[4]، و هو ما كان بالفعل، فبُعدُ الأشعري عن الغلو و اعتماده الطريق الوسط جعل له أتباعا و نصره كثيرون في حربة ضد المعتزلة و أهل البدع و الأهواء. [5]

1- الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد،ص110.

2- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص: 203.

3- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: كتاب التمهيد، تحقيق: ريتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957م، ص: 369.

4- آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، ص ص: 377 ، 378.

5 – أسعد السحمراني: المرجع السابق، ص: 28.

2- نشأة المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي:

يعتبر المذهب الأشعري من أبرز الفرق الكلامية في الإسلام و أكثرها انتشارا[1]، و ينسب إلى مؤسسه أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ/936م) نتاج فريد لفترة تاريخية من أخصب الفترات في تاريخ الفكر الإسلامي. إذ هو مركز هذا الفكر ومنبع منعرجاته الأساسية.[2] و أصحابه ينتسبون إليه في الاعتقاد [3]،كما قال الشهرستاني:" الأشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري"[4]

و قد ظهر المذهب الأشعري ببغداد في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[5]، على إثر انقلاب مفاجئ في معتقد مؤسسه أبي الحسن الأشعري رحمه الله(ت 324هـ/936م) من الاعتزال- الذي كان قد استمر عليه عشرين عاما- إلى مذهبه الجديد [6]. يقول الإمام أبو زهرة:" عكف الأشعري في بيته مدة وزان فيها بين أدلة الفرقتين و انقدح له في رأي بعد الموازنة، فخرج إلى الناس و ناداهم بالاجتماع إليه، فرقى المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة، و قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان؛ كنت أقول بخلق القرآن، و أن الله تعالى لا يرى بالأبصار، و أن أفعال الشر أنا أفعلها، و أنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج فضائحهم. معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، و لم يترجح عندي شيء ، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه و انخلعت من جميع ما كنت أعتقد، كما انخلعت من ثوبي هذا.."[7]

1- سالم يفوت: الأشعرية في المغرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت/باريس، العدد 68، 69، أكتوبر 1989،ص61.

2- المبروك المنصوري: الأشعريّة في بلاد المغرب ، ص02.

3- خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور: منهج أهل السنة و الجماعة و منهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى،ج2،ط1،مكتبة الغرباء الأثرية،المدينة المنورة،1995م،ص28.

4- الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ط2، ص81.

5- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط 1 ،دار المغرب الإسلامي، بيروت، ، 1992م،ص14.

6- سعد رستم: المرجع السابق،ص 123.

7- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص152.

هذا الانقلاب ترافق معه خصومة للمعتزلة ، و قد تزامن هذا التحول مع بداية أفول عصر المعتزلة،[1]و لقد كان العصر الذي ظهر فيه المذهب الأشعري عصر المذاهب التي تنشذ الحلول الوسطى، و تبغي المواقف التوفيقية[2]، لذا جاءت أفكار أبو الحسن الأشعري موافقة لأفكار أبي منصور الماتريدي (ت 333هـ/945م) المنسوب إلى ماتريد بسمرقند الذي اشتهر بعلم الكلام حتى صار له فيه مذهب قارب مذهب الأشعري، بالرغم أنه لم يثبت أي لقاء ، أو معرفة بين الرجلين[3]،و مرد هذا التوافق استناد الرجلين على أفكار و مذهب سعيد بن عبد الله بن كلاب البصري(ت241هـ/855م) الذي كان يثبت الصفات العقلية السبعة: الحياة و العلم و القدرة و الإرادة، و السمع و البصر، و الكلام، و يؤول الصفات الخبرية كالوجه و اليدين و القدم و الساق و نحو ذلك[4]، فجاء الأشعري بمذهب لا يختلف كثيرا عن مذهب ابن كلاب و مدرسته ، خاصة فيما يتعلق بمسألة تأويل صفات الله (العلو، الإستواء، الكلام)[5]، و هنا حدث التحول الثاني في في مسيرة الأشعري العقدية،نحو مرحلة الكلابية، و في هذا الصدد يقول المقريزي:" ...أخذ عن الجبائي مذهب الاعتزال،ثم بدا له فتركه، و سلك طريقة عبد الله بن كلاب، و نسج على قوانينه في الصفات و القدر، فمال إليه جماعة و عولوا على رأيه و جادلوا فيه."[6]

1- سعد رستم: المرجع السابق،ص 123.

2- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الاسلامي،ص17.

3- أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص151؛محمد أحمد العدوي:الشرح الجديد لجوهرة التوحيد،ط1،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1947م،ص164؛ مصطفى مغزاوي: دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه (من منتصف القرن 11/5هـ إلى بداية القرن 14/8م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2008 ،ص 08.

4- الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج11،ص174؛ مصطفى مغزاوي:المرجع السابق،ص08؛ فدوى بنكيران :أصول المنهج الأشعري و منهجه العقدي، مجلة دعوة الحق،العدد 396،دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط،2010،ص77.

5- عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود:موقف ابن تيمية من الأشاعرة،ج1،ط1، مكتبة الرشد، الرياض،1995م،ص493؛ مغزاوي مصطفى: المرجع السابق،ص8، 9.

6- المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج2، ص359 و ما بعدها.

و لم يلبث طويلا حتى تراجع عن الكلابية و إلتحق بأهل الحديث ، متخليا و مبتعدا عن التأويل، و هنا يحدث التحول العقدي الثالث في مسيرة أبو الحسن الأشعري نحو المرحلة السنية[1]، و ما يؤكد ذلك قوله في كتابه الإبانة: " ... وقولنا الذي نقول به ، وديانتنا التى ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نظر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ..." [2]

في حين يرى أحد الباحثين أن " لا مجال للآراء التّسليميّة حول انتسابه الفقهي ولا للافتراضات والاحتمالات غير المدعومة التي يلجأ إليها بعض الباحثين انطلاقا من زاوية نظر ضيّقة يقاربون بها الموضوع. والمرجّح أن ابتكارات الأشعري الكلامية قد غطّت اختياره الفقهي. بل إن هذا الاختيار تضاءل إلى درجة الاكتفاء بممارسة الشّعائر دون الانتماء إلى مذهبيّة فقهيّة واضحة. وهذا ما سهّل انتشار آرائه بين أهل السنّة أوّلا، ثم ولّد تنازعهم في انتمائه الفقهي ثانيا، بحيث يدّعي كل صاحب مذهب انتساب الأشعري إلى مذهبه.

أما المؤسس الحقيقي للاتجاه الأشعري- ذي الخواص المعروفة و التوجه العقلي المشهور و المنهجية التأليفية الخاصة- فهو أبو بكر الباقلاني (ت403هـ/950م)[3]، الذي شهد المذهب الأشعري على يده تطورا كبيرا بعد أن وضع له المقدمات النظرية، و أسس قواعده و رتب مباحثه، في كتبه الكثيرة التي من أهمها كتاب "الإنصاف" ، و " التمهيد" و غيرهما.[4]

1- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية(دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية و شروحها)،ط1،دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط،2005،ص23؛ فدوى بنكيران :أصول المنهج الأشعري و منهجه العقدي،ص77؛ المرجع السابق،ص 10.

2 – الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، ص 52؛ جمال علال البختي: المرجع السابق، ص.23

3- محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلاني من أكبر أعلام و علماء الأشاعرة، انتهت إليه رئاسة الأشاعرة بعد أبي الحسن الأشعري، له عدة مؤلفات منها: الأنصاف، و إعجاز القرآن، و دقائق الكلام، و التمهيد. للمزيد ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4،ص270؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص-ص:49-52.

4- علال البختي: المرجع السابق،ص23.

كما كان للإمام البغدادي(ت429هـ/1037م)[1]و ابن فورك (ت406هـ/1015م)[2] و للإسفراييني(ت 418هـ/1027م)[3] و غيرهم دور كبير في الدفاع عن هذا المذهب و في التأريخ لقضاياه، و تطوير أساليبه و توسيع مباحثه و تعزيز أدلته.إلا أن الفكر الأشعري لم يعرف التطور المنهجي الحاسم و النوعي إلا على يد الإمام أبي معالي الجويني(ت478هـ/1085م)[4]، و تلميذه الغزالي (ت505هـ/1111م)[5] الّذين قفزا بالمذهب إلى طور جديد اعتمد فيه الأشاعرة على المنطق اليوناني أساسا، و استعملوا الأساليب العقلية و الفلسفية بوضوح لإثبات قضايا العقيدة السنية.[6]

1- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ولد بغداد و استقر بنيسابور، من أبرز شخصيات الأشاعرة في كرحلة نشأة المذهب و صياغته، و له عدة مؤلفات منها: الفرق بين الفرق، و كتاب أصول الدين. يتظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج3،ص203؛ عبد المجيد معلومي:المرجع السابق،ص-ص:53-56.

2- محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الإصبهاني أبو بكر، عالم بالأصول و الكلام من فقهاء الشافعية، له العديد من المصنفات في أصول الدين و أصول الفقه و معاني القرآن تجاوزت المائة. ينظر: ابن عساكر: تبيين كذب المفتري،ص232، 233.

3- الإمام أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الإسفراييني، الفقيه المتكلم، من كبار علماء الأشاعرة، له مؤلفات كثيرة منها: الجامع في أصول الدين، و رسالة في أصول الفقه، و كتاب الوصف و الفة، و كتاب تحقيق الدعاوي. ينظر: ابن عساكر: المصدر السابق،ص243، 244.

4- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي ابن ركن الإسلام أبي محمد إمام الحرمين، إمام أئمة الأشاعرة، له عدة مؤلفات منها: الأرشاد، و الشامل، و غياث الأمم في التياث الظلم، و لمع الأدلة. ينظر: ابن عساكر: تبيين كذب المفتري،ص278، 279؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج1،ص287؛ عبد المجيد معلومي:المرجع السابق،ص-ص:57-62.

5- أبو حامد محمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام، و زين الدين، و عالم العلماء، فيلسوف و متصوف خرساني، و له العديد من المؤلفات تبحث في علوم الدين و الكلام و الفلسفة منها: إحياء علوم الدين، و تهافت الفلاسفة، و المنقذ من الضلال، و المستصفى، و عقيدة أهل السنة و غيره كثير. ينظر:ابن خلكان: المصدر السابق، ج4،ص-ص:216-219.

6- محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السياسي للعلماء فى عصر المرابطين، ط 1، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، 2000م،ص116، 117؛ علال البختي: المرجع السابق،ص23، 24.

3- انتشار المذهب الأشعري و موقف السلف منه :

لم يكد يوطّد المذهب الأشعري دعائم وجوده و يتخذ طابعا متميزا حتى غدا هدفا لهجمات عديدة[1]، و كان المذهب المعتزلي أول من شمر على ساعديه للتصدي لهذا المذهب الجديد، و هو ما أسفر عن مناظرات عديدة بين الطرفين، و لم يتوقف الأمر عند الإصطدامات الفكرية فحسب، بل تعداه إلى مواجهات ميدانية[2].

و كذلك لم يرق لأهل الحديث و في مقدمتهم الحنابلة هذا المذهب الجديد، و ذكر "ابن عساكر" أن الأشاعرة و الحنابلة كانوا على وفاق إلى أن دبّ الشقاق بينهم في زمن الإمام الأشعري " أبي نصر القشيري "[3].[4]

و بالرغم من كل ما واجهه الأشاعرة من حملات عدوانية، فقد توسعت مدرستهم و انتشرت، و ساعدها الوقت حتى أصبحت لسان حال السنة في القسم الأكبر من العالم الإسلامي، و خاصة بعد أن أصبحت تحظى بعطف السلاجقة لا سيما الوزير "نظام الملك"، حيث قام بالإحسان إلى علماء هذا المذهب و إكرامهم، و بنى الأشاعرة مدارسا تعرف بـ "المدارس النظامية"[5]، هذه المدارس التي أعطت دفعا قويا للمذهب، كما أمكن لعلماء هذا المذهب أن يكونوا أساتذة هذه المؤسسات الفكرية[6].

1- هنري كوربان: المرجع السابق، ص: 188.

2- أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط4،مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1975م،ص: 70.

3- عبد الرحمن بن أبي القاسم القشيري، تعلم على أبيه و لازم الجويني، و كان له موقع عظيم عنده، كان يعظ في المدرسة النظامية، توفي سنة 514 هـ، انظر ترجمته :الشهرستاني، الملل والنحل،:ج1،ط1،ص12.

4- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 164.

5- أنشأ نظام الملك هذه المدارس في عدة أقاليم، فبنى مدرسة بغداد و مدرسة ببلخ و مدرسة نيسابور و مدرسة بأصفهان و البصرة، و مدرسة بمرو و طبرستان و الموصل،انظر:ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج10،ص- ص:205-209

6- عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي و الفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن 5 الهجري حتى سقوط بغداد، ط1،دار المعرفة، جدة، 1983م، ص: 136.

و هكذا قوي نفوذ الأشاعرة، فانتقلوا من طور الدفاع إلى طور الهجوم، إذ شرعوا في مهاجمة خصومهم ليس على الصعيد الفكري بل على الصعيد السياسي، و ذلك بقولهم أن خصومهم يحملون أفكارا تغذّيها دولة أو حكم معارض للخليفة العباسي.[1]

فلما تهاوت أركان الخلافة العبيدية (الفاطمية) [2]بمصر على يد "صلاح الدين الأيوبي"[3] سنة 567 هـ/1171م، أعاد مصر إلى رحاب المعسكر السني مستخدما القوة ضد المناوئين، و جاهد في نشر الثقافة السنية عن طريق المدارس الكثيرة التي أقامها في مصر و الشام[4]، و من أشهرها المدرسة الصلاحية التي أنشأت سنة572 هـ/1176م، و مدرسة المشهد الحسيني بالقاهرة[5]، و قد حرص صلاح الدين على أن تكون عقيدة الأشعري هي الأكثر نفوذا في تلك المؤسسات[6]، و نهج معظم الأيوبيين نهج صلاح الدين في التمكين لعقيدة الأشعري.[7]

إلى جانب المساندة السياسية التي خُص بها المذهب فقد رزق أتباعا كثيرين من العلماء الأقوياء قوّوا الآراء التي إنتهى إليها "الأشعري"، فمن الآخذين عنه "أبو إسحاق الأسفراييني" و الشيخ "أبو بكر القفال" و "الحافظ الجرجاني" و الشيخ "أبو محمد الطبري"، ثم جاءت طبقة ثانية من "الصعلوكي" و "الداراني"، "أبو بكر الباقلاني" و "ابن بكر فورك"، و من الطبعة الثالثة "أبو الحسن السكري" و "أبو منصور النيسابوري" و "أبو منصور البغدادي" و "الحافظ الهروي" و

---

1 – هنري كوربان: المرجع السابق، ص ص: 189 ، 190.

2– قامت هذه الدولة في بلاد الغرب الإسلامي سنة 296 هـ، و واضع النواة الأولى لها هو الداعية ابو عبد الله الشيعي، أما أول خليفة لها فهو عبد الله المهدي، ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله، انتقلت هذه الدولة إلى مصر سنة 362 هـ: انظر: رابح بونار، المغرب العربي، ص– ص: 157 – 165.

3– صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، ولد بتكريت سنة 532 هـ، و كان أبوه أيوب في خدمة عماد الدين الزنكي، فلما توفي هذا الأخير صار أيوب و أولاده في خدمة نور الدين، انظر ترجمته: محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1، مطابع الشعب، القاهرة، 1960م، ص –ص: 55-58.

4– عبد المجيد البدوي: المرجع السابق، ص: 11.

5– شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: محمد حلمي، محمد أحمد، ج 1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، 1956م، ص: 688.

6– عبد المجيد البدوي: المرجع السابق، ص: 297.

7– ابن خلكان:المصدر السابق: ج2، ص: 168.

غيرهم ... ، و من الرابعة "الخطيب البغدادي" و "أبو القاسم القشيري.. و إمام الحرمين، و من الخامسة "الغزالي" و "فخر الإسلام الشلش" و "أبو نصر القشيري.. و "ابن عساكر" و "السمعاني" و "ابن الحاجب المالكي" و غيرهم ، و كل هؤلاء تبايعوا على نصرة مذهبه، مع علو مكانتهم و سعة نفوذهم مما آل أخيرا إلى انتشار المذهب و خفوت خصومه [1]

فانتشر مذهبه انتشارا كبيرا في العراق من سنة 388 هـ/998م[2] و بلاد فارس على أيام السلاجقة، ثم في مصر و الشام على عهد الأيوبيين و المماليك. [3]

و يؤكد الأشاعرة من متقدمين و متأخرين أن مذهبهم ليس مستحدثا من مؤسسة "أبي الحسن الأشعري"، و إنما كان في ذلك تبعا لمن قبله من الصحابة و التابعين و أئمة الفقه ورجال الحديث، حقيقة أن كل فرقة حاولت أن تصل مذهبها بالمتقدمين من صحابة الرسولﷺ، و لكن الأشاعرة كانوا في ذلك أشدَّهم إصرارا كي يطمئن الناس أنهم بحق أهل السنة، و أن غيرهم من الجماعة منشقون، فهل نستطيع أن نلتمس عقائد الأشعرية لدى السابقين؟ و هل كانت لأئمة الفقه الأربعة أراء مشهورة في الكلام حتى يتبعهم الناس فيها و حتى يكون الأشاعرة امتدادا لهم؟[4]

مع أنه من الثابت أن علم الكلام لم يكن يشغل الأئمة الأربعة، فقد شغلوا عنه بمسائل الفقه، إلا أنه ثبت إليهم بعض الآراء الكلامية، فلا نجد للإمام "أبا حنيفة" (ت 150 هـ/767م) أراء تفصيلية في مسائل الكلام على النحو الذي عرضها الأشاعرة، ذلك أنه من المتعذر أن يحمل النصف الأول من القرن الثاني آراء لم تعرف إلا في القرن الرابع.

حقيقة أن هناك مشكلات أثيرت منذ زمن مبكر كالقضاء و القدر و الأسماء و الأحكام،لكن أغلب الظن أن "أبي حنيفة" لم يكن سلفا ولا رائدا للأشاعرة فيها، و إنما أولى به أتباعه الأحناف من الماتريدية و الطحاوية.

1- أحمد أمين، المرجع السابق، ص: 73.

2- محمود قاسم: نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية، ط3، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1969م، ص: 46.

3 - لويس غرديه، ج. قنواتي،: المرجع السابق، ج1، ص: 109.

4- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق،ج2، ص:21.

كما قد كان الإمام "مالك" (ت 179 هـ/795م) محدثا و فقيها ليس غير، و موقفه من الكلام هو الموقف الذي عرف عنه حين سئل عن الاستواء فسكت مليا حتى علاه العرق الشديد ثم قال: « الاستواء معلوم، و الكيف مجهول، و السؤال عن هذا بدعة و الإيمان بالاستواء واجب»[1]، ومع ذلك فقد تكلم "مالك بن أنس"في بعض المسائل على طريقة السلف لا على طريقة المتكلمين، من ذلك:

1- رأيه بالإيمان: الإيمان عهد و قول و عمل، إذ الطاعات جزء من الإيمان.

2- رؤية الله: كان يرى جواز رؤية الله في الآخرة استنادا إلى نفس الآيات التي يذكرها الأشاعرة من بعده.

و مع أن هذه الآراء اعتقدها الأشاعرة من بعد، إلا أن الإمام "مالك" بعزوفه عن المسائل الكلامية لا يعد سلفا للمتكلمين ولا لأية فرقة من فرق المسلمين في أصول الدين.[2]

لقد كان الإمام "محمد بن إدريس الشافعي" (ت 204 هـ/819م) بدوره عازفا عن علم الكلام، إذ هو علم إن أصاب المرء فيه لم يؤجر و إن أخطأ كفر، و مع ذلك فمثله مثل سائر أئمة الفقه، فقد حمل المتأخرون من الأشاعرة - أغلبهم شافعية - أراء في الكلام تتفق مع معتقدات المذهب الأشعري ليصلوا مذهبهم به، لقد أنطقوه بنظرية الكسب الأشعرية مع أنها من أخص آراء الأشاعرة، لم تلقى قبولا في دوائر أهل السنة (السلف).[3]

أما الإمام "أحمد بن حنبل" (ت 241 هـ/855م) كان اشد الفقهاء كراهة للكلام، و مع ذلك فقد أُكره إكراها على الخوض فيه، إذ عاصر ذروة الإعتزال في القرن 3 هـ/8م، و آراؤه - على غير أسلافه - لا يتطرق الشك في صحة نسبتها إليه، و مع ذلك فلم يكن سلفا للأشاعرة بأي حال، لقد خصه "أبو الحسن الأشعري" بالذكر ليؤكد اتصال أرائه به، و لكن الرد جاء من

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج1، ص188.

2- المصدر نفسه:ج1 ،ص: 189؛ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: 183.

3- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق،ج2، ص: 24.

حنابلة عصره الذين لم يقنعهم مديحهم لإمامهم.لقد كان الإمام "أحمد بن حنبل". سلفا لأهل السلف لا للأشاعرة. [1]

كان يقول بقدم القرآن في غير تفرقة بين الكلام النفسي و اللفظي، و كان يرى أن الله في السماء دون الأرض، إذ تنزه سبحانه أن يكون في أجساد البشر و أماكن القذارة، و ليس كل الأشاعرة على هذا الرأي، و كان الإمام "أحمد بن حنبل" مثبتا لكل الصفات، أما الأشاعرة فكان حصرهم صفات الله في سبع صفات هي الحياة و العلم، القدرة و الإرادة، السمع والبصر و الكلام، و تأويلهم غيرها فنجدهم يؤولون صفة الرحمة مثلا و لا يؤولون صفة السمع، و هذا ما يتعارض مع السلف الذين يثبتون كل الصفات. [2]

أما تقديم العقل على النقل و القانون الذي صاغه الأشاعرة في ذلك، فالمسألة مصادرة من أساسها، فأهل السنة يقولون على وجه القطع أنه لا يمكن أن يتعارض عقل صريح مع نقل صحيح.

أما نفيهم أن تقوم بالله أمور تتعلق بقدرته و مشيئته فهو مبني على ما سبق من نفي التغير و التحول عن الله و هو أصل فاسد و الصحيح إثبات كمال قدرته سبحانه، فهو يفعل ما يشاء متى شاء، و على ذلك دلائل الكتاب و السنة و إجماع السلف، قال تعالى: ﴿كُلّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾ [3].

أما القول بأن الإيمان في الشرع هو التصديق، فمخالفة للإجماع الصحيح و لأدلة الكتاب و السنة، أما الإجماع فقد قال الشافعي: «و كان الإجماع من الصحابة و التابعين من بعدهم ممن أدركنا أن الإيمان قول وعمل و نية لا يجترئ واحد من الثلاثة الأخيرة». [4]

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج2،ص26.

2- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، دار المعارف، (د- ت)، 1966م، ص: 200.

3- سورة: الرحمن، الآية:29.

4- محمد علي الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الإيمان، الإسكندرية، (د- ت)، ص: 500.

مما سبق يظهر أن الأشاعرة مخالفون لما عليه الصحابة و التابعين من بعدهم في جملة من القضايا الكبرى كالإيمان و القدر و الكلام و العلو و كثير من الصفات التي يتأولونها أو يثبتونها مع تفويض معناها.

و خلاصة القول أن ليس للأشعرية حق الإدعاء أنها تعبر عن فرقة أهل السنة و الجماعة، و الذي يدعم هذا القول أن فحول علماء الكلام و أئمة هذا المنهج مثل "أبو الحسن الأشعري"، و "أبي حامد الغزالي" و"الفخر الرازي" و إمام الحرمين "الجويني"، رجعوا إلى مذهب أهل السنة و الجماعة في أخر حياتهم و نبذوا علم الكلام وراء ظهورهم. [1]

و في هذا الصدد يقول "أبو الحسن الأشعري" في كتابه الإبانة: «فإن قال لنا قائل قد أنكرتم المعتزلة و القدرية و الجهمية و غيرها فعرّفوها قولكم الذي به تقولون و ديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي نقوله به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز و جل و سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، و ما روي عن الصحابة و التابعين و أئمة الحديث، و نحن معتصمون بما كان يقول به " أبو عبد الله أحمد بن حنبل"». [2]

و ينقل ابن تيمية عن الإمام "الجويني"يقول :« لقد خضت البحر الخضم، و تركت أهل الإسلام و علومهم و خضت فيما نهوني عنه، و الآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، و ها أنا أموت على عقيدة أمي... » [3]

و منه نستنتج أنه لما كانت الأشعرية غنية بشخصياتها، و دعاماتها الفكرية المتعددة انتشرت و ذاعت في الآفاق، مشرقا و مغربا. غير أنه إن كان المشرق مهدا لهذا المذهب، فكيف كتب له الانتشار في بلاد المغرب الإسلامي؟

1- محمد علي الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ،ص 501.

2- أبي الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص: 17.

3- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، ط 4،المكتبة السلفية، القاهرة،1401 هـ،ص: 7.

4- دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي:

4-1- عقائد أهل المغرب قبيل ظهور الأشعرية :

بعدما أتم العرب الفاتحون فتح بلاد المغرب اختلط البربر بالعرب، و مع مرور الوقت دخل كثير من البربر في الإسلام و استعربوا و أصبحوا مسلمين مستعربين، و دخل البربر ميدان الصراع مؤيدين لمذهب أهل السنة و الجماعة حينا، و آخذين بمذاهب الخوارج حينا أخر، فبالنسبة لمذهب أهل السنة و الجماعة فقد اجتهدت الدولة الإسلامية العامة - الأموية أولا ثم العباسية - في المحافظة على أقصى ما تيسرت لها المحافظة عليه في إطار السنَّة و الجماعة من ذلك المغرب الشاسع، فما انتهى إليه الأمر من انتصار مذهب السنة و الجماعة، فالفضل الأكبر راجع إلى بني أمية ثم بني العباس و رجالهم من بعدهم.[1]

عرف المغرب الإسلامي الفرق الكلامية كما عرفها مشرقه[2]، هذا و قد كان بعد المغرب عن مركز السلطة في بغداد، قد أتاح للفرق المعارضة إقامة دول أو دويلات إلى حد يمكن القول أنه ما من دولة قامت إلا على أساس مذهب ديني، بل لا يمكن التأريخ لكثير من الدول دون البدء بتسجيل الآراء الدينية أو الأفكار المذهبية لداعية أو فقيه قامت الدولة على أقواله أو اجتهاداته.[3]

و من تلك المذاهب التي عرفها المغرب الإسلامي مذهب الخوارج –الصفري و الإباضي- ففي النصف الأول من القرن الثاني للهجرة كان الخوارج قد تسربوا إلى المغرب ممثلين بالداعيين "عكرمة" مولى ابن عباس، و "سلمة بن سعد"[4] الذين قاما بالدعوة إلى هذا المذهب[5]،و هو ما

1- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، ج1، ط1، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، 1992م،ص: 185.

2- تمت الإشارة لهذه الفرق بالتفصيل ،ينظر الفصل الأول من الدراسة.

3- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق،ج2،ص: 211.

4- عكرمة بن عبد الله، أول داعية للمذهب الصفري ببلاد المغرب، دخل مع سلمة بن سعد الذي كان يدعو للمذهب الإباضي، في وقت واحد. انظر: ابن أبي زكرياء: كتاب سير الأئمة و إخبارهم، ص: 15.

5- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، حياته و آراؤه، ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص: 49.

نلمسه من قيام دولة المداريين الصفرية بإقليم سجلماسة بالمغرب الأقصى سنة 140 هـ/757م، و دولة الرستميين الإباضية بتيهرت بالمغرب الأوسط سنة 160 هـ/776م[1].

و عرف المغاربة مذهب التشيع الزيدي المعتدل من "المولى إدريس" الذي فر من المشرق إلى المغرب الأقصى ليقدّر مكانته أهله كسليل بيت النبوة، و تقوم دولة الأدارسة[2] في فاس من عام 172 هـ/788م[3]، و قد كان للمعتزلة حظها هي الأخرى ببلاد المغرب، حيث يذكر القاضي عبد الجبار أنها كانت منتشرة بالمغرب الأقصى و بالأخص بطنجة على عهد الأدارسة[4]، و جاء في معجم البلدان أن مجمع الواصلية (المعتزلة) كان قريبا من تيهرت[5]، و كان عددهم نحو الثلاثين ألفا. [6]

و من المغرب قامت أكبر دولة شيعية في تاريخ الإسلام و هي دولة العبيدية سنة 296 هـ/909م و التي استطاعت بفضل تأييد بعض القبائل المغربية أن تقضي على الدول و الإمارات التي كانت قائمة هناك و أقامت المذهب الشيعي. [7]

كما عرفت بلاد المغرب الإسلامي الفكر الإرجائي أيضا و لكن لم يكن له رواج كما هو شأن الفكر الإعتزالي أو الشيعي أو الخارجي، يرجع ذلك إلى طبيعة أصحابه الخاملين عن الدعوة لمذهبهم. [8]

على أن ذلك كله لا ينفي قيام دولة تدين بمذهب أهل السنة و بالولاء للخليفة العباسي في بغداد كالأغلبية. [1]

1- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص: 30.

2- تأسست هذه الدولة سنة 172 هـ، و هي تنسب إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي فرّ إلى المغرب بعد هزيمة العلويين في موقعة فخ سنة 196 هـ. انظر ابن خلدون، المقدمة، ص: 268.

3- احمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2،ص: 212.

4- عماد الدين عبد الجبار: فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة و حياتهم لسائر المخالفين، دار التونسية للنشر، تونس، 1974م، ص ص: 109-110.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1،ص: 815.

6- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص: 281.

7- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2،ص: 212.

8- إبراهيم التهامي:المرجع السابق،ص283

و بالرغم من الإختلاف المذهبي بين تلك الدول فقد بقي المغرب في معظم تاريخيه يتبع في الفقه المذهب السني المالكي، و قد ذهب المؤرخون إلى القول بأن دخول هذا المذهب لهذه البقاع كان على حياة الإمام "مالك بن أنس" (179 هـ/795م)، و قد جاء في ترتيب المدارك أن المذهب المالكي دخل إفريقية و ما ورائها على يد "علي بن زياد" (ت 184 هـ/800م) [2]، و كان الفضل في انتشاره إلى الفقيه "عبد السلام سحنون "[3] الذي ظلت رئاسة العلم في أهل بيته من بعده على مدى مائة و ثلاثين عاما، و تفقه أهل المغرب على مدونته "مدونة سحنون في شرح مذهب الإمام مالك"، ثم على رسالة "ابن أبي زيد القيرواني" (ت 386هـ/996م) الملقب لدى المغاربة بمالك الصغير[4].

كان الإمام "سحنون" يتمتع بنفوذ قوي في المجتمع القيرواني، و قد استعمل نفوذه في نصرة المذهب المالكي، و يذكر أنه لما كان على قضاء إفريقية قام بطرد أصحاب المذهب الإباضي و أهل الصفرية من الجامع. [5]

و بالإضافة إلى المالكية انتشر في بلاد المغرب المذهب الحنفي، حيث يذكر أنه بعد انتقال العبيديين إلى القاهرة غلب بافريقية مذهب "أبي حنيفة" و كان له أنصار أكثر من المالكية. [6]

حيث دخل المذهب الحنفي للقيروان على يد "أسد بن الفرات" [1]الذي تعلم و أخذ الفقه عن أتباع "أبي حنيفة النعمان" بالعراق[2]، ويذكر "الجنحاني" أن "أسد بن الفرات" تعلم كذلك عن

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2،ص: 212.

2- وعلي بن زياد التونسي،كان تلميذا لمالك، ألف عدة كتب حول أراء مالك، توفي سنة 184هـ.انظر ترجمته:القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص – ص: 21-26.

3- عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي، ولد بالقيروان سنة 160 هـ، ثم رحل إلى المشرق للأخذ عن تلاميذ مالك، و عاد من رحلته سنة 191هـ و تولى منصب القضاء ، توفي بالقيروان سنة 240 هـ، انظر ترجمته: القاضي عياض:تراجم أغلبية، ص: 86.

4- أحمد محمود صبحي:المرجع السابق: ج 2، ص: 212.

5- الحبيب الجنحاني: القيروان عبر العصور" ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص ص: 156 -157.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9،ص: 257.

الإمام "مالك" و كان له ميولا للمذهب المالكي، و أن إدخاله للمذهب الحنفي إلى إفريقية فإن ذلك قد تم في فترة لم يقرر خلالها "أسد" اتجاهه النهائي بعد.[3]

ذكر "يحي هويدي" أن "أسد بن الفرات" كان يدرس المذهبين المالكي و الحنفي في وقت واحد، و إن خصومته مع "سحنون" (تلميذه) دفعته إلى التحمس للمذهب الحنفي و نشره في القيروان.[4] و طيلة حكم "بني الأغلب"[5] بإفريقية من سنة 184 هـ- 296 هـ/800-909م ظل المذهبان المالكي و الحنفي يتنازعان على الظهور و الغلبة، إلا أنه بعد قيام الدولة العبيدية الفاطمية ظهر المذهب الشيعي و خفت صوت المالكيين، أما الأحناف فقد اعتنق الكثير منهم المذهب الشيعي[6].

بعد تولي "المعز بن باديس الصنهاجي" [7] الحكم حيث كان عامل العبيديين على بلاد المغرب، و في سنة 441 هـ/1049م أوقف الدعوة للعبيديين و دعا للعباسيين – القطيعة الزيرية- فتحول من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، و حمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب مالك و

1- أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، ولد بحران سنة 145 هـ،قدم طفلا مع أبيه إلى القيروان، و بعد مدة رجع إلى المشرق لطلب العلم، ثم رحل إلى مصر و منها قفل راجعا إلى القيروان، و بها تولى القضاء سنة 203هـ توفي سنة 213هـ من مؤلفاته كتاب الأسدية، انظر ترجمته، القاضي عياض: تراجم أغلبية،ص ص: 52 - 70.

2- ابن فرحون: الديباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص ص: 92-93؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص63، 64.

3- الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص ص: 158 -159.

4- يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج 1،مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، 1966م، ص: 167.

5- بني الأغلب يرجعون إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم، ولاه هارون الرشيد على إفريقية سنة 184 هـ و توارث الحكم من بعده أبناءه كان أخرهم زياد الله الثاني (290 - 296 هـ).انظر:أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ط10،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1995م، ص: 316.

6- حبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص: 159.

7- معز بن باديس الصنهاجي، عامل العبيديين على بلاد المغرب، آلت إليه الأمور بعد وفاة والده سنة 406هـ فتولى الحكم و عمره ثماني سنوات، و في سنة 441 هـ دعا إلى العباسيين، توفي سنة 454 هـ ، انظر ترجمته: ابن خلكان: المصدر السابق: ج 4،ص: 321.

جعله المذهب الرسمي للدولة، و منذ ذلك الحين أصبح المذهب المالكي صاحب السيادة المطلقة ببلاد المغرب. [1]

فقد خلص الدكتور "أحمد محمود صبحي" أن مذاهب أهل المغرب كانت:

1- في الكلام: كان في المغرب دعاة مهدوا و هيأوا الأذهان، بل و أقاموا الدول وهذا يعني تعدد المذاهب الكلامية في أصول الفقه.

2- في الفقه: فقد عجزت المذاهب الكلامية أن تنال من المذهب المالكي و باءت بالفشل محاولات الدولة العبيدية (الفاطمية) أن تستبدل بالفقه المالكي فقها شيعيا، و ظلت المالكية مذهب المغاربة الفقهي بإجماع ليس له نظير لأي مذهب. [2]

فكما انتشرت أراء "مالك" الفقهية بالمغرب، انتشرت آراؤه العقدية التي كانت تقوم على أساس الكتاب و السنة، فلم يكتفي علماء المغرب بنشر أرائه في الفروع، بل نشروا أيضا أراءه في العقيدة[3] التي كانت قائمة على الإيمان بما جاءت به النصوص، و تجنب التأويل و الجدل الذي تستعمل فيه الحجة العقلية[4] ، و هو ما تبينه مقولة "مالك" المشهورة عندما سئل عن الاستواء على العرش فأجاب: « الاستواء منه معلوم، و الكيف منه غير معقول، و السؤال عنه بدعة، و الإيمان به واجب». [5]

غير أن تعدد المذاهب الفكرية ببلاد المغرب الإسلامي أدى إلى قيام حوار فكري عقدي ثري بين الاتجاهات المختلفة التي ظهرت بهذه البلاد، و قد بلغ هذا الحوار ذروته في القرن الثالث الهجري، و من بين هؤلاء المناظرين و المجادلين "سعيد بن الحداد"[6] الذي ناظر الداعية الشيعي "أبي

1- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 4،ص- ص: 323 — 329، للإطلاع أكثر عن القطيعة الزيرية مع العبيديين و تجديد المذهب المالكي ينظر: نسيم نوار: المرجع السابق،ص-ص: 147- 177.

2- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 213.

3- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 40.

4- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص:17

5- القاضي عياض، ترتيب المدارك،ج1،ص:171.

6- ابن الحداد أبو عثمان بن محمد الغساني، ولد سنة 219 هـ كان ففيه أهل السنة، و بقي مهجور الباب، و لم تكن له رحلة حج لأنه كان مقلا، له العديد من المؤلفات منها إيضاح المشكل، المقالات، الاستيعاب، الأمالي، عصمة النبيين.

"أبي عبد الله"[1]،[2]، و قد جمع بينهما أربع مجالس للمناظرة، انتصر فيها "ابن الحداد" لمذهبه المالكي رغم طريقة الإقناع و الجدل القوية التي كان يسلكها زعماء المذهب الشيعي في نشر مذهبهم. [3]

أما عن مواضيع الجدل فكانت تدور حول مسائل عقدية كثيرة أهمها مسألة الصفات الإلهية، و مسألة خلق القرآن، مسألة وجود الله في كل مكان و مسألة الإيمان. [4]

فمثلما شكلت مسألة خلق القرآن محنة في بلاد المشرق كانت محنة أيضا في بلاد المغرب، إذ أرغم الأغالبة عمّالهم – على افريقية– الناس على القول بخلق القرآن، و امتحن بعض علماء المغرب بنفس المحنة التي إمتحن بها نظرائهم في المشرق. [5]

و يرجع انتقال الآراء الكلامية التي كانت تثار بين أهل المناظرة و الجدل في المشرق إلى بلاد المغرب في أن المغاربة كانوا يترددون في رحلاتهم المتعددة على المشرق يزورون الحجاز للحج، و يتوجهون إلى مصر و العراق لطلب العلم و للتجارة أحيانا، فمن الطبيعي أن تنتقل التطورات الفكرية التي تحدث في بلاد المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي[6]

و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن فن الجدل و المناظرة لم يكن متفشيا و منتشرا بشكل واسع، و إنما كان مقتضبا، و ذلك أن الغالبية من المغاربة كانوا مالكيين، و المذهب المالكي يستهجن علم الكلام و يعتبر أن الخوض في مسائل العقيدة بدعة. [7]

و في ظل هذا الواقع المتسم بالتعصب للرأي و إقصاء الأخر تهيأت الأجواء لدخول أفكار الأكثر اعتدالا و تقبلا من طرف الجميع بفعل الاحتدام الحاصل بين المذاهب في بلاد المشرق و

= و له كتاب "الاستواء"، توفي 302هـ، .انظر: الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ج2، ص:295. 296

1-الحسين بن أحمد بن محمد، ولد بصنعاء، أقام بالكوفة، بعث إلى المغرب لنشر المذهب الشيعي، وصل كتامة سنة 280هـ، ووضع النواة الأولى للدولة العبيدية، قتل سنة 297 هـ. انظر : القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص:47.

2- الدباغ:المصدر السابق، ج 2،ص:295.

3- حبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص:157.

4- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص:19.

5- يحي هويدي: المرجع السابق، ج1،ص159.

6- الوليد محمد بن أحمد ابن رشد: الكشف في المناهج والأدلة عن عقائد الملة، تقديم و تحقيق: محمد عابد الجابري، ط 1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص: 33.

7- يحي هويدي: المرجع السابق، ج 1،ص ص: 166،167.

انتقاله إلى المغرب، فكان المذهب الأشعري الطرح المعتدل الذي سيُقبل عليه أهل المغرب الإسلامي فيما بعد بشغف كبير. و السؤال الذي شغل الباحثين هنا هو:

كيف و متى انتقل المذهب الأشعري من المشرق إلى المغرب الإسلامي؟

2-4- دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب :

إنه لمن الصعوبة بما كان تحديد التاريخ الذي دخل فيه الفكر الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي[1]، و على يد من أُدخل؟ و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، غير أن هذا لا يمنع من وجود بعض الإشارات المتناثرة هنا و هناك، و التي أخذنا في استقصائها حتى نبني عليها مادة دراستنا هذه و نجعل منها أرضية يمكن الاعتماد عليها في تكوين فكرة حول الموضوع.

و قد اختلفت أراء الباحثين حول أول من أدخل مبادئ الأشعرية إلى هذه الأصقاع، و هل كان ذلك خلال حياة صاحب المذهب الذي أعلن عن تأسيس وجهته في فهم العقيدة أوائل القرن الرابع الهجري أم كان ذلك فيما بعد سنة 324 هـ/935م[2]،ويعود سبب هذا الاختلاف

1- يؤكد ذلك الباحث المنصوري بقوله:"...يصعب تحليل انتشار أي فكر من الأفكار في بلاد المغرب أو في غيرها إذا لم يُدرس في كليّته وفي علاقته ببقية الأفكار التي شاركته الانتشار في المكان والزمان عبر دراسة أنماط حضور الفكر العربي في الغرب الإسلامي، لأن النظر الجزئي إلى الأفكار والإشكاليات و البنى والمؤسسات التي تنتجها وتطوّرها لا يمكّن إلاّ من خلق تفسيرات جزئيّة وغير مترابطة فاقدة للانتظام والنّسقيّة. فدراسة الأشعرية في إفريقيّة مثلا، رغم أهميتّها، تظل غير كافية لخلق أفكار دقيقة تسهم إسهاما مباشرا ودقيقا في جلو تطوّرات الفكر ومنعرجاته في هذه البيئة. إذ تكاد إفريقيّة تُطلق في أغلب الفترات على القيروان ومحيطها فقط. وهو محيط جزئيّ وصغير في بلاد المغرب. في حين أنّ انتشار الفكر الأشعريّ وتطوّره قد اشتركت فيه كلّ الفرق والمذاهب الإسلامية المتصارعة في بلاد المغرب..."، الأشعريّة في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ومفهوم الأدوار الحضارية،ص01.

2- تكاد آراء الباحثين تجمع على أن دخول مبادئ العقيدة الأشعرية إلى الغرب الإسلامي ، كان في أواخر القرن الرابع الهجري، ينظر:عبد الله معصر: العقيدة الأشعرية بالمغرب أصالة و امتداد، مجلة الغنية، العدد01، مركز دراس بن اسماعيل الرابطة المحمدية، فاس،2011،ص 68؛ و تشير النصوص إلى أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ).ينظر: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 262؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص52؛ عبد المغيث جيلاني:المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها،مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،2009 ،ص31.

إلى ندرة مؤلفات بعض العلماء الذين ذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية، و التي تعتبر المنطق الصحيح لتدقيق الرأي في هذه المسألة.

نسب المقريزي إدخال المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب، إلى محمد بن تومرت(ت 524هـ/1129م) [1]، بينما ذكر المراكشي في إطار حديثه عن ابن تومرت ، أن أهل المغرب كانوا" ينافرون هذه العلوم" أي علم "الإعتقاد على طريقة الأشعرية"، و " يعادون من ظهرت عليه".[2] و هذا يعني أن المذهب الأشعري كان موجودا بالمغرب قبل عهد ابن تومرت، إلا أنه كان مهجورا،[3] و هو رأي ربما يتطابق و ما ذكره ابن خلدون عن أهل المغرب قبل ظهور ذلك الإمام، فقد كانوا" بمعزل عن أتباعهم (أئمة الأشاعرة) في التأويل و الأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل و إمرار المتشابهات كما جاءت"[4] و هو رأي لا يصح و يصعب الأخذ به على الأقل بالنسبة لإفريقية، لأن ذلك المذهب دخل إلى إفريقية في فترة مبكرة. و الغالب بعد عهد الأشعري بقليل[5] كما ذكر " هادي روجي إدريس" الذي يجزم بأن وصول الأشعرية إلى بلاد المغرب تزامن مع أواخر حياة "أبو الحسن الأشعري"[6]

1- المقريزي: ، المواعظ و الاعتبار، ج2، ص 343.

2- أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998،ص184.

3- نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، مجلةIBLA، السنة 55، العدد 170 ، تونس،1992،ص.299

4- ابن خلدون: العبر، ج6،ص300 و ما بعدها؛ نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية،ص300.

5- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، مجلة الحياة الثقافية،العدد 208، 2009م،ص103، 106.

6-Hadi roger idriss: issai sur la diffesion de lacharlsme en afrique cahiers de, tenesie, 2eme, 1953. P 139.

في حين ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن دخول هذا المذهب لبلاد المغرب الإسلامي كان بعد العقد الثاني من القرن الخامس الهجري على يد "أبي موسى المرادي" (ت489 هـ/1096م) [1]

و هناك من المؤرخين من ذهبوا إلى أبعد من هذا، فعند حديثهم عن الأشعرية بالمغرب لا يذكرونها إلا بداية من القرن السادس أي بعد مضي قرنين كاملين من ظهور الأشعري بالمشرق، و من هؤلاء المؤرخين ، المؤرخ ابن خلدون حيث يقول:".... و انطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم و شهابا واريا من الدين ، و كان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة ، ...و ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات و الأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن إتباعهم في التأويل و الأخذ برأيهم فيه و الاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل و إقرار المتشابهات كما جاءت ، فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد..."[2]

و كذلك "المقريزي"، حيث يذكر في معرض حديثه عن انتشار الأشعرية بمصر على يد "صلاح الدين الأيوبي". في القرن السادس أنّ "المهدي بن تومرت" (ت 524 هـ/1130م) ،هو أول من أدخل المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، و في ذلك يقول: «فاستمر الأمر على عقيدة الأشعري بديار مصر و بلاد الشام و أرض الحجاز و اليمن و بلاد المغرب أيضا لإدخال "محمد بن تومرت" رأي الأشعرية إليها»[3]، و منهم أيضا "عبد الواحد المراكشي"، حيث اعتبر أن "ابن تومرت" هو أول من عرّف أهل المغرب بعلم الكلام الذي تعلّمه خلال رحلته إلى المشرق. [4]

1- أبو بكر بن الحسن المرادي الحضرمي، قدم الأندلس و روى عن علمائها، كان رجلا نبيها عالما فقيها، توفي سنة 489 هـ انظر ترجمته: أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال: الصلة،ج 2، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1966م،ص ص: 604 - 605.

2- ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، ،ج6، ص : 300 .

3 - المقريزي: ، المواعظ و الاعتبار،ج2، ص - ص: 343 - 358.

4- عبد الواحد المراكشي: المعجب ،ص ص: 159 ،160.

و من الباحثين الذين قالوا بمثل هذا القول أحمد محمود صبحي، إذ جاء عنه ما نصه: «انتشر المذهب الأشعري بين المالكية منذ "الباقلاني من في المشرق و "ابن تومرت" الذي أحل الأشعرية محل الظاهرية في المغرب الإسلامي....».. [1]

في حين أن الباحث ابراهيم التهامي يرى أن اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي لم يكن ليتم قبل القرن السادس الهجري، بل كان هذا الفكر مقتصرا على عدد محدود من الأفراد[2]، إلا إذا استثنينا ما ذكره "ابن حزم" في فصله من «أن الأشعرية قامت لهم سوق بصقلية و القيروان، ثم رق أمرهم و الحمد لله رب العالمين)). [3]

غير أن هذا القول – دخول الأشعرية في القرن السادس الهجري- بالنسبة لكثير من الباحثين غير صحيح و دليل ذلك ما ذهب إليه كل من : الباحث المبروك منصوري إذا يقول:" لم يعد لفكرة نسبة إدخال الأشعرية إلى بلاد المغرب إلى المهدي بن تومرت (524هـ/1130م) أيّ قيمة علمية.... إذ أن الأشعريّة قد انتشرت في بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الهجري الرابع...."[4]، و كذلك الباحث محي الدين عزوز الذي يقول:"....إذا كان مذهب الأشعري انتشر في القرن الرابع و الخامس الهجرة فما بال ابن خلدون- و غيره من الباحثين المتأخرين- يذكر في مقدمته أن (المهدي) جاء داعيا إلى الحق آخذا بالمذاهب الأشعرية ناعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة و ما يؤول إليه ذلك في تجسيم كما هو معروف من مذهب الأشعرية...هل يفهم من هذا أن المذهب الأشعري كان قبل ابن تومرت قاصرا على الأوساط العلمية أو بعض المراكز الثقافية فنشره هذا الأخير في مناطق لم يصل إليها من قبل كقبيلة مصمودة التي فتحت صدرها لتعاليم ابن تومرت. أقول هذا لأن المغاربة في ذلك الوقت لم يقتصروا على معرفة الأشعرية بل نشرها بعضهم في المشرق كما فعل أبو عبيد الله محمد بن أبي

1- أحمد محمود صبحي: المرجع سابق، ج 2،ص: 33.

2- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص:250؛ نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص105.

3- ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، ج4،ص: 204.

4- المبروك المنصوري : الأشعرية في بلاد المغرب،ص03، 04.

بكر التميمي القيرواني عتيق السوسي (ت 512هـ/1118م)الذي كان علامة في فن الكلام و أسندت إليه وظيفة التدريس في نظامية بغداد و دفن بجانب أبي الحسن الأشعري...."[1]

و هو ما يؤكده الباحث محمد المغراوي بقوله:"....اعتبرت إفريقية بحكم موقعها جسرا للتواصل بين المغرب الأقصى وبين الثقافة المشرقية، وكان ارتباط المغاربة بالقيروان ارتباطا روحيا متينا خاصة بعد تراجع التأثير الشيعي (الفاطمي). يعود دخول الأشعرية إلى إفريقية إلى مرحلة مبكرة بعد وفا الإمام أبي الحسن الأشعري (260-324هـ / 874-935م) ، ثم انتشرت بسرعة في الأوساط العلمية، واهتم بها العلماء اهتماما ملحوظا إلى حد أنهم أصبحوا " لا يرون مخالفة أبي الحسن في نقير ولا قطمير" على حد تعبير الإمام أبي عبد الله المازري (ت 536هـ / 1141م) [2]. و الذي يقول أيضا في شرح "البرهان" في مسألة خالف فيها أمام الحرمين أبا الحسن الأشعري و ليست من القواعد المعتبرة و لا المسائل المهمة، من خطأ شيخ السنة أبا الحسن الأشعري فهو المخطئ".[3] و يؤكده كذلك الباحث نجم الدين الهنتاتي:"...بل إن المذهب لقي على المدى الطويل عناية فائقة لدى علماء القيروان من المالكية " بحيث لا يرى مالكي إلا أشعريا" ..."[4]

و انطلاقا من تلك الآراء المتضاربة التي سبق ذكرها، نخلص إلى القول بأن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري في فترة مبكرة أي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ربما و صاحبه على قيد الحياة، و الغالب عند بعض الباحثين بعدها بقليل – تقريبا مع بداية العهد المرابطي–[5].

أما عن الأندلس فقد دخلت الأشعرية إليها في مرحلة مبكرة أيضا، على يد من تتلمذ من علمائها لأئمة الأشعرية من المشرق، وقد احتفظ عبد الحق بن عطية (ت 541هـ/1147م) بأسانيد

1- محي الدين عزوز: التطور المذهبي بالمغرب(و دراسة قصة حي بن يقظان)، نشر الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1976،ص30، .31

2-محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، فصل من كتاب التاريخ والفقه- أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني- تنسيق محمد حجي، ،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2002، ص135.

3- محي الدين عزوز: التطور المذهبي بالمغرب،ص30.

4- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص105.

5- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري،ص105؛ عبد المغيث جيلاني:المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها، ،ص32.

علماء الأندلس التي كتبها في فهرسته . وقام مجموعة من العلماء بجهود بارزة في سبيل نشرها أمثال الإمام أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ / 1001م) والمحدث أبي عمر الطلمنكي(ت429هـ/1038م)، والمقرئ أبي عمرو الداني (ت 444هـ/1052م) تلميذ أبي الحسن القابسي، وصاحب عدة تآليف في العقيدة الأشعرية ، والفقيه الأصولي أبي الوليد الباجي (ت 474هـ/1081م) الذي تتلمذ لإمام شافعي وأشعري ومحدث شهير هو الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1071م) . بينما وقف في الجانب الآخر فئة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين كأبي محمد بن حزم وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم ممن كانوا يحرمون علم الكلام والنظر في كتبه من منطلق كراهة الجدال في العقيدة.

و شهدت الأندلس نقاشا حادا حول مسألة الكرامة الصوفية بين الأشاعرة وغيرهم. ويجب التذكير بأن جهود القاضي أبي بكر بن العربي المعافري (ت 543هـ/1148م) و هو من تلاميذ كبار أشاعرة المشرق كأبي حامد الغزالي كانت ملحوظة في الوصول بالأشعرية في الأندلس إلى مرحلة متقدمة على المستوى العلمي . هذا فضلا عن رؤيته لضرورة وصل الأشعرية بكل من المذهب المالكي والتصوف .[1]

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص137.

5- عوامل دخول و انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب:

يكاد يتركز اهتمام جلّ الباحثين في انتشار الأشعريّة في بلاد المغرب على سببين : علمي و سياسي . إلا أنه ظل ينظر إلى هذين السببين منفصلين، دون محاولة الخروج من التفسيرات التي توصّل إليها روجي إدريس في مقاله السالف الذكر.[1] بحيث أن هناك أسباب أخرى يمكن أن يكون لها الفضل في انتشار الفكر الأشعري ببلاد المغرب.

5-1- العوامل الدينية و العلمية:

- **توسط المذهب الأشعري**: يقوم المذهب الأشعري على مبدأ التوسط و الاعتدال. فقد رفض غلو المعتزلة الذين رأوا أن الإنسان مخير في أفعاله، كما رفض مبالغة الجبرية الذين رأوا أن الإنسان مسير في أفعاله، و بذلك تحدث علماؤه عن مبدأ الكسب[2].فقد بلور الأشعري العقيدة السنية، إذ أنه" توسط بين الطرق و نفى التشبيه و أثبت الصفات المعنوية، و قصر التنزيه على ما قصره السلف.كما حرص الأشعري من ناحية أخرى على إبراز مذهبه" على طريقة أهل الحديث"، و هو أمر يتماشى و طبيعة المذهب المالكي، كما صرح بأن مالك بن أنس كان يتعاطى في الكلام.[3]

- **دور المذاهب في نشر العقيدة الأشعرية** : حيث أن دور المذهب المالكي[4] كان حاسما في انتشار الأشعرية بإفريقية، إضافة إلى مساهمة المذهب الشافعي. وقد رأى الباحثين أن انتشارها جاء كرد فعل ضد هيمنة مذهب الاعتزال[5] على أوساط علماء السنة بالقيروان منذ منتصف القرن

1- المبروك المنصوري: المرجع السابق،ص06.

2- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص107.

3- نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية،ص.301.

4- للإطلاع على هذا الدور بالتفصيل ينظر: مليكة حتيري: جهود الفقهاء المالكية في ترسيخ المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،2009،ص:57-66.

5- يرى المنصوري أن "الأشعرية لم تكن ردا على مذهب الاعتزال المنتشر في الأوساط السنية بالقيروان منذ منتصف القرن الثاني الهجري كما تصور أحمد بكير وتابعه على ذلك الهنتاتي محتجا برأي ابن خلكان في الأشعري . وهو رأي إن صح بالنسبة إلى المشرق فإنه لا يصح بالنسبة إلى المغرب لأن البيئات لا تعكس بعضها بعضا، ولأنه عندما انتشرت الأشعرية في =بلاد

الثاني للهجرة[1] . و في هذا يقول الهنتاتي:" ...ساهمت هزيمة الإرجاء و الاعتزال بالقيروان في تمهيد الأرضية لانتشار المذهب الأشعري بها في مرحلة لاحقة... أدى هذا إلى التقارب بين المذهب الأشعري و المذهب المالكي هذا الذي انتصر بالقيروان منذ منتصف القرن3هـ/9م. فهذان المذهبان يدافعان عن العقيدة السنية."[2]

كما شهدت المدرسة الكلامية المالكية تراجعا في نشاطها،خاصة بعد محمد بن سحنون (ت 256هـ/869م) و تجلى ذلك خاصة في بداية العهد العبيدي خلال مجالس المناظرات التي عقدت مع الحكام العبيدين(الفاطميين)، إذا أن علماء مجالس المالكية لم يتمكنوا بصفة جيدة من الدفاع عن مبادئ مذهبهم[3]، لذلك من الطبيعي جدا أن يجد علماء المالكية في المذهب الأشعري خير سند لتزويدهم بالحجج و الأدلة العقلية للدفاع عن مذهبهم من الناحية العقائدية.[4]

في حين يرى أحد الباحثين أن هذا العامل لا يمكن التعويل عليه في ربط انتشار الأشعرية في بلاد المغرب بدور المذاهب الفقهية في ذلك، و يتجلى ذلك في قوله:"... وبعد هذا هل يمكن أن نعزو انتشار الأشعرية في بلاد المغرب بين فقهاء المالكية إلى التقارب بين مذهبهم والمذهب الأشعري، باعتبار هذا التقارب حدثا تاريخيا في ظرفية معينة ودقيقة لا باعتباره خصيصة واسمة أو اختيارا

=المغرب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري لم يعد المعتزلة المغاربة يمثلون أي قوة فكرية أو سياسية ومن ثم خطرا على فقهاء المالكية رغم أن وجودهم تواصل إلى حدود القرن السابع الهجري في المناطق ذات النفوذ الإباضي."المرجع السابق،ص 16.

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص136.

2- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري،ص107.

3- ربما بسبب افتقارهم إلى هيكل منظم وواضح المعالم لاتجاههم الفقهي، رغم وجود تلك العقيدة التي أعطاها الإمام مالك لابن وهب و خاصة بسبب قلة تمرسهم في الجدل و المناظرة، و قلة خبرتهم في علم الكلام، فقد سأل أبو العباس الصنعاني في أحد المجالس من حضر من المدنيين و العراقيين عن السنة، فلم يقدروا على الإجابة و كانت الإجابة الجيدة من قبل سعيد بن الحداد (ت 302هـ/915م) الذي لم يكن من المالكية آنذاك، كما استنجد موسى القطان (ت306هـ/918م) العالم المالكي بسعيد بن الحداد لإجابة أبي عبد الله الشيعي عن سؤال وجهه إليه يخص حد الخمر، ينظر: المالكي: رياض النفوس، ج2،ص 78، 79؛ نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ،ص301.

4- ابن خلدون: المقدمة،ص293؛ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 433؛نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ،ص301 و ما بعدها.

اقتناعيا. ولو كان التقارب بين المذاهب الفقهية أو العقدية قادرا على تغيير الانتشار لكان الفقه الحنبلي من أكثر الفقه انتشارا في بلاد المغرب إلا أننا لا نكاد نعثر على أتباع للحنبلية فيها . و سيتضح أن هذا التفسير الذي اعتمد لفترة طويلة من الزمن تفسير مخادع إذا تعرفنا إلى التطورات الأساسية للعقيدة الأشعرية."[1]

– **جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم** : دافعت الخلافة العباسية عن العقيدة السنية، و في إطار مواجهتها للخطر الشيعي(الفاطمي)، سخرت لذلك عددا من الدعاة الذين تفرقوا في العالم الإسلامي مشرقا و مغربا، ووصل بعضهم إلى القيروان. كما شجعت عددا من علمائها على التأليف في الدفاع عنها و القدح في (الفاطميين) الشيعة. و قد أحسن القيام بهذه المهمة الإمام البلاقلاني (ت 403هـ/1012م) الذي كان مالكيا أشعريا، و قد لاقت هذه الدعوة استحسانا لدى علماء المالكية القيروانيين الذين استحكمت العداوة بينهم و بين الفاطميين، فرأو في المذهب الأشعري الذي تدعو إليه الخلافة العباسية خير وسيلة لمواجهة العبيديين(الفاطميين)، و بذلك ظهر نوع من التلازم بين المذهب المالكي و العقيدة الأشعرية، و من بين العلماء أيضا الإمام أبو المعالي الجويني إمام الحرمين (ت 478هـ/1085م) كمرحلة أولى ، ثم الإمام الغزالي (ت 555هـ/1160م) في مرحلة ثانية، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.[2]

– **اتصال المغاربة بنظرائهم الأشاعرة في المشرق و جهودهم في نشر الأشعرية** لعبت الرحلة في طلب العلم دورا حاسما في تلقي علماء المغرب المذهب الأشعري إلى جانب الفقه و السلوك و الحديث، خصوصا مع ظهور علماء كبار أمثال الباقلاني الذي كانت له الريادة في الفقه المالكي و أصوله و علم الكلام على طريقة الأشاعرة، فقد كان المغاربة يقصدونه لمالكيته. فيأخذون عنه الفقه و الأصول، كما يأخذون عنه العقيدة الأشعرية[3]، هذا ما أدى إلى اعتقاد بعض فقهاء المالكية المغاربة بالعقيدة الأشعرية، حيث أن الفضل يعود في نشر الأشعرية في بلاد المغرب لعدد

1– المنصوري: المرجع السابق،ص09.

2– نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص107.

3– عبد الله معصر: العقيدة الأشعرية بالمغرب أصالة و امتداد، ،ص69.

من العلماء المالكيين تلاميذ الباقلاني (ت 403هـ/1012م) إمام المالكية ببغداد وأحد كبار المتحمسين للمذهب الأشعري. نذكر منهم بالخصوص أبا الحسن القابسي (ت 403هـ /1012م) الذي يعتبر إسهامه أساسيا في هذا الصدد[1] وأبا عبد الله الأذري[2] ، وأبا طاهر البغدادي نزيل القيروان[3] ، وأبا عمران الفاسي (ت 430هـ /1038م) في مرحلة متقدمة. و ابن تومرت (ت 524هـ/1130م) و ابن العربي (ت 543 هـ/1148م)، و السلالجي (ت594هـ) في مرحلة متأخرة.

– **زعم كثير من المغاربة أن الأشعرية هي الفرقة الناجية**: و لعل مرد لك إلى أن رؤوسه يصنفون أفكارهم ضمن آراء أهل السنة و الجماعة.[4] و هذا ما يتأكد من قراءة الكتب المؤرخة للفرق[5]. و التي من الملاحظ أن كتابها أشاعرة؛ فهي تنطلق جميعا من الرغبة في بيان " الفرقة الناجية" و تمييزها عن سائر الفرق الأخرى، التي تصنف على أنها ضالة أو هالكة أو ما شابه ذلك، انطلاقا من الحديث المأثور القائل بافتراق الأمة ثلاثا و سبعين فرقة، منها واحدة ناجية.[6]

– **حركة التأليف و المصنفات**: و إلى جانب الدعاة الذين نشطوا في نشر هذا المذهب بالمغرب، هناك عامل آخر لا يمكن إغفاله في هذا الصدد، و هو التأليف و المصنفات التي وضعها رواد هذا

1- عبد المجيد بن حمدة:المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1،مطبعة دار العرب،تونس،1406هـ/1986م، ص10.

2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص 216-217

3- المصدر نفسه: ص. 216-217.

4- يقول سالم يفوت في هذا الشأن: "....الحقيقة أن لفظ أهل السنة و الجماعة لفظ مشترك، كما يقول المناطقة، فهو يعني عامة كل من يتمسكون بعقيدة السلف، و على رأسهم الإمام احمد بن حنبل و الإمام مالك ، بل حتى الأئمة الأربعة. و هي عقيدة خالية من أساليب علم الكلام و أهله تقرر العقائد بدءا و لا تعالجها عقلا، لكن القراءة المتأنية للكتب المؤرخة للفرق و الملل و النحل، تثبت للقارئ العكس، فهي تقدم بيان اتقاد أهل السنة و الجماعة في قالب كلامي أشعري متأخر...": الأشعرية في المغرب،ص.61

5- من هذه الكتب: الفرق بين الفرق للبغدادي(ت429هـ)؛ و كتاب التبصير في الدين و بيان الفرقة الناجية من الفرق الهالكين للأسفراييني(ت 471هـ)؛ و كتاب الملل و النحل للشهرستاني (ت 548هـ).

6- سالم يفوت: الأشعرية في المغرب، ص61؛ نزيهة معاريج: الفكر الأشعري دعوة سنية و ضرورة حضارية، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2009،ص05 و ما بعدها.

المذهب بالمشرق و انتقلت إلى المغرب، فدخلت مصادر أشعرية كثيرة إلى بلاد المغرب تذكرها كتب الطبقات إما بإجمال عندما يتعلق الأمر بفقيه أشعري وإما بتفصيل مركزة على أهمها. ومنها:

- "الرسالة" لابن مجاهد الطائي (980/370).وهو من تلاميذ الأشعري وأحد الذين انتشرت عنهم الأفكار الأشعرية.

- كتب الباقلاني (1012/403) منها "رسالة الحرة" و تُعرف أيضا "بالإنصاف"، و قد كانت هذه الرسالة متداولة في المغرب، إذ كان "ابن ورد" [1] يرويها، و من كتب "الباقلاني" التي كانت تدرس في المغرب أيضا كتاب "التمهيد"، و علاوة على ذلك فقد بلغ إعجاب المغاربة "بالباقلاني" أنهم كانوا يرسلون إليه يستفتونه في الحوادث و النوازل التي كانت تقع لهم.[2]

و من الكتب التي لاقت رواجا في المغرب أيضا، كتب "ابن فورك" (ت 406 هـ/1015م) و بالخصوص كتاب "تأويل مشكل الحديث" ،الذي دخل هذه البلاد عن طريق الرواية الشفهية، فقد رواه عدد من الرواة نذكر منهم "ابن المرسي[3]"[4] و كتاب "اعتقادات الموحدين" الموحدين" ، و "الإرشاد" للجويني (478 هـ/ 1085 م). وقد شرحه أبو الحسين بن الضحاك الغرناطي (1157/552). وسماه "منهاج السداد في شرح الإرشاد". كما شرحه المازري (530 /1136). وسمّاه"المهاد في شرح الإرشاد". وشرح أيضا كتاب "البرهان". وسماه "البيان لشرح البرهان". وشرحه محمد بن علي التميمي المهدوي (1141/536م). وسماه "إيضاح المحصول من برهان الأصول".

- أما ألكيا الهراسي (504 /1110) فقد تتلمذ عليه محمد بن تومرت وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجياني المشهور بالبغدادي (547 /1152). كما دخل أبو الحسن علي بن أحمد الربعي

1- أبو القاسم احمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد، كان أبوه من أهل القيروان، ولد سنة 465 هـ، و توفي في رمضان سنة 540 هـ ، انظر ترجمته : أحمد بن يحي بن عميرة الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، 1884م ، ص: 154.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص: 257؛ المنصوري: المرجع السابق،ص14.

3- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد النفزي الخطبيب المعروف بابن المرسي، ولد سنة 453 هـ أما وفاته فصادفت سنة 538 هـ ، انظر ترجمته: الضبي: المصدر السابق، ص: 325.

4- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 257.

المقدسي التاجر (531 / 1137) تلميذ الشيرازي (476 /1083) بلاد المغرب. والتقى به عياض بسبتة. وأجاز له جمع رواياته. وتذكر جملة من كتب الإسفراييني وأغلب كتب أبي حامد الغزالي (505/ 1111) التي نقلها أبو بكر بن العربي من المشرق.[1]

– **دور المؤسسات العلمية – مدينة القيروان– في نشر العقيدة الأشعرية:** و يبرز هنا دور مدينة القيروان، حيث عرفت مذاهب دينية متنوعة يمكن تقسيمها إلى صنفين: مذاهب فقهية مثل المذهب المالكي و المذهب الحنفي و المذهب الشافعي، و مذاهب عقدية مثل الأشعرية و الإرجاء و الاعتزال. و لئن دخل هذان المذهبان الأخيران إلى تلك المدينة بصفة مبكرة، فإنهما لم يلقيا بها رواجا، فتحولت القيروان منذ القرن 5هـ/11م إلى مركز لنشر ذلك المذهب على مستوى الغرب الإسلامي، و أصبحت مع القابسي مركزاً مشعا لنشر المذهب الأشعري على مستوى إفريقية، بما أن هذا العالم عرف أهل مدينة تونس ببعض مبادئه، وعلى يدي تلاميذ أبي عمران الفاسي دخل المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى والأندلس، فرغم سقوط القيروان إثر زحف بني هلال، فإن إشعاعها كمركز لنشر العقيدة الأشعرية لم ينقطع على الأقل وقتيا. فقد تفرق علماؤها في الآفاق، نذكر منهم أبا بكر محمد بن الحسن المرادي القروي (ت 489/ 1095م). تنقل هذا العالم بين مدن الأندلس ثم مدن المغرب ليستقر بأغمات ثم نهائيا بالصحراء حيث عرف بالمذهب الأشعري.[2]

و يقول الهنتاتي أيضا :"... حّول نجاح المذهب الأشعري لدى علماء المالكية القيروان إلى مركز لنشر ذلك المذهب على مستوى إفريقية، ثم على مستوى بلدان الغرب الإسلامي لا سيما المغرب الأقصى و الأندلس، بل إن ذلك التأثير شمل جزئيا بلاد السودان بما ان المرادي القروي دخل إلى تلك البلاد و استقر بها خلال فترة معينة."[3]

من المعطيات السابقة نستنتج أن المذهب الأشعري دخل إلى المغرب الأقصى على أيدي علماء قيروانيين، كان ذلك منذ بداية العهد المرابطي، مما يسمح لنا بمراجعة قول من يذهب إلى أن ذلك

1– المنصوري: المرجع السابق،ص14، 15.

2– نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ،ص103، 106.

3– المرجع نفسه،ص107.

المذهب دخل المغرب في بداية العهد الموحدي لا سيما مع محمد بن تومرت. على أن الإمام أرسى ذلك المذهب في المغرب الإسلامي، و سعى بعقيدته" المرشدة" إلى تهذيب عقيدة العامي و تثقيفها، بل إنه فرض ذلك المذهب بالسلطة السياسية.[1]

- الجدل المذهبي و أثره في التحول العقدي نحو الأشعرية:

شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري تعمق انتشار الأشعرية في بلاد المغرب، فعمل فقهاء المالكية على امتلاك بعض مقالاتها الوظيفية التي تمثل صياغات تمكنهم من الرد على خصومهم ردا منظما، ولكن هذا التعمق حدث بعد تراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي، وغير الإسماعيلي كذلك، من بلاد المغرب إثر رحيل العبيديين(الفاطميّين) إلى مصر سنة (972/361).ومن هنا حدث تطور عقدي في بلاد المغرب، و الذي يرجع أساسا إلى الجدل الثلاثي المالكي - الشيعي- الإباضي، إلا أن هذا الجدل ظل غائبا في أغلب الدراسات التي حللت هذه القضية انطلاقا من وجهة نظر أحادية واعتمادا على مراجع أحادية غالبا ما تكون مالكية.[2]

و يؤكد المنصوري دور هذا العامل الحاسم بقوله:"...و مما لا شك فيه أن لتطور الفكر الأصولي عند الإباضية خاصة منذ أواسط القرن الخامس الهجري الأثر الكبير في تعمق الفكر الأشعري في بلاد المغرب، خاصة وأن الأشعرية تمثل تنظيما لشتات المقالات العقدية التي كان يتبناها فقهاء المالكية في بلاد المغرب. بينما كان الإباضية يصوغون مقالات أخرى مخالفة لها يعملون بواسطتها على نقض المقالات السنية من جهة وعلى إثبات مساهمتهم في تشكيل الفكر الأصولي في بلاد المغرب من جهة أخرى. ونحن نعتبر أنه كان للحضور الشيعي أثر في دخول الأشعرية إلى بلاد المغرب، دون أن نقول بأحادية هذا العامل. كما نعتبر أن تطور الفكر الأصولي الإباضي، انطلاقا من اغتنائه بمقالات اعتزالية واصلية ومقالات شيعية زيدية، هو المساهم الأكبر في تعميق الأشعرية في بلاد المغرب وفي أيمان المالكية بها. إن الجدل بين هذه الأقطاب الثلاثة حسب تصورنا هو الذي أدى إلى تجذير العقيدة الأشعرية في البيئة المغربية. وقد بين الاطلاع

1- ابن خلدون: العبر، ج6،ص 300؛ نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ،ص.107

2- المنصوري: المرجع السابق،ص12.

المعمق على المصادر الأصولية المؤلّفة بين القرن الأول والقرن السادس الهجريين أن هذه الأقطاب الثلاثة قد أغنت مقالاتها العقدية بمقالات فرق لم تظهر على الساحة المغربية مثل الزيدية، وأخرى قد ظهرت مثل الواصلية."[1]

5-2- العوامل التاريخية و السياسية:

- سياسة الشيعة الباطنية و أثرها على علماء المالكية في التمكين للمذهب الأشعري:

لحق علماء المالكية بإفريقية ضرر كبير خلال الفترة الأولى من العهد العبيدي(الفاطمي) التي تقف عند حد ثورة أبي يزيد (332-336هـ/943-947م)، إذا أنهم فقدوا جل امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في العهد الأغلبي، فعمدوا إلى مقاومة العبيديين(الفاطميين)، كما سعوا في العهد الصنهاجي إلى دفع المعز بن باديس(406-454هـ/1016-1062م) على مقاطعة العبيديين، حين رغب في التلقب بلقبي خليفة و أمير المؤمنين، إلا أن أبا عمران الفاسي(ت 430هـ/1038م) أحد علماء المالكية الأشاعرة و أحد تلاميذ الباقلاني، الذي أثناه عن ذلك مذكرا إياه بأنه ليس من قريش، و هدفه من ذلك هو توجه الأمير نحو الدعوة للعباسيين، و هذا ما تم فعلا. و هنا نتساءل بماذا نفسر إلحاح هذا العالم على هذا التوجه للعباسي؟ يعود هذا التوجه إلى الثقافة التي تلقاها أبو عمران الفاسي عن الباقلاني ثقافة من الناحية العقائدية، أما من الناحية السياسية فهي تتميز بمساندتها المطلقة للعباسيين، مع عداوة للشيعة. و للتدليل على ذلك يكفي أن نذكر ببعض عناوين مؤلفات الباقلاني مثلا" كتاب كشف الأسرار في الرد على الباطنية"، و كتاب" إمامة بني العباس" و آخر في " نصرة العباس و إمامة بنيه"، إذن فعداوة المذهب الأشعري للشيعة تتماشى و كره علماء افريقية للعبيديين(الفاطميين)، لذلك كان من الطبيعي أن ينجح هذا المذهب بسرعة كبيرة بينهم.[2]

في حين لا يعطي المنصوري هذا العامل أهمية إذ يعتبره جزء صغير من عدة أجزاء، و أنه بمفرده غير قادر على تفسير انتشار الفكر الأشعري ببلاد المغرب فيقول:"... ولا يمكن أن يكون فقهاء

1- المنصوري: المرجع السابق ،ص13، 14.

2- نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ،ص304، 305.

المالكية قد تبنّوا الأشعرية مباشرة لعلاقتها العدائيّة بالتشيّع لأن هذه العلاقة لم تتجلَّ بالنسبة إلى المالكية إلا في عهد أبي بكر الباقلاني (403 /1012) أي بعد تراجع المد الشيعي تراجعا كبيرا وتحوّله إلى تشيّع شكلي: سياسي. ونحن نرى أن العامل السياسي غير قادر بمفرده على تفسير انتشار الأفكار . بل هو مجرّد عنصر صغير جدّا في مجموعة متضافرة تمثل بنية مترابطة كل عنصر فيها فاعل بقدر فاعلية غيره وعمقه دون أن ننفي أهميّة بعض العناصر على بعضها الآخر."[1]

– تبني ابن تومرت و الدولة الموحدية المذهب الأشعري مذهبا رسميا:

يبرز لنا مصطفى مغزاوي الدور الحاسم الذي لعبه ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب فيقول:".... كان لحركة محمد ابن تومرت السياسية في المغرب الإسلامي صبغة دينية عقيدية لما اتخذ المذهب الأشعري إيديولوجية للإطاحة بالمرابطين الذين ضعف شأنهم في آخر عهدهم ، و نجح هو و خلفاؤه بعد حروب و مؤامرات طويلة في إقامة دولة في الغرب الإسلامي تعمل جاهدا على رعاية المذهب الأشعري رسميا والحط و النيل من كل من يعارضه ....و كانت للرعاية السياسية التي أحاطت بمؤلفات بن تومرت في الأصول الأشعرية – لا سيما " رسالة المرشدة " منها – دورها البالغ في انتشار المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي خاصةً لما حظيت به من رعاية سياسية رسمية سلطوية في عهده و عهد خلفائه ، و لما حظيت به أيضا من شروح و تعاليق أسهمت في ترسيخ المذهب الأشعري و استمراريته في المغرب الإسلامي ."[2] و قد ميز الباحث بين طريقتين أتبعهما "المهدي" ابن ترمرت لنشر مذهبه فيقول:"... سنميز في جهود بن تومرت السياسية لإقرار المذهب الأشعري جانبين أو أسلوبين ، أحدهما أسلوب غير مباشر و هو أسلوب الخداع و المراوغة و انتحال الكرامات واستمالة العامة و الأتباع ، و الأسلوب المباشر المتمثل في أسلوب القوة و العنف الذي اعتمده بن تومرت لإبادة الدولة المرابطية بصفتها العائق الأكبر الذي يحول دون استقرار المذهب الأشعري.." و هذا ما يصور لنا "....ضخامة و جسامة تلك المجهودات السياسية التي قام بها ابن تومرت و أصحابه ، لأن حركتهم كانت حركة سياسية

1- المنصوري: المرجع السابق،ص17.

2- دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه، ص-ص : 38-48.

مذهبية....ومن هذا كله يمكن الجزم أن الدور السياسي للموحدين كان الحسم في توطيد المذهب الأشعري في شتى أنحاء إمبراطوريتهم المترامية الأطراف.."[1]

6- عوامل تأخر اعتناق المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

يتبين مما تقدم أن المغرب بمختلف مناطقه كان له عهد بالمذهب الأشعري قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إلا أن حضور المذهب به لم يتعد استيعابه و العلم به من قبل جميع العلماء ،و اعتناقه و التحمس له من قبل البعض منهم، و لم يكن له حظ من الانتشار و العموم بحيث يصبح معتنق العامة من الناس، عليه تجري أذهانهم في التصور العقدي، و به تنطق ألسنتهم و أقلامهم في أقوالهم و مؤلفاتهم.[2]

فعلى الرغم من مثابرة أولئك الدعاة في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، إلا أن انتشار هذه العقيدة ظل محدودا،و مقتصرا على طبقة العلماء و لا غير، و لم تُعرف الأشعرية في المغرب كمذهب يتمذهب به عامة الناس و خاصتهم إلا فيما بعد القرن السادس الهجري.[3]

و يعود تأخر المغرب في اعتناق الأشعرية مذهبا عاما في العقيدة طيلة قرنين من الزمن (**4 – 5 هـ/10–11م**) إلى عدة عوامل نختصر منها:

أولا: قلة المعارضين للعقيدة السلفية بالمغرب عموما مقارنة بما كان عليه الأمر بالمشرق، و من البيّن أن التحديات المعارضة المستعملة للأدلة العقلية، من أهم الدوافع إلى اعتناق السلفيين للأشعرية إحكاما للحجة العقلية و قطعا للخصوم، و ما نشأ بالقيروان من الحوار الذي أشرنا إليه آنفا كان أمرا قليلا.[4]

1- للإطلاع أكثر على جهود ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري يمكن الرجوع إلى:مصطفى مغزاوي: المرجع السابق،ص-ص:40-45.

2- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 439.

3- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 250.

4- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، ص: 439.

ثانيا: سيطرة الشيعة على القيروان مركز الإشعاع المغربي أكثر من نصف قرن (من 297 / 909م إلى 361 هـ/ 972م) مما ضيَّق من نمو الفكر السني نحو الأشعرية باستعمال القهر السياسي و العقدي الذي كان يمارسه الشيعة، ثم تعرُّض القيروان للتخريب من الأعراب سنة 444 هـ / 1052م حينما كانت تستعد لتقبل أشعري غزير و عميق كما بيناه، فانتكست هذه الوجهة بانتهاء الدور العلمي الرائد للقيروان.[1]

ثالثا: تأخر دخول الأشعرية بصفة عميقة إلى مصر بعامل انتقال الحكم الشيعي من إفريقية إليها سنة 361هـ /972 م فقد ذكر "المقريزي" أن الأشعرية لم تنتشر بمصر إلا بعد منتصف القرن السادس على عهد "صلاح الدين الأيوبي" (ت 589هـ/ 1193م) الذي كان أشعري العقيدة، فلما تولى السلطة حمل الكافة على عقيدة الشيخ "أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري"[2]، و ليس من الخفي دور مصر في نشر المذاهب و العلوم بالمغرب، فهي مركز حيوي في الطريق إلى الحج، يأخذ منه الحجيج و طلاب العلم العلوم التي تكمل ما يأخذونه من الحجاز، و كثيرا ما تكون مقصدا للمتعلمين أساسا، و لذلك فقد كان فراغ مصر من الأشعرية عاملا في تأخر انتشار الأشعرية بالمغرب.[3]

رابعا: تمثيل المذهب الأشعري بطابع فردي، و انحصار دائرة تمثيله في دائرة الأصحاب و الأتباع القلائل لا غير.

و لعل إفريقية و الأندلس كانتا أكثر حظا في العلم بهذا المذهب و التأثر به من المغرب الأقصى و الأوسط، يرجع ذلك إلى قيام دولة المرابطين هناك التي عطلت نمو الفكر العقدي في اتجاه التأويل الأشعري، و أبقت على الطريقة السلفية في إمرار النصوص على ظاهرها، ولم يشفع للمذهب الأشعري انتمائه لأهل السنة و محاولته الدفاع عنها و عن العقيدة الإسلامية أمام المالكيين من

1- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، ص440.

2- المقريزي: المواعظ و الاعتبار ،ج2،ص 358.

3- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي، ص 32.

المغاربة الذين لم يروا فيه و فيمن انتحله غير بدعة من البدع التي أوجب إمام مذهبهم محاربتها و القضاء على أصحابها.[1]

7- مرجعيات الفكر الأشعري عند المغاربة:

7-1- الإمام أبو بكر الباقلاني:

يعتبر الباقلاني من أهم المصادر المعرفية، حيث إن المرحلة الأولى من دخول علم الكلام الأشعري إلى المغرب، أخذت مرجعيتها من هذا الرجل و ذلك بسبب أنه جمع بين الإمامة في الفقه المالكي، و الرياسة في الكلام الأشعري، و لما كانت وجهة الكثير من المغاربة تتجه في المشرق، نحو هذا الرجل، فإن تأثيره الفقهي، لن يكون في معزل عن التأثير الكلامي، مما يجعل دخول فقهه إلى المغرب متزامنا لدخول كلامه. و مرد هذا التأثير يرجع إلى أن جمعا من أولئك الذين مثلوا مرحلة الدخول، كانوا معاصرين للباقلاني، ارتبطوا به بأحد الروابط و الجسور، بحيث كان معظمهم تلاميذ، أخذوا عنه و احتكوا بفكره احتكاكا مباشرا، فكان ترديدهم لهذا المذهب، انطلاقا من رؤية باقلانية واضحة. مع ملاحظة أن انتماء المغاربة فقهيا إلى المذهب المالكي، كان عاملا في الترويج للمذهب الأشعري، الذي كان الباقلاني من أساطينه، حيث نقلوا آرائه الفقهية المالكية، و أخذوا أفكاره العقدية الأشعرية.[2]

بيد أن الباقلاني و إن كان قد ترك بصماته واضحة في المرحلة الأولى من دخول الكلام الأشعري إلى المغرب،و مثل سلطة مرجعية قوية، فأن مرحلة التغلغل و الترسيم لهذا المذهب، ستسلم هذه السلطة إلى علم آخر من أعلام الفكر الأشعري، سيفرض حضوره في مجموع المتون الأشعرية المغربية، و في الشروح و التعليقات عليها.إنها السلطة المعرفية لأبي المعالي الجويني،دون أن يعزب الباقلاني من الساحة الكلامية بإطلاق، حيث ظل صداه مترددا، و ظل في نظر كبار أشاعرة المدرسة الجوينية في الغرب الإسلامي عموما، و المغرب خصوصا، فكان فارس هذا العلم، و مباركا

1- عبد المجيد النجار:المهدي بن تومرت، ص: 438، 439.

2- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة(ضمن كتاب:جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري)، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية،ط1،دار أبي رقراق، الرباط،1433هـ/2012م،ص108.

على هذه الأمة، و كان شيخ السنة و لسان الأمة،و سيف السنة، و إمام أهل التحقيق و الحق، و لسان الفقهاء و المتكلمين.[1]

7-2- الأمام أبو المعالي الجويني:

إن الكلام على التجديد الكلامي عند المغاربة لا يعني البتة، إيقاع القطيعة مع التراث الكلامي المشرقي. فلا شك أن أساطين الكلام في زمن الإبداع المشرقي كان له عميق الأثر لدى أساطين الفكر الكلامي المغربي، لكن تعاملهم مع النصوص المشرقية شرحا و تعليقا و اختصارا، لم يكن تقليدا و تكريرا. و من نماذج الشرح الذي يهدف إلى الإبداع كتاب" تحرير المقال في موازنة الأعمال" لأبي طالب عقيل بن عطية القضاعي المراكشي، حيث شرح كتاب " موازنة الأعمال" ، و من هذا القبيل أيضا كتاب"الإرشاد" لأبي المعالي الجويني فقد تأثر به متكلموا المغرب، و اعتبروه هو المدخل إلى علم الاعتقاد، و اتخذه الناس إماما لعقائدهم، بل كانت له عليهم سلطة، جعلت منه في نظرهم محور المعتقد الأشعري، و كان يدرس في الصفوف العالية و بذلك تعاملوا معه نظما و اختصارا و شرحا بفهم و بصيرة. فنظمه أبو الحجاج يوسف بن موسى المعروف بالضرير(ت 520هـ/1126م) في منظومة عدد أبياتها 1500 بيت و سمها بـ " التنبيه و الإرشاد في علم الاعتقاد"، و اختصره السلالجي في "العقيدة البرهانية" فكان المرجع الأساسي للسلالجي و تلامذته في العقيدة. و لا نستبعد أن يكون محمد " المهدي" بن تومرت لخصه في "المرشدة"، فقد قيل: أنه وسمها بهذا العنوان، لإبتدائها بـ " اعلم أرشدك الله" و هي البداية نفسها التي يبتدئ بها كتاب" الإرشاد" و عليها سمي بهذا الاسم.[2]

7-3- الإمام أبو حامد الغزالي: ظل الإبداع الكلامي عند الغزالي، محط تقدير و عناية و اهتمام عند المغاربة، و دخل متكلموهم و فقهاؤهم في صراعات سياسية حامية الوطيس، انتصارا لفكر الغزالي، حيث كانت الغلبة في نهاية المطاف لهم، و تلقب بعض أساطين علم الكلام المغربي بما يزكي ذلك و يشفع له، كأبي علي حسن بن علي المسيلي(580هـ/1158م)، الذي لقب بـ "

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة ،ص109.

2- المرجع نفسه،ص110، 111.

أبي حامد الصغير"، و الهبطي الكبير الذي كان يلقب بـ " غزالي زمانه"[1] و رحل المغاربة إلى المشرق، للتتلمذ عليه. و نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر: أبا الحسن علي بن أحمد الكتاني المعروف بـ" ابن حنين"، و أبا بكر ابن العربي، و أبا محمد صالح بن محمد بن حرزهم، و محمد"المهدي" بن تومرت (لقد صرح أبو حامد الغزالي نفسه بتتلمذه عليه، فقد قال في خطبة كتابه" سر العالمين":"فأول ما استحسنه- أي كتاب سر العالمين- و قرأه علي، في النوبة الثانية، بعد رجوعي من السفر، رجل من أرض المغرب، يقال له: محمد بن تومرت، من أهل سلمية . و توسمت منه الملك" [2]و تلمذة هذا الأخير ، هي التي أعطت المشروعية للفكر الصوفي بالمغرب.[3]

8- رجالات الأشعرية ببلاد المغرب إلى حدود العصر المرابطي: و قبل الحديث عن أول رجالات الأشعرية ببلاد المغرب الإسلامي، علينا أن ننوّه إلى أن القيروان كانت المركز الأساسي لتقبل الأشعرية و نشرها قبل منتصف القرن الخامس الهجري، لأنها كانت خلال هذه المرحلة نقطة للإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب بما فيها الأندلس، حيث كان يفِد إليها الطلبة من كل جهة لتلقّي العلم بها سواء ما أنتجه علماؤها أو ما جلبوه معهم من رحلتهم من المشرق هذا من جهة، و من جهة ثانية فقد كانت القيروان تمثل مرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق لأهل المغرب، حيث كانت تقع على طريقهم، فكانوا يمرون عليها أثناء الذهاب و الإياب فيحصلون خلالها على العلم الكثير بملاقاة العلماء الذين كانت تزخر بهم. [4]

لقد ظهرت بذرة الأشعرية في المغرب بالنسبة لبعض الباحثين كنتيجة حتمية للحاجة الملحة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها أصحاب هذه النزعة في جدال الطرف الأخر.[5]

1- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،حققه و علق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات درا الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م ،ص33؛ خالد زهري: المرجع السابق، ص119.

2- أبو حامد الغزالي: سر العالمين و كشف ما في الدارين، المجموعة السادسة من رسائل الإمام الغزالي، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت، 1988،ص03.

3- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة،ص120.

4- الشاذلي عطا الله: دور القيروان في نشر العلم و المعرفة، مجلة القيروان، لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان، المدار التونسية للنشر، تونس، (د- ت)، ص ص: 10-12.

1- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 433.

أما عن أول رجل عرف الأشعرية في المغرب[1]، الذي تبّنى المذهب في وقت مبكر هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي"[2] (ت 357 هـ/967م)، و قد رحل هذا الرجل إلى المشرق مبكرا و إلتقى بأئمة الأشعرية و أخذ عنهم، ثم رحل بالقيروان حيث درس بها، و علم أبنائها المناظرة بالمنهج الأشعري، وألف رسالة في الدفاع عنهم، ثم استقر بفاس و نشر بها علمه و بها دفن.[3]

بينما "عبد المجيد النجار" يذكر نقلا عن "البرزلي "[4]رجل آخر (ت 844 هـ/1440م) هو "أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي"[1] (ت 359 هـ/969م)، هو أحد علماء

1- يشكك يوسف أحنانة في هذا الرأي بقوله:" تختلف آراء الباحثين في من كان أول من أدخل مبادئ المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي .....ومنها ما يزعم أنه كان في حياة أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ). فهناك أسماء اشتهرت في القرن الرابع الهجري، وشهر عنها احتكاكا بأشهر تلاميذ الأشعري في المشرق. و بهذا الصدد يبرز اسم مفكر من الغرب الإسلامي ارتبط اسمه بالعقيدة الأشعرية ويتعلق الأمر بالمفكر التونسي إبراهيم بن عبد الله الزبيدي أو الزبيري الشهير بالقلانسي (ت 359 هـ) ولسنا ندري إن كان هذا الشخص فعلا هو أول من نقل معه هذا المذهب من الشرق إلى تونس، ومنها إلى باقي الغرب الإسلامي، إذ ليس هناك دليل يمكنه أن يدعم هذا الرأي أو يزكيه أو يقارب أن يفعل. فكل ما تحدثنا به المصادر أنه كانت له مع الدولة العبيدية (الفاطمية) لشيعية مشاكل من طبيعة اعتقادية بسبب تأليفه كتابا في الإمامة أو شيء من هذا القبيل. وهذا كله لا يقوى على حملنا على الاعتقاد يقينا بأن هذه المشاكل كانت نتيجة محاولة القلانسي نشر مبادئ الفكر الأشعري ومعارضة المذهب الشيعي في القيروان، ثم إن النصوص ضنينة علينا بما في شأنه أن يبت في الأمر ويحسم الموقف. فكل ما نملك نصوصا و نقولا متأخرة لباحثين معاصرين صنفوا هذا الرجل مع متكلمي الأشاعرة." ؛ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص51.

2- أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي، الفقيه الحافظ ، عرف عنه العلم و الصلاح، له رحلة حج فيها، و عنه اخذ القابسي، و ابن أبي زيد، و سمي دراسا لكثرة دراسته للعلم. ينظر ترجمته كاملة : محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني:سلوة الأنفاس و محادثة الاكياس بمن قبر من العلماء و الصلحاء بفاس، حققها ووضع فهارسها الشريف محمد حمزة الكتاني،ج2،طبع على الحجر بفاس،1316هـ،ص-ص:232-236؛؛ أحمد ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،ج1، دار المنصور للطباعة و الوراقة،الرباط،1973، ص-ص:194-196؛إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 262.

4- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص52؛ عبد المغيث جيلاني:المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها،ص31.

1- أحمد بن محمد بن المعتل القيرواني المالكي الشهير بالبرزلي، ولد سنة 740 م كان فقيها مشاركا في أنواع من العلوم، رحل إلى القاهرة ،وصار إماما، توفي بتونس سنة 488 هـ انظر ترجمته: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب – ت، ص 433.

علماء القيروان، كان أشعريا، و جعله البرزلي من " مشائخ الأشعرية" ، و نسب إليه بعض أراء الأشعري كقوله بأن الله تعالى في مكان دون مكان، و أنه في السماء، و الأشعري بقوله هذا خالف السلف من الفقهاء و المحدثين السابقين من أن الله تعالى في كل مكان[2]، و قد كان من السباقين إلى نقل الأشعرية إلى القيروان،ثم أسهمت صلات علماء إفريقية بتلاميذ الإمام الأشعري في تدعيم استقرار المذهب بها. [3]

و بعد هذين الرجلين نجد علما لامعا من أعلام القيروان يكون قد قام بدور مهم في إدخال مبادئ الأشعرية إليها هو "أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني"[4] (310-386 ه / 922-996م)، فقد كانت له رحلة إلى المشرق حج فيها، و لم تذكر المصادر أنه ذهب إلى بغداد، و لكنه تتلمذ على يد كثير من المشايخ بالمشرق منهم "جماعة من البغداديين"، و كان "أبو ميمونة درّاس" أحد أفراد تلك الجماعة. [5]

و يذكر "القاضي عياض" أن "ابن زيد القيرواني" كانت تربطه صلة مع "أبي عبد الله بن مجاهد" (ت 370 ه / 980م) تلميذ الأشعري علاقة حميمة، إذ بعث "ابن مجاهد" برسالة إلى "أبي زيد" يطلب منه إرسال نسخ من كتابيه "الرسالة" و "النوادر و الزيادات"[6]، كما ذكر "الدباغ" أن القاضي "أبا بكر الباقلاني" ذكر "ابن أبي زيد" في بعض مؤلفاته، واعتذر عنه فيما نسب إليه من إنكار الكرامات. [7]

1- إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (359هـ) عرف بمواقفه المعادية للشيعة، راجع ترجمته: ابن فرحون:المصدر السابق، ص 144.

2- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي،مرجع سابق، ص: 22؛ المبروك المنصوري: الأشغرية في بلاد المغرب،ص04.

4- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص135.

5- يعتقد محمد المغراوي:" أن وراء تحول ابن أبي زيد، إن حصل فعلا، نفس الأسباب المرتبطة بتعبئة علماء أهل السنة لمحاصرة المذهب الشيعي الباطني الإسماعيلي الذي اجتهد الفاطميون في نشره في إفريقية ومصر، وارتكبوا الفضائع في سبيل ذلك ، ينظر: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص136.

5- الدَباغ: المصدر السابق، ج3،ص: 109.

6 - القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص: 477.

7- الدباغ: المصدر سابق: ج 3، ص: 112.

و جاء عند "ابن عساكر" أن "ابن أبي زيد القيرواني" ألف رسالة في الدفاع عن الأشعري، و بعث بها إلى أحد أعيان المعتزلة بالمشرق. بعد أن حط من شأنه، و نسب إليه ما هو منه براء، و مما قاله "ابن أبي زيد" في تلك الرسالة: «هو رجل مشهور إنه يرد على أهل البدع و على القدرية و الجهمية، متمسك بالسنن». [1]

و بالرغم من منافحة "ابن أبي زيد" عن الأشعري و علاقته الطيبة برجال و علماء هذا المذهب، يذكر "عبد المجيد النجار" أنه عند تصفح كتابه "الرسالة"[2] سيظهر جليا أنها خالية من أية صبغة استعراضية، و لا أثر فيها للاستدلال العقلي. كما أن المفاهيم العقدية الواردة فيها لا تختلف عما كان مألوفا عند أهل السلف، مما يدل على عدم تأثره بالطريقة الأشعرية. [3]

على العكس من ذلك يرى المنصوري أنه "... رغم أن الباحثين اختلفوا في هذه الرسالة هل أنّها تحوي أفكارا أشعرية أم هي عقائد أهل السنة المتعارفة في صياغة مغربية ، نظرا إلى اختلافهم في جملة من المسائل مثل مسألة الإيمان. وكان لفقهاء المالكية مواقف متباينة منها ، ومسألة الكرامات. وهي مسألة يتعين على فقهاء المالكية الإيمان بها نظرا إلى أهمية الزهاد والعباد في الفترة التأسيسية من نشر الإسلام في بلاد البربر وفي الأندلس أيضا ، وإنكارها يعني التنكر لتراث كبير شيّده الزهّاد وساعدتهم على تشييده كرامات بدءا من البهلول بن راشد . وهذا أثر أول من آثار العمران في صياغة الفكر- الأشعري- وتكييفه."[4]

و على مثل هذه الحالة انقضى النصف الأول من القرن الرابع الهجري، إلا أنه و بحلول النصف الثاني من القرن نفسه نجد عنصرا مهم سيكون له أثر واضح في نمو الأشعرية بالقيروان، تمثل في ظهور القاضي " **أبي بكرالباقلاني**" (**ت 403 هـ/1012م**) ببغداد، و ذلك يعود لسببين هما:

1- ابن عساكر: المصدر السابق، ص ص: 123 ،124.

2- ينظر: باب ما تنطق به الألسنة و تعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات، الملحق رقم:06،ص369-370.

3- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي،ص:24.

4- المبروك المنصوري: المرجع السابق،ص04.

أولهما :فقد كان "الباقلاني" مالكي المذهب، بل أنه من أعيانه و كبار علمائه، حتى قال فيه غير واحد من المؤرخين بما فيهم القاضي "عياض" «إليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته».[1]

حيث كان إماما و مدرسا للفقه المالكي وأصوله، كما كانت له الريادة في علم الكلام الأشعري، ونظرا لأنه كان مالكي الفقه فقد كان المغاربة يقصدونه لأخذ الفقه عليه، وهذا أصوله، فكان يمد تلامذته وكل من يقصده بأفكاره ومعتقداته الأشعرية. وهناك أسماء متعددة لمفكرين من الغرب الإسلامي تتلمذوا عليه منهم من تأثر بأشعريته ومنهم من لم يفعل.[2]

و أما ثانيهما: أن "الباقلاني" يمثل في حد ذاته مرحلة في تطور الأشعرية، فهو الموصل الحقيقي لهذا المذهب[3]، إذ أنه نظر المنهج الذي وضعه الأشعري، فبدأت الملامح الأساسية لهذا الفتى تبرز و تتضح على يديه، و قد عبر "ابن خلدون" عن هذا المعنى بقوله: «... و أخذ عنهم (أي تلاميذ الأشعري) القاضي "أبو بكر الباقلاني" فتصدر للإمامة في طريقتهم، فهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة.... و جملت هذه الطريقة و جاءت من أحسن الفنون النظرية و العلوم الدينية».[4] كما " قد نهض بعملية نشر المذهب الأشعري في سائر أقطار العالم الإسلامي، حيث نجده بعث بتلاميذه إلى كل من خراسان، والعراق، والمغرب لهذا الغرض وكان من بين من وصل منهم إلى الغرب الإسلامي شخصان نزلا بالقيروان، وهي يومها مدينة تعج بالمفكرين والفقهاء، ويتعلق الأمر بأبي عبد الله الأذري (ت 423هـ/1031م)، وأبي طاهر البغدادي (ت 448هـ/1056م) اللذين توفيا بالقيروان."[5]

و لما كان كذلك أخذ عنه طلبة العلم من أهل القيروان المذهب الأشعري على غرار هدفهم الأول الذي ارتحلوا من أجله إلى بلاد المشرق و هو تعلم فقه المالكي[6]، و قد أخذ عن "أبي بكر

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4،ص: 430.

2- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص55.

3- جلال محمد موسى: المرجع سابق، ص: 157؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص55.

4- ابن خلدون: المقدمة،ص: 369.

5- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص55.

6- عبد المجيد النجار:فصول في الفكر الإسلامي، ص: 25.

الباقلاني" من أهل المغرب مجموعة من العلماء أمثال "ابن الصابوني"[1]، و "أبو عمران الفاسي (ت430هـ)، و فضلا على ذلك "فالباقلاني" لم يكتف بالطلبة الذين كانوا يفدون إليه من المغرب، و إنما أخذ بدوره يرسل الدعاة لنشر المذهب بالمغرب و بثه بين أهله، و من الذين أرسلهم "أبو طاهر البغدادي"[2] و "الحسن بن عبد الله الأذري"[3] الذي دخل القيروان واستوطنها، و ذكر "ابن عساكر" أن السبب الذي كان وراء ورود "الأذري" على القيروان هو أن "أبا بكر الباقلاني" أرسله إلى دمشق أولا تلبية لرغبة أهلها، فعقد مجلس تذكير في جامع دمشق في حلقة "أبي الحسن داود"[4]، فذكر التوحيد و نزه المعبود و نفى عنه التشبيه، فخرج أهل دمشق من مجلسه و هم يقولون: «أحد، أحد»، و بعدها طلب من شيخه "الباقلاني" أن يوجهه إلى المغرب، و لما تم له ذلك نشر العلم بتلك الناحية و استوطن القيروان إلى أن مات.[5]

و ورد في "ترتيب المدارك" أن "أبو عبد الله الأذري" «كان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب»[6]، وعن "الأذري" أخذ جمع كبير من أهل المغرب، نذكر منهم على سبيل المثال"أبو عمران

1- عبد الجليل بن أبي بكر الربعي المعروف بالديباجي، له رسالة في الاعتقادات، انظر ترجمته: أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزة العطار الحسيني، ج 2،نشر في مكتبة الثقافة الإسلامية: القاهرة، 1956م،ص: 98.

2- أبو طاهر البغدادي كان عالما متقنا لعلم الكلام، و هو من تلاميذ الباقلاني، انظر ترجمته: ابن عساكر: المصدر السابق، ص 123.

3- أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري، نسبة إلى أذربيجان، نزل إلى القيروان و استوطن بها، توفي سنة 423هـ انظر ترجمته: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 9، المطبعة الخيرية، (د -م) 1928م، ص: 119.

4- أبو الحسن علي بن داوود المقري الدمشقي إمام مسجد دمشق، كان ابوه نصرانيا فأسلم، توفي سنة 401 هـ، انظر ترجمته: ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 214.

5- المصدر نفسه:ص: 217.

6- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2،ص - ص: 586 - 589.

عمران الفاسي" الذي سبق ذكره،و "ابن أبي كدية"[1] و إلى غير ذلك من الأعلام الذين لعبوا دورا حاسما في نشر عقيدة "أبي الحسن الأشعري" بالمغرب، و عرفوا الناس بها.[2]

و علاوة على ذلك فقد برزت أواخر القرن الرابع شخصية قيروانية ساهمت هي الأخرى في إدخال المبادئ الأشعرية إلى القيروان و إرسائها بها، و تلك هي شخصية "أبو الحسن القابسي"(ت 403 هـ/1012م). [3]

بل هناك من الباحثين[4] من يجعله الشخصية التي وقع عليها الإجماع من طرف الباحثين في كونها أول من تولى نقل المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي ، فكيف تمكن من أن يفعل ذلك؟

الحقيقة أن أبا الحسن القابسي كان قد خرج من الأندلس في اتجاه المشرق طلبا للعلم سنة (353هـ) فالتقى هناك بأشاعرة أثروا فيه تأثيرا واضحا، عكسه في دفاعه عن مؤسس المذهب أبي الحسن الأشعري، معتبرا إياه « واحدا من جملة القائمين بنصرة الحق، ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبته ذلك، ولا من يؤثر عليه في عصره ».

1- أبو عبد الله محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله بن مالك التميمي القيرواني المعروف بابن كدية، درس الكلام على حاتم الأذري، رحل إلى المشرق ودرس بالنظامية بالعراق وأقام بالعراق إلى أن توفي سنة 512هـ، ودفن مع أبي الحسن الأشعري، انظر ترجمته: ابن ياقوت الحموي، المصدر سابق، ج4،ص ص: 313-314.

2- لا يعطي يوسف أحنانة أي أهمية لكل الشخصيات السابقة، و ينفي دورها في إدخال الأشعرية، و يعتبرها مجرد إشارات فقط حيث يقول:"... ومن جهتنا فإننا لا نملك القدرة على الرجم بالغيب، والإدعاء دونما حجة ولا برهان أنهم كانوا ضمن من تولوا إدخال الأشعرية إلى الغرب الإسلامي .....كل هذه الإشارات غير كافية بذاتها كي تقدم الدليل والبرهان على أشعرية أصحابها ومن تتكلم عنهم. ولربما كان غياب النصوص الشاهدة والمؤرخة لذلك هو الذي قلل من قيمة ما ورد، فكل ما يمكننا أن نؤكد عليه هو أن دخول المذهب الأشعري إلى هذه الأقطار كان في أواخر القرن الرابع الهجري."؛ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص52.

3- علي أ بو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي (ت 403 هـ) شيخ المالكية، ولد سنة 324 هـ رحل إلى المشرق سنة 352 هـ، ثم عاد ولى القيروان سنة 357 هـ و توفي بها سنة 403 هـ، من كتبه "الممهد" ، أنظر =ترجمته : أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق : عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، (د-ت)، ص ص: 227 – 228.

4- منهم الباحث عبد المجيد بن حمده الذي ذهب إلى القول :" ..هو أن بوادرها- الأشعرية- ظهرت بإفريقية في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حسب أصح الأقوال على يد أبي الحسن القابسي(ت403هـ/1012م)" ، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية،ص10.

ويبدو أنه بمجرد عودته إلى بلده الأندلس عام (357 هـ/967م) انهمك في نشر هذا المذهب ودعوة الناس لاعتناقه والتمسك به، ونظرا لأنه لم تصلنا من مؤلفات أبي الحسن القابسي إلا رسالة واحد هي « رسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » وهي رسالة تربوية تعمل على تحليل وضعية المعلمين والمتعلمين، وشروط عملهم، وأحكامهم الشرعية. فقد وصلتنا عناوين بعض مؤلفاته التي يبدو من خلالها أن لصاحبنا اهتماما بأمور العقيدة، وسيرا في نهجها، واقترابا إلى ما كان يؤكد عليه مذهب الأشاعرة ".[1]

و على الرغم من أن "القابسي" و "الباقلاني" كانا متزامنين ،حيث توفيا في سنة واحدة (403 هـ/1012م)، إلا أنه لم يثبت في المصادر أنهما التقيا في يوم من الأيام، بيد أن ذلك لا يمنع من احتمال إطلاع "القابسي" على أشعرية "الباقلاني" و الإفادة منها خاصة و أنه رحل إلى المشرق، كما أنه كان وثيق الصلة بتلاميذ "الباقلاني" العائدين من بغداد.[2]

و ذكرت بعض المصادر أن "القابسي" ألّف كتابا في فضل الشيخ "أبي الحسن الأشعري" منها رسالة في الثناء على أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه،و ذكر فضله و إمامته التي أشرنا إليها. كما ذكر له أيضا جوابا عن سؤال وجّهه إليه بعض أهل إفريقية يتعلق بالأشعري، بين فيه فضل "الأشعري" و منهجه في نصرة العقيدة و دافع عنه بإبطال بعض ما نسب إليه، و من بين ما قاله: «واعلموا أن "أبا الحسن الأشعري" رضي الله عنه لم يأت من هذا الأمر (يعني الكلام) إلا ما أراد به إيضاح السنن، و التثبيت عليها، و دفع الشبه عنها، فهمه من فهمه بفضل الله عليه، و خفي عمن خفى بقسم الله له ».[3]

و يذكر "عبد المجيد النجار" أنه بعد الإطلاع على الآثار الكتابية للقابسي،و على الخصوص رسالته التربوية "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين" يستشف من

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص:52، 53.

2- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي،ص: 25.

3- ابن عساكر: المصدر السابق، ص ص: 123 ،124.

خلالها وجود لمحات أشعرية، إذ أنه اتبع منهجا استدلاليا يقوم على الحجة العقلية و التحليل النفسي، أكثر ما يقوم على الاستشهاد النصية.[1]

و هذا ما يؤكده " أحنانة" بقوله" ...فالمتمعن لرسالة المفصلة يجد نفسه أمام رسالة شملها صاحبها بغطاء أشعري واضح فهناك بعض الشذرات التي تشهد على أشعرية القابسي في هذه الرسالة على الرغم من أنها ليست في أمور العقيدة. ففي معرض جوابه عن معنى الإيمان يقول القابسي « هو تصديق فيما عقد عليه القلب، واطمأن إليه، وكذلك هو الإيمان بجميع ما جاء به الرسل » فمفهوم الإيمان عند القابسي يطبعه الطابع الأشعري حينما يعتبره اعتقادا بالقلب وفي نفس الوقت إقرارا باللسان لأن « القول يعبر عنه، ولا تعلم صحة ما وراء القول من هذا المخبر عن نفسه بالإيمان إلا بالله عز وجل » فالعمل بالجوارح ليس شرطا من شروط الإيمان عنده، لأن الإنسان المؤمن يكفيه في ذلك اعتقاده، وإقراره بالقول، أما العمل فليس شرطا ضروريا في ذلك، على أن القول نفسه لا يكون مؤثرا على الإيمان لأنه قد يخفيه أو يخفي عكسه، ولذلك كان الله و الوكيل على ما يقول الناس ويقرون به اعتقاداتهم، وهو العالم المطلع على ما في الصدور."[2]

أما في سياق حديثه عن القرآن هل هو محدث أو قديم؟ فإن القابسي يورد موقفه من هذه المسألة ويتضح أن موقفه أشعري فهو يقول « ويكفيك من فضل القرآن معرفتك أن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق ».

علاوة على هذا فإننا نلمس من خلال حديث القابسي عن خلق الأفعال الإنسانية عدم نسبته الفعل إلى الإنسان حقيقة كما هو الشأن في نظرية الكسب الأشعرية ذلك أن يرى أن الإنسان إذا نسى شيئا من القرآن فلا يصح له أن يقول« نسيت كما في الصحيح عن حديث سفيان عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحدكم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي ».[3]

1- عبد المجيد النجار:فصول في الفكر الإسلامي، ص: 26.

2- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص: 53.

3- المرجع نفسه ،ص54.

أضف إلى هذا كله أن رسالة المفصلة تتضمن لجوءا متعددا إلى التأويل، فمن ذلك أن القابسي يؤول كل الأحاديث التي تفيد بظاهرها النهي عن التعليم ليجعلها بفعل التأويل تبيحه ولا ترى فيه مانعا. والتأويل عملية عقلية تؤشر لنا على حضور الفكر الأشعري ومنهجيته.

زد على ذلك أن هذه الرسالة تتضمن في غير ما موضع قياس الغالب على الشاهد وهي آلية منطقية وظفها الأشاعرة في مقايساتهم العقلية.[1]

كما يرجع له الفضل في أنه ترك جيلا من التلاميذ، كان من بينهم من عمل على نشر مبادئ الأشعرية وتكريسها في أوساط الثقافة العقدية في الغرب الإسلامي، ونذكر تلميذان له حظيا بالاكتراع من أفكاره وتصوراته ويتعلق الأمر بأبي عمران الفاسي (ت 430هـ/1012م) و المقرئ أبي عمرو الداني (ت 444هـ/1052م) تلميذ أبي الحسن القابسي، وصاحب عدة تآليف في العقيدة الأشعرية، و بعد القابسي سيظهر مفكرون آخرون سيعملون على نشر المذهب العقدي الجديد. فقد كان مجموعة من كبار المفكرين بالأندلس والمغرب، وتونس يتجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية، والعقدية على كبار الأشاعرة هناك وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنعين أشد ما يكون الاقتناع بهذا المذهب وبضرورة نشره وتعميمه بين الناس.[2] منهم **أبو عمران موسى الغفجومي الفاسي**"(430هـ/1038م) [3]، هذا الأخير الذي كان له دور فعال في نشر هذا المذهب ببلاد المغرب، كانت رحلة "أبو عمران" إلى بغداد سنة (399 هـ/1008م) و سمع من الفتح بن أبي الفوارس و أبي الحسن المستملي، و خلالها تلقى و درس أصول المذهب عن القاضي "الباقلاني" الذي أعجب بذكائه و حفظه[4]، و لما رجع إلى القيروان و

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ،ص: 53، 54.

2- ابن فرحون: الديباج،ص201؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص55؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص137.

3- أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج البربري الفاسي الزناتي، رحل إلى الأندلس و حج أكثر من مرة، أخذ علم العقليات عن الباقلاني، توفي سنة 430 هـ، انظر ترجمته : ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص: 611؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص62.

4- ذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه و يقول:" لو اجتمعت في مدرستي أنات و عبد الوهاب – البغدادي- لاجتمع عندي علم مالك، انت تحفظه و هو ينظره" ينظر:عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1، (ب.ن)، طنجة،1960،ص52.

جلس بها و ظهر علمه قصده الناس من كل جهة ، ولزم تدريس الفقه والعقيدة، ونهض بأدوار سياسية بالغة الأهمية في القضاء على تأثير العبيديين.[1] و يشير الباحث أحنانة إلى دور الفاسي في نشر الأشعرية في بلاد المغرب بقوله:" و عند عودته حمل معه أفكارا إصلاحية – يغلب أن تكون أشعرية المنحى–"[2] دعته إلى " محاربة البدع، ودفع المظالم و المغارم و أخذهم أموال الناس بغير حق." [3] ، و يضيف عبد الله كنون أنه نتيجة لأفكار أبو عمران الإصلاحية :"...فأن الطغاة من أهل فاس العاملين عليها لمغراوة أخرجوه منها لأمره بالمعروف و نهيه عن المنكر.."[4]

فانتهى به الأمر إلى تونس، وبالضبط في القيروان و هناك ظل يبث أفكاره الإصلاحية والدينية في كل من الحجاج[5] والقاصدين المشرق من أهل المغرب قصد طلب العلم أو التجارة، إلى أن أثمر جهده تأسيس دولة المرابطين بإيعاز منه إلى واجاج بن زلو اللمطي، إلى عبد الله بن ياسين[6]، ينضاف إلى هذا كله أن أبا عمران الفاسي كان من تلاميذ أبي الحسن القابسي(ت 403 هـ/1012م).

وللأسف فإننا لا نملك من آثار أبي عمران العقدية أي شيء يمكنه أن يجلي لنا الموقف، ويجزم القول، ويقطع الرأي في أشعريته، فكل ما وصلنا من آثاره بعض الكتب الفقهية، وبعض الفتاوى والرسائل في نفس التوجه، إلا أن هناك ملاحظة ذات أهمية في هذا الصدد وهي أن النصوص الأشعرية المتأخرة في الغرب الإسلامي ظلت تورد اسمه ضمن من له آراء في علم الكلام الأشعري. ومن جهتنا نحن أمكننا استجلاء بعض آرائه الكلامية من خلال بعض ما وصلنا من كتاباته و

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك،ج 2، ص: 703؛محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص136.

2- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص62.

3- إسماعيل ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط،1972،ص28.

4- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص52، 53.

5- و يتعلق الأمر بأحد زعماء قبيلة صنهاجة العظيمة و هو يحي بن ابراهيم الجدالي، فأنه لما حج و مر في طريق عودته بالقيروان، و اجتمع بأبي عمران الفسي و تحدث إليه عن سوء الحالة الاجتماعية بالمغرب و ما عليه القبائل من الجهل بأصول الدين و الفروع الشريعة،فبعث معه كتاب إلى احد تلاميذه وجاج بن زلو اللمطي الذي أشار عليه بعبد الله بن ياسين.للمزيد ينظر: إسماعيل ابن الأحمر: بيوتات فاس،ص28؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص57.

6- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص57.

النقول عنه."، و يضيف أحنانة في التدليل بأشعرية أبو عمران الفاسي حين يقول :" وأول ما يسترعي انتباهنا بصدد آراء هذا الفقيه المغربي هو تأكيده على رفض التقليد في العقائد، وهو رأي أشعري واضح، ذلك أنه عند حديثه في بعض مسائله الفقهية عن هبة ورعاية المرأة اشرط فيها أن تكون ذات دين، تؤدي الصلاة، وتعرف ربها بلا تقليدا. ولا شك أن هذا الشرط الأخير المتمثل في شرط معرفة الله بدون تقليد، شرط تأتى له إضافته تحت وطأة تأثره بالأشعرية التي يرى معظم أقطابها أن اكتمال إيمان المرء لا يتم إلا بمعرفة الله معرفة نظرية بلا تقليد . لا سيما إذا علمنا أن هذه الفتوى تخص نساء لمطة، وجزولة، وماسة وأبو عمران نفسه يصرح أنهن خلاف الرشد في الغالب ، وفي نفس سياق معرفة الله تروى عن أبي عمران الفاسي حكاية طريفة يشهد فحواها على توجه صاحبنا الأشعري[1]، و يذكر ابن الزيات أنه قد وقع أيام إقامة أبو عمران بالقيروان نقاش فكري بين عامة الناس حول " مسألة في الكفار : هل الكفار يعرفون الله أم لا ؟" فكثر النزاع بينهم حتى كاد يؤدي بهم إلى الإقتتال. ففزعوا إلى أبي عمران الفاسي وهو يومها إمام الوقت، ليحل لهم ما أشكل عليهم، ويفتي في المسألة برأيه فقال لهم : « إن أنصتم وأحسنتم الاستماع أخبركم بما عندي، فقالوا له: ما نحب إلا جوابا بينا على قدر أفهامنا، فتوجه بالحديث إلى أحدهم قائلا: أرأيت لو لقيت رجلا فقلت له أتعرف أبا عمران الفاسي ؟".[2]فقال لك أعرفه. فقلت له صفه لى. فقال: هو رجل يبيع الحنطة والزيت في سوق ابن هشام، ويسكن صبرة أكان يعرفني ؟ فقال : لا. فقال : لو لقيت آخر فقلت له : أتعرف الشيخ أبا عمران فقال : نعم. فقلت له صفه. فقال هو رجل يدرس العلم، ويفتي الناس ،ويسكن قرب السماط. أكان يعرفني. قال: نعم، قال: والأول ما كان يعرفني؟ قال: لا، قال لهم الشيخ، فكذلك الكافر إذا قال لمعبوده صاحبة وولد، وأنه جسم، وقصد بعبادته من هذه صفته فلم يعرف الله ولم يصفه بصفته. بخلاف

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ،ص63.

2- أبي يعقوب بن يحي التادلي ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي،تحقيق أحمد توفيق،ط2،كلية الآداب الرباط،1997،ص87؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص.63

المؤمن الذي يقول إن معبوده هو الله، الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، فهو قد عرف الله ووصفه بصفته، وقصد بعبادته من يستحق الربوبية ».[1]

و يعلق أحنانة على هذه المسألة بقوله:" ...إن هذه الحكاية البسيطة تشهد وتقطع في شهادتها على أشعرية أبي عمران الفاسي، فمضمونها يرفض التجسيم أو التشبيه للذات الإلهية؛ كما يؤكد على ثابت من ثوابت الفكر الأشعري، وهو أن الجهل بالصفة يقتضي الجهل بالموصوف. فكلما كان هناك جهل بما يلزم الذات الإلهية من الصفات، فإن هذا الجهل يقتضي أن يكون هناك بهذه الذات. وعليه فإن عبادة الجاهل بصفات الله أو الذي ينسب له صفات ليست له أو لا تليق بذاته العلية عبادة باطلة، لأنه قد لا يتوجه في عبادته إلى الله. إن هذا الموقف الذي نخرج به من نص هذه الحكاية لا يقوى أحد على نفي طابعه الأشعري، وما يزكي ذلك هو أن النصوص المتأخرة للأشاعرة الغرب الإسلامي ظلت تردد معناه وتستدل به وتسنده إلى أبي عمران الفاسي في غير ما مرة « الجهل بالصفة يؤدي إلى الجهل بالموصوف »

ذلك هو موقف أبي عمران الفاسي من معرفة الله وهو موقف ينشد انشدادا واضحا إلى منطلقات الأشاعرة، ويستمد منها حقيقته على أن هناك شهادات أخرى تزيد في تأكيد دعوانا[2]

إن النتيجة التي نخلص إليها من قراءة هذه الشذرات القليلة هي أن أبا عمران الفاسي كان أشعريا العقيدة. وما يزيد في تأكد هذا هو ما ساد في أفهام رهط من الباحثين المعاصرين حين ربطوا بين تتلمذه على الباقلاني وبين انتمائه الأشعري.

1- ابن الزيات التادلي: التشوف ،ص88، 89؛ يوسف أحنانة: المرجع السابق:ص64.

2- فبصدد موقفه من المشكل السياسي (الإمامة) وبالضبط من شروط الإمام التكميلية نراه يؤكد على:1- ألا تكون زوجة الإمام تأتي الأماكن المنهي عنها كأماكن اللهو واللعب.2- وألا يحضر هو الولائم، ويأكل مع العامة. 3- وألا يشهد الملاهي و النوائح. 4- وأن لا يكون قاتل نفس.أما إذا كان هناك بلد لا إمام فيه يقوم بأمور الشريعة، ويمنع المظالم، ويحمي الحرمات فإنه يجوز في نظر الفاسي أن يتفق العلماء ذوو الرأي على أحكام اجتهادية ينزجر بها الناس ويرتدعون وتكون بديلا مؤقتا للإمام وفي حال وجود زمان لا سلطان فيه، أو كان ولم يكن عادلا فإن الجماعة تقوم مقامه في تطبيق الأحكام الشرعية، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الفتنة فإن كان في قيام الجماعة على السلطان فتنة فعليهم بالصبر، لأن كل فتنة يعمل أبو عمران الفاسي على تفاديها وتجنب عواقبها، شأنه في ذلك شأن أسلافه الأشاعرة."، ينظر: يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص64، 65

و من الشخصيات التي ساهمت في نشر المذهب الأشعري في الديار المغربية خلال القرن الخامس الهجري ، "**أبا ذر الهروي**"[1]، فقد كان له هو الآخر دور كبير في تعريف المغاربة بذلك المذهب، بل هو الذي علمه لهم، إذ كان طلبة العلم يقبلون عليه لكونه كان يجمع بين الأشعرية في الأصول و المذهب المالكي في الفروع.

و في هذا يقول الإمام "الذهبي" أن "أبا ذر الهروي"«أخذ الكلام و رأي"أبي الحسن". عن القاضي"أبي بكر بن الطيب" و بث ذلك بمكة و حمله عنه المغاربة إلى المغرب و الأندلس، و قبل ذلك كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية و لا يخوضون في المعقولات».[2] كما يؤكد صاحب "البداية و النهاية" صلة هذا الرجل ببلاد المغرب و أثره فيه، فيقول:« و المغاربة إنما أخذوا الأشعرية عن "أبي ذر الهروي"»[3]

و ممن أخذ عنه نذكر "أبو عمران الفاسي" الذي سبق و أن تطرقنا إليه، فقد أخذ عنه خلال رحلته إلى المشرق، و بعد رجوعه قام بنشر المذهب في المغرب، و تم على يده ترويج كتبه و نشرها بين الناس، و يعتبر "أبو محمد ابن الصائغ" [4]من أشهر علماء المغرب الذين تلقوا الأشعرية عن "أبي عمران الفاسي"، و قد خرج "ابن الصائغ" بعلمه ذاك من القيروان إلى المهدية أين أتيح لأحد التلاميذ النابهين أن ينهل من علمه، و يصبح واحد من أبرز علماء المالكية و الأشعرية بالمغرب ألا و هو الإمام "المازري[5]".[6] و ممن أخذ عن "الهروي" أيضا "محمود بن سعدوي"[1] ، و الإمام "الوليد الباجي" [2]الذي لزمه ثلاث سنوات كاملة يدرس عليه الكلام. [3]

1- أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي المالكي الحافظ الثقة، توفي سنة 434 هـ إذ كانت ولايته سنة 356هـ، انظر ترجمته: ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 255.

2- شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17،ص: 557.

3- عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير: البداية و النهاية، ج 12،ط1،مكتبة المعارف،بيروت،1966،ص: 50.

4- أبو محمد عبد الحميد بن الصائغ ،فقيه مالكي من أصل القيروان، سكن سوسة و تفقه على النيسابوري و أبي عمران الفارسي، و عليه تفقه الإمام المازري، تولى الإفتاء و التدريس بالمهدية، توفي سنة 482هـ.انظر:الدباغ:،المصدر السابق،ج3،ص200.

5- المازري إمام أهل إفريقية، بلغ درجة الإجتهاد، من كتبه"المعلم بفوائد المسلم" أو " شرح البرهان للجويني"توفي سنة536هـ.انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج20،ص –ص:104-106.

6- الدباغ، المصدر السابق، ج 3،ص: 202. 203.

و مما تجدر الإشارة إليه أن هناك علاقة علمية ربطت بين " أبي الحسن القابسي" و " أبي ذر الهروي"[4] .

كما يذكر لنا المغراوي أحد رجالات الأشعرية بالأندلس ، المحدث **أبي عمر الطلمنكي** (ت 429هـ/1038م)،[5] ويقول عنه أحنانة:" هو مفكر أندلسي عرف شهرة كبيرة في علم القراءات، وصنف ضمن المكثرين في هذا العلم: إلا أنه ألف في علم التوحيد مؤلفات لم تصلنا، وكان من بينها كتاب في مجلدين سماه « الوصول إلى معرفة الأصول » وهو كتاب لم يصلنا وكل ما وصلنا منه بعض الشذرات نقلها عنه الإمام الذهبي. وعلى الرغم من أن أحدا من القدامى والمحدثين لم يشر إلى أشعرية هذا الرجل ما عدا ما اتهم به في زمنه من طرف طائفة من فقهاء الأندلس المتألبين عليه أنه يمثل مذهبا في العقائد غريبا على خلاف السنة وأشبه ما يكون بمذهب الحرورية، وقد حوكم الطلمنكي بهذه التهمة لكن القاضي ومشاوريه أفتوا بإسقاط شهادة المتألبين، وببطلان هذه التهمة. ورغم ذلك كله فإن أحدا من أصحاب التراجم لم يصنفه ضمن أشاعرة الأندلس. لكن بعض الشذرات المنقولة عنه لا يقوى أحد على إنكار طابعها الأشعري." فالطلمنكي يستعمل التأويل بصدد بعض التصورات العقدية، كوصف الله بالمكان، وعلاقة الصفات بالذات، والجسمية...الخ ومن ذلك أنه يقول « أجمع المسلمون من أهل السنة على معنى قوله ﴿ و هَوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [6] أو نحو ذلك من القرآن أنه علمه » فالله إذن يوجد في كل

1- أبو عبد الله محمد بن سعدوي، تفقه بالقيروان على جماعة، و حج فسمع بمكة من أبي ذر الهروي و غيره، و كان تاجرا، توفي سنة 486 هـ. انظر ترجمته،القاضي عياض:ترتيب المدارك، ج2،ص799

2- أبو الوليد الباجي فقيه مالكي من حفاظ الحديث، ولد سنة 403 هـ رحل إلى المشرق سنة 426 هـ و عاد إلى الأندلس، تولى القضاء بها، توفي بالمرية سنة 474 هـ له عدة تصانيف منها "المنتقى" و "شرح المدونة".انظر ترجمته: ابن قنفذ،الوفيات،ص265 .

3- الذهبي، : سير أعلام النبلاء،ج 18،ص: 537

4- ابن عساكر، المصدر سابق، ص ص: 122 -123.

5- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص137.

6- سورة: الحديد، الآية:04.

مكان لكن بعلمه لا بذاته. وهذا تأويل على طريقة الأشاعرة، وهم الذين أسماهم الطلمنكي في النص بالمسلمين من أهل السنة.[1]

أما بصدد تشبيه الذات الإلهية، وتسمية الله بأسماء يشترك فيها مع مخلوقاته فيقول الطلمنكي : « فقد قال قوم من المعتزلة، و الجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه، وأثبتوها لخلقه. فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه قلنا هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه لا يحصل بالتسمية، وإنما تشتبه الأشياء بأنفسها وبهيئاتها فيه كالبياض بالبياض، والسواد بالسواد، والطويل بالطويل والقصير بالقصير. ولو كانت توجب اشتباها، لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، وعموم تسمية الأشياء به. فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: هل يلزمكم من دعواكم أن يكون مشتبها للموجدين وإن قالوا موجود لا يوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات. قلنا فكذلك هو حي عالم، قادر، مريد، سميع، بصير، متكلم. يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات »[2]

" صحيح أننا نلمس في هذا النص خلطا بين تصور الجهمية، وتصور المعتزلة لعلاقة الذات الإلهية بصفاتها دونما تمييز بين التصورين. والواقع أنه إن كانت الجهمية تنفي عن الذات الإلهية جميع صفاتها التي تشترك فيها مع مخلوقاتها، فإن المعتزلة قاموا بإدماج هذه الصفات في الذات واعتبروها شيئا واحدا، لكن جرت عادة القدماء على تصنيف المعتزلة ضمن نفاة الصفات.

إلا أن ما يهمنا بالدرجة الأولى من هذا النص هو المنطلق الذي يصدر عنه في الجدال مع الخصوم ذلك أنه منطلق يكشف بوضوح أشعرية الطلمنكي، ويجعله ضمن أوائل أشاعرة الغرب الإسلامي، ومن أوائل من ردد هذا المذهب في الأندلس، ودافع عنه، وعمل على نشر مبادئه ومعتقداته، وبثها في حقل الثقافة العربية الإسلامية هناك."[3]

1- أحنانة:تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص56.

2- نفسه، ص:56، 57.

3- نفسه ،ص: 57، 58.

والواقع أنه حينما يتعلق الأمر بأبي عمر الطلمنكي فإنه يتعلق برجل ظل انتماؤه إلى الأشعرية خفيا ومتشحا بوشاح اهتمامات أخرى، وبخاصة اهتماماته بمجال القراءات الذي حجب عنا جانبا مهما من حياته الفكرية وهو الجانب الكلامي الأشعري.

و من رواد المدرسة الأشعرية بالمشرق، الذين كان لهم باع طويل في ترسيخ دعائم هذه المدرسة **أبو المعالي الجويني**" (ت 478 هـ/1085م) فقد كان لهذا الإمام أثر و دور كبير في نشر المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، و عرفت كتبه رواجا كبيرا بهذه البلاد، واعتنى العلماء المغاربة بها شرحا و تدريسا و بالخصوص كتاب "الإرشاد" و كتاب "البرهان".[1]

و مما يجدر أن ننوه إليه في هذا المقام هو أن إمام الحرمين "الجويني" كان مجددا أكثر من مقلد، إذ أنه أفاد من فلسفة اليونان التي أكسبته مقدرة على الجدل و قوة في الاستدلال، حقيقة أنه لم يشتغل بالفلسفة كما فعل فلاسفة الإسلام و لكنه أفاد منها منهجيا فقط، كذلك انعكست الثقافة الفلسفية على نسقه الكلامي و صياغاته للموضوعات، و على الرغم من ذلك فقد بقي "الجويني" متكلما أشعريا في الصميم، إلا أنه أصبح يميل في الأغلب إلى الجانب العقلي أكثر من النقلي، على أنّ ذلك لا يعني بحال من الأحوال انحرافه من الأتباع عن أراء "أبي الحسن الأشعري"، فلقد وافقوه و اتفقوا معه في كثير منه الموضوعات خصوصا تلك التي فارق من أجلها مذهب الاعتزال.[2] و إلى جانب كتبه و مؤلفاته التي دخلت المغرب و اهتم الناس بها ،تتلمذ عدد لا يستهان به من علماء المغرب عليه و أخذوا عنه، و كذا وفود عدد من التلاميذ من أهل المشرق إلى المغرب، و ممن تتلمذ عليه من المغاربة "محمد بن سعيد الميورقي"[3] الذي رحل إلى ميورقة في بلاد الأندلس، و تصدر لتدريس الفقه و علم الكلام، أما من تلاميذه من أهل المشرق الذين وفدوا

1- إبراهيم التهامي:، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 260.

2- محمد صبحي صالح: المرجع سابق،ج 2،ص: 149.

3- أبو عبد الله محمد بن سعيد الميورقي، حج سنة 402 هـ لقي إمام الحرمين و أخذ عنه و لزمه ثم رجع إلى ميورقة و بها درس العلوم.انظر :إبراهيم تهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،ص265.

على المغرب نذكر "أبي نصر النيسابوري"[1]، فقد تتلمذ على "الجويني" و قدم إفريقية و استقر بالمغرب الأقصى.[2]

و من علماء المشرق أيضا الذي وفدوا على المغرب و ساهموا في نشر علم الكلام على الطريقة الأشعرية "أبو الحسن الجوهري"[3]، الذي قدم الأندلس وكان عالما بالاعتقادات مكلّما عليها و وضع كتابا في خمسة أجزاء سماه "الاستبصار".[4] و خلال هذه الفترة شهدت الساحة الفكرية لدى أشاعرة المغرب الإسلامي بعض النشاط تمثل في حركة التأليف، فهم لم يكتفوا بما كان يفد إليهم من المشرق من كتب و مصنفات، و إنما عملوا على وضع بعض التأليف المحلية، فبرز فيهم من العلماء في هذا الجانب عدد كبير كانوا في مستوى أولئك المشارقة أمثال "يحي بن كيس"[5]، الذي كان متكلما حانقا في علم الكلام، حتى قال فيه أحدهم: «ما نعلم بالأندلس في وقته أبصر منه بالكلام و الجدل و نحو ذلك».[6]

و العلامة "أحمد بن محمد الجذامي"[7]، و قد اشتهر بكثرة التجوال و الترحال في طلب العلم و نشره، و كان شيخ المتكلمين على المذهب الأشعري، و له رسائل في علم الكلام و أشعار تدور حول معارفه بعلم الكلام[8].

1- أبو نصر سهيل بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر، أقام بسبته و أدرك إمام الحرمين بنيسابور و حضر مجلسه ودرسه، و كان شافعي المذهب، توفي غريقا سنة 531هـ.انظر:إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،ص264 .

2- المرجع نفسه: ص: 264.

3- أبو العباس نافع بن العباس بن جبير الجوهري التنسي الحافظ قدم الأندلس تاجرا سنة 416 ه روى عن شيوخ مصر و غيرهم من أهل العراق، لم تحدد المصادر تاريخ وفاته. ينظر ترجمته:ابن بشكوال،المصدر السابق،ج2، ص:640.

4- ابن بشكوال،المصدر السابق،ج2، ،ص 641.

5- يحي بن عبد الله كيس،من أهل قرطبة، سمع الحديث عن عدة شيوخ، توفي في آخر ربيع الأول و هو ابن 47 سنة من سكتة أصابته.انظر:ابن بشكوال: المصدر السابق،ج2،ص642.

6- المصدر نفسه: ج 2،ص: 668.

7- أبو العباس بن محمد الجذامي، أصله من مرسية، سمع عن عدة علماء، لم تذكر المصادر وفاته.انظر:ابن الآبار:المصدر السابق،ج1،ص:38 ،39.

8- أحمد بن عيسي الألبيري سكن غرناطة و كان أديبا وشاعرا، عالما بالكلام، توفي سنة 429 ه. انظر: ابن بشكوال:المصدر السابق،:ج1،ص44.

و منهم أيضا "أحمد بن يحي الألبيري"و الذي كان متكلما دقيق النظر عارفا بالاعتقادات على الطريقة الأشعرية. [1] ،و يعتبر "أبو بكر المرادي" (ت 489 هـ/1096م) أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى، و كانت لديه عدة تآليف في أصول الدين، و استمر يدرسها إلى أن توفي.

و من أعلامهم أيضا "محمد بن سليمان الباجي"[2] ، و "أحمد بن سابق الصقلي"[3]، هذا الأخير الذي برع في الكلام و له تصانيف تدل على حذقه و على ذكائه، و صنف في الجانب العقدي كتاب "العقيدة في المذاهب السديدة" و كتاب "البرهان على أن أول الواجبات الإيمان" و كتاب "معيار النظر"[4].

و من بين المبرزين في علم الكلام على الطريقة الأشعرية أيضا "أبو عبد الله الزبيدي"[5]، و "أبو علي الكلاعي"[6] و "عبد الغالب السالمي".[7]

و على الرغم من طول قائمة الممثلين الأوائل للمذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي إلا أن أبرزهم على الإطلاق خلال هذه المرحلة و الذين عملوا على ترسيخ هذا المذهب الإمام "أبو الوليد الباجي" و الإمام "المازري".

1-ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 1،ص 44.

2-أبو القاسم احمد بن سليمان بن خلف الباجي، سكن سرقسطة، و روى عن أبيه كثيرا وخلفه في حكمه، توفي سنة 493 هـ،انظر ترجمته: ابن بشكوال: المصدر السابق،ج2،ص604.

3- أبو بكر محمد بن سابق الصقلي، روى بمكة عن كريمة بنت أحمد المروزية، قدم الأندلس وأخذ عن علماء غرناطة، توفي سنة 493هـ، ينظر : : بن عميرة الضبي: بغية الملتمس ، ص 169.

4- الضبي: المصدر السابق، ص: 169.

5- أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطر الزبيدي، أصله من اشبيلية، رحل إلى المشرق دخل الحجاز و العراق و الشام. من شيوخه: محمد بن حجاج السبتي، و كان مجاورا لمكة، توفي سنة 501هـ.انظر ترجمته:ابن بشكوال،المصدر السابق،، ج2،ص567

6- أبو علي حسن بن عبد الأعلى الكلاعي، الفقيه من أهل سفاقس، سكن المغرب الأقصى و الأندلس، كان مقتضبا فاضلا، كما كان عارفا بعلم السنة، توفي سنة 505 هـ. ينظر ترجمته: ابراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،ص267.

7- أبو أحمد عبد الغالب بن يوسف السالمي المتكلم، اخذ عن بشر بن القاضي و غيره، و أخذ عنه الناس، له تصانيف كثيرة، توفي بمراكش سنة 516 هـ، انظر ترجمته: ابن بشكوال: المصدر السابق،ج2 ،ص338.

فالإمام " أبي الوليد الباجي (ت 474 هـ/1081م)" رحل إلى المشرق و لقي كبار رجال الأشعرية، و تتلمذ لإمام شافعي وأشعري ومحدث شهير هو الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1071م)[1] ،و عاد إلى المغرب يجادل عن الأشعرية و يصنف في مذهبهم، و كانت مصنفاته متداولة بكثرة ،وخاصة كتاب "التسديد" [2]

ونحن نعتقد أن الباجي لا يمكن الشك في أشعريته فقد كان تولى الدفاع عن أبي بكر الباقلاني، وبخاصة عن بعض آرائه الكلامية. فقام بدفع الشبه عنه، والتناقضات التي ألزمه بها خصومه بأن التمس له العذر أحيانا وبأن برر كلامه أحيانا أخرى، عن طريق التأويل الذي يتولى دفع الشطط عنه في الحكم عليه. من ذلك أنه لما كان الباقلاني قد أخذ موقفا متميزا من طريان الأعراض على الجواهر جعله نشازا بين مواقف الأشاعرة الآخريين فإننا نجد الباجي يؤول موقفه هذا بقوله إن الباقلاني:« قصد إلى تبيين صفات النفس، ومن صفات نفس الجوهر قبوله للأعراض ».[3]

بل نجده في بعض الأحيان يظهر أشعريا متميزا داخل المذهب الأشعري ينفرد ببعض الآراء والمواقف التي تجعله يصنف ضمن كبار الأشاعرة. وعلى سبيل المثال فإن الأشاعرة عندما يتكلمون على أسبقية الاعتقاد على العمل تختلف آراؤهم فمنهم من يقول إن أول الواجبات هو النظر، ومنهم من يرى أنه القصد إلى النظر، ومنهم من يرى أنه جزء من النظر، ومنهم من يقول إنه معرفة الله، ومنهم من يقول إنه التقليد...إلخ إلا أن أبا الوليد الباجي يتميز عن كل هذه الآراء بموقفه الذي يرى أن أول الواجبات هو الإيمان بالله. ومما يزيد في تأكيد هذا هو أن أمير المسلمين المرابطي أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كان قد وجه سؤالا إلى أبي الوليد بن رشد الجد (ت 520 هـ/1126م) يسأله فيه عن الحكم في آراء الأشاعرة المشهورين كأبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك، وأبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي. فكان تصنيف أبي الوليد الباجي مع أشهر الأشاعرة ومن مثل هذا المذهب في المشرق. فرسالة الحدود التي

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص137.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 268.

3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص:58.

ألفها الباجي، وبخاصة الحدود الكلامية فإنه لا شك واجد طابعا أشعريا واضحا يهيمن على هذه الحدود.

فبصدد مفهوم العلم النظري يقول الباجي« هو ما احتاج إلى تقدم النظر، والاستدلال ووقع عقيبه، بغير فاصل. قولنا: نظري يقتضي اختصاصه بالنظر والاستدلال، وأنه لا يوجد إلا به، وفي ذلك احتراز من علم البارئ تبارك وتعالى فإنه لا يحتاج إلى نظر واستدلال. وقولنا: ووقع عقيبه بغير فصل، على قول القاضي أبي بكر في قوله:"أما العلم النظري إنما يقع بعد كمال النظر والاستدلال ".

أن هذا النص يستشهد بقول أحد أعلام هذا المذهب في هذه الفترة وهو أبو بكر الباقلاني، وتزداد أشعرية الباجي اتضاحا حينما نراه يؤكد على قيمة علم الكلام بين مختلف العلوم فيقول « إن أفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك لم يوفق أن يجود قراءة القرآن ويحفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويعرف صحيحه من سقيمه، ثم يقرأ أصول الفقه، فيتفقه في الكتاب والسنة ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل من العلماء ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج فهذه هي الغاية القصوى، والدرجة العليا »[1] إلا أنه وإن كان يعطي لعلم الكلام هذه الحظوة، وينزله هذه المنزلة فإنه في المقابل يتخوف تخوفا واضحا من الاطلاع على كتب الفلسفة والمنطق، فهو ينصح ولديه ويحذرهما من قراءة هذه الكتب لأنها كتب – في نظره –مبنية على الكفر والإلحاد، والبعد عن الشريعة. لكنه يعود فيؤكد لهما أنه « لو كنت أعلم أنكما تبلغان منزلة المميز، والمعرفة، والقوة على النظر لحضتكما على قراءته وأمرتكما بمطالعته، لتحققا ضعف المعتقد له، وركاكة المغتر به ».

واضح وجلي إذن أن الباجي يحض على الاشتغال بعلم الكلام، والجدل وينهي عن الاشتغال بكتب الفلسفة، والمنطق الأرسطي. وهذا الاتجاه هو الذي سار في متقدمو الأشاعرة حينما كان علم الكلام عندهم يسير بمحاذاة مع طريقة أهل التسليم والتفويض في رفض المنطق الأرسطي والفلسفة، وهذا تأكيد آخر على أشعرية الباجي.

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص:59.

أما فيما يتعلق موقفه من الإمامة فإنه يردد موقف الأشاعرة وذلك بضرورة طاعة الخليفة وملازمة الجماعة، ولو كان الخليفة ظالما طاغيا، لأن ظلمه أهون على الناس من الفتنة، فقد عبر الباجي عن ذلك من خلال نصحه لولديه قائلا: « عليكما بطاعة من ولاه الله أمركما، لا معصية فيه لله تعالى، فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به، وتعتصمان به ممن دعاكما. وإياكما والتعريض للخلاف لهم، والقيام عليهم فإن هذا فيه العطب العاجل، والخزي الآجل » ويزيد الباجي في هذه النصيحة ويقول « فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر أرفأ بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة. فإن رابكما أمر ممن ولي عليكما، أو وصلت منه إذاية إليكما فاصبرا، وانقبضا، وتحيلا، لصرف ذلك عنكما بالاستنزال والاحتمال والإجمال. وإلا فاخرجا عن بلده إلى أن تصلح لكما جهته، وتعود إلى الإحسان إليكما نيته ».

وبالجملة فإن أبا الوليد الباجي هو المفكر الوحيد في هذه الفترة الذي وصلتنا بعض عطاءاته في هذا المجال، والذي ظلت آراؤه العقدية تتردد في كتب العقائد بالغرب الإسلامي شاهدة على إمامية هذا الرجل في هذا المذهب، وعلى باعه الواسع، وشخصيته المتميزة. أجل فقد كان في قرارة نفسه يشعر بحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه وعاتق أترابه ممن تولو مهمة إدخال العقيدة الأشعرية إلى الغرب الإسلامي، وذلك بنوعيه بأن إدخال هذا المذهب الجديد لا بد أن يواكبه ترسيخ لأدب المناظرة والجدل، وتثبيت لأخلاق النقاش والمحاجة، فكان عليه أن يضع « منهاجا في ترتيب الحجاج » يدشن به عصرا جديدا من الحوار الكلامي[1]، والمناظرة العقدية، في وقت كان فيه أهل عصره « عن سبيل المناظرة ناكبين ، وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لا يبلغهم علمه، ولم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري تحقيقه والقاصد إلى نهج لا يهتدي طريقه »[2]

و أما "**المازري**" فقد ظهر منهجه الأشعري واضحا من خلال كتابه "المعلم بفوائد المسلم" الذي شرح فيه أحاديث متعلقة بالعقيدة مثل الكلام في الصفات و في التأويل و غير

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص: 60.
2- المرجع نفسه،ص: 61.

ذلك، و قد انتصر في كتابه هذا لرأي الأشعري و دافع عنه، ووضع كتابا بعنوان "النكت القطعية في الرد على الحشوية".[1]

و من هنا نستطيع القول أن فقهاء المالكيّة قد تقبلوا الأشعرية لا بصفتها مقالات جدالية وإنما بصفتها مواقف إيمانية ينبغي التسليم بها وهذا يذكرنا بطريقة نقل المقالات الأشعرية إلى بلاد المغرب. إذ يذكر أن أحد الفقهاء عرف مقالة "أنا مؤمن إن شاء الله وألقاها في القيروان".[2]

هذا عن أهم وأبرز رجال الأشعرية الأوائل ببلاد المغرب الإسلامي، الذين ساهموا كلهم و لو بدرجات متفاوتة في بسط سلطان المذهب الأشعري بهذه البلاد.

1- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 269.

2- المبروك المنصوري: المرجع السابق،ص05.

خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي، فقد توصلنا للنتائج التالية:

أولا: فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني و الثالث الهجريين تحديا عقديا على أهل السنة مشرقا و مغربا، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثر بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطرا كبيرا على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات، و كان من بينهم الإمام أبو الحسن الأشعري(ت324هـ/935م) الذي تمرس بمناهج المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذا إلمام واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقترح منهجا عقديا جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام. تكلل هذا المنهج بظهور مذهب عقدي أطلق عليه اسم المذهب الأشعري، الذي عرف انشار و تطورا كبيرا في المشرق الإسلامي بعد وفاة أبو الحسن الأشعري على يد كل من الباقلاني و البغدادي و الجويني و الغزالي الذين طوروا المذهب من حيث أساليبه و منهجيته، و قاموا بنشر الفكر الأشعري في أصقاع العالم الإسلامي عن طريق تلامذتهم فكان المغرب الإسلامي أحد هذه المناطق التي دخل إليها هذا المذهب.

ثانيا: عرف أهل المغرب المذهب الأشعري في فترة مبكرة، ربما و صاحب المذهب على قيد الحياة، و الغالب بعدها بقليل إذا اعتبرنا أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ/967م) ، و خلال هذه الفترة كان هذا الفكر مقتصرا على عدد محدود من الأفراد، ، ليتم اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي مع منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي- أي تقريبا مع بداية العصر المرابطي-. و قد كانت للعوامل الدينية و العلمية، و حتى التاريخية و السياسية، الأثر الحاسم في انتشار و تغلغل هذا المذهب في بلاد المغرب.

ثالثا: تمكن المذهب الأشعري ببلاد المغرب من الانتشار ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري و ذلك بفضل جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم، سواء من علماء المشرق مثل: الإمام الباقلاني، و الإمام الجويني، و الإمام الغزالي الذين سخروا لذلك عددا من الدعاة الذين تفرقوا في

العالم الإسلامي مشرقا و مغربا، ووصل بعضهم إلى المغرب الإسلامي. من أمثال عبد الله الأذري و أبا طاهر البغدادي و القلانسي و القابسي و غيرهم كثير، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.

و في الحقيقة أن الفترة التي عرفت المدشنين الأوائل للفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي كانت فترة انتقالية عرفها المغرب الإسلامي على المستوى الفكري، ستشهد صراعا محتدما بين مفكري أهل التسليم والتفويض ومفكري الأشاعرة، وسيتبلور هذا الصراع أكثر في كنف الدولة المرابطية.

فكيف كان موقع الدولة المرابطية من هذا الصراع؟ وما علاقتها بالفكر الأشعري؟

الفصل الثالث:

المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين.

1- نشأة الدولة المرابطية.

2- أسس الدعوة المرابطية.

3- الوضع المذهبي في بداية العصر المرابطي.

4- الدولة المرابطية و المذهب الأشعري.

4-1- موقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري.

4-2- وضعية الأشعرية في العصر المرابطي.

4-3- الأشعرية بين المرابطين و ابن تومرت.

خلاصة.

عرفت بلاد المغرب الإسلامي مع منتصف القرن الخامس الهجري بداية تحول تاريخي كبير، أدى إلى تغيير في وجه التاريخ في المنطقة ككل، هذا التحول التاريخي قامت به قبائل من صنهاجة اللثام بإنشائهم دولة المرابطين.

و قد شكلت دولة المرابطين في المغرب الإسلامي مثالا ناجحا في التصدي للخطر النصراني المحدق بالمسلمين بالأندلس، ضاربة بذلك مثلا في أن جذوة الجهاد لن تنطفئ طالما توفرت الإرادة والعزم لدى القادة والجند .كما نجحوا في حفظه من التفكك الداخلي عن طريق إقرار سياسة إدارية و قضائية دقيقة، إلا إن الوحدة الدائمة و الاستقرار الحقيقي يجب أن تتوفر له شروط أخرى و ذلك ما أدركه المرابطون، فصاروا من أجل هذه الغاية يدعمون أعمال الفقهاء الرامية إلى محاربة كل ما هو خراج عن المذهب المالكي– مذهب الدولة الرسمي– بما في ذلك المذهب الأشعري ، حيث أن هذه الدولة الفتية طالما تجرعت المر من دعوة الموحدين الناشئة التي استهلها "المهدي" بن تومرت بالمناظرات– وفق العقيدة الأشعرية – مع الفقهاء و اختتمها بالاقتتال و الذي ازداد شراسة و اتساعا في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي.

فكيف كان رد فعل السلطة المرابطية من المذهب الأشعري؟ و ما موقف العلماء من تسرب و دخول الفكر الأشعري؟ و هل عرف المذهب الأشعري تطورا في هذه الفترة؟

و قبل التطرق لمختلف الأدوار التي عرفها المذهب الأشعري في هذه الفترة، كان علينا لزاما أن نعّرف في بداية الأمر بالدولة المرابطية.

1- نشأة الدولة المرابطية:

تضاربت الروايات التاريخية التي تسرد لنا نسب المرابطين[1] ،فقد ذكرت البعض منها أنهم من قبائل صنهاجة، وهذه الأخيرة تنطوي تحتها أكثر من سبعين قبيلة [2]بربرية أشهرها لمتونة [3]وجدالة ولمطة ومسوفة وهي القبائل التي على أساسها ستتشكل دولة المرابطين[4]، ويرى بعض المؤرخين من أمثال ابن عذاري أن نسب المرابطين يرجع إلى لمتونة أحد بطون صنهاجة التي ترأست بقية القبائل ، لذا انفردت لمتونة بلقب الملثمين ، ثم صار هذا اللقب شعار يطلق على كل من ساند و أيد لمتونة.[5] ويرى صاحب الحلل الموشية أن نسب أمراء دولة المرابطين ينتمي إلى جد مشترك يدعى منصور ، وافترقت أفخاذهم من الجد " تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وانمالي الصنهاجي [6]وتفرق من أولاد ترجوت الثلاثة " محمد ،حميد ، إبراهيم " بطون كثيرة ، ويرجع

1- مجهول : مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005 ، ص 144 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979 ، ص17 ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ،ج4،، ص 17 .

2- يؤكد ابن حوقل على كثرة بطون القبائل المغربية بقوله : " ولو قلت أني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم لقلت حقا ، إذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور ، والعلماء بأنسابهم وأخبارهم وآثارهم هلكوا ، وكنت قد أخذت عن بعضهم رسوما أثبتها ، ولم أرجع منها إلى غير ما قدمته من ذكر قبائلهم " ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 103 ؛ ينظر أيضا:

ANDRÉ JULIEN : histoire de l'afrique du nord, p: 77.

3- مجهول : مفاخر البربر ، ص144 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ، ص 327 وما بعدها .

4- علي محمد الصلابي : دولة المرابطين ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007، ص09.

5- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص17 ؛ الصلابي : دولة المرابطين ، ص09.

6- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 17؛ مجهول : الحلل الموشية: ص24.

ابن عذاري أصل الصنهاجيين إلى حمير بقوله: " إن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير "[1]

بينما يذكر عبيد الله البكري أن المرابطين هم " قبيل من صنهاجة يعرفون ببني لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء ... ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا وإنما أموالهم الأنعام وعيشتهم من اللحم واللبن ، ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله ... يمر التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان فيعطونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة مجاهدون »[2].

أما ابن خلدون فيصنف حركة المرابطين في الطبقة الثانية من قبائل صنهاجة ، وهم موطّنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، و أصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتمدوا ألبان الأنعام ولحومها أساسا لطعامهم ، ويرى ابن خلدون بأن أصلهم من ريف الحبشة وصاروا بين بلاد البربر وبلاد السودان ، واتخذوا اللثام وتميزوا بشعاره بين الأمم[3]، ويرى ابن الأثير أن ابتداء أمر الملثمين (المرابطين) كان سنة (448 هـ /1056م) ، وقد نسب قبائلهم إلى حمير ، وأن مسيرهم من اليمن كان أيام الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فسيرهم إلى الشام ثم انتقلوا إلى مصر ثم دخلوا إلى المغرب مع موسى بن النصير ثم توجهوا إلى طنجة[4] واحبوا الإنفراد فدخلوا الصحراء ثم استوطنوها.[5]

كما يذكر ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس أن المرابطين من لمتونة ويرجع أصلهم إلى صنهاجة حيث يقول : " وروى أبوعبيدة عن ابن الكلبي أن أفريقش لما نقل البربر عن الشام ومصر

1- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 4 ، ص 46.

2- البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص 164.

3- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج 6 ، ص 241 .

4- هي إحدى مدن المغرب الأقصى أسسها الرومان عندما كانوا مستولين على الأندلس ، موقعها على شاطئ المحيط ، على بعد خمسين فرسخا من فاس في جهة الشمال ، تحيط بها أسوار متينة محصنة بخنادق وحصون ، وهي مليئة بالمراعي الخصبة مزدانة بالبساتين لكثرة المياه .ينظر: البكري : المصدر السابق ،ص 104 وما بعدها ؛ ابن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 ، ص 147 ؛ مارمول كربخال : أفريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، ج 2 ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984، ص208 وما بعدها .

5- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص . ص 327-328 .

إلى المغرب وبنا مدينة أفريقيا و أنزل العرب منازلهم من المغرب ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكتامة ، وهما في البربر إلى اليوم ، وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أب صنهاجة ابن حمير ابن سبأ جد حمير بن سبأ لصلبه ". [1]

و في هذا الصدد يقول الشاعر أبو فارس عبد العزيز الملذوذي – رحمه الله تعالى– في أرجوزته المسماة (نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك) :

مرابطون أصلهم من حمير ۞ قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكا في الزمان الأول ۞ وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت في كتاب النسب ۞ قولا أعجز به أهل الأدب
بأن صنهاج سليل حمير ۞ وهو ابنه لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريح ۞ فقله لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ۞ ومجدهم وسعدهم مذكور
قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا ۞ في غربنا وبلغوا فيه المنا [2]

كما ذهب ابن خلكان في أن أصل المرابطين يعود إلى حمير أيضا بقوله : " والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ وهم أصحاب خيل وإبل » [3].

بينما نجد أن أبو العباس أحمد بن خالد الناصري صاحب الاستقصا يقول عكس ذلك: " والتحقيق خلاف ذلك : وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر " [4]، ويؤكد المؤرخ يوسف أشباخ

1– علي الفاسي ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص119.

2– ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 120 .

3– ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص 128.

4– السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، ص3 . ويضيف قائلا في نفس الصفحة : « وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم لمتونة وكدالة ومسوفة ... وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان إحداهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين بأفريقية ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيديين والأخرى دولة الملثمين بالمغرب الأقصى والأندلس »

بأن المرابطين من بني كدالة (جدالة) الذين يرجع نسبهم إلى إحدى بطون صنهاجة [1] التي كانت تستقر بأعماق الصحراء بأرض موريتانيا الحالية[2]

هذا و قد عرف المرابطون باسم الملثمين حسب العديد من المصادر التي تطرقت إلى سيرتهم بهذا الاسم كابن الأثير وابن عذاري وصاحب الحلل الموشية [3]، لكن معنى التسمية كان موضوع جدل و خلاف ، فقد ذكر صاحب الحلل الموشية أن اللثام صار زيا رسميا للمرابطين الصنهاجيين لأن الله أكرمهم به ونجاهم بفضله من عدوهم فلازموه[4]، بينما تذكر روايات
أخرى بأنهم تلثموا [5] لشدة الحر أو لربما للتمويه عن الأعداء وقد كانوا شديدي التمسك بهذه العادة. [1]

1- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان، ج1، ط2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، ص 67 .

2- محمد بن عمرو الطمار : تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 ، ص 41 ؛ مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ،ص 292.

3- ابن الأثير المصدر السابق ،ج 5 ، ص327 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 19 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 07 ؛ أحمد مختار العبادي : صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ط1 ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 95 . و أيضا:

MAHFOUD KADDACHE : l'algerie medievale , société nationale d'édition et de diffusion , alger , 1982 , p : 99 .

4- مجهول : الحلل الموشية ، ص19 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (430 هـ - 515 هـ / 1038 م – 1121 م) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، ص 29 .

5- ومن التفاسير التي أوردها ابن خلكان حول سبب ارتداء اللثام ، هو أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ، ولم يكن بها إلا المشايخ والنساء والولدان ، فلما أدرك الشيوخ من إغارة العدو أمروا النساء بلبس بثياب الرجال وأن يتلثمن ويضيقن اللثام حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وتقدم الشيوخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، فعلينا بجمع النعم والتقهقر ، فإن تبعونا قاتلناهم بعيدا عن نسائهم ، فبينما العدو منشغل بجمع النعم من المراعي أقبل الرجال فبقي العدو وسطهم (أي بين الرجال والنساء الملثمين) هجموا عليه وقتلوا خلقا كثيرا من العدو ، من ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه ، لا يعرف الشيخ من الشاب ، ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا ، ينظر: ابن خلكان : =المصدر السابق ،

ومما قيل في ارتداء المرابطين زي اللثام ما نصه :

قوم لهم درك العلا في حمير ۞ وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا إحراز كل فضيلة ۞ غلب عليهم الحياء فتلثموا [2]

و يتجلى من خلال هذه الأبيات أن علة الحياء كانت من مبررات ارتداء اللثام .

أما اسم المرابطين فهو مشتق من كلمة المرابطة أي المسلمون الورعون المنقطعون للعبادة في مكان يسمى الرباط[3] ومنه جاء المرابط أي الملازم للثغر للدفاع عن الإسلام ومن ذلك قوله تعالى :

ج 7 ، ص 129 ؛ و اللثام هو قطعة من قماش يغطي بها الرجال وجوههم من أسفل إلى أعلى، ينظر: ألفرد بل: المرجع السابق،ص228.

1- ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 129 ؛ الصلابي : دولة المرابطين ، ص 10.

2- ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7 ، ص 130.

3- الرباط : من الفعل ربط ، ربط الشيء يربطه ربطا ، والجمع رُبط ، والرباط : المواظبة على الأمر ، كما تعني ملازمة الثغر ، وقيل أن معناه واظبوا وحافظوا على مواقيت الصلاة ، وربط الله على قلبه أي ألهمه الصبر ، كما تعني الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، مج 6 ، ص 1561 ؛ أما عن المعنى الاصطلاحي فيرى شهاب الدين أحمد بن عند الوهاب النويري أن المرابطة في سبيل الله ، تنزل من الجهاد والقتال في سبيل الله منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة ، لان المرابط يقيم في وجه العدو متأهبا ومستعدا ،حتى إذا أحس من العدو أي حركة أو هجوم نهض لقتاله ،كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدا فإن دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة ، ويضيف قائلا لا شك أن المرابطة في سبيل الله اشق من الاعتكاف وسنة المرابطة في سبيل الله أن يعد المسلمون من الخيل والسلاح ما يحتاجون إليه ، ذلك أن انتظار الوقعة من غير استعداد لها يعرض للهلاك . ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملحم ، ج6 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص.ص169 - 170 ؛ أما الطبري فيرى أن الرباط هو ارتباط الخيل بالعدو ، ثم أطلقت على كل مقيم على ثغر مدافعا عن المسلمين ، ويزيد المعنى تأكيدا وتدقيقا أبو القاسم البرزلي الذي يرى بأن الرباط هو موضع الحرس في الأوقات التي يتوقع فيها العدو ، فإذا كان العدو حاضرا فهو حرس كما أن الرباط هو لفظ مشترك بين معاني الخيل وانتظار الصلاة بعد الصلاة حسب الألوسي في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، وعموما يلخص لوسيان قولفين معنى الرباط لفظا و وظيفة ، بأنه عبارة عن ثكنة محصنة ثم تحول إلى مكان يقصد لتعلم فنون الحرب استعدادا للجهاد ، وأوقات الفراغ فيه تخصص للعبادة ، وهذه الطريقة تحولت إلى سلوك معهود ومتبع داخل الرباط ، كما أن الرباط يعني المدينة المحصنة التي يسكنها رجال الحرب والدين . ينظر : الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر - خلال القرنين 6 و 7 الهجريين ، 12 و13 الميلاديين- ، دار الهدى للطباعة ، عين مليلة ، 2004 ، ص 54 ، هامش (2)؛ سعدون عباس نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس - عهد يوسف بن تاشفين - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 23 وما بعدها ؛ وعلى ذكر الأربطة يؤكد الأستاذ محمد الأمين بلغيث أن رباط المنستير في تونس هو الوحيد الذي بقي على هيئته

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] وقوله أيضا : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾.[2]

وهناك من يذهب إلى القول بأن اسمهم مشتق من الثوب البسيط " اللمت " لذلك فهم قوم بدو رحل [3]، أما موطنهم فهو الصحراء الكبرى في قارة إفريقيا من غدامس[4] شرقا إلى المحيط الأطلسي [5] وتمتد جنوبا حتى بلاد السنغال مرورا ببلاد السوس[6] و وادي درعة [7]وصحراء شنقيط[1]،

=الأصلية ، وهو أقدم رباطات المغرب ، حيث شكل أنموذجا لبقية الرباطات . محمد الأمين بلغيث : فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي ، ط1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 2007 ، ص 39 ؛ محمد بكاري: تأصيل العقيدة،ص52.

1- سورة: آل عمران ، الآية: 200 .

2- سورة: الأنفال ، الآية: 61.

3- يوسف اشباخ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 67 ؛ جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، الإسكندرية ، 1991 ، ص 275 .

4- غدامس منطقة شاسعة مأهولة ، يوجد بها عدد كبير من القصور والقوى الكبيرة ، تبعد جنوبا عن البحر المتوسط بنحو مائة فرسخ ، يقتات أهلها أساسا على التمور وأموال التجارة ، أكثر تجارتهم مع بلاد السودان ، لا ينبت في هذه البلاد إلا القليل من الحبوب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص 187 ؛ مارمول كريخال : المرجع السابق ، ج.3 ، ص.ص 173- 174 ؛ عبد الحكيم العفيفي : موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، ط1 ، دار أوراق شرقية ، بيروت ، 2000 ، ص348 .

5- يعرف أيضا باسم المحيط الأطلنطي ، وفي الجغرافيا العربية البحر المحيط وكذا البحر الأعظم وبحر الظلمات وغيرها .يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 67 ، هامش (3) .

6- تقع في أقصى بلاد المغرب ، وهي مدينة جليلة وحاضرة جامعة لكل خير وفضل يكثر بها السكر الذي تصنع منه أشياء كثيرة ،محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 ، ص 326 ؛ فيها خيول وأغنام كثيرة وتنتج الحبوب والحوامض وفي قصور منغلقة قلاعها محصنة . ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، ط1 ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1970 ، ص 123 ؛ مرمول كريخال: المرجع السابق ، ج3 ، ص.ص 139 – 140 .

7- تنسب تسمية درعة إلى النهر الكبير الذي تتفجر عيونه بين جبال الأطلس المغربية وتتدفق مياهه نحو الجنوب...للمزيد ينظر: مرمول كريخال : المرجع السابق ، ج3 ، ص 144 وما بعدها .

وبلادهم قليلة الأمطار ، عديمة الأنهار لذلك أهلها دائموا الشغل والترحال [2] وقد وصفهم صاحب الحلل الموشية بقوله : " هم ظواعن الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة ، مراحلهم في الصحراء ، مابين بلادهم وبلاد الإسلام مسيرة شهرين "[3]،كما علق على ذلك صاحب روض القرطاس بقوله : " أنهم يسكنون آخر بلاد الإسلام - أي في الجنوب — ويحاربون السودان[4]" ، ثم حدث أن توسعت بلاد المرابطين من ناحية الشمال بقضائها على دول الطوائف وضمها للأندلس [5]، ويؤكد الأستاذ محمد الأمين بلغيث أن بداية قيام دولة المرابطين كان في الصحراء، و هو الأمر الذي كان له الدور البالغ في نسج علاقات بين الصحراء الغربية والشمال الغربي ، تلك العلاقة التي شكلت أنموذجا للصراع على المواد الأولية النفيسة كالذهب والفضة و غيرها.[6]

2- أسس الدعوة المرابطية :

تأسست دعوة دولة المرابطين وفق المذهب السني المالكي، وكان نظام الشورى واختيار الأمير من أولى الاهتمامات[7] مصداقا لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون ﴾ [8]، وقوله تعالى أيضا : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

1- هارون فاطمة : السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين (445 هـ - 541 هـ / 1056 م 1147 م) . إبن رشد الجد أنموذجا (520 هـ / 1126) ،مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1429-1430 هـ / 2008-2009 م ، ص 22.

2- الصلابي : دولة المرابطين ، ص 10 .

3- مجهول : الحلل الموشية ، ص17 ؛ السلاوي : المرجع السابق ، ج2 ، ص3 .

4- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص123 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7 ، ص128.

5- محمد الأمين بلغيث : نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، ط1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2007 ، ص 9 .

6- محمد الأمين بلغيث : دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 ، ص 36 ؛ وهو نفس ما أكده سعد زغلول حيث أكد على أهمية هذه الثروات ومنها الملح . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج 3 ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، 1990 ، ص 513 .

7- البكري : المصدر السابق ، ص 164 ؛ الصلابي : دولة المرابطين ، ص 129 .

8- سورة: الشورى ، الآية : 35.

عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [1]، وهذا ما دفع بدولة المرابطين بأن تلتزم بالشريعة الإسلامية في كل تنظيماتها خاصة الإدارية والعسكرية منها .[2]

كما أن دولة المرابطين قبل إكتمالها كمشروع سياسي لم تكن سوى منهجا للتغيير والإصلاح الديني والاجتماعي ، خاصة أن الفساد دب وانتشر وسط المغاربة[3]، وقد برزت عدة شَخصِياتٍ نادت بهذا التغيير ؛ من أمثال الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي[4] والفقيه أبو عمران الفاسي المتوفى سنة 430 هـ/ 1038 م [5]، و هذا بسبب الوضع الذي كان سائدا في بلاد المغرب المغرب الأقصى الذي قد بدأ يأخذ منحى خطيرا ، و ذلك بالانحراف الديني الذي شهدته العامة لا سيما فيكل من برغواطة[6] وقبائل زناتة وكذلك قبائل جبال غمارة.[7]

1- سورة: آل عمران ، الآية : 159.

2- ج.ف.ب هوبكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب : أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا و تونس ، 1980 ، ص 42 وما بعدها ؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990 ،ص 411 .

3- مجهول : الحلل الموشية ، ص : 19- 20 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج4 ، ص 08.

4- هو يحي بن عمر بن تكلاكين اللمتوني أبو زكريا ، مؤسس دولة المرابطين في المغرب ، ويورده البكري باسم يحي بن عمر بن تلاجاجين . البكري : المصدر السابق ، ص 165 ؛ ويسميه ابن عذاري باسم يحي بن عمر بن بولنكاين اللمتوني ينظر: ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 09 .

5- عبد الكبير الفاسي واحمد بن قنفذ القسنطيني : تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ، تحقيق محمد حجي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1996 ، ج1 ، ص 299 .

6- عن الانحراف الديني الذي شهدته برغواطة يقول البكري : « وأما هذا الضلال الذي شرع لهم فإنهم يقدمون مع الإقرار بالنبيين ، الإقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الأمر من بعده من ولده ، وأن الكلام الذي ألف لهم وحي من الله تعالى لا يشكّون فيه ، وصوم رجب وأكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة والتضحية في اليوم الحادي عشر من المحرم ، وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفا ... » البكري : المصدر السابق ، ص.ص 138- 139 ؛ وقد بعث يوسف بن تاشفين بعدد من الرسل والعلماء إلى زعماء برغواطة أملا منه في تجنب الحروب معهم لكنهم أجهزوا عليهم وجندوا لهم جيشا لمحاربتهم . عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج5 ،مطابع فضالة ، المحمدية ، 1986 ، ص 9 .

7- من أخصب جبال المغرب وأشهرها تسكنه قبائل كثيرة من غمارة وهم أمم لا تحصى وفي هذه الجبال بسائط كثيرة ، ومدن قديمة . الشريف الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس – من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق – ، طبعة ليدن ، 1866 ، ص 171 ؛ مجهول : الإستبصار ، ص 190 ؛ ويضيف صاحب الإستبصار معلقا في نفس الصفحة

و بعد أن ظهر في الأفق مشروع الدولة الفتية أحال أبو عمران الملثمين على أحد الفقهاء من بلاد السوس ، حيث بعث له كتابا مع يحي بن إبراهيم ، وكان اسم هذا الفقيه واجاج ابن زلوان [1]، الذي كان في دار المرابطين بمدينة نفيس [2]، ومن هذا الرباط انضم إلى حركة عبد الله بن ياسين الجزولي ، الذي يعتبر العماد الروحي لحركة المرابطين حيث بدأ يفقه الصحراويين ويعلهم أصول الدين الإسلامي ، وبإتحاد الفقيه ابن ياسين مع يحيى بن إبراهيم قامت دولة المرابطين التي تزعمها أبو بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين .[3]

2-1- مكانة الفقهاء في عصر المرابطين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إثنان لو صلحا صلح الناس كلهم ، الأمراء والعلماء "[4]انطلاقا من هذا الحديث الشريف يتجلى التكامل بين السلطة السياسية والدينية في الحياة ، رغم أن الأمر يطرح أشكالا في التاريخ الإسلامي، إلا أن السلطة السياسية افترقت عن

=على الإنحراف الديني في هذه المنطقة بقوله : « ولأهل هذا الجبل مذاهب شتى ، وسير مختلفة وقد تنبأ عندهم إنسان يعرف بـ " حاميم بن من الله " ولقب بالمفتري ... وأجابه بشر كثير من غمارة ، وأقروا بنبوته ، ووضع لهم قرآنا بل شريعة استهواهم برخصها ، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها ، ويسجدون على ظهور أكفهم ، ووضع لهم قرآنا بلسانهم تفسيره ... خلّى من الذنوب يا من أخرج موسى من البحر ،آمنت بحاميم وآمنت بأبي يخلف وهو والد حاميم ... » .

1- ويورده صاحب الحلل الموشية باسم واكاك ، وفي نسخة أخرى باسم بوجاج ، فالاسم واكاك أو وجاج ، واسم أبيه زلوان كما في الروض المعطار ، وزلوي عند البكري . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4 ، ص8 ، هامش (1) .

2- مدينة من بلاد المغرب عند أغمات تعرف بالبلد النفيس ، وهي قديمة وصغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر ، بها من الفواكه واللحوم م لا يكون في كثير من البلاد ، وبها جامع وسوق ، ويشقها نهر كبير .

ينظر: الحميري : الروض المعطار ، ص 578 ؛ ويوردها ابن عذاري باسم ملكوس . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 8 .

3- نفسه ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ج1 ، ص 68 وما بعدها .

4- أبو بكر جمال الدين الخوارزمي :السلطان وأسرار الوزارة ، تحقيق : السحاب أحمد الطحان ، ط1 ، دار الكلمة ، مصر ، 2001 ، ص 13 .

السلطة الدينية[1] ونافستها ، بل ودخلتا في صراع قوي تحول إلى امتحان لعديد الفقهاء في المغرب والأندلس. أما في الفترة المرابطية فقد دخل المغرب الإسلامي مرحلة سياسية فقهية مختلفة عن التجارب السابقة ، لعب في ظلها الفقهاء أكبر الأدوار الطلائعية.[2]

و هذا ما تبينه و تؤكده المصادر التاريخية ، حيث ذكر ابن عذاري في حديثه عن عبد الله ابن ياسين « ... وكان أشدهم انقيادا له (أي عبد الله بن ياسين) أمير لمتونة يحي بن عمر»[3] كما علق عبد الواحد المراكشي في المعجب عن ولاية أبي الحسن علي بن يوسف بقوله « وأشد إيثارا لأهل الفقه والدين ».[4] وقد تكرس هذا الدور والحضور السياسي منذ عهد يوسف بن تاشفين حيث ذكر ذلك ابن عذاري قائلا : «كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ... ويقضي على نفسه بفتياهم (أي بفتواهم) » [5]،كما نجد أن ابنه (علي بن يوسف) قد سار على نهجه حيث أنه « كان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، كما كانت أمور المسلمين راجعة إليهم ، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم ».[6]

إن الحضور الفقهي المالكي في المغرب الإسلامي لم ينفرد به المغرب دون الأندلس فقد كانت مكانة الفقهاء كبيرة أيام الأسرة العامرية[7]، وقد تراجعت قليلا أيام الحكم الطائفي (ملوك

1- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، تحقيق : السحاب الطحان وعبد الله المنشاوي ،ج1 ، ط1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، 1996 ، ص 65 .

2- لخضر بولطيف : الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، ص 33، 34 .

3- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 09 .

4- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 121.

5- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4 ، ص46 .

6- عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 121.

7- **بنو عامر** :هم الذين حكموا الأندلس ابتداء من سنة (366 هـ / 976 م إلى غاية 399 هـ / 1008 م) وكانت بدايتهم أيام هشام الثاني بن الحكم الثاني ، و عمره حينها 11 سنة ، حيث كان هناك نفر من أصحاب النفوذ أولهم الوزير " جعفر المصحفي " ويعرف بابن أبي عامر وينحدر من أسرة عربية عريقة تمتلك إقطاعات بالقرب من الجزيرة الخضراء ، هذا الأخير الذي غدا صاحب نفوذ حقيقي في الحكم ودعم مركزه وبذلك بدأ الحكم العامري في الأندلس =مونتغمري وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998 ، ص .ص 93- 94 .

الطوائف)[1] إلا أن نشاط الفقهاء كان مستمرا وقويا إذ أن أبو الوليد الباجي جمع صفوف ملوك الطوائف وأعاد وتيرة هذا الحضور مما سوغ وسهل إلحاق الأندلس بالحكم المرابطي .[2]

بل كان الفقهاء يظهرن أحيانا أنه الحكام الحقيقيون ، و هذا ما يؤكده صاحب الحلل الموشية بقوله:"كان الأمير أبو زكريا إذا تقدم بجيشه تقدم أمامه الشيخ أبا محمد عبد الله بن ياسين ، والشيخ كان في الحقيقة الأمير وهوالذي يأمر وينهى "[3]

2-2- دور ابن ياسين في قيام دولة المرابطين :

هو عبد الله بن ياسين ابن مكوك ابن سير ابن على الجزولي، ولد في قرية تماما ناوت[4] وأمه أسمها " تين يزامارن"[5] من أهل جزولة[6] درس على فقيه السوس وجاج بن زلوان ثم رحل إلى الأندلس وأقام بها سبع سنوات حيث استزاد في طلب العلم ، وقد دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي عام 430 هـ / 1038م إلى جدالة ، فابتهج أهلها بهذا الوافد الجديد –

1- أشتق أسمها من الطوائف الثلاثة البربرية والأندلسية والصقالبة وقد ظهرت عدة ممالك في الأندلس مثل بنو حمود في مالقة ، وبنو عباد في إشبيلية ... وقد دام حكمهم من سنة (399هـ/ 1009 م / 484 هـ - 1091م). لخضر بولطيف : الفقيه والسياسة ، ص 38 ؛ مونتغمري وات : المرجع السابق ، ص 102 وما بعدها .

2- لخضر بولطيف : الفقيه والسياسة ، ص 38.

3- مجهول : الحلل الموشية ، ص 21 ؛ للإطلاع أكثر حول دور فقهاء المالكية في المغرب انظر : علياء المشهداني :فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب – حتى منتصف القرن 6 هـ / 12 م – ، أطروحة دكتوراه ، مجلس كلية التربية ، جامعة الموصل ، العراق ، .2003

4- في طرف صحراء غانة . البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

5- البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

6- هي قبيلة كبيرة قامت بدور كبير أيام المرابطين ، تستقر جنوب الأطلس الكبير ، اتحدت مع عدة قبائل أمثال لمتونة ومسوفة ولمطة أيام عبد الله بن ياسين وساهمت في المعارك التي أسفرت عن تأسيس دولة المرابطين . محمد سليمان الطيب : موسوعة القبائل العربية ، المجلد 1 ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1997، ص 1056 .

عبد الله بن ياسين[1]– وسموه إمام الحق ، وبدا يعلم الناس في أمور دينهم وقد كان هذا التعليم باللغة العربية لأهل العلم وباللغة العامية لعامة الناس .[2]

لاقى عبد الله بن ياسين كثيرا من الصعوبات في تعليم أهل المغرب وبدأ برحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويحث على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وما اقره الشارع ، فتعلق به عامة الناس ، وبذلك صار يشكل خطرا " على أمراء وأشراف تلك المناطق مما أدى بهم الأمر إلى التفكير في إبعاده نهائيا وبذلك عزلوه وهدموا داره بعد أن دبروا له مكيدة .[3]

فبدأت عزيمة عبد الله بن ياسين تتراجع بل وفكر في التراجع عن تعليم الناس دينهم فحاول الأمير يحي بن إبراهيم [4] أن يقنعه بالعدول عن رأيه ونصحه بالمرابطة في أحد الرباطات في في السنغال قائلا له « ولكن يا سيدي هل لك في رأي أنير به عليك إن كنت تريد الآخرة ؟ قال : وما هو ؟ قال : إن هاهنا جزيرة في البحر إذا حسر (أي انخفض منسوب المياه) دخلنا إليها على أقدامنا وإذا ملأ (ارتفع منسوب المياه) دخلنا في الزوارق ، وفي الحلال المحض الذي لاشك فيه من الشجر البرية وصيد البر والبحر من أصناف الطير والوحش والحوت ، فندخل إليها ،

1– يذكر حسن احمد محمود أن المصادر العربية لم تكن لترصد لنا أخبار ابن ياسين بدرجة كبيرة ، حتى أن حضوره في كتب الطبقات هو معدوم عدا حضوره في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض ، كما أن هناك كتاب هام جدا للقاضي عياض فيه ترجمة مفصلة وهذا الكتاب يتناول تاريخ سبتة إلا أنه مازال مفقودا إلى اليوم ولم يعثر له على أثر ، ذلك ان القاضي عياض من فقهاء المالكية في المغرب وقد اهتم بجمع الأخبار وتقفي الحقائق حول فقهاء هذا المذهب ببلاد المغرب . حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص 115 .

2– ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص.ص 9 ، 10 .

3– لما التف عامة الناس حول عبد الله بن ياسين وصاروا منقادين له ، نقض عليه شخص منهم اسمه الجوهر بن سحيم (حسب ابن عذاري) والجوهر بن سكم (حسب صاحب الحلل الموشية) عليه شيئا من أحكامه وجد في تناقضها ، فاتفق مع كبراء المنطقة وعزلوا ابن ياسين وقطعوا عليه المعونة وانتهبوا داره وهدموها وأخذوا ما كان فيها ، فخرج ابن ياسين خائفا منهم . ابن عذاري : المصدر السابق ،ج 4 ، ص.ص 8، 9 ؛ البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

4– يورد البكري أن واجاج بن زلوي عاتب قبائل صنهاجة التي أساءت إلى عبد الله بن ياسين وآذته ، وأعلمهم أن من خالف عبد الله بن ياسين، فقد فارق الجماعة وأن دمه هدر ، وقد أمر وجاج بن زلوي عبد الله بن ياسين بالعودة ، و عاد فعلا وأطاعته تلك القبائل ودانت له قبائل أخرى فيما بعد مثل لمطة و درعة أما الذين أساؤوا إلى عبد الله وحرقوا له داره فقد تم قتلهم . البكري : المصدر السابق ، ص 166.

فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله حتى نموت . فقال له ابن ياسين : هذا حسن ، هلم بنا ندخلها على اسم الله »[1] ،وبهذا غادر ابن ياسين بلاد المغرب واتجه جنوبا إلى حوض نهر السنغال حيث أسس رباطا للعبادة وحفظ القرآن وتفسيره.[2]

بدأت المرابطة في الجزيرة عام 433هـ/1040م بعدد قليل من الناس ثم بدأ العدد يتزايد حتى بلغ الألف من أتباع ابن ياسين[3]، ولكثرة الناس وضع ابن ياسين شروطا يجب أن تتوفر في كل من أراد أن ينضم ، وبذلك انتقى منهم الأكثر إيمانا وصبرا وتحملا للمشاق ، وقد علم ابن ياسين الجهاد وأحكامه للناس ثم فرضه على المرابطين واخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود الشرعية.[4]

بعد أن كثر أتباع عبد الله بن ياسين واستكمل قوته أمر أتباعه بالخروج لتوحيد قبيلة صنهاجة ، وبدأ عمليته العسكرية بثلاثة آلاف مرابط[5]، فهاجمت قبيلة جدالة التي تآمرت عليه فدخلت تحت طاعته عام 434 هـ/ 1042م ،ثم اتجه نحو قبيلة لمتونة فبايعته[6]

ثم غزى سائر قبائل الصحراء فدان بعضها بالسيف والبعض الآخر بالإقناع[1]، وهكذا وحد الإمام ابن ياسين فروع قبيلة صنهاجة واستكملت القوة الجديدة عصبيتها القبيلية التي ستكون سيفها

1- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص.ص 124- 125 .

2- سعدون نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص 26 .

3- يذكر ابن أبي زرع أنه قد كثر الواردون على ابن ياسين فبدأ يعلمهم القرآن ويرغبهم في ثواب الله جل وعلا ويحذرهم من مخالفة أوامر الشارع ، ولما كثر الناس سماهم المرابطين للزومهم رابطته ، و أما عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس : « وأمرهم – أي ابن ياسين – بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظم الأجر » .ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 126.

4- نفس المصدر ، ص 125 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 29 وما بعدها ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،ج 2 ، ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 695 .

5- ينقل ابن أبي زرع الحوار الذي دار بين ابن ياسين وأتباعه المرابطين حين أمرهم بالخروج للجهاد بقوله : « ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة ، وقال لهم يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير ، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته ... وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، فقالوا يا أيها الشيخ المبارك : مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا ، فقال لهم أخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته » . ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 125.

6- مجهول : الحلل الموشية ، ص 21؛سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 30 .

الضارب.[2] وفي عام 440 هـ/ 1048 م توفي الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي ، فتشاور الإمام ابن ياسين مع المرابطين واختاروا يحيى ابن عمر اللمتوني[3] الذي تمردت عليه قبيلة جدالة إلا أنه ردها إلى طاعته[4]، ثم استشهد الأمير يحي بن عمر عام 448هـ/1056م في قتال ضد قبيلة برغواطة فقدم ابن ياسين أخاه أبو بكر بن عمر اللمتوني وأمره بإتمام فتح المناطق الشمالية فغزا بلاد مصمودة[5] والسوس وقد جعل على قيادة جيشه ابن عمه يوسف ابن تاشفين الذي دخلت معه دولة المرابطين مرحلة جديدة وذلك ببناء مدينة مراكش.[6]

3- الوضع المذهبي في بداية العصر المرابطي:

لم تعرف بلاد المغرب تنوعا مذهبيا في الفكر العقدي والشرعي مثل التنوع الذي شهده المشرق[7]، فهذه الأرض لم تكن ولودا للمذاهب، ولا منشطة لما يتساقط من المشرق، عزوفا في كلّ ذلك عمّا ينشأ من كثرة المذاهب من اللجاجة والصخب.[8] و رغم ولوج أفكار بعض

الفرق إلى بلاد المغرب، ممثلة في كل من الشيعة و المعتزلة و حتى المرجئة و غيرها، إلا أن هذه المذاهب لم يكن لها تأثير يذكر في عقيدة عامّة الأمّة، وسرعان ما آل أمرها إلى الزوال.[9]

1- مجهول : الحلل الموشية ، ص 21. ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 69 .

2- سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص31 .

3- يذكر البكري أن يحيى ابن عمر كان أشد الناس انقيادا لعبد الله ابن ياسين وامتثالا لأوامره . البكري : المصدر السابق ، ص 166 .

4- المصدر نفسه ، ص 167 .

5- مجموعة قبائل عظيمة من البرانس ، تستقر هذه القبائل منذ القدم جنوب نهر أم الربيع والأطلس الكبير حتى شواطئ المحيط الأطلسي ، ولعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب ، خاصة في عهد الموحدين . محمد سليمان الطيب : المرجع السابق ، ص 1056 ؛ ويصفهم ابن حزم بأنهم كانوا ذووا ثروة وعدد . ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص 500 .

6- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص.ص 19 - 20 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 98 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 184 ؛ السلاوي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 107 ، ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 125.

7- تمت الإشارة لهذه الفكرة في الفصل الأول من الدراسة.

8- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت،ص50.

1- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت،ص50.

وما تلقّاه المغرب بالقبول وظلّ به شاملا وراسخا على الأيّام إنما هو مذهب السلف في العقيدة، ومذهب ملك في الفقه. وقد أدّى افتقاد حركة الحوار التي يُحدثها تكاثر المذاهب واحتكاكها ببعضها إلى التشبث المفرط بهذين المذهبين والانغلاق عليهما ورفض ما سواهما حتى في نطاق مذاهب أهل السنة نفسها.

ولما استولى المرابطون على المغرب، وكان المؤسّس الروحي لدولتهم كما رأيناه فقيها مالكيا، ازدادت تلك البنية الثقافية توطّدا بما أصبح لها من السند السّياسي، وأصبح كافة الناس يحملون على السلفية في العقيدة والمالكية في الفقه بتوجيه من الفقهاء الذين كانت لهم السلطة في تقرير النمط الثقافي الذي ينبغي أن يسود.

وقد أدّى الانغلاق على الفقه المالكي إلى إيثار كتب الفروع المؤلفة في المذهب بعد مالك، والاكتفاء بها عن أصولها من آثار مالك نفسه بل الرجوع إلى أصولها من نصوص القرآن والحديث، فساد بذلك واستحكم منهج في الفكر الشرعي يقوم على التقليد باعتماد الأقوال والتفريعات التي أثرت عن أتباع مالك وخاصّة منهم ابن القاسم، وإهمال النظر في الأصول النصية لاستنباط أحكام مناسبة للنوازل المستجدّة، وقد صوّر المراكشي هذا الوضع خير تصوير في قوله: « ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عِلم الفروع أعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بها كلّ الاعتناء ».[1]

وكما كان هذا المنهج الفروعي حائلا دون الاعتناء بالأصول النصية فقد كان حائلا أيضا دون الاعتناء بالعلوم التي من شأنها أن تربّي الملكة الفقهية المتحرّرة مثل علوم أصول الفقه، وعلم الخلافيات القائم على المقارنة بين المذاهب، بل كانت هذه العلوم تلقى المعارضة الشديدة من قبل سياسة المرابطين الثقافية، فقد ذكر أن أبا الفضل بن النحوي (ت 513 هـ /1119) لما دخل

2- عبد الواحد المراكشي : المعجب: 236؛ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت،ص51.

سجلماسة انتصب لتدريس علم أصول الفقه، فمرّ به أحد رؤساء البلد فقال: ما العلم الذي يقرئه هذا؟ فأخبر، فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها، وأمر بإخراجه.[1]

ولم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي أكثر انفتاحا من الفكر الشرعي بل كان متأثرا به في الاكتفاء بالصور التي أثرت عن السّلف إمرارا للنصوص على ظواهرها على نحو ما قرّره مالك بن أنس في قوله: « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[2]، ورفضا لكلّ تأويل أو استدلال عقلي على حقائق العقيدة، ولذلك كانت المقاومة شديدة لعلم الكلام وأهله وهو ما صوّره المرّاكشي في قوله: « ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كلّ من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرّر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدّين، وربما أدّى أكثره إلى اختلال في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتّى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كلّ وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعّد من وجد عنده شيء من كتبه ».[3]

وفي غياب الفكر العقدي الموصّل لمسائل العقيدة، الجامع بين ما يبدو في ظاهره متنافرا من الآيات، المفسّر لما ورد من الصفات الخبرية، ربّما تكون قد نمت بعض الأفهام العقدية في اتجاه التجسيم والتشبيه خاصّة بين أولئك البدو الذين لم يحظوا بثقافة دينية متينة، وهو ما أشار إليه ابن حوقل في وصفه لأهل السوس إذ يقول: « والمالكيون من فظاظ الحشوية »[4] ، وإذا كان وصف أهل المغرب والمرابين خاصّة بأنهم من المشبهة والمجسّمة يعدّ من مبالغة الموحّدين فإنّ من الثابت أن الفكر العقدي في العهد المرابطي كان يقوم على منهج الأخذ بظواهر النصوص وحرفيتها ، والعزوف عن التأويل والاستدلال، وربّما أدّى ذلك عند البعض إلى ما يقارب التشبيه. وقد كان الفكر الفلسفي يلاقيه الفكر الكلامي استمدادا في ذلك ممّا كان من العداء البالغ بين مالك

1- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح ،ص51.

2- المرجع نفسه:ص52.

3- المراكشي : المعجب:ص151؛ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح ،ص52.

4- ابن حوقل : صورة الأرض : 90؛ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح ،ص53.

وأتباعه وبين المنتحلين للعلوم الفلسفية، وقد بلغ عداء أهل المغرب للفلسفة أن « كانت العامّة في المغرب والأندلس كلّما قيل فلان يشتغل بالفلسفة أطلقت عليه اسم زنديق، فإن زلّ في شبهة رموه بالحجارة أو أحرقوه »[1] ولا شك أن هذه الروح كانت بتوجيه من الفقهاء الذين كانوا في عهد المرابطين على الخصوص المحدّدين للمنهج الثقافي للأمّة كما مرّ بيانه

يبدو مما تقدّم أن الوضع المذهبي بالمغرب أوائل القرن السّادس كان يتصف بخطية في الفكر الشرعي والعقدي ترفق المقارنة والنقد، وتتنكب الحوار بين الوجهات المختلفة، وتبتعد عن التعامل المباشر مع الأصول في سبيل استخلاص رؤى تستجيب لمستجدّات الأوضاع إيثارا في كلّ ذلك للرؤى الشرعية والعقدية الموروثة عن فقهاء المالكية. وربما يكون من أسباب هذا الوضع ما وضعه المرابطون نصب أعينهم من هدف أساسي تمثل في تحقيق الوحدة المغربية، تلك الوحدة التي ظنوا أنها لا تتحقق إلا بهذا الضرب من الخطية والتقليد.[2]

4- الدولة المرابطية و المذهب الأشعري:

لقد كان الإسلام في عهد المرابطين هو الإسلام السني على مذهب الإمام "مالك"، و لكن هناك فارق كبير بين المذهب السني الذي ظهر في المغرب منذ الفتح و استمر أيام الأغالبة و بين التطور الذي شهده أيام المرابطين في القرنين الخامس و السادس.

ذلك أن الإسلام فيما سبق أيام الأغالبة و الأدارسة كان إسلام للزهاد و المتعبدين الذين شغلوا أنفسهم بعلوم الآخرة القائمة على معرفة الله تعالى عز وجل و الخوف منه، أما الإسلام في عهد الملثمين (المرابطين) فتغيرت الصورة النقية للإسلام السني، لأنهم انكبوا على فروع الفقه و خاضوا في الخلافيات خوضا جعلهم ينسون كتاب الله و علوم الحديث و ذلك لجهلهم بها و عدم تذوقهم لها.[3]

1- المقري : نفح الطيب:،ج1، ص102؛ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت،ص53.

2- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت،ص 53، 54.

3- يحي هويدي:المرجع السابق، ج 1، ص ص: 201 ، 202.

فقد قضى المرابطون على بقايا المذاهب التي كانت متواجدة في المغرب، و محو أثار المذهبين الإباضي و الصفري في ما سالوه من بلاد المغرب الأوسط و إقليم سجلماسة[1]، و اعتبروا أهل الكلام أهل بدع و لا تقبل لهم شهادة في الإسلام، و أمروا بهجرهم و تأديبهم على بدعهم، و يرجع موقفهم هذا إلى تأثرهم الشديد "بمالك بن أنس" ، حيث روي عنه أنه كان يقول: «الكلام في دين الله أكرهه، و لا أحب إلا فيما تحته عمل، أما الكلام في الله و دين الله فالسكوت أحب إلي... »[2]

فقد اكتفى معظم الفقهاء بالكتب و مؤلفات الفقه المالكي و انصرفوا عن الأصول، من هذه المؤلفات "مدونة سحنون" و كتاب "أبي سعيد بن يونس" و "نوادر أبي زيد و مختصراته" و كتاب "التهذيب للبرادعي"، و "واضحة ابن حبيب" و التي كان معظم الفقهاء يقتصرون عليها و على تطبيق ما فيها دون تكليف أنفسهم الرجوع إلى أصول الشريعة و هي الكتاب و السنة، فكان معظمهم لذلك مقلدين قد استغنوا عن الاجتهاد بالتقليد.[3]

و في هذا الصدد يتحدث صاحب جذوة المقتبس عن التعجب الذي أبداه "عبد الله بن أبي زيد القيرواني"[4] (ت 386 هـ) عندما سأل أحد القادمين إلى القيروان من بغداد هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ فوصف له مجلس من تلك المجالس اجتمع فيه بعض الفرق المسلمين، و جعلوا يتناظرون بحجج العقل و القياس إلا بأدلة النص، هذا ما جعل "عبد الله بن أبي زيد" يتعجب و يقول: «ذهبت حرمة الإسلام و علماؤه ».[5]

1- حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته ، ج 2، ص:110.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 107.

3- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، ج 2، ص ص: 140 ، 141.

4- عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني، فقيه مالكي من أعيان القيروان، كان إمام المالكية في عصره، من أشهر تأليفه : "الرسالة"، "النوادر و الزيادات". انظر ترجمته: الفصل الثاني من الدراسة.

5- أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م، ص ص: 109،110.

و من هنا يتضح أن الجدل في العقائد لم يكن ظاهرة ذات بال ببلاد المغرب، و لم يكن وجوده إلا قليلا و شاذا، إذ بقيت الساحة الفكرية فيه خالصة لعقيدة السلف عقيدة أهل السنة التي مثلها المذهب المالكي.[1]

و على هذا الأساس نجد أهل المغرب يتقيدون بآراء "مالك" و لا يكادون يبرحون عنها قيد أنملة، فاشتطوا في ذلك إلى درجة لم يعودوا يرجعون للأصول "القرآن و السنة" عند استنباط الأحكام، و إنما اتجهت عنايتهم إلى كتب الفروع التي صنفها إمام المذهب و أتباعه.[2]

و قد صور لنا"المراكشي" ذلك في قوله: « ...و لم يكن يقرن من أمير المسلمين و يحظى عنده إلا من علم الفروع أعني فروع مذهب الإمام "مالك"، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب و عُمل بمقتضاها و نُبذ ما سواها، و كثر ذلك حتى نُسي النظر في كتاب الله و حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء...».[3]

و هذه الصورة الصادقة التي قدمها لنا صاحب "المعجب" و صور لنا فيها اهتمام المرابطين بعلوم فروع الفقه يؤكدها ما نطالعه من تراجم الفقهاء في كتب الطبقات، ويروي لنا "الخشني" في كتاب "طبقات علماء إفريقية" هذه القصة، و هي كبير الأدلة على ما وصل إليه ازدهار الدراسات الفقهية في هذا العهد (عهد المرابطين) مع إهمال تام لعلوم الحديث و السنة ، فقد روى أن مغربيا جمعه الطريق بالحجاز برجل بغدادي، و كان إذ ذاك يرى "مالك"، فقال البغدادي: «رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا» فقال له المغربي: «فيما أنكر مالك لا يرى ذلك»، فقال البغدادي: «شاهدت وجوهكم يا أهل المغرب، تعارضون قول النبي بقول مالك».[4]

1- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب النجكاني، الدار البيضاء، دار الآفاق الجديدة، ج1، ط1، 1992،ص: 34.

2- أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي ، ج4، ،ص185.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 151.

4- الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص: 214.

وهكذا فقد شكل التمكن الفقهي الذي أدّى إلى التمكن في التصور العقدي وحدة تقول على الانتماء المذهبي العام إلى الإمام "مالك" و مذهبه.[1]

القرآن بالإضافة إلى اهتمام المرابطين بعلم الفتاوى و الفروع و جمودهم عند الخلافيات الفقهية لجهلهم بأصول الفقه و علوم الحديث و السنة، فإن ثمة اتجاها أخر يميز فلسفة الإسلام في هذا العهد، و يتمثل في تشدد المرابطين و تروُّعهم إلى التجسيم، و هذا ما نلمسه في النقد الذي وجهه "ابن تومرت" لهم، و قد أطلق عليهم "حشوية الفروع"، و "ابن تومرت"عندما يصف المرابطين بالتجسيم و التشبيه لا يفصل القول كثيرا في ماهية هذا التجسيم و التشبيه، إلا أننا نشتم من اتجاهه إلى تأويل الآيات المتشابهة في القرآن تأويلا عقليا يذكرنا بتأويل المعتزلة لها، وإنه لم يتجه هذا الاتجاه إلا لأن المرابطين كانوا ينحون في تفسيرها منحى تجسيميا على نحو ما كانت تفعل الحشوية و الكرامية مثلا. [2]

- فما هو موقف علماء الدولة المرابطية من دخول الفكر الأشعري إلي بلادهم؟

4-1- موقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري :

إن المذهب العقدي الذي كان سائدا و رسميا في زمن المرابطين كما رأينا هو مذهب أهل التسليم و التفويض الذي كان له أقطاب يدافعون عنه، و ممثلون يبسطون مبادئه و محتوياته؛ و لكن على الرغم من ذلك فقد عرفت هذه الفترة تراكما كميا لأفكار الأشاعرة، كما نلاحظ ممثلين لهذا المعتقد أيضا.[3]

و مع بداية تسرب أفكار المذهب الأشعري لبلاد المغرب، فقد قام علماء المرابطين بالرد على أفكار المذهب سواء على علمائه أو على المصنفات و الكتب التي تحمل أفكار الأشعرية لمحاولة طمس أفكاره و أرائه منذ بدايتها.

حيث أن عقيدة المغاربة كانت تنفي كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الغوص في المسائل العقدية، و كانت تقوم على إقصاء المذاهب الأخرى التي تخالفها في الاتجاه، و في مقدمتها

1- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص ص: 42 - 43.

2- يحي هويدي، المرجع السابق: ج 2، ص ص: 208 - 212.

3- يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص61.

المذاهب الكلامية، و لما كان المذهب الأشعري مذهب كلامي فقد لقي معارضة شديدة من المذهب المالكي الممثل من طرف الدولة المرابطية. [1]

و قد وصف لنا "المراكشي" عداء أهل المغرب للعلوم العقلية الكلامية و خاصة أيام المرابطين فقال: «و دان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام... و توعَّد من وجد عنده شيء من كتبه». [2]

إلا أنه إذا حاولنا أن نستقصي سبب هذا العداء، و ذلك بناء على ما ورد في بعض المصادر من معطيات سنأتي على ذكر سببين هما:

أحدهما: هو أن ذلك التشديد و المنع من الخوض في علم الكلام إنما كان المقصود به في الأساس حفظ عقائد العامة من جمهور المسلمين و حجزهم عن الوقوع في الشبهات، و نحن نعلم أن درء الفساد عن العقول العامة مهمة كبرى من مهمات العلماء .و هي مهمة قاموا بها في كل أنحاء العالم الإسلامي و على مرّ العصور، إلا أن الفارق في عهد المرابطين هو وجود دولة و جهاز حاكم ساند توجيهات الفقهاء المالكين و طبق تعليماتهم. [3]

و من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم حفظ عقائد العامة بمنعهم من الخوض في علم الكلام نجد الفقيه "أبو الوليد بن رشد"[4]، و على الرغم من أنه انتصر لأقطاب المذهب الأشعري

1- محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون و تاريخهم السياسي(430 - 539)، ط1،مكتبة القاهرة الحديثة:القاهرة، ،1969م،ص ص 15-37.

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 151.

3- عبد الله بن بيه: الأثر السياسي للعلماء فى عصر المرابطين، ص: 120.

4- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، تفقه على يد أبي جعفر أحمد بن رزق، توفي سنة 520 هـ،و كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره نافذا في علم الفرائض والأصول من أهل الرياسة في العلم والبراعة وقد تولى قضاء قرطبة تحت إلحاح أمير المسلمين علي بن يوسف وكان ابن رشد كارها لهذه التولية فاستعفى منها بعد أربع سنوات من ممارسته لها التي سار فيها بأحسن سيرة وأقوم طريقة ورجع إلى نشر العلم فرحل الطلبة إليه من أقطار الأندلس للتفقه وقد اجمع من ترجموا له بأنه كان ناسكا عفيفا سهل الحجاب وأستاذا بطبعه يحب التدريس ويحسن طرق التبليغ تسعفه مادة علمية غزيرة وتفكير منظم وحرص على نفع الطلب وقد أعطاه كل ذلك مكانة مرموقة عند الخاصة والعامة فكان مقدما عند أمير المسلمين علي بن يوسف عظيم المنزلة عنده معتمدا على فتواه استخدم ابن رشد هذه المكانة الرفيعة لرعاية أهل بلده وخدمتهم فكان الناس يلجئون إليه ويعولون في مهماتهم عليه كثير النفع لأصحابه جميل العشرة لهم كثير البّر بهم. وكانت له مواقف

في إحدى الأسئلة التي وجهت له، و اعتبر كل من قال بجهلهم و ضلالهم مبتدع زائغ، إلا أننا نجده فيما بعد يصدر فتوى يمنع فيها العامة من الإقبال على قراءة الكتب المتكلمين بما فيهم الأشاعرة، و أكثر من هذا فقد أكد فيما بعد على أن كل مصرّ على ضرورة تعليم عامة الناس المعتقد الأشعري يعتبر كافرا، و قد بزر "ابن رشد" موقفه هذا بأن العامة غير قادرين على معرفة الله معرفة صحيحة بطريقة الأشاعرة لغموضها، و أن محاولة خوض العامة في مثل هذا قد يؤدي بهم إلى المروق عن الدين، و في المقابل أمرهم أن يقتصروا فيما يلزم الاعتقاد على الاستدلال الذي نطق به القرآن الكريم و السنة النبوية.[1]

أما الثاني: فهو خوف الفقهاء من أن يحتل أصحاب علم الكلام المكانة التي كانوا يحتلونها لدى الأمراء المرابطين.و عن المبلغ الذي بلغه الفقهاء المالكيين على عهد المرابطين يحدثنا "المراكشي" فيقول:«.... لم يزل الفقهاء على ذلك و أمور المسلمين راجعة إليهم و أحكامها صغيرها و كبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء و انصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت بذلك أموالهم و اتسعت مكاسبهم».[2] و ما حادثة إحراق كتب "الغزالي" و في مقدمتها كتاب "إحياء علوم الدين"[3] إلا أكبر دليل على ذلك.

فلما كان للفقهاء قوة نافذة في الدولة و فتواهم نافذة في السياسة و نافذة في الدين، فأقدم بعض العلماء المرابطين على التنديد بكتاب "إحياء علوم الدين" و قاموا بالرد عليه، ثم أفتوا بمنعه من

=عظيمة مثل موقفه وبلاءه في إخماد ثورة أهل قرطبة وأواخر سنة 514هـ وقد أثرى ابن رشد الميدان الفقهي بمؤلفاته نذكر منها على سبيل المثال "البيان والتحصيل" وهو أهم مؤلفاته وهو كتاب جليل يعتبر احد أهم أمهات كتب المذهب المالكي ومن أهميته أن ابن رشد طلب الإعفاء من القضاء لأجل إملاء هذا الكتاب على الطلبة وكذلك كتاب المقدمات المهمات. ينظر: ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص:546. 547؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص:129؛القاضي عياض: الغنية،تحقيق: ماهر زهير جرار،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان،1982 ص:118؛ المقري:نفح الطيب ،ج2، ص:272؛ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1988، ص390.

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري ، ص ص: 72- 73.

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص: 150.

3- نظرة الغرب الإسلامي أيام المرابطين و الموحدين لهذا الكتاب ينظر: محمد المنوني: حضارة الموحدين،ص191- 199.

التداول، ثم قام نفر منهم و خصوصا علماء قرطبة على رأسهم القاضي "ابن حمدين"[1] باستصدار أمر من الأمير "علي بن يوسف"[2] بإحراق كتاب "إحياء علوم الدين" فتم ذلك سنة 503 هـ/1109م بالمسجد الجامع بقرطبة[3]، و استمر التحريم و جدّد عام 538 هـ/1143م[4]، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أجريت عمليات تفتيش على مستوى المكتبات و تحليف الناس بأغلظ الأيمان أن ليس عندهم نسخ من الإحياء.[5]

و على الرغم من تعدد الأسباب التي حذت بالعلماء المرابطين إلى القيام بعملية حرق هذا الكتاب كاشتماله على أحاديث ضعيفة و أخرى موضوعة، و كذلك احتوائه على أراء فلسفية لم تكن معروفة لدى أهل المغرب الإسلامي، إلا أنّ هناك سببا آخرا يعزز ما نبَّهنا إليه سابقا و هو تعريضه بالفقهاء و تشنيعه عليهم.[6]

و مما قاله الغزالي في هذا الصدد « شغر منهم الزمان و لم يبق إلا المترسمون، و قد استحوذ على أكثرهم الشيطان و إستغواهم الطغيان و أصبح كل واحد يعاجل حظه مشغوفا»[7]، و إلى غير ذلك من العبارات الجارحة بحق الفقهاء التي ملأ بها الغزالي مقدمة كتابه، و بثها في ثنايا أجزائه.

و هكذا لما رأى فقهاء قرطبة في كتاب الإحياء دعوة مباشرة للحد من نفوذهم و الثورة عليهم تجندوا ضده و قاد الحملة كما أشرنا من قبل "ابن حمدين" الذي كان شغوفا بتزكية منصبه السياسي، و يذكر "محمد عابد الجابري" أنّه كان على رأس الفقهاء في الأندلس في عصر المرابطين أسرتان "بنو حمدين" و "بنو رشد"، و كان "بنو حمدين" طموحين سياسيا ميالين إلى ترجمة

1- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي، قاضي قرطبة على عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، توفي سنة508 هـ. ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 20، ص: 422.

2- علي بن يوسف بن تاشفين، رابع الأمراء المرابطين (500 – 533 هـ) ، راجع: محمد شعيرة، المرجع السابق: ص: 87.

3- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 4،ص: 59.

4- محمد شعيرة: المرجع السابق:ص251.

5- رابح بونار: المرجع السابق، ص: 270.

6- محمد بيه: المرجع السابق، ص: 126 .

7- الغزالي: إحياء علوم الدين، ص08.

مكانتهم العلمية و الاجتماعية إلى نفوذ سياسي مباشر.[1]، و من مظاهر الطموح السياسي لبني حمدين قيام أحد أفراد هذه العائلة وهو أبو جعفر بإعلانه ثورة على والي قرطبة المرابطي، و تنصيب نفسه واليا عليها سنة 539 هـ/1144م [2]

و في الحقيقة أنه بالرغم من كون الفتوى التي أصدرها"ابن حمدين" في حق "الغزالي" كانت تهدف إلى طمس أفكار و أراء هذا الإمام و الحيلولة دونها و دون عقول المغاربة، إلا أن النتيجة التي كان يرجى حصولها كانت نسبية للغاية، فعملية إحراق الكتب دفعت بالكثير من أهل المغرب إلى البحث في حقيقتها و استجلاء مضامينها، و بالتالي فقد ساعدت هذه العملية و لو على المدى البعيد على التعريف بالمذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي و ليس الحد منه.

و زيادة على ذلك أن كتاب " إحياء علوم الدين" الذي نال القسط الأكبر من سخط "ابن حمدين" و أتباعه هو الذي رفع من شأنه و سما به إلى درجة الحجية في الإسلام (حجة الإسلام)، فهو يبين من ناحية تبحر "الغزالي" في معرفة المذاهب الإسلامية المختلفة من مذاهب أهل السنة و الشيعة و المتكلمين، ثم الصوفية، و هو من ناحية أخرى يمثل مشروع "الغزالي" الإصلاحي الذي يهدف إلى لم شمل الفرق الإسلامية المختلفة تحت مظلة واحدة تعيد إلى الدين حيويته و شبابه بفضل التفكير المنطقي سمة المعرفة العقلية، والشفافية الروحية سمة الوعي القلبي (الصوفي)، و عن طريق التمسك بالعلم الأخروي و نبذ كل ما دونه من العلم الدنيوي الذي لا يبتغى به وجه الله عز وجل بل إرضاء السلاطين والملوك.[3]

لقد كان نفور المالكيين المغاربة من علم الكلام مقرونا بالابتعاد عن الرأي و التأويل و إقرار المتشابهات في الآيات الكريمة ملتزمين بالنص الحرفي أو التفسير الظاهري للآيات الخبرية،ومرجعيتهم التي استندوا عليها فيما ذهبوا إليه هي الإقتداء بالسلف الصالح و على رأسهم "الإمام مالك بن

1-محمد عابد الجابري: ابن رشد- سيرة و فكر- دراسة ونصوص، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م، ص: 26

2- عبد الكريم تواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، ط 1، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م، ص ص: 359 - 361.

3- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج4، ص: 416.

أنس" [1]، و قد كان لنزوعهم إلى مثل هذا الاتجاه أن ابتعدوا عن أولئك الذين نحوا منحى مخالف للظاهر، و تبنوا مقالات جديدة غير تلك التي هي متداولة عندهم.

و اعتبروهم زنادقة و أهل بدع[2]، بل إنهم كانوا في كثير من الأحيان يحكمون عليهم بالإعدام. [3]

و من كل ما سبق نستشف أن عداء الفقهاء المالكيين ببلاد المغرب الإسلامي لم يكن موجها للأشاعرة فحسب، بل كان عاما، فالمدرسة المالكية لم تكتف بعدم السماح لأي مدرسة فقهية أخرى بالازدهار فحسب، بل عملت على استبعاد أي تغيير أو تطور فيها، و كانت ترتاب من كل جديد في مجال المبادئ الفقهية و العلوم الدينية.

إلا أن بعض المصادر أوردت إشارات متفرقة تدل على أنه كان هناك اتجاه خاص يعادي الأشعرية بالذات، منها ما ذكره "إبن الفرضي" عند حديثه عن أحد الأئمة المالكيين ببلاد المغرب الإسلامي و هو الإمام "القحطاني"[4] أنه عدّ الأشاعرة كفارا و زنادقة، و قال فيهم: «يا أشعرية يا زنادقة الورى». [5]

و من جهة أخرى فإن السّؤال الذي ورد على "أبو الوليد بن رشد" (ت 520 هـ/1126م) و الذي سأل فيه صاحبه عن رأيه في أئمة الأشعرية أمثال "أبي الوليد الباجي" (ت 474 هـ/1081م) و "أبي المعال الجويني" (ت 478هـ/1085م) و نظرائهم ممن انتحل الطريقة الأشعرية، أهُم أئمة إرشاد أم قادة ضلال؟ و ماذا يقول في قوم يسبُّونهم ويسبُّون كل من ينتمي إلى الأشعرية و يكفّرونهم و يتبرؤون منهم، و يحرفون بالولاية عنهم و يعتقدون أنهم على ضلالة إعتبره"التهامي" على أنه دلالة واضحة على وجود إتجاه في المغرب كان أصحابه ينقمون على

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 229.

2- انخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،(د_ ت)، ص ص: 430 - 431.

3- ماريا إيزابيل فييرو: الزندقة و البدع في الإسلام، ضمن كتاب جماعي "الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس" بإشراف سلمى خضراء الجيوسي، ط 1، ج 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م،ص: 1254.

4- أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي.انظر ترجمته : أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي:تاريخ علماء الأندلس، ج2،الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة،1966م،ص89.

5- المصدر نفسه: ج 2، ص: 89.

علماء الأشعرية خصوصا، و من ينتحل علم الكلام عموما، و قد أدت بهم هذه النقمة إلى سب كبار الأشاعرة و الانتقاص من قدرهم. [1]

و علاوة على ذلك الاتجاه العام المعادي للأشعرية وجد اتجاه آخر يمثله بعض الأفراد، كانوا أكثر من شنع على الإمام الأشعري و أصحابه، و في مقدمتهم "ابن حزم الظاهري"[2] (ت 456 هـ/1064م)، فقد حمل عليهم حملة عشواء، و شنّع عليهم في العديد من مصنفاته، و من أقواله: «و تقصّينا الرد على هذه المقولة الملعونة (يعني الأشعرية) في كتاب لنا واسمه: "كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين و سائر الكافرين" تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيروان اسمه "عطاف بن دوناس" في كتاب ألّفه في نصر هذه المقالة».[3]

و في موضع آخر وصف الأشعرية بالفرقة الملعونة، بل أنه لا يتوانى عن لعنهم بين الحين و الآخر، حيث يقول: «لعن "ابن فورك" و أشياعه و أتباعه»[4] ، كما أنه وصف "الباقلاني" بالجهل في قوله: «لقد كذب هذا الجاهل و أفك». [5]

و انطلاقا من القاعدة التي تقول: «لكل فعل ردة فعل»، لا يمكن تصور الأشاعرة ببلاد المغرب الإسلامي قد وقفوا أمام الحملات التي كانت تشن ضدهم موقف المتفرج، و إنما كان لهم موقفا معاديا، و كانت ردة فعلهم قوية.

و من صور ذلك الموقف المناهض، المناظرة التي جمعت بين "أبو الوليد الباجي" و "ابن حزم"، و التي تمكن فيها "الباجي" من إفحام "ابن حزم"، و عنها يحدثنا القاضي "عياض" فيقول: «... فلما ورد "أبو الوليد" الأندلس و عنده من الإتقان و التحقيق و المعرفة بطرق الجدل و المناظرة ما

1- كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م، ص:26.

2- ابن حزم بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، كان صاحب حديث و فقه وجدل، كان شافعيا ثم صار ظاهريا، ولبث عليه إلى أن مات سنة 456 هـ من مؤلفاه "أخلاق النفس" و "طوق الحمامة".انظر ترجمته:المقري:نفح الطيب ،ج2،ص: 283.

3- ابن حزم: الفصل في الملل و النحل، ج4، ص: 207.

4- المصدر نفسه: ج 4، ص: 221.

5-المصدر نفسه:ج1، ص:112.

حصّله في رحلته، أمنه الناس لذلك، فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة"ابن حزم"...».[1]

كما أن من صور دفاع أشاعرة بلاد المغرب الإسلامي عن أنفسهم هو وضعهم للمؤلفات و التصانيف لدرء شوك و اتهامات المعادين. من هذه المؤلفات كتاب "إحكام الفصول في أحكام الأصول" "للباجي"، و قد وضعه بعد مناظرته مع "ابن حزم"[2]، و كتاب "النكت القطعية في الرد على الحشوية" للمازري[3].

4-2- وضعية الأشعرية في العصر المرابطي:

يرى أحنانة أن تاريخ المرابطين طاله الكثير من التشويه، ولحقه المزيد من التزوير من طرف.المؤرخين القدامى. وما ذلك إلا لكون تاريخهم لم يكتب إلا زمن خصومهم السياسيين أعني الموحدين، فقد ساد في أفهام الناس، وتكرس لديهم، من خلال هؤلاء المؤرخين أن المرابطين كانوا على عقيدة التجسيم والتشبيه. كما أن مجتمعهم كان من طبيعة أمومية تسيطر فيه المرأة على الرجل . أضف إلى ذلك أن عقيدة أهل الحل (الأشاعرة) لم تعرف طريقها إلى الغرب الإسلامي إلا زمن الموحدين.[4]

والواقع أنه بقدر ما انتاب تاريخ المرابطين من تحريف وتزوير، بقدر ما ازداد شغف الباحثين وتطلعهم لاستجلاء الوقائع، والكشف عن الحقائق. وتهمنا من جهتنا أن نقف على الجانب العقدي في اللحظة المرابطية لنتحقق هل بالفعل كانت العقيدة السائدة في زمن المرابطين هي عقيدة التجسيم والتشبيه؟ وهل المذهب الأشعري لم يعرف وجوده في هذه الفترة؟

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص 805.

2- ماريا إيزابيل فييروا: المرجع السابق: ج2،ص 1246.

3- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 271.

4- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص61.

الحقيقة أن تأسيس دولة المرابطين قام على شيء من الاعتقاد الأشعري، لكن الظروف كانت أقوى من أن تجعل المرابطين يستعيضون بهذا المذهب الجديد عن مذهب عقدي كان قد ترسخ وعرف جذوره في جميع أوساط الغرب الإسلامي.[1]

لقد أعطى لنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي معلومات مفيدة عن وصف وضعية المذهب الأشعري بالمغرب في عصر المرابطين ، وأكد أن أهل المغرب في هذا العصر كانوا ينافرون علم الكلام على الطريقة الأشعرية معتبرين إياه "بدعة في الدين"، لأنهم كانوا على خطى « السلف في ترك التأويل وإمرار المتشابهات كما جاءت »[2]. يستنتج من هذه الشهادة أن المذهب الأشعري كان موجودا بالفعل خلال هذا العصر، لكن انتشاره كان يعاني من بعض الصعوبات. ومع ذلك نقف في كتب التراجم على أسماء عدد من علماء الكلام بالمغرب الأقصى في هذا العصر ممن درسوا الأشعرية وألفوا فيها، من أشهرهم أحد أئمة هذا العلم وهو **أبو بكر بن الحسن المرادي الحضرمي**[3][4]، يعتبره ابن الزيات" من كبار الفقهاء الأصوليين، أصله من القيروان، و قد قربه أبو بكر بن عمر مؤسس دولة المرابطين بأغمات بعد وفاة عبد الله بن ياسين"[5]، و قد رحل من إفريقية إلى الأندلس ثم دخل المغرب الأقصى، وارتسم في سلك الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني ورافقه إلى صحراء المرابطين، وبقي هنالك قاضيا إلى أن توفي بأزكي سنة 489هـ/1096م. كان الإمام الحضرمي « رجلا نبيها عالما وإماما في أصول الدين، وله نهوض في علم الاعتقادات والأصول »[6]،

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص61.

2- المراكشي:المعجب، ص.172.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص140.

4- يحتمل أحنانة إمكانية أن يكون أبو بكر الحسن بن المرادي تلميذا للإمام أبو عمران الفاسي فيقول:" ...إن نبوغ أبي عمر الفاسي وتضلعه في الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية دفعه إلى تأسيس دولة جديدة بالمغرب الأقصى كان يهدف منها أن تكون عقيدتها الرسمية هي عقيدة الأشاعرة لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد تأسست فعلا دولة المرابطين الملثمين وفق تخطيطه وهندسته لكنه لم يعاصر ولم يواكب هذا التأسيس، حتى يتمكن من الإشراف عليه، وتوجيهه الوجهة التي يرتضيها. فقد مات قبل قيام هذه الدولة، لكن شخصا من المحتمل أن يكون تلميذا له هو الذي سيتولى هذه المواكبة والتنظير لهذه الدولة الجديدة وتوجيهها توجيها سياسيا، ويتعلق الأمر بأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي..." تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص65.

5- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف،ص106.

»[1]، وبسبب تبريزه فيها اعتبره ابن الزيات التادلي « أول من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى »[2]. وألف كتابا سماه "التجريد في علم الكلام".

و صاحب كتاب" الإشارة إلى أدب الإمارة" الذي اشتهر بهذا الكتاب وصنف ضمن العلماء الذين أسهموا في علم السياسة العربي الإسلامي. لكن في مجال العقائد ظل الالتباس يحوم حوله، بحيث لا يدري الباحثون أهو من أهل التسليم والتفويض أم من الأشاعرة؟[3]

والحقيقة أن النصوص لتضن علينا في استجلاء موقف هذا الرجل العقدي والبت في انتمائه الكلامي، فكل ما ترويه عنه بعض النصوص القديمة أنه كان « أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى » [4]علما أن علوم الاعتقادات كانت تعني في هذه الفترة علم الكلام الأشعري في مقابل أصول الديانة التي كانت تعني معتقدا أهل التسليم والتفويض.

بالإضافة إلى ما سبق فإن تلميذه المباشر الذي اختص به ولازمه، وخلفه في علوم الاعتقادات كما يؤكد على ذلك صاحب التشوف هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير (ت 520 هـ/1126م) كان أشعري العقيدة بلا جدال ولا ممارة، كما سنرى لاحقا.

و يؤكد أحنانة أشعرية الحضرمي بقوله:"...ومما يزيد في تأكيد أشعرية المرادي الحضرمي – من جهتنا – هو أنه في زمنه وقع بالأندلس نقاش محتدم حول كلام الله هل هو حال في أحرف القرآن؟ وبالتالي فالكلمات والأصوات المنطوقة في القرآن هي كلام الله. وكان صاحب هذه الفكرة رجل من ألمرية بالأندلس يدعى وليد النفري الذي كان قد جمع إلى رأيه هذا جمعا كبيرا من الناس والأتباع. واختلف الناس في ذلك حتى صار « يكفر بعضهم بعضا، ويبرأ الوالد من ولده » فما كان من المعتصم بالله بن صمادح إلا أن استنجد من الأندلس بالفقيه المتكلم أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي في المغرب كي يتولى الرد عليه « فذهب إلى أن يعبر البحر فهال عليه وكتب إلى

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ،ص141.

2- ابن الزيات: التشوف ،ص106؛ القاضي عياض : الغنية،ص226؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص141.

3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص66.

4- ابن الزيات: التشوف ،ص106.

ابن صمادح: « مسألة التلاوة و المتلو مبنية مفسرة مشروحة » وكأنه يحيل إلى ما قاله الأشاعرة في هذا الباب، لكنه لم يتوقف بل اتبع ذلك بقصيدة يرد فيها على وليد النفري يقول فيها:

لا در در سخافة ۞ شنعاء جاء بها وليد
كفر تكاد لها الجبا ۞ ل – على ثقالتها – تميد
وحماقة ممزوجة ۞ بمقيت جهل لا يفيد
أكلام ربك أحرف ۞ منظومة حمر وسود؟
لو باعها العطار أحـ ۞ يانا لجارتها الجلود "[1]

وهذا النص يحتوي على مجموعة من العلامات ويكفينا منها علامة المضمون المباشر التي تدور حول كلام الله. فإذا علمنا أن الأشاعرة يقولون بصدد خلق القرآن بأن المعنى قديم، واللفظ محدث مخلوق، فإن هذا هو الذي نجده مضمنا في هذه القصيدة.[2]

و مما يجعلنا أكثر يقينا بأشعرية الحضرمي، لما اطلعنا على نص آخر مشهور يورده القاضي عياض يقول فيه " عن أبي منصور الثعالبي، أنشدني أبو بكر المرادي لنفسه في الحجة على إثبات القدر" يقول فيه:

علمي يقبح المعاصي حين أركبها ۞ يقضي بأني محمول على القدر
لو كنت أملك نفسي وأصرفها ۞ ما كنت أطرحها في لجة العذر
كلفت فعلا ولم أقدر عليه ولم ۞ أكن أفعل أفعالا بلا قدر
وكان في عدل ربي أن يعذبني ۞ فلم أشاركه في نفع ولا ضرر
إن شاء نعمني أو شاء عذبني ۞ أو شاء صورني في أقبح الصور
يا رب عفوك عن ذنب قضيت به ۞ عدلا علي فهب لي صفح مقتدر[3]

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص 66، 67.
2- المرجع نفسه:ص 67، 68.
3- القاضي عياض: الغنية،ص227؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص 68.

وهذا النص أيضا - وإن كان لا يصرح بمفهوم الكسب الأشعري – فإننا نلحظ فيه ذلك التبرير العقلي الذي يسلكه الأشاعرة في هذا السياق استدلالا على أن فعل الله وخلقه لأفعال العباد هو فضل وعدل.

و يثبت أحنانة أشعرية الحضرمي عندما ينفي كل الشكوك من طرف الباحثين الذين ينسبون المرادي إلى أهل التسليم و التفويض فيقول:"... إن هناك من الباحثين المعاصرين من يشكك في أشعري هذا الرجل، وينسبه إلى مذهب أهل التسليم والتفويض واعتمادا على نص منقول عن ابن تيمية نقله من كتاب للمرادي عنوانه «الإيماء إلى مسألة الاستواء » عن معنى استواء الرحمن على العرش فقال: « قول ابن أبي زيد القيرواني المالكي، والقاضي عبد الوهاب المالكي، وجماعة من شيوخ الحديث، والفقه، وهو ظاهر بعض كتب الباقلاني، وأبي الحسن الأشعري، وهو أنه سبحانه مستو على عرشه بذاته. وأطلقوا في بعض الأماكن فوق على عرشه، وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكين في مكان، ولا كون فيه ولا مماسة ».

فها نحن أمام موقفين من انتماء المرادي العقيدي أحدهما ينسبه إلى الأشعرية، والآخر إلى مذهب أهل التسليم والتفويض. إلا أنه من جهتنا، لا يسعنا إلا أن نرجح الموقف الأول وحجتنا في ذلك أنه موقف رواه وأكده من هو أقرب إلى المرادي زمانا ومكانا. فابن الزيات صاحب كتاب التشوف عندما نسب المرادي إلى الأشعرية كان أقرب إليه زمانا إذا علمنا أن ابن الزيات توفي سنة 617 هـ/1220م ومكانا إذ كلاهما من مفكري الغرب الإسلامي. أما الموقف الثاني فقد جاء على لسان من هم أبعد من المرادي زمانا ومكانا. علاوة على أن النص المروي عنه يحمل أوجه في القراءة والتأويل، ويحتمل تأويلات تزكي ما نذهب إليه لا سيما وهو يربط بين ما يقره الباقلاني و أبو الحسن الأشعري..."[1]

كما شهد تاريخ المعتقد الأشعري في الغرب الإسلامي في العهد المرابطي ظهور أول عقيدة أو نص يلخص العقيدة الأشعرية في هذه المنطقة، ويتعلق الأمر بعقيدة المفكر التونسي **أبي الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد الأسفاقسي** (ت 501 هـ/1107م) عنوانها " العقيدة السنية أو عقيدة

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص 68، 69.

الصالحين أو العقيدة الأسفاقسية". و المتوفر من هذه العقيدة الجزء الثاني فقط ، وضع شرح له بعنوان « مشارق المهتدين في شرح عقيدة الصالحين » لشارح اسمه القطب الصنهاجي نرجح أن يكون من أعلام القرن الثامن الهجري. و قد تتبع الباحث أحنانة مضمون هذا النص و حدد أبرز معالم عقيدة الأسفاقسي فيقول:"... ولقد قمنا من جهتنا بتتبع هذا الشرح لتجريد بعض مضامين هذه العقيدة فاتضح لنا بما لا يدع أي مجال للشك أنها أشعرية المضمون والمنهج. فالأسفاقسي يصدر في هذه العقيدة عن قناع تامة بتنزيه الذات الإلهية عن الجهة، والمكان، والمحاذاة، لأن هذه الصفات في صفات المخلوقات ويستعمل في استدلاله على هذه القناعة قياس الغائب على الشاهد فهو يقول: « إذا كان النوم واليقظة، موجودين غير محدودين، هما مخلوقان ولا كائنان في مكان، وجهة، ولا أطراف لهما، ولا حدود. وإنما الحد لقبيل من المخلوقات، وهي الجواهر والأجسام. وإذا كان في المخلوقات موجود بهذه الصفات، فالخالق أحرى وأولى أن لا يجوز عليه ذلك ».[1]

فإذا كان النوم واليقظة في الشاهدة لا يتصفان بالجهة، ولا بالمكان، ولا بالمحاذاة وهما مخلوقان من مخلوقات الله، فإنه من باب أولى وأحرى أن يكون في الغالب موجود غير مخلوق منزها عن هذه الصفات، ولذلك فالله منزه عن الجهة، والمكان، والمحاذاة. وهذا كما نرى أشعري المضمون والمنهج. أما فيما يتعلق بإثبات وحدانية الله، فإننا نرى الاسفاقسي يحدد أربعة أوجه تعكس هذه الوحدانية و تؤشر عليها، وهي :

1- الوجه الأول : أنه واحد غير محدود، وغير منقسم, لا تجوز عليه التجزئة والتقسيم.

2- الوجه الثاني : أنه واحد في ملكه ولا شريك له.

3- الوجه الثالث : أنه واحد في صفات الكمال لا أحد له صفات كصفاته.

4- الوجه الرابع : أنه واحد في الاختراع، لا أحد يخترع معه شيئا.

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص 69؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص138، 139.

فالوحدانية كما يستدل عليها الأسفاقسي وحدانية كمية، ووحدانية كيفية، فالله واحد غير مركب، ولا تجوز عليه القسمة والتجزيء فهذه وحدانية كمية. أما باقي الأوجه الدالة على وحدانيته فهي صفات كيفية ينفرد بها الباري لا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته..."[1]

أما بصدد الصفات الإلهية فإن الأسفاقسي يثبتها ويؤكد أنها قديمة بقدم الذات الإلهية.

أما بصدد كلام الله الذي هو صفة من صفاته تعالى فإن الأسفاقسي يرى أنه كلام ليس بأصوات، ولا قائم بلسان، ولا لهوات وهو ما يصطلح عليه الأشاعرة باسم الكلام النفسي.

إضافة إلى أن الإقرار بصفة البصر للذات الإلهية هو إقرار بأن الله مبصر لكن بغير مقلة ولا سواد. وبالجملة فإن الأسفاقسي يخلص في هذا الموضوع إلى تنزيه الذات الإلهية تنزيها أشعريا فيقول: إنه « تعالى عن الأضداد، والأولاد، ومشابهة الأجساد ». وفي نفس الوقت نلخص إلى القول بأن هذه العقيدة المختصرة ذات الطبيعة الأشعرية اعتبرت من أوائل ما كتب في العقائد الأشعرية في الغرب الإسلامي. لكنها لم يكتب لها الشهرة، والذيوع فظلت بذلك مغمورة مجهولة، لا يعرفها حتى المهتمون ناهيك بغيرهم. وهي كفيلة بدراسة مفصلة ببحث أكاديمي يعرف بصاحبها، وبسياقها ومضامينها."[2]

و من أعلام الأشعرية في هذا العهد الزاهد **أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير**[3] ". تلميذ الحضرمي و الذي لم تفصح لنا المصادر عن تاريخ ميلاده على وجه التحديد ، في حين نجد ابن الزيات يذكره في كتابه فيقول:".... أصله من سرقسطة و سكن مراكش، و بها توفي سنة عشرين و خمسمائة. من أشياخه أبو مروان بن سراج و أبو علي الجباني....كما أنه خلف المرادي في علوم الاعتقادات، و غلب عليه الزهد في الدنيا و أهلها "[4] ، و قد نظم أرجوزة مطولة في العقيدة، واستقر بالمغرب الأقصى إلى وفاته سنة(**520هـ/1126م**)، واعتكف على تدريس علم

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص 70؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص138، 139.

2- المرجع نفسه،ص70، 71.

3- ينظر ترجمته: القاضي عياض:الغنية، ص 226؛ابن شكوال:الصلة، ج2، ص. 644؛ ابن عميرة الضبي: المصدر السابق، ص 492؛ ابن الزيات التادلي: التشوف، ص.105، 106.

4- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف،ص105، 106.

الكلام بأغمات. وصفه تلميذه القاضي عياض بأنه « ......كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية و نُظار أهل السنة، عارفا بالنحو و الأدب له تصانيف مشهورة، و سكن بلدنا مدة و تردد بالأندلس و المغرب، و كان آخر المشتغلين بعلم الكلام. قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقاد و حدثني بالكبرى و بكتاب التجريد لأبي بكر المرادي و أجازني أرجوزته الكبرى و جميع تواليفه و رواياته منها تآليف الفقيه أبي بكر المرادي، شيخه و عنه كان أكثر أخذه و من ذلك كتاب فقه اللغة للثعالبي...»[1].

و الحقيقة أنه لم يصلنا من عطاءات هذا الرجل العقدية إلا منظومة عقدية شهيرة سميت بمنظومة" التنبيه و الإرشاد في علم الاعتقاد"، و لكننا نرجح أن تكون له مؤلفات أخرى في هذا الفن بدليل أن أبا علي عمر السكوني (ت 717هـ/1317م) ينقل عنه هذه المناظرة التي جرت بينه و بين أحد أحبار اليهود، يقول فيها على لسان الضرير" حضرني يوما بعض أحبار اليهود فتكلم في التعديل و التجوير، و جاء بتخليط كثير، و كان مما أحاله و أنكره أن يكون الله تعالى يأمر بما لا يريد كونه.فقلت: أليس قد أمر الخليل أن يذبح ابنه؟ فقال: بلى، فقلت: فهل أراد ذبحه؟ فقال:لا، فانقطع لوقته و أمسك لحيته. قال الأستاذ أبو الحجاج:" و هم في هذه المسألة إخوان المعتزلة، و قد بسط القول فيها أئمة ؟أهل السنة و الحمد لله ولي الطول و المنة"[2]

لقد سار الضرير على تنظيم قريب من التنظيم الذي نظم به الجويني مضامين كتابه الإرشاد، لأن هذا الكتاب كانت له سلطة معرفية كبيرة لكن هذا لا يعني أنه نهج نفس نهجه، و الذي يهمنا هو أن هذه المنظومة هي في عقيدة الأشاعرة ، و أن صاحبها الضرير راعى فيها السهولة و التقريب إلى إفهام الناس و عقولهم و ما ذلك إلا تحت وطأة الصراع الذي كان قائما بين ممثلي الأشاعرة، و المدافعين عن مذهب أهل التسليم و التفويض[3]، مما كان يدفع المفكرين الأشاعرة إلى التسهيل حتى يتمكن المبتدءون، و العامة من فهمها، و الاعتقاد بها، و التمسك بما جاء فيها، فتتفشى

1- القاضي عياض:الغنية، ص 226؛ابن شكوال:الصلة، ج.2، ص. 644؛ ابن عميرة الضبي: المصدر السابق، ص. 492؛ ابن الزيات التادلي: التشوف، ص.105، 106.

2- عمر السكوني: عيون المناظرات، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، 1976،ص290.

3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص83.

أكثر في أوساطهم و تنتشر. و هذا ما دفع الضرير إلى نهج أسلوب الأراجيز السهل المنال، و الذي يطلع على منظومة " التنبيه و الإرشاد" يجدها مستوعبة لجميع ما أثاره علم الكلام الأشعري من دقائق الأمور، و كبيرها. فهي تحتوي على تسع و تسعين بابا، بداءا من باب الكلام، و انتهاء بباب ترتيب الصحابة. و قد خول لها استيعابها لكل ما يطرح من أمور العقيدة الأشعرية، كذلك بساطة مضامينها، و صياغتها الرجزية أن تنهض بدور مهم وكبير في عملية انتشار المذهب الأشعري و تغلغله، و تكريسه مذهبا رسميا للغرب الإسلامي، فالضرير تولى تدريسها بنفسه في مراكش ، و قد أخذها عليه مجموعة من كبار علماء المغرب في هذه الفترة.[1] ومن بينهم تلاميذه أبو عبد الله مالك ابن مروان اللجوسي الضرير أخذ عنه وعن أبي بكر بن العربي[2]. و علماء الأندلس و تتالت عملية تدريسها بعد الضرير في جوامع الأندلس و المغرب و غيرها، و يسهر على تدريسها جمع كبير من كبار الأئمة في هذا المذهب، فقد تولى تدريسها بالأندلس تلميذه المباشر أبو عبد الله محمد بن خلف القرطبي الشهير الإلبيري (ت 537هـ/1143م) الذي « كان حافظا لكتب الأصول والاعتقادات واقفا على مذهب أبي الحسن الأشعري وأصحابه »[3] وألف تآليف عدة في الموضوع منها الرد على أبي الوليد ابن رشد في مسألة الاستواء[4]. و من تلاميذه عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي المدعو بابن الملجوم (ت 543هـ/1148م)[5] و بعده أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفخار(من أعلام القرن السابع الهجري)، و محمد بن خليل السكوني صاحب أربعون مسألة في أصول الدين.[6]

و يشير أحنانة إلى:" أن هذه المنظومة العقدية شكلت أوائل العقائد التي كتب لها أن يهتم بها من جاء بعد الضرير من المفكرين و أن تسهم بقسط وافر في تكريس هذا المذهب الأشعري مذهبا رسميا في الغرب الإسلامي"، فما هي إذن أهم الآراء التي وردت في هذه المنظومة؟

1- القاضي عياض:الغنية، ص 226.
2- ابن الزيات: التشوف، ص266.
3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص.141
4- المرجع نفسه،ص142.
5- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص130، 131.
6- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص84.

الواقع أن كل ما ورد في منظومة الضرير يحمل طابعا أشعريا لا غبار عليه، لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو ما يلي:

– **النظر**: و فيه يرى الضرير ضرورة تعليم علم الكلام الأشعري لعامة الناس دون استثناء حين يعتبر النظر العقلي واجبا عينيا على كل مسلم و مسلمة، فلا يصح إيمان المرء إلا باعتقاده عن طريق النظر العقلي أمور العقيدة الأشعرية، فالإيمان عنده كما هو عند سائر الأشاعرة، تصديق بالقلب، و إقرار باللسان، على أن العمل بالجوارح ليس شرطا أساسيا من شروط الإيمان، و إنما اعتبر إضافته من المجوزات فقط فحتى إذا ما ظهر شخص يقر بلسانه إيمانه إلا أن أعماله لا تتطابق مع معتقده. يقول الضرير:

فهو مومن بحكم الظاهر و غيبه عند العلم القاهر[1]

– **حدوث العالم**: يعتمد الضرير في إثبات هذه المسألة على نفي السببية. فما دامت السببية غير موجودة في ظواهر الكون بحيث لا يمكن للأشياء أن تخلق نفسها بنفسها، أو تخلق بعضها، و لا تكون سببا لبعضها فإن الله وحده هو الخالق، و السبب الأوحد في هذا الكون، فالزناد مثلا لا يتضمن نارا و لكنه يشعلها لا باعتباره سببا و لكن لعادة شاءها الله و أبدعها فيه. يقول الضرير:

و حدث النار عيانا يشهد ۞ إذ ليس في الزند نار توقد
و إنما يبدعها الإله ۞ عند اقتداح الزند أو سواه
أراد أن يكون هذا عادة ۞ من فعله يفعل ما أراده

– **خلق الأفعال** (**الكسب**): يخصص الضرير بابا في منظومته لمسألة خلق الأفعال يتكلم بصراحة عن نظرية الكسب الأشعري فهو يثبت للإنسان القدرة على فعل ما يدخل تحت مقدوراته، فهو يقول:

و العبد يكتسب صفاته ۞ ما هو من أجناس مقدوراته
و هذه القدرة و المقدور ۞ كلاهما ببدعة القدير[2]

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص86.
2- المرجع نفسه: ص86.

– **الإمامة**: يرى الضرير وجوب قيام الإمامة في مجتمعات المسلمين، لأن في ظلها تقام حدود الله، و يتمكن المؤمنون من الجهاد و الدفاع عن الحياض، و الإمام الذي يتولى شؤون المسلمين ينبغي أن يكون عاقلا، عالما، مستقيما، سليم الحواس و التمييز بين الأمور، و شجاعا مقداما و أن يكون قرشي النسب.لكنه في حالة ما عدا إذا وجد إمام يأمر بالظلم، أو يأمر بإتيان الحرام جملة، فلا يحل للمسلمين طاعته، لكن بشرط أن يكون في ذلك مأمون السطوة و المكر.أما إذا كان في زجره و تخويفه فتنة للمسلمين، فلا لجوء إلى ذلك بل إن القيام عليه يصبح حراما لأن فيه نقضا لعهد، و الله يأمر في كتابه بالوفاء بالعهود. و على العموم فأن أبا الحجاج الضرير تطرق في منظومته هذه إلى مجموع ما طرحته العقيدة الأشعرية من أمور سواء كانت أصلية أم فرعية.و أيا ما كان من الأمر فإن هذه المنظومة" التنبيه و الإرشاد" قامت بدور كبير في عملية تغلغل المذهب الأشعري و السير به نحو الترسيم نظرا لطبيعتها التعليمية، و لقرب فهمها من طرف المتعلمين فاكتسبت من هذا الجانب أهميتها التاريخية، حيث مثلت طلائع العقائد التي دخلت في تكوين هذه المرحلة.[1]

وذكر القاضي أبو الفضل عياض في فهرسته الموسومة بالغنية عددا آخر من المتكلمين، منهم أبو القاسم المعافري الذي اعتكف بسبتة على تدريس الأصول والكلام طول حياته. وذكر أيضا شيخه أحمد بن محمد الجذامي المعروف بالزنقي، ووصفه بـ « شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق في وقته »[2] . وقد روى عياض عن هؤلاء الشيوخ عددا من الكتب في علم الكلام والعقيدة من تآليفهم ومما كانوا يرونه. ومما يستحق أن يذكر هنا هو أن أكثر المتعاطفين مع الأشعرية كانوا من ذوي الميول إلى الزهد والتصوف. فهل تعتبر تلك مقدمات تحالف صوفي أشعري لمواجهة المرابطين الذين وقفوا ضد التوجهين معا؟

4-2-1- السلطة المرابطية و الأشعرية: يتأكد مما سبق أن علم الكلام الأشعري كان ضمن العلوم المعروفة في أوساط علماء المغرب في العصر المرابطي، لكن إشارة عبد الواحد المراكشي التي يذكر فيها عداء أهل المغرب لمن ظهر عليه الاهتمام بالأشعرية تؤكد من جهتها أن هذا العلم ظل يتحرك في دائرة ضيقة من المهتمين به. في حين كانت القاعدة العريضة من الفقهاء معرضة عن أي

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ، ص88، 89.

2- القاضي عياض: الغنية، ص: 117 و226؛ وكان القاضي عياض قد لقيه بقرطبة وأخذ عنه سنة 507هـ/1113م

نوع من الجدل الكلامي، إما لانعدام الدواعي إليه في البيئة المغربية، التي وصلت بجهود المرابطين إلى تحقيق قدر لا بأس به من الانسجام المذهبي العقدي بعد القضاء على البجليين وبرغواطة وتوحيد المغرب الأقصى سياسيا ومذهبيا، وإما لانحيازها لأطروحة السلطة المرابطية المتحفظة منه. [1]

لقد عرف المغرب خلال هذا العصر تيارين مالكيين متمايزين، أحدهما يتمثل في التيار المالكي السلفي الذي يشكل استمرارا لمدرسة نفيس ومدرسة عبد الله بن ياسين، وهو التيار الذي كان منحازا إلى المرابطين. التيار الثاني هو التيار المالكي الأشعري الأصولي الذي ظل متوثبا للتواصل مع مستجدات الفكر الإسلامي في المشرق، كما كان منفتحا على التصوف، وخير من كان يمثل هذا التيار في العصر المرابطي أبو بكر المرادي الحضرمي وأبو بكر بن العربي المعافري والقاضي عياض السبتي ومحمد بن تومرت والعلماء الذين ذكروا أعلاه.

أصبحت السيادة في العصر المرابطي للتيار السلفي لمساندته للسلطة، واستطاع أن يفرض توجهه، و دليل ذلك قول المراكشي الذي تمت الإشارة إليه: « دان أهل ذلك الزمان بتكفير من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام...... وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه »[2]. يبين هذا النص درجة الحدة التي بلغها رفض علم الكلام عند فقهاء المذهب المالكي المحيطين بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، واستغلاهم القرب منه لإقناعه بموقفهم، وتحويله بالتالي إلى موقف رسمي تتبناه الدولة المرابطية وتنشره وتدافع عنه، فظهر الموقف العدائي من الأشعرية بشكل رسمي جماعي لدى الفقهاء ابتداء من عهد هذا الأمير الذي عرف عنه ميله الشديد إليهم.

ورغم أن المصادر لا تقدم تاريخا محددا أو تقريبيا لانطلاق حملة محاربة الأشعرية، فإن هذا لا يمنع من القول بأنه تزامن مع بداية اقتحام أفكارها ومقولاتها للأوساط الفقهية المغربية بشكل أكثر نشاطا مع أوائل القرن السادس الهجري. التقت هذه العقيدة مع أفكار الإمام الغزالي الذي كان واحدا من أئمة الأشاعرة وأقطاب الصوفية في نفس الوقت، الشيء الذي كان في حينه تحديا وإحراجا لهؤلاء الفقهاء الذين لم يكن لهم إلمام أو معرفة بمذهب الأشاعرة، وكان لهم في الوقت

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص.142

2- المراكشي: المعجب، ص151؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص141.

نفسه عداء للتصوف، فتبنوا موقف الرفض والإنكار للاحتماء به في مواجهة علم الكلام. ولم يترددوا في وصمه بالبدعة وتكفير المروجين له، لمحاصرته وللحد من تأثيره، حفاظا على خصوصيات الانتماء العقدي الذي كان المغاربة عليه منذ قرون، وهو الذي كان بعض أصحاب الخلفيات الاعتزالية والشيعية والفلسفية يطلقون عليه اسم الحشوية[1].

وبما أن موقف الفقهاء الرافض للأشعرية قد تحول إلى موقف رسمي للدول المرابطية، فقد تم تعميمه بأوامر أمير المسلمين وأصبح منع العلماء من تدريس علم الكلام أسلوبا متبعا مختلف الجهات، وكأمثلة على ذلك فقد قام أحد رؤساء سجلماسة بمنع العالم الصوفي **يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل بن النحوي (ت 513هـ/1119م)**[2] – الذي امتاز عن كثير من

1- نعت ابن حوقل المالكيين من أهل السوس الأقصى في القرن 4هـ/10م بقوله: «والمالكيون من فضاض الحشوية»، صور الأرض،ص.91؛ أما ابن رشد الحفيد (ت595هـ) فرأى أن الحشوي يعتقدون «أن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل»، الكشف عن مناهج الأدلة، ص:101-102؛ كما تعرف الحشوية: «الحشوية هم الذين يروون الأحاديث المحشوة أي التي حشاها الزنادقة في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقبلونها ولا يتأولونها، وهم يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب الحديث وأنهم أهل السنن والجماعة، ولا مذهب لهم منفرد. وأجمعوا على الخير والتشبيه، وحسموا وصوروا وقالوا بالأعضاء، وقدم مابين الدفتين من القرآن . ويدعون أن أكثر السلف منهم، وهم برآء من ذلك. وينكرون الخوض في علم الكلام والجدل، ويعملون على التقليد وظواهر الآيات »، ينظر هامش: محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص144.

2- توزري الأصل، عكف على طلب العلم في صغره بافريقية حتى نبغ فيه ، و قد أخذ صحيح البخاري عن اللخمي, ويحكى أنه لما لقيه طالب علم سأله: ما جاء بك؟ فقال له: جئت لأنسخ تأليف " التبصرة " فقال له: إنما تريد أن تحملني في كفك إلى المغرب, أو كلاماً هذا معناه" , وقد أشار بذلك إلى أن عمله كله في هذا الكتاب, وأخذ أيضا عنده أعلام ذلك العصر كالمازري صاحب الصيت البعيد وأبي زكريا الشقراطسي وعبد الجليل الربعي، وكان أبو الفضل بن النحوي عارفا بأصول الدين والفقه وأحد أعلام القرآن العاملين بحلاله وحرامه, ويميل إلى النظر والاجتهاد, وقد ترك تأليف حسنة . أخذ عنه جماعة من علماء ذلك العصر, أشهرهم: أبو عمران موسى ابن حماد الصنهاجي الذي كان معجباً به كثيراً حتى قال عنه: إنه في بلادنا بمنزلة الغزالي في العلم والعمل.للمزيد ينظر:ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف،ص-ص:95-101؛ أبو عبد الله محمد ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1907 ،ص-ص:299-304؛ أبي العباس أحمد الخطيب ابن قنفد القسنطيني: أنس الفقير و عز الحقير، نشر محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،1965،ص108،107؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس ،ج2،ص 552، 553؛ أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج 1و2، ط1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1989،ص-ص:622-625؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص126؛ محمد المغراوي: فتوى

معاصريه بالأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء المغرب، و عاصر الدولة الحمادية بالقلعة[1] و بجاية و الزيرية بالمهدية و المرابطية بمراكش و دخل سلجماسة – من التدريس، و سبب ذلك أن ابن النحوي عندما دخل سجلماسة و أقرأ بها الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، تضايق منه أحد رؤساء البلد، وهو عبد الله ابن بسام، فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها، يعني بذلك أبحاث العقائد على طريقة الغزالي، فأمر بإخراجه من المسجد،فقال له أبو الفضل: أمتَّ العلم أماتك الله هنا، فجلس في اليوم الثاني لعقد نكاح سحراً، فقتله جماعة من صنهاجة .فاضطر لمغادرتها إلى مدينة فاس[2] وانتصب بها للإقراء والتعليم فضايقه قاضيها أبي محمد عبد الله بن دبوس اليفرني (ت 511هـ/1117م) و منعه من تدريس هذا العلم بها، وعلى إثر ذلك قرر مغادرة المغرب الأقصى والرجوع إلى بلده[3]، و دعى عليه فأصابته أكلة في رأسه فوصلت إلى حلقه فمات منها، وفي صبيحة يوم وفاته خرج أبو الفضل من فاس وجاء ولد ابن دبوس لتوديعه، فقال له الشيخ: أرجع لتحضر جنازة والدك، فرجع فوجده ميتاً، وكان خروج الشيخ من فاس حوالي سنة 494هـ/1100م .

=لأبي الفضل بن النحوي حول إحياء علوم الدين للغزالي، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998،ص-ص:116-121؛عبد الغني حروز: الحياة العلمية في قلعة بني حماد 408-461هـ/1017-1070م، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر،2011،ص103.

1- يرجع الفضل في اختطاط و تأسيس مدينة قلعة بني حماد عام 398هـ/1007م إلى الأمير حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي (ت 419هـ/1028م) الذي اتخذها عاصمة لإمارته التي انفصلت عن الدولة الزيرية. و في ذلك يقول ابن خلدون : «...و اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان و تسعين، و هو جبل عجيسة ،و ولى العهد قبائل عياض من عرب هلال. ونقل إليها أهل المسيلة و حمزة و خربهما. و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها، و تم بناؤها و تمصيرها على رأس المائة الرابعة. و شيد من بنيانها و أسوارها، و استكثر فيها من المساجد و الفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت بالتمدن. ورحل إليها من الثغور و القاصية و البلد البعيد و طلاب العلوم و أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف و الحرف و الصنائع بها » ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج6، ص 202؛ عيسى بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص،ص 74، 75 ؛أحمد أبو عبد الرزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد ،ص66، عبد الغني حروز: المرجع السابق،ص25.

2- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص.98-99؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص144.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص144، 145.

لقد كان أبو الفضل متأثراً كثيراً بالغزالي في أبحاثه في العقائد والتصوُّف وغيرهما، وقد حاول التمكين له من خلال نشره نظرية الغزالي في التصوف بالقلعة[1].

وبدأ في تطبيقها على نفسه، كان يلازم القيام والصيام والتهجد حتى أنه لا يشعر بما حوله وهذا ما يؤكده ابن مريم في قوله: "كان يصلي أكثر في داره اللغط وارتفعت الأصوات فقال ضيف لابنه أما تشغلون خاطر الشيخ فقال: إذ دخل في الصلاة لم يشعر من ذلك ثم أدنى السراج من عينه فلم يشعر لحضوره مع غيبته مع الخلق"[2]، وكان لشدة زهده لا يقبل من أحد شيء ولا يأكل إلا ما يأتيه من بلده الأصلي، لبس خشن الصوف وقصر جانبيه حتى وصلت إلى ركبتيه[3]، وزهده هذا كان يجلب له نقد الآخرين حيث انتقده قاضي الجماعة بالقلعة أبي عبد الله بن عصمة المفتي الذي مر عليه يوما فلم يسلّم عليه لانشغال خاطره، فعظم عليه ذلك، فلما رجع ناداه محقراً: يا يوسف، فجاءه ثم قال له: يا توزري،صفرت وجهك، ورققت ساقيك وسرت تمرّ ولا تسلّم.

فأعتذر له فلم يقبل عذره وأغلظ له، فقال له أبو الفضل: غفر الله لك يا فقيه، يا أبا محمد، ثم أنصرف مغضباً عنه.[4]

لقد أشيع أنه كان مجاب الدعوة حتى قيل نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي[5] وهو مناصر لكتاب الإحياء للغزالي، حيث عارض إحراقه بشدة وكان يرى أن حلف الناس بالإيمان المغلظة على أن كتاب الإحياء ليس عندهم وليست ملزمة لهم[6].

1- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ / 12م و13م ،ص117.

2- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء،ص301.

3- التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ص623، 624.

4 - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص.211

5- التنبكتي: المصدر السابق، ص624، 625.

6- أبي زرع: الأنيس المطرب، ص.41

واستنسخ الإحياء في ثلاثين جزء[1].و من صور انتصاره له، انه كان يبث كتبه أينما حل، ولما أفتى فقهاء الأندلس كابن حمدين ومن شايعه من علماء المغرب بإحراق الأحياء للغزالي وأحرق في صحن مراكش وغيرها.[2]

ووصل كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ) وفيه تحليف الناس بمغلظ الإيمان، أن ليس عندهم كتاب الأحياء انتصر الشيخ للغزالي وأحيائه، وكتب إلى السلطان برأيه, وأفتى[3] بعدم لزوم تلك الإيمان،ونسخ الأحياء ثلاثين جزءاً، يقوم كل يوم في رمضان بنسخ جزء منها وهو يقول:

((**وَدَدْتُ أَنَّنِي لَمْ أَنْظُرْ فِي عُمْرِي سِوَاهُ**)) وهكذا كان موقفه من الأحياء نصراً كبيراً له ولمبادئ الغزالي عامة .[4]

عاد أبو الفضل بعد أسفاره بالمغرب إلى قلعة بني حماد، وأخذ نفسه فيها بالتقشف ولبس الصوف، وقصّر جبنّه حتى كانت لا تزيد عن ركبتيه.

ولما استقر به المقام بقلعة بني حماد أخذ في التدريس و الإقراء، وأفاد أهلها كثيرا، وتخرج على يديه جماعة من أعلام القرن السادس في هذه الفترة التي استقر بها بالقلعة، فمنهم القاضي أبو عمران موسى الصنهاجي السابق الذكر، ومنهم أبو عبد الله محمد الرمامي الفقيه رئيس الإفتاء بفاس، ومنهم الفقيهان أبو بكر بن مخلوف بن خلف الله ومحمد ابن مخلوف بن خلف الله وغيرهم .[5]

لقد ضرب أبو الفضل المثل في تقواه وزهده، فكان شديد الخوف من الله، دائم الإستحضار لجلاله، كثير الورع، لا يقبل من أحد شيئا إنما يأكل ما يأتيه من توزر، وقد كان لتشدده في تعبده وزهده يقول:

1- التنبكتي: المصدر السابق، ص624.

2- رابح بونار : المرجع السابق، ص.186

3- للإطلاع على نص السؤال الذي وجهه فقهاء تلمسان، و نص الفتوى كاملة ينظر الملحق رقم:07.،ص371-373

4- التنبكتي: المصدر السابق، ص624.

5- عبد الغني حروز: المرجع السابق،ص104، 105.

أَصْبَحْتُ فِيمَنْ لَهُمْ دِينٌ بلاَ أَدبٍ ❁ ومَنْ لَهُ أَدَبٌ عَارٍ منَ الدِّينِ

أَصْبَحْتُ فِيهِمْ غَرِيبَ الشَّكْلِ مُنْفَرِدًا ❁ كَبَيْتِ حسَّانَ فِي دِيوَانِ سَحْنُون

ويعني ببيت حسان قوله:

وهان على سراة بني لؤيٍّ ❁ حريقٌ بالبُوَيرَةِ مستطيرُ[1]

أجاد ابن النحوي قرض الشعر كما أجاد علوم الدين والفقه والكلام وغيرها، وقد برع في نوع منه وقلّده فيه من أتى بعده وهو شعر التوسُّلات و الابتهالات. وأشهر القصائد التي وصلتنا عنه قصيدة جيمية دُعيت بالمنفرجة، من انفراج الأزمة،وقد نالت من معاصريه وممن أتى بعدهم عناية كبيرة، كما نالته قصيدة شيخه الشقراطسي التي دُعيت بالشقراطسية.

وعاش ابن النحوي درساً متعبِّداً بقلعة بني حماد أكثر من ثلاث عشر سنة كانت عاملاً قوياً على ازدهار الدراسات الفقهية والكلامية على عهد الموحدين فيما بعد، وتوفي كما يقول أبو العباس النقاوسي بالقلعة سنة 513هـ/1119م وقبره بها مشهور.[2]

و ينتمي أبي الفضل المعروف بابن النحوي إلى الفكر الجديد الذي سينفتح على كل ما هو جديد ، و يرجع ذلك إلى وفائه لمبادئ الغزالي، و سوف يثأر له في المستقبل ، و ما يزال ضريحه يقام على القلعة التي خربت عن آخرها.[3]

و جاء في كتاب الفاسي:" ...أنه دخل عليه يوما تلميذه ابن الرمامة وهو في مكتبة بيته فوجد عنده أسفار جديدة التسفير (الكتابة)، فسأله عنها، فقال له هي كتاب الإحياء للغزالي ولو اقتنيته قبل هذه الكتب لم أكتب كتابا منها... "[4].

هذا و قد كان ابن النحوي في بلده بمنزلة أبي حامد الغزالي في العراق علما وعملا .[5]

1- رابح بونار: المرجع السابق، ص.ص186، 187.

2- المرجع نفسه ، ص ص 187، 188.

3- جورج مارسيه: بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى 220.

4- أبي عبد الله محمد محمد بن عبد الكريم الفاسي التميمي : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تطوان ، 2002م،ص350.

5- عبد الحميد الخالدي: نبذة مختصرة لبعض علماء الجزائر في العهد الحمادي، مجلة الثقافة، العدد112، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999م، ص ص158-159.

4-2-2-الأشعرية بين السلطة والفتوى والمجتمع:

لم يمر موقف المرابطين الرسمي من الأشعرية دون إثارة تساؤلات واستفسارات عكست المناقشات التي كان المغرب الأقصى يعرفها، وأشركت هذه التساؤلات علماء الأندلس، بالخصوص فيما كان يجري، وفي هذا السياق تضمن كتاب مسائل ابن رشد سؤالا معبرا وجهه أمير المسلمين علي بن يوسف[1] إلى قاضي الجماعة بقرطبة **أبي الوليد بن رشد (ت 520هـ/1126م)** يستفسره عن أئمة الأشعرية، وذكر منهم أبا الحسن الأشعري و الأسفراييني و الباقلاني وابن فورك و الجويني وأبا الوليد الباجي، مستفسرا «أهم أئمة إرشاد وهداية، أم قادة حيرة و عماية ؟» وصور السؤال جانبا من حدة الحرب المعلنة ضد المذهب الأشعري وعلمائه بالمغرب الأقصى بقوله « و ما تقول في قوم يسبونهم و ينتقصونهم، ويسبون كل من ينتمي إلى هذا المذهب الأشعري ويكفرونه و يتبرأون منهم وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ظلالة وخائضين في جهالة»[2] . إن هذه الشهادة الدقيقة تكمل وتعزز بشكل قوي رواية عبد الواحد المراكشي المشار إليها. وتؤكد الإفادتان معا أن مسألة الأشعرية قد أصبحت لها تداعيات في أوساط العلماء والفقهاء وطلبة العلم، بحكم تطورها داخل الأوساط العلمية من جهة، وبحكم الاهتمام الذي خلقته دعاية ابن تومرت لها، ما يفسر المواقف المتصلبة التي قوبلت بها في بعض الأوساط.

كان تداول علم الكلام الأشعري يتم في أوساط علماء الأندلس بشكل طبيعي، مع وجود فئة من المتحفظين منه سواء من أهل الحديث أو من الظاهريين، أو حتى من بعض المالكيين، ولذلك لم يصبح مذهبا رسميا كما كان الشأن بالنسبة للمذهب المالكي. وفي هذا السياق نفهم موقف قاضي الجماعة أبي الوليد بن رشد الذي بالرغم من قربه من أمير المسلمين علي بن يوسف،

1- وردت هذه الفتوى في الكتاب مرتين؛ نسب السؤال في أولاها إلى أمير المسلمين (ابن رشد، مسائل أبي الوليد ابن رشد، ، ج1، ص716-718)، بينما وردت في المرة الثانية مع اختلافات طفيفة جدا، وأدرجت تحت عنوان « وكتب إليه رضي الله عنه من مدينة فاس، يسأل عن الأشعرية، ومن انتحل طريقتهم، وسمى له فيه جماعة منهم »دون الإشارة إلى صاحب السؤال، ولا علاقة للفتوى بما قبلها، ينظر :مسائل أبو الوليد ابن رشد،ج2،ص836-838.للإطلاع على السؤال و الجواب معا ينظر: الملحقين رقم:08 و 09،ص374-375

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج2، ص 836-868.

واعتباره بمثابة المفتي الرسمي للدولة المرابطية[1] ، فإن جوابه على السؤال المذكور تميز بدفاع قوي عن أئمة الأشعرية الذين استفسر عنهم المسلمين في سؤاله، إلى حد أنه أفتى « بضرب كل من انتقص أحدا منهم حتى يتوب ». وهو بهذا يعلن موقفا مخالفا للموقف الرسمي الواقع تحت تأثير الفقهاء الرافضين للأشعرية بشكل مبدئي .ويجب أن نشير هنا إلى أن ابن رشد نفسه لم يكن أشعري، وكان معروفا بوقف المنتقد لطريقة الأشاعرة في الاستدلال، والتي كان يعتبرها فاسدة[2] ، وقد تلقى في ذلك بعض الردود من معاصريه في مسألة الاستواء التي كان يتبنى بشأنها موقف أهل الحديث. ونلمس في موقفه إدانة لفقهاء المرابطين حينما صرح بأن « العالم على الحقيقة هو العالم بالأصول والفروع، لا من عُنِيَ بحفظ الفروع ولم يتحقق بمعرفة الأصول »[3].

إن موقف المرابطين من الأشعرية لم تمله خلفية نظرية محددة، ولكنه جاء في سياق التضامن مع النزعة المحافظة التي تميز بها بعض فقهاء ذلك العصر المنحازين للسلطة المرابطية، لهذا نجد أن النخبة الحاكمة نفسها كانت تشعر بالتباس وعدم وضوح بخصوص علاقة الأشعرية كمذهب كلامه بالمالكية كمذهب فقهي، ويتضح ذلك من خلال سؤال، لا يخلو من سذاجة، وجهه الأمير أبو إسحاق بن علي بن يوسف من مدينة إشبيلية إلى نفس قاضي الجماعة « سائلا عن الأشعريين هل هم مالكيون أم لا؟ وهل ابن أبي زيد ونظراؤه من فقهاء المغرب أشعريون أم لا؟ وهل أبو بكر الباقلاني مالكي أم لا؟»[4] . يترجم هذا السؤال بجلاء الموقف الفكري الحائر للنخبة السياسية المرابطية في اتخاذ موقف من بعض الأئمة الذين يعتبرون في نفس الوقت من أئمة المذهب

1- كان ابن رشد بحكم توليه منصب قاضي الجماعة بقرطبة بمثابة المفتي الرسمي للدولة المرابطية، فكان أمراء المسلمين يستفتونه في النوازل والقضايا الفقهية و يستشيرونه في غيرها من القضايا السياسية، كما كانت الأسئلة ترد عليه من قضاة العدوة المغربية، ومن قاضي جماع بمراكش أيضا، ينظر: محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص142.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج.2، ص. 970-971.

3- المصدر نفسه،ج2، ص 502-805.

4- المصدر نفسه، ج.2، ص931.

الأشعري ومن أئمة المذهب المالكي، الشيء الذي يؤكد أن النقاش في هذه القضايا الأولية لم يكن قد تطور إلى الحد الذي يتجاوز فيه أسئلة بسيطة وحائرة مثل هذه.[1]

ظلت الأشعرية طوال العصر المرابطي مرتبطة بتدافع المدرستين الفقهيتين المشار إليهما، لذلك لم تتمكن من الخروج من نطاق بعض الدوائر العلمية، مما جعلها بعيدة عن أفهام العامة، بل و أفهام عموم فقهاء المرابطين، بما كانت تثيره من قضايا كلامية تعتمد التأويل والاستدلال العقلي المجرد. ورغم هذا الوجود المحدود لها، فإن الفقهاء الموالين للسلطة المرابطية كانوا جادين في استهدافها ومحاولة تصفيتها لأسباب لا تكشف المصادر عنها بنفس الوضوح الذي تكشف به موقفهم من إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي مثلا. إن ما ذهبنا إليه من ربط بين الاثنين يسهم إلى حد ما في توضيح بعض جوانب هذه المعركة الفكرية التي كانت بالنسبة للمرابطين معارك خاسرة منذ البداية، بحيث بدت السلطة المرابطية وكأنها أرادت أن تقف في وجه تحول كان تياره جازفا لكل من يقف في وجه الأشعرية.

إن تاريخية التحول إلى الأشعرية كانت تفرضها سياقات فكرية وتطورات سياسية أثرت بعمق في البيئة الإسلامية مشرقا ومغربا. ورغم أن المرابطين كانوا ميالين إلى الوحدة الإسلامية، وقدموا في ذلك أنصع المواقف وأغلى التضحيات، إلا أنهم وقفوا في طريق الوحدة العقائدية التي كانت كفيلة بتوحيد أتباع المذاهب السنية المختلفة تحت انتماء عقائدي واحد. لذلك نعتبر أن التعمق في دراسة هذه العناصر الفكرية سيساعد على فهم لغز سقوط الدولة المرابطية وهي في عز شبابها، ولا شك أن العامل الفكري كان له دوره في تفسير ذلك.[2] و في صدد الحديث عن ابن رشد يذكر المغراوي:"وبالرغم من الحماس الذي أبداه ابن رشد في الدفاع عن أئمة الأشعرية، نقف في كتابه أيضا على فتوى تناقض ما سبق، وتسير في جزء منها من نفس اتجاه الموقف الرسمي المرابطي، وتجعل للحاكم الحق في التدخل لمنع العامة من قراءة الأشعرية، « فمن الحق الواجب على من ولاه الله أمر المسلمين أن ينهي العامة والمبتدئين عن قراء مذاهب المتكلمين من الأشعريين، ويمنعهم من ذلك غاية المنع، مخافة أن تنبو أفهامهم عن فهمها فيضلوا بقراءتها؛ ويلزمهم أن يقتصروا، فيما يلزم

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص146، 147.
2- المرجع نفسه:ص147.

اعتقاده، على الاستدلال الذي نطق به القرآن ونبه الله عليه عباده في محكم التنزيل، إذ هو بَيِّنٌ، واضح لائح، يدرك ببديهة العقل بأيسر تأمل في الحين. فيبادروا بعد إلى تعلم ما يلزمهم التفقه فيه من أحكام الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام، ومعرفة الحلال في المكاسب من الحرام "[1].

إن بقية الفتوى تبين أن ابن رشد قد جعل التحفظ السابق توطئة لتقديم موقف علمي رصين من الأشعرية، يشترط فيمن يريد أن يتعامل معها أن يتسلح بقدر من العلم، وأن يدرسها على عالم متمكن، وهذا موقف في غاية الوضوح: " وأما من شدا في الطلب، وله حظ وافر من الفهم، فمن الحظ له أن يقرأها إذا وجد إماما فيها يفتح عليه منغلقها، لأنه يزداد بقراءتها والوقوف عليها بصيرة من اعتقاده، ويعرف بذلك فساد مذاهب أهل البدع، واضمحلال شبههم، فيمكنه الرد عليهم ويحوز بذلك وجه الكمال في العلم، ويدخل به الصنف الذي عناهم النبي عليه السلام، بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين »[2] . تقع هذه الفتوى في الكتاب بعد فتوى أخرى تتناول تلثيم المرابطين، مما يدل على أن الاستفسار قد جاء من المرابطين أيضا. لكن ألا يمكن القول إن الجزء الأول من هذا الفتوى قد استند إليه المرابطون كسند شرعي في موقفهم؟

يمكن التمييز في موقف ابن رشد من المذهب الأشعري بين مستويين؛ مستوى الاحترام والتقدير لأئمته والدفاع عنهم، واعتبار الأشعري طريقا لمعرفة الله والدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد أهل البدع، ومستوى الاعتراض على ادعاء بعض الأشاعرة أنها هي الطريق الوحيد لتحصيل العقيدة الصحيحة. وبما أننا لا نستطيع التأريخ للموقفين معا، فلا يمكننا أن نضعهما في سياق كرونولوجي محدد، ويظل تفسيرها مرتبطا بمواقف معروفة لعلماء آخرين مثل الإمام أبي حامد الغزالي الذي رغم أنه أشعري، فإنه ألف كتابه "إلجام العوام عن علم الكلام".[3]

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص148.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج. 2، ص. 860-861

3- محمد المغراوي: المرجع السابق،ص149.

و لا شك أن اتخاذ المرابطين لمواقفهم من فكر الغزالي ومن الأشعري قد أملته اعتبارات دينية وسياسية كان محركها هو رغبتهم في الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية للمجتمع، وقد شاطرهم في ذلك عدد من العلماء خاصة بالأندلس ممن كانوا يشعرون بهشاشة المجتمع الأندلسي في مواجهة الضغط النصراني، وحاجته إلى الحفاظ على وحدته المذهبية بأي ثمن. لكن ظروف التحول الفكري الذي كانت مختلف البيئات الإسلامية تعرفه كانت تسير في اتجاه معاكس للمواقف المتصلبة التي اتخذها المرابطون.

و يعلق خالد زهري على الباحثين- سواء المتخصصون منهم أو غير المتخصصين في هذه المرحلة- الذين أصدروا أحكاما فيما يتعلق بالفترة المرابطية حيث أن هناك إجماع منهم أو يكاد على أن فترة المرابطين فترة جمود فكري و كلامي و فقهي و فلسفي، و أن هذا العصر أضر بكل العلوم، بفعل توجهه الأحادي نحو الفقه و فقه الفروع، و أن المرابطين احتكروا الميادين الفكرية، و كتموا أنفاس الناس، و منعوهم من التعبير عن كل تطلع للتحرر و التجديد، و أن فقههم كان متحجرا. و لست ادري كيف يتم – عند إصدار مثل هذه الأحكام- تجاهل حقيقة ثابتة و هي أن هذه المرحلة، عجت بفقهاء من الطراز الرفيع و كانوا من أرباب الفقه الاستدلالي، لا الفقه الفروعي؟!

و لو لم يظهر في هذه المرحلة إلا أبو الوليد ابن رشد القرطبي(الجد)(ت 520هـ/1126م)، دون سواه لكفانا دلالة على الواقع الفقهي، الذي و إن لم يخل من مظاهر للتقليد الفقهي الجامد، فإنه لم يخل أيضا من مظاهر التجديد في الفقه المالكي، و يكفي الرجوع مثلا: إلى كتابه" البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل في المسائل المستخرجة" للوقوف على المستوى الإبداعي المتميز و الرفيع للرجل.[1]

و يضيف أيضا: أنه مما وقع فيه الباحثين من جراء الحكم المسبق، الاعتقاد بأن الازدهار الكلامي، يرتبط بالمذهب الأشعري، فحكموا بالجمود على أي مدرسة غير أشعرية، إذا كانت تنطلق من أسس كلامية مخالفة، و من هذا القبيل وصف علم الكلام في المرحلة المرابطية أيضا بأنه كان من العلوم المهجورة. والصحيح أن يقال: إن علم الكلام الأشعري هو الذي كان من العلوم

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري،ص91، 92.

المهجورة، لا مطلق علم الكلام. و من قبيله أيضا وصف موقف المرابطين من المذهب الأشعري بالجو المفعم بالعداء للكلام و المتكلمين، و هناك من قال:" و يأتي هذا الموقف المرابطي، منسجما مع اختياراتهم السلفية في العقيدة، التي تقبل النصوص على ظاهرها، و ترفض الخوض في تأويلها و اعتماد العقل للدلالة عليها".و الصحيح أن يقال: الجو المفعم بالعداء للأشعرية و الأشعريين، إن مذهبا كلاميا آخر كان سائدا، و كان له نظاره المنافحون عنه، و هو مذهب أهل التسليم و التفويض، الذي لا يسعنا إلا ان نعتبره من أهم المذاهب الكلامية القوية، في تاريخ علم الكلام، و لهذا سموا لدى المؤرخين للفرق الإسلامية، بـ المتكلمين الصفاتية، و المتكلمين من السلف. و لو كان الأمر كما قررته الدعوى المذكورة، لما صح نعتهم بـ "بالمتكلمين".[1]

4-3- الأشعرية بين المرابطين وابن تومرت:

تمكن ابن تومرت في هذا الجو المشحون بالعداء الرسمي للأشعرية من استغلال الوضعية بذكاء ودهاء بالغين في دعاية منظمة ضد المرابطية كدولة وكتوجه فكري وعقدي، مستهدفا نقض أسس توجهها العقدي- المذهب المالكي-[2]، وواصفا إياها بالتجسيم والانحراف عن العقيدة الإسلامية الصحيح المتصفة بتنزيه الذات الإلهية عن أي شبه بالمخلوقات، وقد اشتط في موقفه هذا إلى حد اتهام المرابطين بالتجسيم، بل والمجازفة بتكفيرهم، محاولا بذلك استغلال مشاعر الكراهية لهم خاصة في الوسط المصمودي وتأجيجها، ومتجاوزا في نفس الوقت تحفظ الأشاعرة أنفسهم في مسألة تكفير أهل القبلة[3] . ومن هنا يتضح أن ابن تومرت وظف الأشعرية في نقاشاته لأهداف سياسية بالدرجة الأولى ومما يجب التأكيد عليه أنه رغم ندائه بالأشعرية واستخدامها كورقة في حربه ضد المرابطين، فإنه لم يكن أشعريا بالمعنى الحرفي، ويظهر ذلك جليا في عقيدته التي سماها المرشدة، والتي لم يضمنها أي عنصر من عناصر التأويل الأشعري، وظل جوهرها يناسب الموقف السلفي بنفس القدر الذي يناسب الأشعرية خاصة في تناول الصفات الآلهية، يقول الباحث سالم يفوت:"

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري،ص 93، 94.

2- للإطلاع على علاقة ابن تومرت بالمذهب المالكي ينظر: عبد الحق الطاهري: ابن تومرت و المذهب المالكي،دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، السنة الحادية والخمسون، العدد 391، الرباط،2009،ص:88-101.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي ،ص149.

فجل الدارسين، القدامى و المحدثين، لا ينتبهون إلى أن قوله– ابن تومرت– بالتنزيه، جاء لأغراض السجال و الرد على من اعتبرهم يوغلون في التشبيه و التجسيم، و هم في نظره: المرابطون"[1].

وهذا ما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية – يستبعد بعد قرنين — أن تكون هذه العقيدة الصافية من منظور أهل السنة، قد صدرت عن ابن تومرت الذي اعتبره مبتدعا. ومما خالف فيه ابن تومرت أئمة الأشعرية أيضا مسألة نشرها بين العامة، حيث تجاوز الموقف الواضح للإمام أبي حامد الغزالي الذي بلوره في كتابه إلجام العوام المشار إليه، وهو نفس الموقف الذي أشير إليه من قبل عند أبي الوليد ابن رشد.[2]

لقد أسفر اتصال ابن تومرت بالوسط السياسي والعلمي المرابطي عن سوء تفاهم أدى إلى تنافر وعداء، وفي الواقع يبدو أنه قد استعصى على المرابطين وبعض فقهائهم — بحكم تكوينهم — فهم أبعاد ابن تومرت فيما كان يدعو إليه، واعتبروا موقفه تحديا سياسيا مباشرا للدولة، بل إن الفقيه الأندلسي مالك ابن وهيب الذي كان على إلمام واسع بعلم الكلام والفلسفة قد سار في نفس الاتجاه، ولم يتردد في تحريض أمير المسلمين علي ابن يوسف على قتل ابن تومرت، وهذا الموقف بالذات يعكس حالة الأزمة الفكرية التي كانت مسيطرة على الفقهاء المتحالفين مع المرابطين، والمتمثلة في عدم استيعاب المتغيرات الثقافية، أو على الأقل عدم القدرة على التعاطي معها علميا.

كان من نتائج هذا التفاوت الفكري بين الطرفين أن سد باب الحوار بسرعة بينهما، وقد ساهمت طريقة ابن تومرت المستفزة والمتعالية، والتي كانت في بعض الأحيان بعيدة عن الأسلوب العلمي الهادئ، ومتأثرة إلى حد كبير بأسلوبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الإسراع بالوصول إلى تلك النتيجة لكن تبين بجلاء من خلال مناظرة الفقهاء لابن تومرت استحالة التفاهم بين عقليتين، إحداهما ذات نزعة نقدية عقلية استفزازية، تتحرك بوعي، ويقظة إزاء المشاكل والتطورات التي كان الاجتماع الإسلامي يعرفها ويمثلها ابن تومرت، والأخرى محافظة ذات نزعة

1– سالم يفوت: الأشعرية في المغرب، ص64.

2– ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج11، ص486، 487؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص150.

فروعية مقلدة جسدها فقهاء المرابطين. ولم يكن هذا التناقض ليؤدي إلا إلى خلق صراع بدأ كلاميا ثم تحول إلى إعلان ثورة مسلحة.[1]

هذه الثورة أدت إلى فتنة بالمغرب الإسلامي، بسبب الأفكار التي جاء بها ابن تومرت، حسب الباحث خالد كبير علال الذي يرى:" ...كان المغاربة على مذهب السلف في أصول الدين زمن دولة المرابطين(451-541هـ) ، فلما اظهر محمد بن تومرت المغربي المصمودي الأشعري (ت 524هـ/1130م) دعوته ، كفّر مخالفيه من المغاربة ، و اتهمهم بالتشبيه و التجسيم ،و استباح دماءهم و أموالهم ، و دخل في حروب طاحنة مع المرابطين ، و أدخل المغرب الإسلامي في فتنة دامية ، و فرض الأشعرية على الرعية ، و عندما تُوفي واصل أتباعه دعوته ، و ارتكبوا مجازر رهيبة في حق المرابطين عندما دخلوا مدينة مراكش سنة 541هـ/1147م ، و يُروى إنهم قتلوا منهم سبعين ألف شخص[2] . و قد وصف ابن القيم الجوزية ابن تومرت و أفعاله بأنه : ((رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل ، قتل النفوس و أباح حريم المسلمين ، و سبى ذراريهم ، و أخذ أموالهم ، و كان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير ، و استباح قتل مخالفيه من العلماء ، و سمى أصحابه موحدين ، و هم جهمية نُفاة لصفات الله تعالى))[3] .

وصفوة القول فإننا نخلص من كل ما سبق إلى أن الدولة المرابطين شاء لها مؤسسها والناظرون السياسيون لها أن تقوم على عقيدة الأشاعرة[4]، لكن وجودها الفعلي قام على عقيدة أهل التسليم والتفويض التي كانت قد عرفت تجذرا في جل المغرب الإسلامي. وبذلك يتأجل موعد أهل المغرب الإسلامي مع هذه العقيدة رسميا نظرا لقوة التدافع الذي أبداه مفكرو هذه العقيدة السابقة أما ممثلين جدد لهذه العقيدة الجديدة.

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي ،ص150، 151.

2- خالد كبير علال: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث،ص25، 26.

3- المرجع نفسه:ص26.

4- للمزيد حول هذه الفكرة ينظر: هشام العلوي القاسمي: الدولة المرابطية تطور سياسي بمرجعية مالكية و أشعرية و امتدادا تاريخي تأهيلي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الرابع و الخمسون،المغرب،2010،ص:217-246.

خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين، فقد توصلنا للنتائج التالية:

أولا: أن مرحلة دخول المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي استغرقت مدة طويلة ابتدأت بأوائل من كان له السبق في هذا المجال في أواخر القرن الرابع الهجري لتستمر إلى بداية القرن السادس.

ثانيا : عكس ممثلي الفكر الأشعري في هذه المرحلة في الغرب الإسلامي التأثير الواضح لمتقدمي الأشاعرة وبخاصة تأثير أبي بكر الباقلاني و أبو المعالي الجويني، و أبي حامد الغزالي، فجعل أشاعرة هذه المنطق في هذه الفترة الذين سافروا إلى المشرق واحتكوا وتلقوا عنهم الأصلين، أو عن من كانت له صلة وطيدة معهم، فأفرز لنا ذلك جيلا من الأشاعرة يتميز بما تميز به متقدمو الأشاعرة مضمونا ومنهجا.

ثالثا: أن كثير بعض الباحثين المعاصرين حينما تحدثوا عن ظهور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ركزوا على منطقة دون أخرى، فجعلوا من تونس مثلا المنطقة التي مثلت الشرارة الأولى لانطلاق هذا المذهب وحضوره في كامل الغرب الإسلامي. ونحن من جهتنا لا ننكر الدور الذي قامت به هده المنطقة وبخاصة القيروان في هذا المجال عندما كانت منبعا ثقافيا فياضا، وملتقى فكريا احتضن مجموعة من المفكرين المتطلعين نحو التغيير والإصلاح، وتجديد الفكر وتطويره، فكان منهم رجال قاموا بأدوار في نشر هذا المذهب بإفريقية، والمغرب، والأندلس. ولكن هذا لا يعني أن المغرب أو تونس وحدها هي التي قامت بهذا الدور. و هناك من يجعل من المغرب الأقصى بمدنه فاس و مراكش و سبتة مرجعا أساسيا في الحديث عن الفكر الأشعري و ممثليه و انتشاره و تطوره، و نحن نقول أن كل من: دراس بن إسماعيل ،و القابسي، و الطلمنكي، المرادي و أبو عمران الفاسي،و أبو الفضل النحوي، و الباجي ...وغيرهم كثير.كل هؤلاء هم تونسيون، مغاربة، و جزائريون، لكن بكلمة واحدة أصح هم مفكرون أنتجتهم تربة واحدة هي تربة المغرب الإسلامي.

و في الأخير فإن ما يمكننا التأكيد عليه أكثر هو أن المذهب الأشعري عرف في هذه المرحلة بالغرب الإسلامي طابعا فرديا. يمثله أفرادا عادوا من المشرق وقد احتكوا بممثلي هذا المذهب هناك، فيعملون على نشره بين أفراد آخرين تجمعهم بهم علاقات تعليمية وثقافية فلم يقووا على الظهور

بمظهر جماعي، فظل هذا المذهب إلي حين ظهور الدولة الموحدية.مذهب نخبة عالمة، تسعى من جانبها إلى نشره بين الناس؛ لكن مع قيام الدولة الموحدية سيعرف المذهب تغلغله وتفشيه الكبير، لأنه مثل بالنسبة لها الشعار الإيديولوجي،بحيث سيصبح المذهب الرسمي لهذه الدولة الجديدة، ولباقي الدول التي ستتعاقب الحكم في الغرب الإسلامي. فكيف صار هذا المذهب العقدي الجديد مذهبا رسميا للموحدين؟ وهل عرف في ذلك تطورا؟

الفصل الرابع:

المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين.

1- نشأة الدولة الموحدية.

2- أسس الدعوة الموحدية.

3- مكانة الفقهاء في العصر الموحدي.

4- الدولة الموحدية و المذهب الأشعري.

5- رجالات الأشعرية في العصر الموحدي.

5-1- محمد ابن تومرت (ت **524**ه/**1130**م).

5-2- أبو بكر ابن العربي (ت **543**ه/**1148**م).

5-3- أبو الحسن بن حرزهم (ت **559**ه/**1163**م).

5-4- أبو علي المسيلي (**580**ه/**1184**م).

5-5- السلالجي(ت **594**ه/**1197**م).

5-6- الكتاني(**596**ه/**1199**م).

خلاصة.

إذا كنا في الفصل السابق قد تعرضنا إلى مرحلة أولى من حياة المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، و التي اتسمت بالطابع الفردي نتيجة قوة الخصم المدعم من قبل الدولة المرابطية، فإننا في هذا الفصل سنعالج مسار هذا المذهب بعد تصدع الكيان المرابطي، و من خلاله سنحاول معرفة ما إذا كان المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي سيحافظ على نفس الوتيرة التي كان يسير عليها خلال العهد المرابطي أم أن الحظ سيبتسم له مع قيام الدولة الموحدية؟ و سيعرف تطورا ؟

قد سبق و أن أشرنا إلى أن هناك من المؤرخين من ذهب إلى القول بأن أول ما عرف المغرب الإسلامي الفكر الأشعري كان على العهد الموحدي، مقصيا بذلك أي وجود له بالديار المغاربية قبل القرن السادس الهجري، إلا أن ما أثبتناه في الفصول السابقة يؤكد العكس.

و مع ذلك فإن ما ذهب إليه أولئك المؤرخون يحمل بعض الدلالات، فهم بقولهم ذلك إنما تحدثوا عن مرحلة متقدمة من مراحل تواجد هذا المذهب ببلاد المغرب الإسلامي، و هي مرحلة ساهم فيها الموحدون بقسط كبير في بسط سلطان هذا المذهب بهذه البلاد بعد أن قوّضوا أركان الدولة المرابطيّة التي كانت تقف حجر عثرة أمام اتساع نطاق الفكر الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي.

و بناء على ذلك فقد اتخذ السعي وراء ترسيم المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي طابعا سياسيا، و قد تعددت أشكال المعارضة السياسية للمرابطين ومن بينها المعارضة النظرية ،وهي معارضة تزعَّمها مجموعة من المفكرين كرَّسوا مجهوداتهم النظرية في ترسيخ هذه العقيدة الجديدة.

و قد اقتصرنا على ذكر أشهرهم، خاصة أولئك الذين وصلتنا أثارهم العقدية، و اشتهرت أعمالهم في زمنهم و في أزمان غير زمنهم، فمثَّلوا بذلك سلطة معرفية كبيرة، و هم على التوالي: بن تومرت،و ابن العربي، و ابن حرزهم، و أبو علي المسيلي، و السلالجي، و الكتاني و قبل التطرق لمختلف الأدوار التي قام بها هؤلاء كان علينا لزاما أن نعرّف في بداية الأمر بالدولة الموحدية.

1- نشأة الدولة الموحدية:

1-1- أصل تسميتهم بالموحدين:

تبنى بن تومرت في دعوته مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات، حيث نفى ما عساه أن يوهم بالشبه والتمثل لله سبحانه وتعالى، وكل ما من شأنه أن يشبه بأفعاله وأقواله حتى ولو كان ذلك في صفاته الموجودة في الكتاب والسنة، ولهذا أطلق على أصحابه اسم الموحدين لأنهم في رأيه هم الذين يوحدون الله سبحانه وتعالى وتمييزا على أعدائه المجسمين المرابطين.

إضافة إلى أن هناك من يرجح تسمية الموحدين إلى أن قوام دعوة الموحدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بالتوحيد على طريقة الشيعة ومن تأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم ،والحديث النبوي الشريف، ومن أجل ذلك سمى أتباعه بالموحدين[1].غير أن ابن القطان يرى أن أصل الموحدين عند بن تومرت هو تلك القبائل التي ناصرته أثناء دعوته، وهي من مصمودة و هي كالتالي: " هرغة، تينملل، جدميوة ، جنفسية، هنتانة، وأهل هذه القبائل "[2]

ويضيف المراكشي إلى القائمة السابقة " قبيلة كومية، هسكورة، صنهاجة، دكالة، جاحة، رجراجة، جزولة، لمطة "، ولكن المراكشي لا ينص إن كانت هذه القبائل الموحدية في عهد بن تومرت، أم في عهد خلفائه، كقبيلة " كومية " التي التحقت بقبائل الموحدين وهي قبيلة عبد المؤمن بن علي.[3] ، و يرى ابن تيمية أن بن تومرت هو الذي سمى أصحابه بالموحدين.[4]

1-2- بداية الدعوة الموحدية:

قامت الدولة الموحدية على أسس إصلاحية دينية بحتة بزعامة الداعي محمد بن تومرت الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها [5] تلقى العلم بالحواضر المغربية في البداية ومنها سبتة و مراكش التي

1- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، القاهرة،2003، ص 111.

2- علي بن محمد الفاسي ابن القطان: نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق: محمد علي مكي، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، ص 28.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب ،ص: 137.

4- للمزيد حول هذه الفكرة ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى،ج11،ص485.

5- عز الدين عمر موسى: الموحدين في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمنهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991 م، ص:35.

كانت تضاهي عاصمة العباسيين بغداد في التطور والازدهار[1] ، ثم انتقل إلى المشرق في طلب العلم وكانت البداية من قرطبة[2] حيث أخذ العلم عن أفاضل علمائها حيث أخذ فيها عن الفقيه أبي بكر الطرطوشي[3] و حضر مجلسه [4]، كما أخذ عن جماعة من كبار العلماء و الفقهاء بالمشرق كالإمام أبي حامد الغزالي الذي أثارت مسألة لقائه به شكوكا ، وأمر التقائه بحجه الإسلام لم يكن مؤكدا في مصنفات المؤرخين فقد انقسمت مواقفهم فمنهم من شكك فيه ، ومنهم من نفاه ، وهناك من أكده [5]، فالمراكشي و ابن خلدون كانا من المشككين فيه ، فالأول يقول في كتابه ما يلي "وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده [6]، ومن الذين نفوه نجد ابن الأثير حيث يقول: الصحيح انّه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى المغرب [7] . وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك بقولهم أن رحلته إلى المشرق لم تتجاوز الإسكندرية بمصر.

المثبتون لهذا اللقاء كانوا أيضا كُثر وذلك بناء على أدلة اعتمدوا عليها، ومنهم ابن القطان[8] وصاحب روض القرطاس إذ يقول :" لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الإمام. الأوحد بحامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه لازمه لاقتباس العلم ثلاث سنين "[9] .

و بناء على تحليلات منطقته فإن هذا اللقاء بين بن تومرت والغزالي لم يتم لأن هذا الأخير بقي متنقلا بين دمشق و القدس إلى غاية سنة (499 هـ / 1106 م) [1] ، و كان ببغداد ما بين

1- علي عبد الله علام : دعوة الموحدين بالمغرب، ط 1، دار المعرفة، الرباط، المغرب1964، ،ص : 122.

2- قرطبة تقع على نهر ببلاد الأندلس فقام فيها الأمويون فيما سبق، أنظر محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص : 406

3- هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، و يكنى ابا بكر و يعرف بابن أبي رندقة، رحل إلى المشرق للحج و دخل بغداد و البصرة، اشتهر بالورع و الزهد و التواضع و كان إماما عالما، و هو صاحب كتاب سراج الملوك ، توفي بالإسكندرية سنة 520 هـ/1126م، ينظر : المقري: نفح الطيب ،ج2، ص :212.

4- مجهول: الحل الموشية، ص : 104 .

5- ابن القطان:نظم الجمان، ص:117.

6- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص :178.

7- ابن الأثير: الكامل، ج 8 ، ص : 233 .

8- ابن القطان: نظم الجمان، ص : 18.

9- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص : 120 .

(484-488 هـ/1091 -1095 م) ، و بعدها حل بنيسابور سنة (505هـ /1111م) ، فمتى كان لقاء الغزالي ومحمد بن تومرت ؟ [2] ، وهذا يُقرُّ أن الأرجح هو عدم التقاء المهدي بالغزالي.

و تذهب بعض الروايات إلى أنَّ هذا اللقاء قد تم وتذكر تفاصيله حيث أن الغزالي سأل بن تومرت عن كيفية استقبال أهل المغرب، والأندلس لكتاب الأحياء الذي ألفه وذلك بعد أن علم أنه من المغرب، فاستحيا بن تومرت أن يجيبه فألحَّ عليه فأجابه بأن المرابطين أحرقوه، فدعا الغزالي عليهم بقوله: (اللهم مزق ملكهم كما مزقوه، واذهب دولتهم كما أحرقوه) [3]

وأشار الغزالي إلى أن ذلك سيكون على يد رجل مغربي[4].

عاد بن تومرت إلى بلاد المغرب متشبعا بأفكار الغزالي و ببعض الأفكار الشيعية[5] و طرد من الإسكندرية أثناء رحلة عودته إلى المغرب لتذمر الناس من دعوته القائمة على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وتبنى أفكارها الكثير من أهله وتأثروا بها .

و في طريق العودة نزل بالإسكندرية بعض الوقت، و في تلك المدة بدأ في ممارسة دعوته القاضية بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فاشتكى الناس منه وهذا ما دفع واليها إلى طرده. ومنها خرج في سفينة متجهة إلى المغرب سنة (510هـ/1116م) ، فنزل أولا بطرابلس [6]، بعدها اتجه إلى المهدية التي كان واليا عليها يحي بن تميم المعز الصنهاجي .

1-أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال، ص:19 .

2- الطاهر المعموري : الغزالي و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990 م، ص : 28 - 29

3- Andrée Julien : Histoire de L'Afrique du Nord , P 441

4- ابن القطان: نظم الجمان، ص: 132.

5-Charle Andrée Julien : op.cit, P 441.

6- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971م، ص: 97.

و بعد توجهه إلى المهدية[1] أخرجه صاحبها يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي لنفس السبب الذي طرد من أجله من الإسكندرية و بجاية. أين استخدم العنف و القوة في النهي عن المنكر ضرب الناس بالعصي لرؤياه يوم العيد مختلطين نساء و رجالا ، وهذا ما أثار الناس ضده فخرج إلى ملالة وبني له بها مسجدا حيث قصده طلبته فيه لحضور مجلسه ، و هناك التقى بعبد المؤمن بن علي[2] الذي كان متوجها إلى المشرق رفقة عمه لطلب العلم[3] .

و خرجا معا متجهين إلى المغرب الأقصى وكان معهما الونشريسي صاحب المهدي[4] ،وفي طريقهما طريقهما نزلا بتلمسان بمسجد العباد.

وفي مدة إقامته بها تمكن من كسب ثقة الأهالي وحبهم [5] ، ومنها اتجه إلى فاس[6] ، حيث لقن العلم لطلبتها، وهي الأخرى طرد منها للأسباب ذاتها دوما و بعد هذه المرحلة من الحواضر المغربية يعود بن تومرت إلى مسقط رأسه بإيجليز. وفيها أعلن المهدي عدائه للمرابطين وحث الناس على محاربتهم وإبراز مناطق ضلالهم [7] وعمل على التحريض ضد المرابطين ودعا إلى قتالهم ومحاربتهم، كما اهتم في هذه المرحلة بالتمهيد لمهدويته بالاستعانة بالأحاديث النبوية التي تخدمه، ولما تمكن له عدد من الأتباع أعلن عن مهدويته وتمت مبايعته بالمهدوية سنة (518 هـ/1124 م)، واتخذ من

1- المهدية تقع بساحل افريقية وبينها وبين القيروان ستون ميلا، وكانت قاعدة إفريقية، أنظر الحميري، الروض المعطار، ص: 561 -562.

2- البيذق: المصدر السابق، ص: 32، 33.

3- صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص:9 ،10

4- البيذق: المصدر السابق، ص:39.

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 181.

6- فاس تقع ببلاد المغرب، يشقها نهر آبير يقسم المدينة إلى عدوتين، القرويين والأندلس، بينها وبين سجلماسة مرحلة، أنظر: محمد الشريف الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م، ص: 131.

7- المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1985م،ص: 25.

تينملل مقاما له ولأتباعه[1]، وانتقل بدعوته إلى مرحلة العنف والقوة والصراع مع المرابطين[2]، وبداية هجومه العسكري على المرابطين كانت بتوجيهه لحملة عسكرية بقيادة عبد المؤمن بن علي إلى مراكش، حيث التقى الجيشان في معركة البحيرة سنة (524 هـ/1130م)التي انهزم فيها الموحدين وتوفي المهدي في السنة نفسها[3]، وقد أخفى خبر وفاته قرابة السنتين بويع لعبد المؤمن قبلهما بيعة خاصة من أهل العشرة وفي سنة (526هـ/1132م) أخذت له البيعة العامة.

عند تولي عبد المؤمن أمر الموحدين عمل جاهدا على تنظيم شؤونهم وتوحيد صفوفهم وبقي بتينملل إلى سنة (528هـ/1134م) وبعدها سار واستولى على الجبال المجاورة له وبهذا بدأ مسيرته في السيطرة على الحواضر المغربية وتأسيس دولة مترامية الأطراف.

1-3- توسعات عبد المؤمن بن علي:

بدأ عبد المؤمن توسعاته على حساب الأراضي المجاورة له بالمغرب وبعدها عمل على ضمّ المغربين الأوسط والأدنى وحتى الأندلس؛ حيث قام بالتوجه إلى تادلا[4] سنة (526 هـ/1131م)) وسيطر على درعة[5] ، ودخل الموحدون تارودنت[6] و إيجلي سنة (529 هـ/1134م)، ثم توجه ناحية تلمسان فأطاعته غمارة ، وبعدها بسنتين توفي علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي[7]

1- محمد أحمد أبو الفضل:شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515هـ/686هـ) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص122.

2- بن قربة: عبد المؤمن بن علي، ص:18.

3- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص:780

4- تادلا تقع ببلاد المغرب، وهي مدينة قديمة حصنها منيع بناها المرابطون، أنظر أحمد الحميري: الروض المعطار، ص: 127.

5- درعة تقع بالمغرب وتبعد عن سجلماسة بثلاث مراحل، أنظر الحميري: المصدر نفسه، ص: 235-236.

6- تقع بالسوس وأهلها يتبعون المذهب المالكي، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:131.

7- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 102.

وخلفه ابنه تاشفين، وفي تلك الفترة حصل خلاف بين لمتونة ومسوفة المرابطيتين فتغيرت الأوضاع إذ انضمت مسوفة إلى الموحدين[1] وحوصر بوهران، واستطاع الموحدون إخضاع تلمسان و وهران سنة (539هـ /1144م) [2].

ثم حاصر عبد المؤمن مدينة فاس سنة (540هـ/1145م)، وأرسل جيشا لمحاصرة مكناسة فاستولوا على فاس، ثم وَّجَّه جيشا إلى برغواطة فدخلها وفي سنة (541هـ/1146م) ثم حوصرت مراكش إلى أن سقطت في أيديهم[3]. بمساعدة الجنود النصارى حيث توجه الموحدون إلى مراكش معقل المرابطين وتموقعوا بجبل جليز[4] ثم نزلت كل قبيلة في موضعها وإرتقى الموحدون على السور ودخلوا المدينة عنوة من باب ايلان وقتلوا ما أدركوا من المرابطين ثم تحصن الأمير إسحاق مع أعيان المرابطين في القصبة حتى أدركهم المرابطون فعفوا عن سير بن ينتيان لقوله خيرا في المهدي و وجدوا الأمير إسحاق قد إختبىء في أحد الغرف فسيق إلى عبد المؤمن الذي أشفق عليه لصغر سنه (16سنة) لكن أشياخ الموحدين عزموا على قتله وكان لهم ذلك ، ليتملَّك الموحدون مراكش عاصمة المرابطين.[5] أما صاحب الحلل الموشية فقد ذكر أن الموحدين لما حاصروا مراكش وضعوا كمائن ثم تظاهروا بالإنهزام فهجم عليهم المرابطون فثارت الكمائن وهجموا على المرابطين وقتلوهم ثم طال الحصار على البعض الآخر حتى فنيت مخازنهم ووصل بهم الحد إلى أكل لحم دوابهم ومات منهم جوعا ما يقارب 120 ألف وبذلك فتح الموحدون مدينة مراكش.[6]

1- بن قربة: عبد المؤمن بن علي، ص: 29.

2- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 118-119.

3- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1985،ص- ص : 24-27.

4- ذكر صاحب الحلل الموشية أن الموحدين بنوا بهذا الجبل الصغير مسجدا وصومعة طويلة. مطلة على مراكش لمراقبتها. مجهول: الحلل الموشية ، ص137.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص27،28. ينظر أيضا:

RACHID BOUROUIBA: abd al-mu'min (flambeau des almohades) , 2 édition , sned ,alger, 1982 , p 34

6- مجهول: الحلل الموشية ، ص ص 137-138. وقد نقل لنا صاحب الحلل الموشية اشتداد الجوع على المرابطين من أهل مراكش في الصفحة 138 بقوله:" ولما طال عليهم الحصار و اشتدت أحوالهم، هلكوا جوعا حتى أكلوا الجيف وأكل

وكان فتح الموحدين لمراكش سنة(541هـ/1147م) [1] ضربة قاصمة للمرابطين الذين فنيت دولتهم ، وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الموحدين لما أحضروا الأمير إسحاق ومعه مجموعة من أعيان المرابطين فقرر الموحدون إعدامهم[2] فأخذ الأمير إسحاق يبكي هلعا ويرتعد خوفا ويدعوا لعبد المؤمن فقام إليه الأمير سير بن الحاج وبزق في وجهه وقال تبكي على أبيك وأمك إصبر صبر الرجال و تم إعدامهم ، أما البيذق فأخبرنا أن الأمير إسحاق كان يقول لأمير المؤمنين عبد المؤمن :"... يا أمير المؤمنين مالي في الرأي شيء ، فيقول له طلحة أصمت عنا. هل رأيت ملك يتضرع لملك مثله، وضربت عنق إسحاق..."[3]

وبعد إستيلاء الموحدين على مراكش وفدت جميع القبائل من المصامدة بأسرها وإستوثق أمر المغرب لعبد المؤمن بن علي ولم يبق له منازع.[4]

=أهل السجن بعضهم بعضا وعدمت الحيوانات كلها والحنطة بأسرها واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء وعجزت عساكر اللمتونيين حينئذ عن الدفاع و الإمتناع" .

1- البيذق: المصدر السابق ، ص65 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص28 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص138 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص143؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص190؛ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط 1، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص08؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6، ص310 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص205؛ السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص98 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1، ص231 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ،ج1، ص263 ، ينظر أيضا:

ALFRED BEL: documents récents sur l'histoire des almohades , revue africaine , 1930 , alger , volume 71 , p :

2- ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص205 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص139؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص231.

3- البيذق: المصدر السابق ، ص65.

4- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189.

وذلك سنة (541هـ /1146م) [1] دخلوا أغمات و طنجة، وبسقوط مراكش انتهى مُلك المرابطين، وفي هذه السنة قُتل آخر أمراء المرابطين إسحاق بن علي، وبموته بسط عبد المؤمن سلطانه على ملك المرابطين بيد أن توسعات عبد المؤمن بن علي تعرضت إلى جملة من الاضطرابات كقيام ثورة ابن هود الماسي الذي ادَّعى المهداوية وذلك سنة (542 هـ/1147م)، حيث استطاع عبد المؤمن القضاء عليها [2].

وبعدها تم إخضاع سجلماسة و مكناسة، كما دخلوا مليانة سنة (544هـ/1149م) و سبتة [3]، ثم أتى دور الجزائر التي دخلوها صُلحا وفتحت لهم أبواب بجاية فدخلوها[4] ، وتوالت بونة و قسنطينة [5] ، وفي سنة (554 هـ 1159م) توجه الجيش الموحدي إلى المهدية[6] بعد أن خضعت لهم تونس. و بقي محاصرا للمهدية التي استعصت عليه في البداية، و في تلك الفترة، دخل سوسة، و قفصة، و القيروان، و قابس، و تمكن من دخول المهدية سنة (555هـ/1060م)، فطلب النصارى الذين كانوا بها الصلح من عبد المؤمن بن علي، و أن يمكنهم من الخروج بآمان، و بدخول عبد المؤمن بن علي هذه المدينة ملك المغرب بأقسامه الثلاثة و انطوت تحت لواء الموحدين.و تعتبر هذه السنة في تاريخ المغرب السنة التي تحققت فيها وحدته السياسية و خضع لخليفة واحد في مراكش.[7]

1- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب،ج5، ص: 28.

2- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 20.

3- مجهول: الحلل الموشية، ص: 148-149.

4- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 121 -122.

5- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية ، ج2، ص:428.

6- عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب(العصر القديم والعصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء ، ب.ت، ص: 117.

7- عبد العزيز عبد الله: المرجع السابق،ص118؛محمد بن عبد السلام ابن عبود: تاريخ المغرب،ط3،دار الكتاب، الدار البيضاء،1961،ص201.

2- أسس الدعوة الموحدية:

لاحظنا سابقا أن بن تومرت أعلن عداءه وحربه– جهاده- على المرابطين حربا لا هوادة فيها ولا رحمة،[1] فاتهمهم بفساد العقيدة ووصفهم بالمجسمة، ومن ثم فهم كفار، ومما قاله: " باب في وجوب جهادهم -المرابطين – على التجسيم والكفر وإنكار الحق[2]، وحرض أتباعه على محاربة المرابطين ووصف المقتول منهم بالشهيد بينما وصف من قتل من المرابطين فهو في النار"[3]. لكن هذه المزاعم باطلة لا أساس لها من الصحة، فقد فندها كبار العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " ...واستحل – بن تومرت – دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك و أهل المدينة، يقرؤون القرآن والحديث كالصحيحين والموطأ وغير ذلك والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم "[4].

و قال الإمام الذهبي: " إن أهل المغرب ما كانوا يدينون إلا بتنزيه الله عز وجل ووصفه بما يجب له مع ترك الخوض فيما تقصر العقول عن فهمه، فكفرهم بن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وقال: إن من لم يعرف ذلك لم يعرف الخالق من المخلوق[5] ، وقال ابن كثير في أبي بكر بن عمر: " وكان وكان يسير في الناس سيرة حنة مع صحة اعتقاده ودينه "[6].

كما اتهم علماء المرابطين وأمراءهم على الفساد والظلم، وادعى أن علماء المرابطين أداة طيعة في يد الأمراء حيث قال : " باب في معرفة أتباعهم الذين أعانوهم في ظلمهم وصدّقوهم على كذبهم منهم المتلبسون أعني الماكرين الذين يضلونهم بغير علم ويتوسلون بفتياهم إلى أباطيلهم

1- ألفرد بل: المرجع السابق،ص 260.
2- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 249.
3- المصدر نفسه: ص: 249.
4- ا بن تيمية : مجموع الفتاوى، ج11، ص:478.
5- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص:478.
6- إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص: 134.

وأهوائهم كلما سألوهم عن شيء أفتوهم على ما وافق أهوائهم وأغراضهم فضلوا وأضلوا "[1].

غير أن الذي يؤكده الباحثون أن الكثير من فقهاء المرابطين كانوا أهل استقامة وزهد وورع وتقوى، وأن الدولة المرابطية ظلت تراعي الكفاءة في المناصب الحيوية وخاصة في مجال القضاء، فكان لا يتولى القضاء إلا من ثبتت جدارته ونزاهته وتمتع بحظ وافر من العلم[2] ، ويواصل بن تومرت حملته الشرسة على المرابطين فاتهم نسائهم بالتشبه بالرجال في عدم تغطية الوجه، إذ يقول: " وهؤلاء المسمون الكفار يتشبه نسائهم بالرجال بالكشف عن وجوههم بلا تلثم ولا تنقب والتشبه بهم حرام "[3].

كما قام بن تومرت المؤسس الأول لدولة الموحدين بإحلال التوحيد الكلامي القائم على التأويل محل توحيد السلف القائم على التسليم بظاهر الآيات القرآنية، حيث أخذ يدرس التوحيد الكلامي جهرا بعد أن كان يذيعه بين تلاميذه سرا في بداية ظهوره، مما ساهم في بروز التيار العقلاني، والفكر الذي يعتمد على العقل المجرد؛ وكان بن تومرت المؤسس الروحي للدولة الموحدية قد وضع مذهبا توحيديا كلاميا وليس مذهبا فقهيا، وهاجم علماء المالكية لوقوفهم
حجر عثرة في سبيل مذهبه التوحيدي الكلامي[4] ، يقول ابن خلدون: " وجاء المهدي على إثرهم – المرابطين – داعيا إلى الحق آخذا بمذاهب الأشعري، ناعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة ، وما يؤول ذلك إلى التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية"[5] و يقول أيضا عن بن تومرت: " لقي أئمة الأشعرية بالمشرق وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن إتباعهم في التأويل فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم "[6].كما يذكر ذلك

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 246،247.
2- دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ، ص:144.
3- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 247.
4- عبد الله علام:الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي،دار المعارف،مصر،1971، ص: 307-308.
5- ابن خلدون: المقدمة، ص: 230؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص: 548.
6- ابن خلدون: المقدمة، ص: 226.

المقريزي إذ يقول: " وبعد وفاته – بن تومرت – خلفه عبد المؤمن بن علي وتغلب على المغرب وصارت دولة الموحدين تستبيح دماء من خالف عقيدة بن تومرت، فكان هذا هو سبب انتشار واشتهار مذهب الأشعري"[1].

يمكن القول أن بن تومرت قد حمل لواء الدعوة إلى العقيدة الأشعرية ومكنها بالقوة حتى فرضها مشربا عقديا وحديا تسانده دولة بكاملها بعد أن كانت محصورة في أفراد من العلماء فاستحلوا دماء أهل السنة وقتلوا منهم خلق كثير وفرضوا العقيدة الأشعرية بالسيف[2].

و لقد سار الخلفاء الموحدون على المبادئ التي رسمها وخطط لها بن تومرت، وتبنوا أفكاره الكلامية، ودافعوا عنها وألفوا فيها المؤلفات، فجمع عبد المؤمن آثاره العلمية سواء في التوحيد أو الفقه في كتاب سماه "أعز ما يطلب".

حيث لم يشجع عبد المؤمن المذهب المالكي وأظهر تعظيمه للمذهب الظاهري كبديل للمذهب المالكي[3] مستغلا كثرة الخلافات في المذهب كذريعة لمحاولة القضاء عليه، وبالتالي القضاء على علماء المالكية الذين يجلّهم عامة الشعب، فأمر بحرق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب ذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة[4] ، واستمر هذا الأمر في زمن يعقوب المنصور الذي تشدد في تنفيذ خطة بن تومرت فأحرق كتب المذهب المالكي وعوضها بالصحاح العشرة والمنتخب الذي اختاره منها.

و في هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي: " وفي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن جردت من القرآن وحديث رسول الله، ففعل ذلك فأحرق جملة منها في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب بن يونس ونوادر أبي زيد ومختصره وكتاب

1- المقريزي:المواعظ والاعتبار ،ج2، ص: 358.

2- المصدر نفسه، ج2،ص: 358؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 186.

3- عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج2، ص:240.

4- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 195.

التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحى نحوها ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى بها بالأحمال فتوضح و يطلق فيها النار... وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها بن تومرت في الطهارة، فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام والخواص، وكان يجعل لمن يحفظه الجعل السني من الكسي والأموال، وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنه لم يطهره وأظهره يعقوب..." [1].

إلا أن علماء المالكية استمروا يمارسون نشاطهم في عهد الخليفة عبد المؤمن[2] وابنه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[3] كمحمد بن سعيد الأنصاري الذي تابع تدريس كتب المالكية حتى أمر المنصور بسجنه في سبتة[4] ومحمد بن خلف التجيبي (ت 593هـ) وأبو الحسن بن زرقون كما توفي أبو بكر الحياني من جراء التعذيب لإصراره على التدريس بمذهب الإمام مالك[5].

كما شجع الموحدون علوما كثيرة لم تكن رائجة في العصر السابق كالفلسفة والتصوف[6] ، وكان تشجيعهم تشجيعا ماديا ومعنويا وأدبيا.

تفننوا فيه ما شاءت لهم أريحيتهم ونباهتهم، فكانت للفلسفة في أيام يوسف نهضة كبيرة، و يوسف نفسه كان على رأس المشتغلين بها المحبين لها. تعلم الفلسفة فجمع كثيرا

1- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 278،279.

2- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22،ص:240.

3- ابن الأثير: الكامل، ج9، ص:92.

4- محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدي، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، (د.ت)، ص: 245.

5- المرجع نفسه، ص:245.

6- يعد التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة (أي التي دخلت على الإسلام بعد عهد النبوة والصحابة)، ومبدأ هذا العلم الاعتكاف والانقطاع لعبادة الله تعالى، والابتعاد عن الدنيا وزخرفها ونبذ هوى النفس والانفراد في خلوة للعبادة وكان هذا حال عامة السلف الصالح، فتركوا متاع الدنيا والإقبال عليها في القرن الثاني هجري وما بعده، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، ينظر ابن خلدون: المقدمة،ص868.

من أجزائها، وجمع إليه علمائها وفي مقدمتهم بن طفيل الذي أحبه، وهو الذي نبهه إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد.. وبفضل هذا الاهتمام من يوسف ترجم ابن رشد ما ترجم من كتب أرسطو الطبيعية، وله شروح ثلاثة: أكبر وأوسط، وأصغر، أما شروحه الصغرى فتوجد بالعربية في " مجلد " باسم كتاب " جوامع كتب أرسطاليس"[1] ، ولقد تولى بن رشد (520-595هـ/1126-1198م) مؤلفات الفيلسوف أرسطو بالدراسة العميقة والمقارنة الدقيقة، وشرحها بطريقة علمية مبنية على التحليل الدقيق والنقد السليم، وهو في هذا يوجز حينا ويُطنِب حينا آخر، وكان ابن رشد على جانب هذا فقيها وطبيبا تولى قضاء مدينة "إشبيلية" سنة (565هـ/1169م)، وفي سنة (578هـ/1182م) كان طبيبا للخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1184م).

إن الاعتناء بالفلسفة لم يكن مطردا أيام الموحدين، وموقف يعقوب المنصور (558-595هـ/1184-1199م) منها معروفا إذ رغم مقاومته لها في البداية لم يلبث أن رجع عنها وشجعها، وكان يتكلم في مواضيعها مع بن طفيل (ت 571هـ/1175م)، ولقد حاول كل من بن الطفيل وبن رشد التوفيق بين الفلسفة والدين، والدفاع عنها فخطت بذلك خطوات إلى الإمام، وذاع صيتها في العالم الإسلامي والنصراني على السواء؛ ومن أشهر فلاسفة ومتصوّفة العصر الموحدي الذي أنجبته الأندلس محي الدين ابن عربي (560-638هـ) اشتهر بالتصوف والزهد، وكان محصلا لفنون العلم و الأدب، والتقدم الذي لا يُسبق ، وقد كان في جُعبته الكثير من المصنفات القيِّمة في الفلسفة والتصوف، منها كتابه الذائع الصيت "الفتوحات المكية" يشهد بطول باعه في التصوف.

1- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة،المغرب، 1977م، ص:97،99؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج2، ص:646.

3- مكانة الفقهاء في العصر الموحدي:

إن طبقة الفقهاء والعلماء كان لها دوما المكانة المميزة في المجتمع عند العامة والخاصة لكن إذا كانت أفكارهم لا تتعارض مع أفكار الخليفة السلطان، ولهذا عملت دولة الموحدين منذ البداية على تفادي ضغط الفقهاء أما غير الموالين فقد عوملوا بقسوة حتى أنهم خرجوا من البلاد خوفا من بطش السلاطين وظلمهم[1].

ولعل أهم ما ميز المرحلة الموحدية هو تصدر الدولة للحياة الدينية بواسطة خلفائها الذين يرد ذكرهم في الرسائل الرسمية باسم الخلفاء الراشدين، فقد زاول الخلفاء نفوذا فعليا يجمع بين السلطة والسياسة والإشراف على الحياة الدينية، بينما لعب الفقهاء دورا تابعا بدون أي طموح يذكرنا بأقرانهم خلال العهد المرابطي، لكن مما لا شك فيه أن جمهور الفقهاء قد استفادوا من موقعهم داخل جهاز الدولة وحصلوا على امتيازات ممثلة في الهدايا وصلات الخلفاء إضافة إلى مرتباتهم ، وفي هذا المعنى يمكن التأكيد انه بالرغم من اختلاف الأساليب التي تتحكم فيها الظروف التاريخية في الغالب فإن مسألة الاعتناء بالأطر الفقهية تتشابه، فكان الخلفاء الموحدون يسبغون رعايتهم على العلماء والفقهاء فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء وينزلهم منازلهم اللائقة بهم[2]، وكان يؤثرهم على غيرهم يقول المراكشي: " وكان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم محبا لهم محسنا إليهم يستدعيهم من البلاد إلى السكون عنده والجوار بحضرته "[3] وعلى نفس النهج سار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في تكريم العلماء والفقهاء والعناية بهم وكان حريصا على مجالستهم ومحادثتهم[4] وكان مهتما بجلب العلماء والفقهاء إلى عاصمته والاستفادة منهم، يقول المراكشي: " ويبحث – يوسف بن عبد المؤمن – عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله – ربما يقصد ملوك المغرب –"[5] فلما زار الأندلس سنة (580 هـ/1184م) وقصد اشبيلية

1- علي أحمد: الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع، دار طالاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م، ص:88.

2- مجهول: الحلل الموشية، ص: 113؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحدين،ج2، ص402.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص:200.

4- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ج2، ص: 181-186.

5- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص: 239.

وخرج الناس لاستقباله ورؤيته، فما إن أبصر الخليفة العالم بن الجد حتى ترجل عن فرسه وأقبل عليه وتعانقا[1] ،ونفس المنزلة تمتع بها الفقهاء في عصر المنصور الموحدي حيث كان يكرمهم ويشهد جنائزهم[2] ، يقول ابن أبي زرع: " وكان محبا - المنصور – للعلماء وقضاتهم صادرا عن رأيهم...يشهد جنائز العلماء والفقهاء ويزورهم ويتبرك بهم... وأكرم الفقهاء وراعي العلماء والفضلاء "[3] ، وكان يستدعي العلماء إلى حاضرته كما فعل مع محمد ابن أحمد بن محمد اللخمي وهو أحد علماء تلمسان حيث نال منزلة كريمة لديه وعند أبنائه من بعده[4] ، وهذا القاضي عياض قال في حب المنصور الأبيات التالية:

فؤاد بضياء العلم المنشرح ۞ ووجهه بجمال العلم موسوم

وكفه بطنها بالخير منهم ۞ وظهرها لعهد الله ملثوم

العلم قيمته والحلم شيمته ۞ طابت أرمته والنفس و الخيم

وهو ما يدل على حب المنصور للعلم وأهله وكرمه معهم

وقد نال الفقهاء في عهد الموحدين العطايا والهدايا، فكان الخليفة عبد المؤمن يجري المرتبات والأرزاق على طلبة الحضر شهريا من بيت المال، فالفقيه أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي الصقر كان إذا وفد على الخليفة عبد المؤمن يصله في المرة الواحدة خمسمائة دينار[5] ، وقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى الهبات والعطايا التي نالها هو وغيره من العلماء حين التقى بالخليفة يوسف ابن عبد المؤمن سنة (566هـ/1170م). [6]

1- ابن عذاري: البيان المعرب، ج4، ص: 60.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج9، ص: 165.

3- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 156.

4- أبو زكريا يحيى بن محمد ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1،المكتبة الوطنية، الجزائر 1400هـ/1980م، ص:27.

5- لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق، ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م، ص: 232.

6- عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق، عبد الهادي التازي، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964م، ص: 428-430.

فهذا عبد المؤمن بن علي اقتطع أرضا لأبي النجم هلال بن يوسف ليعيش من حراثتها وأجزل الهبة والعطاء لسعيد بن محمد بن خليد اللخمي (ت 567هـ/ 1171م) حتى صار من أغنى الناس وشغله رتبة عليا في الدولة نال بها دنيا عريضة[1]، وأحمد بن ابراهيم بن عبد الملك مطرق التيمي من ألمرية أعطى عطاءا عظيما[2] (ت 627هـ/1229م) كما أعطى الناصر مبلغا قدره ألف دينا لعلي بن محمد بن خروف الخضرمي النحوي مكافئة له على كتابه شرح كتاب سبوية[3] ، وأجرى المنصور الموحدي الأرزاق والأموال من بيت المال على العلماء والفقهاء[4] وتحول حال الكثير الكثير منهم من الفقر والضنك إلى اليسر والرخاء كما حصل لأبي القاسم السهيلي (ت581هـ/1185م) بمراكش الذي نال دنيا عريضة بعد اتصاله بالخلفاء[5] ، وأحمد بن عتيق ابن الحسن (ت 601هـ/1204م) الذي نال هو بدوره دنيا عريضة بخدمة السلطان[6] وأبو بكر بن خلف الأنصاري الفقيه المتوفى بفاس سنة (599هـ/1202م) ، والذي جمع أموالا جليلة نتيجة اتصاله بولاة الأمر بمراكش[7] ، وغير هؤلاء نالوا من المكانة والوجاهة نتيجة اهتمام الخلفاء والأمراء لهم.

4- الدولة الموحدية و المذهب الأشعري:

4-1- جذور الأشعرية بالمغرب الأقصى:

لقد كان المغرب الأقصى يختلف عن إفريقية والأندلس فيما يخص طبيعة طرح المسألة العقائدية، فإذا كانت إفريقية قد عرفت الاعتزال والتشيع، فإن المغرب الأقصى لم يعرف هذين

1- أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي: الذيل و التكملة، تحقيق إحسان عباس، السفر الخامس، القسم الأول، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان،(ب.ت)،ص304.

2- ابن الأبار: التكملة، ج1، ص:168.

3- جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1983، ص: 492.

4- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 157.

5- ابن دحية: المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة،1954، ص: 208 - 212.

6- ابن الأبار: التكملة ،ج1، ص:171.

7- المصدر نفسه ،ج1 ، ص: 261 - 262.

المذهبين إلا في حدود ضيقة جدا، فقد أشارت بعض المصادر إلى وجود فئة الواصلية[1] أتباع واصل بن عطاء في القرن الثاني في قبيلة أوربة، لكنها اندثرت في ظروف غامضة[2] . أما فرقة الشيعة البجلية التي وجدت بنواحي تارودانت بالسوس الأقصى، فرغم استمرارها إلى العصر المرابطي، فإن تأثيرها ظل ضعيفا بسبب محاصرة مالكية السوس لها[3] . وبالنسبة للنحل الأخرى مثل النحلة البرغواطية[4] ونحلة حاميم الغماري مثلا، فإن فقهاء المغرب آنذاك لم يكونوا يرون جدوى في استخدام الحجج العقلية لمواجهتها، بسبب عقائدها التلفيقية الغريبة، لذلك فضلوا عزلها ومواجهتها بالتعبئة والجهاد[5] ، حتى تمكنوا من القضاء عليها. واعتبارا لهذه الخصوصيات فإن المغرب الأقصى لم يعرف سجالات عقدية بنفس المستوى الذي كانت عليه بإفريقية. ومع هذا فإن الأشعرية عرفت بالمغرب الأقصى لكن على نطاق محدود جدا منذ أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فخلال هذا القرن رحل إلى المشرق عالم فاسي واتصل هناك بأئمة الأشعرية، وهو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي (ت 357هـ/ 968م) الذي تنسب له رسالة في الدفاع عن الأشعرية[6] وفي بداية القرن الخامس كتب عالم إفريقي هو أبو الطيب الصفاقصي نزيل أغمات عقيدة أشعرية سماها "العقيدة السنية البرهانية" [7] ، للشيخ إسحاق بن إسماعيل أمغار حوالي سنة(412هـ/1020م). وعبر هذه المسالك المختلفة بدأت مؤثرات المذهب الأشعري تصل إلى المغرب الأقصى، ولكن الاهتمام به لم يكن قد تخطى في هذه المراحل دوائر العلماء المتخصصين. ومما

1-البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص.137

2- المصدر نفسه: ص.118.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص138.

4- استمرت الديانة البرغواطية بالمغرب حوالي 4 قرون، لكنها لم تستطع أن تتجاوز مجالها الجغرافي بإقليم تامسنا، يظر: علي فليح عبد الله الصميدعي: أهل الذمة في المغرب الأقصى من الفتح حتى نهاية دولة الموحدين،ط1،دار غيداء للنشر و التوزيع، الأردن،2014م،ص-ص:171-177.

5-محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص138.

6- روجي إدريس: الدولة الصنهاجية،ج.2،ص333.

7- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص138، 139.

يجدر التنبيه إليه أن هؤلاء العلماء أنفسهم لم يشعروا آنذاك بضرورة نشر الأشعرية على نطاق واسع،التزاما منهم بمواقف كبار علماء أهل السنة الذين كانوا يرون أن علم الكلام لا ينبغي أن يشتغل به العامة لقصور أفهامهم عن إدراك مناهجه وطرق أهله في الاستدلال، وربما أيضا لانعدام الأسباب الداعية إلى إذاعته في البيئة المغربية، فظل انتشاره محدودا إلى حدود عصر المرابطين. ونعتقد أن هذه الأسباب هي التي كانت وراء ذيوعه بالمغرب الأقصى بوتيرة أبطأ نسبيا من باقي بلاد الغرب الإسلامي. لكن ما يثير بعض التساؤلات هو لماذا لم يتأثر أغلب الفقهاء المغاربة الذين كانوا يترددون على علماء القيروان بأشعريتهم وتأثروا بثقافتهم الفقهية فقط، خاصة تلاميذ أبي عمران الفاسي؟

يرتبط طرح المسألة العقدية بسياق ديني له خصوصياته في المغرب الأقصى، ومن الضروري أن نذكر في هذا الصدد بدور رباط نفيس وجهود تلاميذ الإمام أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، فقد ظلت منطقة نفيس والسوس الأقصى تحتفظان بذكرى الفاتح عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، حيث تأسست في المناطق التي مر منها خاصة أغمات ونفيس وماسة مساجد تحولت إلى رباطات، ونهضت بأدوار حيوية في نشر الإسلام بجبل درن وجبال جزولة والصحراء. وقد ذكر أبو صالح الأيلاني في كتاب القبلة أخبارا في غاية الأهمية عن الدور الذي كانت المنطقة تضطلع به في نشر الإسلام بين سكان النواحي المحيطة بها في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، وأيضا الوظيفة الجهادية التي قام بها مجموعة من الفقهاء من تلاميذ الإمام ابن أبي زيد القيرواني في شكل جماعي منظم بتوجيه مباشر منه حيث انتدبهم لمحاربة النحلة البرغواطية، وقد قام رباط نفيس بدور نشيط في تعبئة قبائل المصامدة و ركراكة لمحاربتها. ووقف هذا الرباط في وجه توغلها جنوبا، وكانت حملات القبائل بقيادة الفقهاء تنطلق منه لقتال البرغواطيين، وذكر أسماء عدد من الفقهاء الذين استشهدوا في هذه المعارك[1].

وقد توجت هذه الحركة التاريخية بتأسيس مدرسة " دار المرابطين " التي أنشأها الفقيه وجاج بن زلو اللمطي (ت 445هـ/1053م) الذي ينتسب إلى نفس التيار من الفقهاء، خاصة وأنه اتصل أيضا بمدرسة الفقه في القيروان مباشرة بتتلمذه للشيخ أبي عمران الفاسي، وكان من خريجي دار

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص139، 140.

المرابطين تلميذه الإمام عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 451 هـ / 1059م)، وأبو عبد الله الرجراجي من أهل تالغت من بلد رجراجة (ت. قبل 486هـ /1093م). فكان من الطبيعي إذن، في غضون هذا الصراع المتسم بالمواجهة المستمرة، أن تهمش الانشغالات النظرية والجدل الكلامي، وأن تعطي الأهمية الأولى للجهاد ونشر الإسلام.

4-2- دخول المذهب الأشعري للمغرب الأقصى:

ارتبط المذهب الأشعري بالمغرب منذ عصر الموحدين ارتباطا كاملا بالمذهب المالكي[1] ، بعد أن عانى استقراره من بعض الصعوبات في عصر المرابطين، ابتداء من عهد أمير المسلمين علي بن يوسف (500-537 هـ /1107 – 1142م) الذي عرف قضيتين فكريتين أثارتا مواقف متناقضة، وقامت حولهما معارك تجاوزت الإطار الفكري المحض، وهما التصوف و الأشعرية. وإذا كانت معركة المرابطين ضد التصوف قد انطلقت على إثر دخول كتاب **إحياء علوم الدين** للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ / 1111م) إلى الأندلس، واعتراض الفقيه ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة وبعض فقهائها على بعض ما ورد فيه[2] ، فإن محاربتهم للأشعرية لا تحدد المصادر سببا مباشرا لها . لكن من المعروف أنها انطلقت من قصر الإمارة بمراكش بتحريض من الفقهاء الذين كانوا يشكلون بطانة أمير المسلمين، ولم تربطها المصادر أيضا بفتوى فقيه معين كما في حالة إحراق الإحياء.

إن مسألة دخول المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى لا تزال في حاجة إلى بحث وتدقيق، فبعض المصادر ربطت دخوله بأبي بكر المرادي الحضرمي (ت 489هـ / 1096 م)[3] ، وأخرى عزت ذلك إلى محمد المهدي بن تومرت المصمودي (ت 524 هـ/ 1130م) . في حين أن الأشعرية كانت موجودة بالمغرب قبل القرن 6هـ /12م .

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي ،ص133.

2- ينظر عن إحراق الإحياء : محمد المغراوي: فتوى لأبي الفضل بن النحوي حول إحياء علوم الدين للغزالي،ص-ص:116-128.

3- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص. 106.

فالصلات العلمية بين المغرب والمشرق الإسلامي لم تنقطع عبر القرون السابقة كلها، بالرغم من جميع الظروف والتحولات السياسية التي كانت الجهتان معا تعرفانها . ومع استمرار الاتصال كانت مضامين ومصادر ومؤثرات الثقافة الإسلامية المشرقية تنتقل إلى بلاد المغرب والأندلس، وكان منها طبعا المذهب الأشعري الذي جعلته التحولات الفكرية والسياسية في القرنين الرابع والخامس يتجاوز وضعه كمذهب كلامي، ويتحول إلى قضية ذات أبعاد ثقافية وسياسية ومحورية في مذاهب أهل السنة، وخاصة في علاقتها بكل من التشيع والاعتزال. استفاد المذهب الأشعري من تشجيع أئمة المذاهب السني في المشرق، وفي المقام الأول المالكية ثم الشافعية، وعملوا على نشره على نطاق واسع، معتبرين إياه انتصارا لعقائد أهل السنة وتجاوزا لمرحلة العجز في الدفاع عن عقيدتهم أمام سجلات المعتزلة وحججهم، بحيث "كان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلي على هذه العقائد (أي الاعتزال) دفعا في صدور هذه البدع[1] ضمن هذا السياق الفكري إذن تبنى أئمة المذاهب السنية وفقهاؤها الأشعرية، باستثناء علماء المذهب الحنبلي الذين ظلوا في معظمهم متشبثين بحرفية النصوص الاعتقادية في القرآن والسنة ومعرضين عن تأويلها، الشيء الذي سيؤثر على انتشار المذهب الحنبلي فيما بعد.

5- رجالات الأشعرية في العصر الموحدي:

5-1- المهدي بن تومرت (ت 524 هـ/ 1130م):

5-1-1- حياته:

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها "محمد بن عبد الله بن تومرت" الملقب "بمهديّ" الموحِّدين، و هو الرجل الذي أسس دولة الموحدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين، فالبعض يجعلها سنة 469 هـ/1076م أو 473 هـ/1080م، و البعض الآخر يجعلها سنة 485هـ [2]، في حين ذكر الزركشي" أن ميلاده صادف سنة 491هـ/1097م [3].

1- ابن خلدون: المقدمة، ص588

2- ألفرد بل:المرجع السابق، ص251؛ يحي هويدي: محمد بن تومرت و توفيقه بين الحكمة و الشريعة،مجلة الأصالة، العدد12، مطبعة البعث، قسنطينة،1973، ص: 223.

3- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، ص: 4.

فقد ذكر "ابن الأثير" أن "بن تومرت" عندما توفي عام 524 هـ/1130م كان عمره يتراوح ما بين 51 عاما إلى 55 عاما، الأمر الذي يجعلنا نحدد السنة التي ولد فيها إما بعام 469 هـ/1076م أو عام 473 هـ/1080م[1]، و ذكر "القفطي" في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" أن "بن تومرت" ترك الإسكندرية بعد رحلته إلى المشرق عام 511 هـ/1117م و كان عمره حينذاك ثمانية عشر عاما، و هذا يقودنا إلى أن نتخذ من سنة 493هـ/1099م السنة التي ولد فيها "بن تومرت"[2]، لكن هذا التاريخ يتعارض مع ما ذكره"ابن الأثير"، و لهذا فقد آثر الكثير من المؤرخين عدم التعرض إطلاقا للسنة التي ولد فيها"بن تومرت" و اكتفوا بتحديد السنة التي أسس فيها دولة الموحدين و هي سنة 515 هـ/1121م.[3]

بالإضافة إلى هذا فقد اختلف المؤرخون كذلك في تحديد نسب "بن تومرت"، فبعضهم قال عربي و ينتهي نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[4].و البعض الأخر يجعل نسبه بربريا صرفا[5]، و هناك من جعل نسبه هجينا بين البربر و العرب[6]، و مهما يكن من الأمر فالشائع هو أن اسمه "أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي" الشهير "بالمهدي بن تومرت"[7]،

ولد في قبيلة مصمودية صغيرة تسمى أرغان أو هرغان التي عربت إلى هرغة، و يذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمه لم يكن محمد بل اتخذه هو فيما بعد[8]، أما لقبه "تومرت" فهو اسم جدته و أنه نسب إليها فقيل "محمد بن تومرت"[9]، و يلقب كذلك بأمغار و معناه العالم أو الفقيه، و قد

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10،ص: 578.

2- يحي هويدي: محمد بن تومرت ،ص224.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 162.

4- ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص: 87؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص250 و ما بعدها

5- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب و الأندلس، ترجمة: محمد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص ص: 264 - 265.

6- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 266.

7- ابن أبي زرع:الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 217، و يقول ابن أبي زرع في رواية له بأن ابن تومرت من قبيلة جنفيسة المصمودية .

8- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، ج 2،ص: 63.

9- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص: 405.

لُقّب أيضا بأسافوا و معناه السراج، و يقال أن هذا اللقب أطلق عليه في شبابه بسبب إيقاده السرج في المساجد للقراءة على نورها في الليل طلبا للعلم. [1]

و درس "بن تومرت" أول الأمر في بلده ثم في مراكش[2]. و لما بلغ سن الشباب حاز في نفسه الارتحال إلى المشرق لطلب العلم، فبدأت رحلته بجوازه على الأندلس سنة 501 هـ/1107م، فأخذ العلم بقرطبة و منها رحل إلى المشرق عن طريق البحر، فحلَّ بالإسكندرية ثم توجه إلى الحجاز و أدّى فريضة الحج، و بعدها رحل إلى بغداد ثم عاد إلى بلاد المغرب في سنة 510هـ/1116م. [3]

و قد أخذ بن تومرت" في رحلته تلك عن مجموعة من العلماء من بينهم "أبي بكر الطرطوشى"[4]، و "أبي بكر الشاشي"[5] الذي درس عليه أصول الفقه و أصول الدين، و سمع الحديث على "المبارك بن عبد الجبار"[6] و غيرهم[7].

و تذكر بعض الروايات أن "بن تومرت" لقي "أبا حامد الغزالي" و درس عليه في بغداد، و قيل بل لقيه بالشام أيام تزهده[8]، و هناك شك كبير يقوم حول هذا اللقاء، "فالمراكشي" يقول في "المعجب": »«وقيل انه لقي "أبا حامد الغزالي" بالشام أيام تزهده فالله أعلم»[9]، و "ابن خلدون"

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 220.

2- ابن خلدون: العبر: ج 6،ص: 266.

3- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص: 29؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص 252 و ما بعدها.

4- أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي زنلقة، ولد في طرطوشة في الأندلس سنة 451 هـ رحل إلى إلى المشرق سنة 476هـ ودرس ببغداد و البصرة و دمشق و القاهرة، ثم استقر بالإسكندرية إلى أن توفي سنة 525 هـ، أهم ما ترك كتاب سراج الملوك، انظر ترجمته: المقري: المصدر سابق، ج 2، ص: 290.

5- ابن القطان: المصدر السابق، ص: 72؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 219؛ محمد بن أبي القاسم الرعيني ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م، ص: 107.

6- أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري البغدادي، محدث، كثير الكتب، توفي سنة 500 هـ، انظر ترجمته: ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 3، ص: 412.

7- عبد الواحد المراكشي:المعجب،المصدر السابق، ص ص: 126 - 127.

8- ابن خلدون: العبر، ج 6،ص: 266.

9- عبد الواحد المراكشي:المعجب، المصدر السابق، ص: 127.

يقول في "العبر" :«و لقي فيها زعموا "أبا حامد الغزالي"»[1]، مما يشعر بأنه يشك في هذا اللقاء، و و "ابن خلكان" في "وفيات الأعيان" يؤكد أنهما التقيا بالعراق و ليس في الشام كما ذهب إلى ذلك "المراكشي" فيقول: «رحل إلى المشرق في شبيبته طالبا للعلم، فانتهى إلى العراق و اجتمع "بأبي حامد الغزالي"....»[2]، و يعود صاحب "المعجب" و يؤكد أن هذا اللقاء قد تم على النحو التالي: «كان "بن تومرت" حاضرا لمجلس "الغزالي" في الشام و روى له ما فعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب، من إحراقها و إفسادها – و "بن تومرت" حاضرا في ذلك المجلس – فقال "الغزالي" حين بلغه ذلك ليذهبن عن قليل ملكه و ليقتلن ولده، و ما أحسب المتولي لذلك إلا حاضرا مجلسنا»[3]، و في ذلك تورد الرواية الموحدية رمزا إن لم يكن واقعا أن يكون الإمام "الغزالي" قد أجاز تلميذه "محمد بن تومرت" الفقيه "السوسي" قبل سنة 505 هـ/1111م في الثأر لذلك العمل الهمجي الذي قامت به دولة المرابطين ضد مشروع تجديد الإسلام الذي كان يُعدّه الإمام، فكانت تلك الإجازة بمثابة المحرك لقيام "بن تومرت" بحركة التوحيد والدعوة للمذهب الجديد.[4]

و بالرغم من هذا فإن "جولد تسهير" يلغي فكرة اللقاء الشخصي بين "بن تومرت" و "الغزالي"، و ينتهي من بحثه إلى هذه النتيجة :«علينا أن نلغي من تاريخ حياة"بن تومرت" واقعة لقائه مع "الغزالي"»[5] و ذلك أن رحلة "الغزالي" التي زعموا أن "بن تومرت" قابله أثناءها، وهي الرحلة المعروفة التي إعتزل فيها الناس و سلك سبيل التصوف و استمر عشر سنوات إبتداء من عام 488 هـ/1095م حتى عام 499 هـ/1105م، رحل فيها عن بغداد عام 488 هـ/1095م و زار أثناءها بيت المقدس و مكة و مصر لا تتفق في تواريخها مع رحلة "بن تومرت" إلى المشرق، و هذه الرحلة التي بدأت عام 501 هـ/1107م، و يتساءل "جولد تسهير" كيف يكون اللقاء قد تم في

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6،ص:267 .

2- ابن خلكان: المصدر سابق،ج4، ص: 139.

3- عبد الواحد المراكشي:المعجب، المصدر السابق، ص: 127.

4- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي،ج 4،ص: 421.

5-Goldziher. M.hamed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'ferique au xde siècle.pierre fontana , Alger ,1930 , p 12.

بغداد أو في دمشق و "الغزالي"كان قد ترك بغداد عام 488 هـ/1095م و ترك دمشق عام 490 هـ/1097م.[1]

و أيا ما يكون من الأمر، فالمهم أن "بن تومرت" قد تأثر بتعاليم "الغزالي" في الكلام على الخصوص، متبنيا لكثير من أراء الأشاعرة مستحسنا طريقتهم في الإنتصار للعقائد الدينية بالحجج العقلية و في تأويل المتشابهات، و أنه برحلته هذه إستكمل مرحلة طلب العلم[2]، حيث يصفه "ابن خلدون" بأنه عاد من المشرق بحرا متدفقا من العلم و شهابا و إربا من الدين[3]، و صار على درجة عالية في علم الكلام و العلوم الشرعية، فقد رأى عن كثب أقطاب الفكرية من الظاهرية و الأشاعرة و المعتزلة و الشيعة، و حضر مناقشاتهم و ندواتهم، و بذلك تبلورت آراؤه و أفكاره[4].

و مع رحلة العودة تبدأ المرحلة الثانية من حياة "بن تومرت"،وهي مرحلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، ففي الإسكندرية اندفع في تنفيذ أوامر الله بصد المنكرات، و من تونس حتى المغرب الأقصى واصل دعوته الإصلاحية دون كلل، إذ ما وطأت قدماه أرض تونس حتى سار في الأسواق يحطم آلات اللهو و يهاجم محلات الخمر و يتعرض للنساء السافرات في الطرقات، و يعلم الطلبة، و يجادل السلطات من مدينة لأخرى عبر قسنطينة و بجاية و ملالة و تلمسان و فاس و مكناسة ومراكش و أغمات حتى بلدة تنملل.[5]

و في عام 515 هـ/1121م تقريبا تبدأ مرحلة جديدة من حياة"بن تومرت" بين عشيرته، مرحلة الدعوة الدينية و السياسية، أما الجانب الديني فيتمثل في تعليمه البربر أصول دينهم، داعيا إلى مبايعته بالإمامة مدعيا أنه "المهدي" و ملزما أتباعه بطاعته، مضيفا على شخصيته العصمة.[6] و

1- يحي هويدي: المرجع السابق، ص 226.
2- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص 221.
3- ابن خلدون: العبر، ج 6،ص 267.
4- علي محمد الصلابي: دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، 1998م، ص 14.
5- عبد الواحد المراكشي:المعجب، ص: 127؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص250.

[1] و يشير المؤرخون إلى أنه أخذ فكرة المهدية عن الشيعة، و لكن تصورات الإمامة و المهدية و العصمة لم تكن لديه عن عقيدة كما هو حال الشيعة، و إنما لدواع سياسية. [2]

أما الجانب السياسي فيتمثل في ندبه أتباعه لجهاد المرابطين راميا إياهم بالتجسيم، و هو في سبيل ذلك أقام تنظيما دقيقا اقتدى فيه بتنظيم الدعوة للرسول فى المدينة مقتفيا أثره، و بذلك أحكم ولاء الناس له ثم دعاهم(حسب نظره)، إلى قتال المارقين عن الدين المجسمة الكافرين، و يعني بهم المرابطين. [3]

و استمر الوضع كذلك إلى أن وافته المنية سنة 524 هـ/1130م[4]، و هو و إن كان قد مات قبل قيام الدولة التي كان يصبوا إلى إقامتها إلا أن دعوته قد انتشرت، فلم تنقضي على وفاته أكثر من سبعة عشر عاما حتى كانت جيوش خليفته "عبد المؤمن بن علي"[5] قد دخلت مراكش عاصمة المرابطين لتقوم على أنقاضها دولة الموحدين[6] .

نظرا إلى أن "بن تومرت" كان رجلا طغى عليه الهاجس السياسي، و حركة هدفها القضاء على دولة المرابطين و إقامة دولة جديدة مكانها، تحتم عليه أن يسلك أكثر من سبيل و يتخذ أكثر من طريق لإقناع الناس بدعواه و بمشروعه السياسي الجديد، و لذا نراه يوظف غير ما مذهب عقدي، فهو يردد أفكار أشعرية في علم الاعتقاد و أحيانا معتزلة و أخرى شيعية في قوله بعصمة

1- ألفرد بل: المرجع السابق،ص265 و ما بعدها؛ أحمد محمود صبحي:المرجع السابق، ج 2، ص: 222.

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 132. (يقول المراكشي أنه كان يبطن شيئا من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء).

3- ألفرد بل: المرجع السابق،ص 260 و ما بعدها؛ أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 223.

4- ابن القطان: المصدر السابق، ص: 123؛ يذكر ابن خلدون أنه توفي سنة 522 هـ انظر: ابن خلدون: العبر،ج 6، ص: 270.

5- عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان بن نصر بن علي بن عامر الزناتي، بويع بيعة خاصة لكتم وفاته المهدي، المهدي، و ارتضاه العشرة أصحابه لثناء المهدي عليه وتقديمه للصلاة، ثم كانت بعد ذلك البيعة العامة، انظر ترجمته: ابن الخطيب:المصدر السابق،ج 3، ص: 142.

6- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2، ص: 223.

الإمام، و أخرى ظاهرية، و هذا يطرح بالفعل إشكالا في عملية تصنيف فكره بالتحديد و التأكيد. [1]

و أيا كان الأمر فإن الذي يهمنا من فكر "بن تومرت" ، ما مارسه من كبير التأثير في ترسيم الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي.

- فما هو الدور الذي لعبه "بن تومرت" في نشر المذهب الأشعري بالمغرب؟

5-1- 2- دوره في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

تلح المصادر على أن"المهدي بن تومرت" كان أول من عرَّف أهل المغرب الإسلامي بالمذهب الأشعري، و ما ذلك إلاّ لعظم الدور الذي قام به هذا الرجل في نشر هذا المذهب بهذه البلاد. [2]

و كذلك المراجع و الدراسات تؤكد على أن "بن تومرت" هو المدخل الحقيقي للأشعرية إلى بلاد المغرب بصفتها مذهبا اعتقاديا متكاملا لا بصفتها مواقف مقتطعة من سياقاتها الفكرية. وهذا ما جعل المقريزي يقول إن بن تومرت هو الذي أدخل الأشعرية إلى بلاد المغرب. فرأيه الذي عرضناه سابقا ليس رأيا خاطئا كما يظن بعض الباحثين[3]، وذلك إذا نظرنا إلى الأشعرية بصفتها فكرا لا مواقف ثابتة مشتتة.[4]

لما رجع هذا الرجل من رحلته إلى المشرق ،قُدّر له أن يكون الانتشار الأوسع للأشعرية بالمغرب على يده، و أن يكون لتعاليمه الدور الحاسم في اعتناق كافة أهل المغرب لهذه العقيدة إلى هذا اليوم. و قد توفرت جملة من الأسباب الأساسية أتاحت لهذا الانتشار أن يكون على يدي "بن تومرت"، نذكر منها بالأخص:

1- حسين إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي(السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي)، ج4، ص ص: 467-468؛ محمد معتصم: ابن تومرت مساره النفسي و الفكري، صمن كتاب المغرب في العصر الوسيط، تنسيق محمد المغراوي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1999،ص:133-150.

2- المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج2،ص 358؛ ابن خلدون: العبر، ، ج6،ص 267.

3- المنصوري: المرجع السابق،ص16؛ نجم الدين الهنتاتي: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية،ص-ص:299-301.

4- المنصوري: المرجع السابق،ص16.

الأول: التمهيد للأشعرية الذي سبق "بن تومرت" متمثلا كما بيناه آنفا في اطلاع كثير من أهل المغرب على هذا المذهب ،مما أنشأ في النفوس استعدادا لتقبلها، خاصة و أنها في حقيقتها ليست إلا تطويرا لمذهب السلف في الاعتقاد أضيف إليه العنصر العقلي في الاحتجاج و التأويل، فلما كانت الأذهان عامرة بالأصل تقبلت هذا التطوير بما سبق لها من العهد به طيلة ما يقارب القرنين. [1]

الثاني: ما توفر "للمهدي" و خلفائه من سلطة سياسية استعملت في نشر أراء "المهدي"، و من بينها آراؤه الأشعرية، و لا شك أن السلطة السياسية تتوفر لها من وسائل النشر المادية و المعنوية ما يساعد على تبليغ هذه العقيدة في أسرع وقت و أوسع رقعة حتى كان لها الظهور و الرسوخ. [2]

و قبل أن نشرح مظاهر الدور الذي قام به "المهدي" في نشر الأشعرية نلاحظ ملاحظة مهمة تتعلق بطبيعة هذا الدور، و ذلك أن "المهدي" كما أشرنا إليه سابقا لم يكن أشعريا خالصا، و لم يكن يتبنى الأشعرية على نحو ما كان يتبناها أعلامها، بل كان فقط آخذا بجملة غالبة من أرائها متبعا لمنهجها، مخالفا لها في جملة أخرى، بل ناقدا لها في بعض مسائلها تصريحا أو تلميحا[3]، و لذلك فإن دعوة "المهدي" إلى الأشعرية لم تكن دعوة لها. كمذهب مستقل، و إنما هي دعوة تضمنتها دعوته إلى مذهبه المتكامل في العقيدة، فكانت بالقصد الثاني لا بالقصد الأول، و دعوة جزء من كل. [4]

1- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 441.

2- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1997م، ص: 206.

3- من المسائل التي خالف فيها ابن تومرت الأشاعرة و انتقدهم عليها ،عدالة قياس الغائب على الشاهد، و قد صنفها ابن تومرت ضمن الأقيسة الفاسدة، كما أنه ابدي نشازه و خروجه عن ما تعارف عليه الأشاعرة في الإقرار باستقلالية الصفات عن الذات الإلهية، و يتضح رفض ابن تومرت قياس الغائب على الشاهد في مسالة أسماء الله الحسنى التي يسمى الله بها نفسه في كتبه. انظر: المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 221.

4- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 441.

و لم يكن "ابن خلدون" متحريا الدقة حينما قال في هذا الصدد: «طَعَن "المهدي" على أهل المغرب في ذلك "التنكب عن التأويل" و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، و أعلن بإمامتهم و وجوب تقليدهم»[1]، فالمهدي لم يأخذ الناس بكافة الآراء الأشعرية، و إنما بتلك التي اقتبسها من الأشاعرة فحسب، كما أننا لا نعثر في مؤلفات "المهدي" و أقواله و لا في آثار خلفائه على إعلان بإمامة الأشعرية ،و لا دعوة إليها باستقلال، و لا أخذ بتقليدها، بل كانت الدعوة إليها ضمنية في الدعوة إلى أرائه.[2]

لقد حاول بن تومرت تغيير وضع معرفي كامل اتسم بالجمود والتشبث بعلم الفروع وسم الفترة المرابطية، وتوجيه الاهتمام نحو علمي الأصول: أصول الدين وأصول الفقه معا. فتم تبديعه تبديعا وصل مرحلة التكفير الموجب لإباحة الدم[3]. يقول ابن خلدون مفسرا ذلك" إن فقهاء المالكية قد ملئوا حسدا وحفيظة منه لما كان ينتحل مذهب الأشعرية في تأويل المتشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في إمراره كما جاء ويرى أن الجمهور لُقّنوه تجسيما ويذهب إلى تكفيرهم بذلك".[4]

و كان "المراكشي" أكثر دقة في وصف طبيعة الدور الذي قام به "المهدي" حينما قال«و كان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية»[5]، فالعبارة تفيد أنه لم يدع إلى الأشعرية باستقلال، و إنما دعا على طريقتها إلى جملة من الآراء كان جلها موافقا لأراء الأشاعرة، كما كان ''المقريزي" دقيقا في تصوير هذا المعني أيضا، حيث قال: «..... توجه"أبو عبد الله" أحد رجالات المغرب إلى العراق، و أخذ عن "أبي حامد الغزالي" مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب و قام في المصامدة يفقههم و يعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم... فكان هذا السبب في اشتهار مذهب الأشعري و انتشاره في المغرب».[6]

1- ابن خلدون: العبر: ج 6:ص: 266 – 267؛ و المقدمة، ص: 406.
2- آدم ميتز: المرجع السابق، ص: 365.
3- المنصوري: المرجع السابق،ص16.
4- ابن خلدون: المصدر السابق،ج6،ص302.
5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص: 130.
6- المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج 2،ص: 358.

لقد كان انتشار الأشعرية بالمغرب نتيجة لما بذله "المهدي"و خلفاؤه من بعده من جهد ضمن خطتهم التربوية الهادفة إلى الإقناع بالرؤى التي رسمها "المهدي"، و جعلها أساسا يجري عليه الناس تصوراتهم العقدية و يعوضون به ما كان سائدا من تصورات قد يخالطها أحيانا شيء من التشبيه و التجسيم، و قد كان هذا العمل منهم ركنا أساسيا من أركان الدعوة الموحدية الهادفة إلى التغيير الشامل في الفكر و السياسة و الاجتماع.[1]

و حتى تكون دعوة "بن تومرت" أوضح في النفوس و في التاريخ عمد إلى تأليف رسائل في الأصول و في الفقه و في السياسة، و كان من بين ما ألف لهم في العقائد كتاب "التوحيد"[2]و"المرشدة".[3]

و كان المهدي يقوم بنفسه بتدريس و شرح ما كتبه من مؤلفات و يلقن للناس فحواه، و قد قال "ابن خلدون" في هذا المعنى: «فنزل "المهدي" على قومه و ذلك سنة 515 هـ/1121م و بنى رابطة للعبادة، فاجتمعت إليه الطلبة و القبائل يعلمهم "المرشدة" و "التوحيد" باللسان البربري».[4]

و ذكر "ابن القطان" بشيء من التفصيل المسائل التي كان يدرسها "المهدي" و الأساليب التي كان يتبعها لإنفاذ أفكاره، وضمان نجاعة تعليمه.[5]

و لما تولى "عبد المؤمن" الحُكم اعتنى بمؤلفات "المهدي" و أصدر مرسوما يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءة مؤلفات "المهدي" في العقيدة، و ضبط لهم في ذلك أقدارا معينة ،و تراتيب خاصة يتبعونها، و مما يلفت الانتباه في هذا المرسوم ما جاء فيه من أنه «يلزم العامة و من في الديار بقراءة العقيدة التي أولها "أعلم أرشدنا الله و إياك" و حفظها و تفهمها»[6]، فهذه العقيدة

1- عبد المجيد النجار:المهدي بن تومرت،ص: 442.

2- ابن القطان: المصدر السابق، ص: 129.

3- ابن خلدون: العبر،ج 6،ص: 267؛ محمد المنوني: عقيدة المرشدة للمهدي ابن تومرت، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس ، السنة الثالثة، العدد التاسع، ،1966،ص175-185.

4- المصدر نفسه:ج6، ص: 269؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص264 و ما بعدها.

5- ابن القطان: المصدر السابق، ص ص: 167- 169؛ ينظر النص الكامل "للمرشدة"، الملحق رقم11،ص377.

6- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص: 139 – 140.

العقيدة ذات صبغة أشعرية خالصة، خالية من كل قول في الإمامة و ما يتعلق بها، و إلزام العامة بحفظها و تفهمها، سيكون له دور كبير في انتشار الأشعرية في عامة الناس انتشارا واسعا. [1]

و تكونت بهذه المؤلفات مدرسة مغربية في أصول الدين ذات صبغة أشعرية، و نشط التدريس لهذا العلم، و التأليف فيه، بعدما كان مهجورا مقبحا معدودا من البدع، مأمورا في عهد المرابطين بتجافيه، مشددا على من وقع الشك في الميل إليه. [2]

ولئن كانت مؤلفات "المهدي" عموما هي العامل في انتشار المذهب الأشعري بالمغرب لما كان من العناية بها و إفشائها بين الناس كما بيناه، فإنَّ واحدا من تلك المؤلفات هو الذي كان له الدور الأكبر في إشاعة الأشعرية بين أهل المغرب، و كان له الأثر البليغ في تحويل التصور العقدي المغربي من تصور سلفي إلى تصور يقوم على التأويل، و نعني بهذا المؤلف عقيدة "المرشدة"، فقد شاع ذكرها بين الناس عامتهم و علمائهم، و جرت بها الألسنة حفظا و شرحا.
و لذلك فإننا نعتبر انتشار هذه العقيدة و تأثيرها المظهر المهم من مظاهر الأثر الأشعري "لابن تومرت" بالمغرب، باعتبار أنها مؤلفة على الطريقة الأشعرية خالية من الآراء التي خالف فيها "المهدي" هذه الطريقة. [3]

و عقيدة "المرشدة"هي رسالة وجيزة لا تتجاوز الصفحتين[4]، و سميت كذلك لأن افتتاحها كان بعبارة " اعلم أرشدنا الله و إياك ..." فصار هذا الافتتاح علما عليها، و قد حررت هذه العقيدة تحريرا بليغا، و عرضت فيها المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى ذاتاً و صفات دون التعرض لشيء من السمعيات، أو شيء مما يتعلق بالإمامة. [5]

على الرغم من صغر حجم عقيدة " المرشدة " فقد بقيت مصدرا أشعريا يتولاه الشارحون و المعلقون بالتحليل و التفصيل مدة زمنية طويلة، و من بين أهم هذه الشروح نذكر:

1- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص: 444.

2- المراكشي: المعجب،ص: 130.

3- عبد الله كنون: عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت، ضمن كتاب :جولات في الفكر الإسلامي،مطبعة الشويخ ديسبريس، تطوان، المغرب، 1400هـ/1980م،ص96؛ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 447.

4- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص: 92.

5- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 448.

1- شرح " أبي زكريا يحي بن أبي حفص عمر التنسي" و عنوانه "الأنوار المبينة المؤيدة لمعاني عقد عقيدة المرشدة".

2- شرح "أبي عبد الله محمد بن أبي العباس بن إسماعيل الأموي" المعروف "بابن النقاش" و عنوانه "الدرة المفردة في شرح عقيدة المرشدة".

3- شرح "محمد بن إبراهيم بن عباد التلمساني" (ت 792 هـ/1390م) و عنوانه "الدرة المشيدة في شرح عقيدة المرشدة".

4- شرح أبي محمد بن يوسف الخراط على مرشدة بن تومرت، و ضاع هذا الشرح حين دخل النصارى إلى طرابلس عام 756هـ/1355م.

5- شرح أبي عبد الله محمد بن يحي الشيباني الطرابلسي على مرشدة بن تومرت.

6- شرح أبي زكرياء يحي بن أبي حفص عمر، عنوانه" الأنوار المبينة المؤيدة لمعاني عقد عقيدة المرشدة"

7- شرح فقرة من المرشدة لأبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي.

8- شرح محمد بن أبي بكر بن علي بن موسى الكابري(سوداني) اهتم بمرشدة بن تومرت، و ضمنها كتابه" بستان الفوائد" و جعلها في صدارته و هناك من اعتنى بالمرشدة و نظمها تسهيلا للحفظ و التداول.[1]

و هكذا فقد كان لهذا النهج الذي نهجه "بن تومرت" في تعليم العامة المبادئ الأشعرية، أن أثر إيجابيا على منحى المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، إذ ساهم في شيوعه و اشتهاره، بل إنه أصبح مذهبا رسميا للبلاد، و في المقابل تم الابتعاد و الاستغناء عن مذهب أهل التسليم و التفويض.

و بعد أن استعرضنا مجهودات "بن تومرت" في تكريس المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي علينا أن نشير إلى نقطة لها من الأهمية بما كان في هذا الصدد، ألا وهي تلم النقلة

1- عبد الله كنون، عقيدة المهدي ابن تومرت،ص 98، 99؛ عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت،ص 449 و ما بعدها ؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص ص: 92- 93.علال البختي: السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص199، 200؛عبد المجيد معلومي:المرجع السابق،ص69.

النوعية التي عرفها المذهب الأشعري ببلاد المشرق مع نهاية القرن الخامس الهجري، فبعدما كان علماء الأشاعرة يسيرون بمحاذاة طريقة أهل السلف مع اختلاف في بعض الخصائص، أصبحوا في مرحلة متأخرة تزعمها"أبو حامد الغزالي" يسيرون بمحاذاة الفلسفة و المنطق، و كانوا يخاطبون من بين طائفة الفلاسفة في الطبيعيات و الإلهيات مستعملين في خطاباتهم المقدمات الفلسفية و المنطق الأرسطي[1]، ففي هذه المرحلة عرف الفكر الأشعري كما عبر عن ذلك "محمد عابد الجابري". تداخلا تلفيقيا بين النظام المعرفي البياني و النظام المعرفي البرهاني. [2]

و لما كان "بن تومرت" قد هاجر إلى المشرق، فقد اقتبس من ذلك التطور ما يفيده في دعم أفكاره التي حملتها ثنايا بعض الكتب التي وضعها، كذلك الكتاب الذي افتتحه بعبارة «أعز ما يُطلب و أفضل ما يُكتسب، و أنفس ما يُدّخر، و أحسن ما يعمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير»، و صار هذا المفتتح لقبا عليه[3]

و كتاب " أعز ما يطلب" هو عبارة عن مجموعة من كتب و رسائل في الأصول، و الفقه، و التوحيد، و الحديث و السياسة و الجهاد [4]

و إلى هنا يمكن أن نتساءل فنقول: ما هي إذن أهم الآراء التي وردت في مؤلفات بن تومرت؟ " " ؟ الواقع أن كل ما ورد في المرشدة" و كتابه " أعز ما يطلب" يحمل طابعا أشعريا لا غبار عليه، لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو بعض آرائه الكلامية مختصرة:

آراؤه في عقيدة "المرشدة":

– **وحدانية الله:** يثبت بن تومرت وحدانية الله، و يتجلى ذلك في قوله:".... اعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه....". [5]

1- علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط 3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م، ص 90.

2- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص 503.

3- ابن خلدون: العبر، ، ج 6،ص 267.

4- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 7،8.

5- ابن تومرت: عقيدة "المرشدة"، أعز ما يطلب،ص226.

– **خالقيته المطلقة:** يرى بن تومرت أن الله هو خالق كل شيء، و يتمظهر ذلك من خلال قوله:"... خلق العالم بأسره، العلوي والسفلي، والعرش والكرسي، والسماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما..."

– **خضوع الخلائق له:** كما يرى أن جميع الخلائق خاضعة له خضوعا تاما، و يتجلى ذلك في قوله:".... جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذر إلا بإذنه..."

– **أزلية وجوده:** يثبت بن تومرت صفة القدم و أزلية وجود لله عز وجل فيقول:"... موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد..."

– **تنزيهه عن المكان و الزمان:** و يتجلى ذلك من خلال قوله:"... ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتخصص في الذهن، ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام، والأفكار ..."، و قوله:"... لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان..."

– **تنزيهه عن الشبيه و المثيل:** و يتمظهر ذلك من خلال قوله:"... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك..."

– **قيوميته:** و يظهر لنا ذلك من خلال قوله:"...حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم..."

– **علمه المحيط بكل شيء:** و يثبت بن تومرت صفة العلم لله عز وجل بقوله:"...عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، و يعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورق إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب، ولا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عدد..."

– **القدرة:** كما يؤكد و يثبت صفة القدرة للباري عز وجل في عقيدته المرشدة فيقول:"... قادر على ما يشاء..."

– **إرادة الله:** كما يرى بن تومرت ان الله مريد لكل شيء بإرادته الإلهية فيقول:"... فعال لما يريد..." [1]

1- ابن تومرت: عقيدة "المرشدة"، أعز ما يطلب،ص226.

– **استغناء الله:** يرى بن تومرت أن الله عز وجل غني عن عباده، و يتجلى ذلك في قوله:"... له الملك والغناء..." [1]

– **عزة الله:** كما يثبت بن تومرت من خلال عقيدته صفة العزة للباري عز وجل فيقول :"... وله العزة والبقاء..."

– **بقاء الله:** و كذلك يثبت صفة البقاء لله عز وجل فيقول :" والبقاء وله الحكم والقضاء ..."

– **المشيئة المطلقة:** و يتجلى ذلك في قوله :"...لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان، كوّن المكان، ودبر الزمان..."

– **العدل و الفضل:** و يرى بن تومرت ان الله عادل في كل شيء، و أنه له الفضل الكبير علينا، و يتجلى ذلك في قوله:" ... لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم.... فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل..."

– **السمع و البصر:** يثبت بن تومرت صفتي السمع و البصر للباري عز وجل فيقول:"... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..."[2]

و تجدر الإشارة إلى أن "مرشدة " بن تومرت كانت خالية من مسألة " الإمامة"، هذا ما أقره النجار أثناء حديثه عن المرشدة و ظروف كتابتها من طرف بن تومرت فيقول:"....و نرجح أن تكون– المرشدة– من مؤلفاته الأولى حين نزوله ببلده إثر رحلته إلى المشرق، فجاءت خالية من القول في الإمامة التي يبدوا أن آراءه فيها لم تتضح لديه بعد، و لم يصدع بها إلا حينما انتقل إلى تينملل..."[3]

و لقد تصدى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية(ت728هـ/1327م) للمرشدة بالنقد و التجريح و هو صاحب الفتوى التالية: " سئل شيخ الإسلام وناصر السنة فريد الوقت وبحر العلوم بقية المجتهدين وحجة المتأخرين تاج العارفين وقدوة المحققين رحلة الطالبين ونخبة الراسخين إمام الزاهدين ومنال المجتهدين الإمام الحجة النوراني والعالم

1– ابن تومرت: عقيدة "المرشدة"، أعز ما يطلب،ص226.

2– المصدر نفسه،ص226.

3– عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت،ص 449، 450.

المجتهد الرباني تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني أدام الله علو قدره في الدارين وجعله يتسنم ذروة الكمال مسرور القلب قرير العين عن المرشدة " كيف كان أصلها وتأليفها ؟ وهل تجوز قراءتها أم لا؟ فأجاب – رحمه الله تعالى – قائلا : الحمد لله رب العالمين أصل هذه : أنه وضعها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الذي تلقب بالمهدي وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة من نحو مائتي سنة وكان قد دخل إلى بلاد العراق وتعلم طرفا من العلم وكان فيه طرف من الزهد والعبادة."[1]

و بعد أن تكلم شيخ الإسلام على المراحل التي مر بها بن تومرت في طلب العلم و عودته للمغرب و بثه أفكاره التي لا تتماشى مع الإسلام منها: نبش القبور و إدعائه تكليم الموتى يقول ابن تيمية:"... فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهدون له بذلك عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره... ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتوا ولا يظهروا أمره وأعتقد أن دماء أولئك مباحة بدون هذا وأنه يجوز له إظهار هذا الباطل ليقوم أولئك الجهال بنصره و اتباعه"، و زعمه أن النبي ﷺ علمه و في هذا الصدد يقول ابن تيمية:"... إنه ذكر لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه ذلك فصاروا يحسنون الظن بذلك الشخص وأنه كان لهم يوم يسمونه يوم الفرقان فرق فيه بين أهل الجنة وأهل النار بزعمه فصار كل من علموا أنه من أوليائهم جعلوه من أهل الجنة وعصموا دمه ومن علموا أنه من أعدائهم جعلوه من أهل النار فاستحلوا دمه..."[2]

كما قام بن تومرت بمحاربة أهل السنة و رماهم بصفات مشينة من أجل تهديم الدين و الوصول إلى مبتغاه السياسي حتى و لو كان على حساب دماء و أموال المسلمين و هنا يقول ابن تيمية:"... واستحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة يقرؤون القرآن والحديث : كالصحيحين والموطأ وغير ذلك والفقه على مذهب أهل المدينة فزعم أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم واستحل أيضا أموالهم وغير ذلك من

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج11،ص477.

2- المصدر نفسه، ج11،ص478.

المحرمات بهذا التأويل ونحوه من جنس ما كانت تستحله الجهمية المعطلة - كالفلاسفة والمعتزلة وسائر نفاة الصفات.."[1]

و بعد أن تكلم شيخ الإسلام عن المعتزلة و خلق القرآن و محنة العلماء في أواخر خلافة المأمون و أخيه المعتصم، و الواثق حتى زاحت هذه المحنة في عهد المتوكل[2]، ثم عاد للكلام عن صاحب المرشدة و بدأ بتوجيه المآخذ التي وجهها لابن تومرت و دعوته قائلا:"... وصاحب " المرشدة " كانت هذه عقيدته كما قد صرح بذلك في كتاب له كبير شرح فيه مذهبه في ذلك ذكر فيه أن الله تعالى وجود مطلق كما يقول ذلك ابن سينا وابن سبعين وأمثالهم... ولهذا لم يذكر في " مرشدته " الاعتقاد الذي يذكره أئمة العلم والدين من أهل السنة والجماعة أهل الحديث والفقه والتصوف والكلام وغيرهم من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم كما يذكره أئمة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الكلام : من الكلابية و الأشعرية و الكرامية وغيرهم ومشايخ التصوف والزهد وعلماء أهل الحديث فإن هؤلاء كلهم متفقون على أن الله تعالى حي عالم بعلم قادر بقدرة." و يظهر من قول الشيخ أن المرشدة خالية من الاعتقاد المتعرف عليه لدى الأئمة و علماء الكلام و غيرهم من الفرق الدينية.

كما يظهر من قول الشيخ أن بن تومرت أسند الصفات السلبية إلى الله سبحانه في صيغ النفي في قوله: " ليس كذا، ليس كذا...." ليصف الله انطلاقا من ذلك، بأنه موجود مطلق، تأييدا للتوحيد الذي سمى به أصحابه بالموحدين و هم مذهب الفلاسفة و بعض علماء الكلام كالمعتزلة، في حين أن الأئمة من أهل السنة و الجماعة كلهم اتفقوا على ان الله حي عالم بعلم، و قادر بقدرة و متكلم بكلام.[3]

ثم يعود الشيخ ابن تيمية في فتواه للحديث عن صاحب المرشدة ليقول:"... لم يذكر فيها شيئا من الإثبات الذي عليه طوائف أهل السنة والجماعة ولا ذكر فيها الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الجنة والنار والبعث

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج11، ص479.
2- المصدر نفسه، ج11، ص-ص: 479-484.
3- المصدر نفسه، ج11، ص485.

والحساب وفتنة القبر والحوض وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة ومن عادات علمائهم أنهم يذكرون ذلك في العقائد المختصرة بل اقتصر فيها على ما يوافق أصله وهو القول بأن الله وجود مطلق وهو قول المتفلسفة و الجهمية والشيعة ونحوهم ممن اتفقت طوائف أهل السنة والجماعة أهل المذاهب الأربعة وغيرهم على إبطال قوله وتضليله."[1]

و الملاحظ من قول الشيخ خلو عقيدة المرشدة من الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ من رسالة و ليس فيها الإيمان باليوم الآخر، و لا بما أخبر به الرسول الكريم من أمر البعث و الحساب و الجنة و النار و الحوض و فتنة القبر، و شفاعة النبي ﷺ ،و هي أمور اتفق عليها العلماء و آمن بها المسلمون. و يقول أيضا:"... فذكر فيها ما تقوله نفاة الصفات ولم يذكر فيها صفة واحدة لله تعالى ثبوتية وزعم في أولها أنه قد وجب على كل مكلف أن يعلم ذلك وقد اتفقت الأئمة على أن الواجب على المسلمين ما أوجبه الله ورسوله وليس لأحد أن يوجب على المسلمين ما لم يوجبه الله ورسوله والكلام الذي ذكره بعضه قد ذكره الله ورسوله فيجب التصديق به وبعضه لم يذكره الله ولا رسوله ولا أحد من السلف والأئمة فلا يجب على الناس أن يقولوا ما لم يوجب الله قوله عليهم وقد يقول الرجل كلمة وتكون حقا لكن لا يجب على كل الناس أن يقولوها وليس له أن يوجب على الناس أن يقولوها فكيف إذا كانت الكلمة تتضمن باطلا ؟"[2]

و بعد ذلك يورد الشيخ ابن تيمية كلام بن تومرت في القدرة فيقول:"... وقال أيضا في قدرة الله تعالى : إنه قادر على ما يشاء وهذا يوافق قول الفلاسفة وعلي الأصواري وغيره من المتكلمين الذين يقولون : إنه لا يقدر على غير ما فعل، ومذهب المسلمين أن الله على كل شيء قدير سواء شاءه أو لم يشأه."[3]

و يقول شيخ الإسلام في نهاية فتواه:" وقد شرحنا ما ذكره فيها كلمة كلمة وبينا ما فيها من صواب وخطأ ولفظ مجمل في كتاب آخر فالعالم الذي يعلم حقائق ما فيها ويعرف ما جاء به

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج11،ص486، 487.

2- المصدر نفسه، ج11،ص487.

3- المصدر نفسه، ج11،ص488، 489.

الكتاب والسنة لا يضره ذلك فإنه يعطي كل ذي حق حقه ولا حاجة لأحد من المسلمين إلى تعلمها وقراءتها ولا يجوز لأحد أن يعدل عما جاء في الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلاف ذلك أو يوقع الناس في خلاف ذلك وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة ولا عبادة من عنده : بل عليه أن يتبع ولا يبتدع ويقتدي ولا يبتدي فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا... والنبي صلى الله عليه وسلم علم المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وليس ذلك مخالفا للعقل الصريح فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس أو يفهمون منها معنى باطلا فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة"[1]

و هنا نجد الشيخ ابن تيمية يخلص في نهاية كلامه عن المرشدة و مآخذها إلى أنه لا حاجة لأحد من المسلمين إلى قراءتها و تعلمها، و لا يجوز لأحد من المسلمين أن يعده عما جاء به القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و ما اتفق عليه السلف الصالح إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلال ذلك، و ليس لأحد مهما كان علمه أن يبدع للناس عقيدة و لا عبادة بل عليه أن يتبع و لا يبتدع.

آراؤه في كتابه " أعز ما يطلب":

- وحدانية الله:

يثبت بن تومرت وحدانية الله عز وجل فيقول:" ...لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات، و شهدت عليه المخلوقات،بأنه جل و علا وجب له الوجود على الإطلاق، من غير تقييد و لا تخصيص... ليس معه شيء غيره، و لا موجود سواه...انفرد بالوحدانية و الملك و الألوهية...لا شريك له."[2]، و يستدل على وحدانية الله بقوله:".... و الغيرية على ضربين غيرية مستقلة، و

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج11،ص489، 490.

2- ابن تومرت: المصدر السابق،ص225.

غيرية غير مستقلة، و هذا الحصر مبين في مسألة نفي الشريك عن الباري سبحانه...."[1] إذن هنا نرى أن بن تومرت يستدل بدليل "الغيرية" في إثبات وحدانية الله عز وجل.

– وجود الله:

يثبت بن تومرت صفة وجود الله في فصل" بضرورة العقل يعلم وجود الباري سبحانه" فيقول:"...أخبر تعالى أن فاطر السموات و الأرض ليس في وجوده شك، و انتفى عنه الشك، وجب كونه معلوما، فثبت بهذا أن الباري سبحانه يعلم بضرورة العقل.."[2]، و يقول في موضع آخر:"... بأنه جل و علا وجب له الوجود على الإطلاق...."[3]

و يقدم بن تومرت الدليل العقلي على الدليل النقلي في الاستدلال على وجود الله فيقول:"...و الضرورة ما لا يتطرق إليه شك، و لا يمكن العاقل دفعه. و هذه الضرورة على ثلاثة أقسام: واجب، و جائز، و مستحيل، فالواجب ما لا بد من كونه، كافتقار الفعل للفاعل، و الجائز ما يمكن أن يكون، و يمكن أن لا يكون، كنزول المطر، و المستحيل ما لا يمكن كونه، كالجمع بين الضدين، و هذه الضرورة مستقلة في نفوس العقلاء بأجمعهم، استقر في نفوسهم أن الفعل لابد له من فاعل، و أن الفاعل ليس في وجوده شك، و لذلك نبه الله تبارك و تعالى في كتابه فقال:﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [4]

– تنزيه الله عن الشريك:

يذكر بن تومرت ذلك في فصل" فإذا علم وجوده على الإطلاق علم أنه ليس معه غيره في ملكه" فيقول:"...إذ لو كان معه غيره لوجب تقييده بحدود المحدثات...." ، و يواصل بن تومرت في طريقة استدلاله على تقديم العقل على الشرع و ذلك حين بدأ في التدليل على هذه المسألة فيقول:"...لوجوب كون الغير المستقل منفصلا، و الخالق سبحانه ليس بمتصل و لا منفصل، و لو اتصف بالاتصال و الانفصال لوجب كونه مخلوقا، و كون الخالق مخلوقا مستحيل، لاستحالة

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص163.

2- المصدر نفسه،ص214.

3- المصدر نفسه،ص225.

4- سورة: إبراهيم، الآية:13.

انقلاب الحقائق، فعلم بهذا انه إله واحد ليس معه ثان في ملكه كما قال تعالى:﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [1] . "[2]

– مسألة الصفات:

يثبت بن تومرت مجموعة الصفات للذات الإلهية فيقول:"...لوجوب كون الخالق حيا عالما قادر مريد سميعا بصيرا متكلما، من غير توهم تكييف..." [3]إذن نلاحظ من هذا القول أن بن تومرت أثبت الصفات التي يتفق عليها مجموع الأشاعرة و هي: العلم، و القدرة، و الإرادة، و السمع و البصر و التكلم.

كما يثبت بن تومرت صفتي القدم و العزة لله عز وجل فيقول:"...لاستحالة انقلاب الحقائق، لو انقلب الواجب جائزا و الجائز مستحيلا لبطلت المعلومات، فعلم بهذا وجوب دوامه، لم يزل و لا يزال عالما بجميع المحدثات على ما هي عليه من صفاتها، و تفاصيل أجناسها، و ترتيب أوقاتها، و نهاية أعدادها قبل وجود أعيانها، قدرها العليم في أزليته فظهرت بحكمته على وفق تقديره."[4]

– مسألة المشيئة المطلقة:

يخصص بن تومرت فصلا في كتابه أعز ما يطلب يتكلم فيه بصراحة عن مسألة المشيئة فهو يثبت لله القدرة على فعل ما يدخل تحت مقدوراته فيقول:"... و جميع المخلوقات صادرة عن قضائه و قدره، أظهرها الباري سبحانه كما قدرها في أزليته....إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون..."[5]

1- سورة: النحل، الآية:51.

2- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص 218.

3- المصدر نفسه،ص218.

4- المصدر نفسه،ص218.

5- المصدر نفسه،ص219، 220.

- **مسألة العدل و الإحسان:** بين بن تومرت انفراد الله عز وجل بصفتي العدل و الإحسان بقوله:"... يهدي و يضل، و يعز،و يذل،....لا يتصف بالظلم و العدوان، إلا من عليه الحجر و الحكم، إذا تعدى حدود المالك....لا يرجوا ثوابا و لا يخاف عقابا."[1]

- **مرتكب الكبيرة:**

يتفق بن تومرت مع ما تطرق إليه الأشاعرة حول" مرتكب الكبيرة"، حيث كان حكمهم عليه موافقا لموقفهم من العصاة، فأعلن بن تومرت:"...يعذب من يشاء و يرحم من يشاء... "[2] بهذا القول عبر بن تومرت عن موقف المذهب الذي يرى أن مرتكب الكبيرة لا يقطع بعقابه بل هو في المشيئة ، إن شاء تجاوز أخطائه و أدخله الجنة.

- **مسألة رؤية الله:**

يرى بن تومرت وجوب التصديق بما ورد في الشرع من هذه المسألة، أي أنه يثبت الرؤية لله عز وجل فيقول:"...يرى من غير تشبيه و لا تكييف، لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار..."[3] و هنا نلاحظ أن بن تومرت اكتفى في اثبات الرؤية لله على الدليل العقلي فقط.

- **مسألة النبوات:**

يورد بن تومرت فصلا في كتابه هذا عن " إثبات الرسالة و المعجزات"، و الذي يثبت من خلاله أن النبوة جائزة فيقول:"... و بالضرورة يعلم صدق الرسول لظهور الآيات..."[4] و هذا يعني أن النبوة و الرسالة عند بن تومرت و غيره من الأشاعرة جائزة.

و هنا نجده يشترط في صدق الرسول شرطا؛ هو الإتيان بالمعجزة التي يضع لها بن تومرت شروطا لا تتحقق و لا يصدق الرسول إلا إذا توافرت و يتجلى ذلك في قوله:"...لظهور الآيات الخارقة للعادة على وفق دعواه ....كإنفلاق البحر، و انقلاب العصى حية، إحياء الموتى، و

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص 220.

2- المصدر نفسه،ص220.

3- المصدر نفسه،ص221، 222.

4- المصدر نفسه،ص222.

انشقاق القمر... ... و الموافقة بين المعجزة و الدعوى المحسوسة... فلما عجزوا عن الإتيان بما أتى به. "[1]

و هنا نستنتج أن الشروط التي وضعها بن تومرت لتحقق المعجزة تتمثل في:

1- أن تكون فعلا لله.

2- أن تكون خارقة للعادة.

3- أن تقع بعد تحدي(وفق دعواه).

4- أن تؤدي إلى عجز المعارضين و المتحدين (فلما عجزوا عن الإتيان بما أتى به)

أما موقفه من الرسول ﷺ فنجد بن تومرت يحث على ضرورة الإيمان به و تصديق من خلال قوله:"...علم بالضرورة صدقه، أرسله الله إلى الناس كافة بشيرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا، بعثه بالرفق و الرحمة، و خصصه بالعلم و الخشية، و شرفه بالحلم و الحكمة، و هداه إلى الأخلاق الحسنة فبلغ الرسالة و بين الشريعة."[2]

- الإمامة:

إن أول شيء يجب الإشارة إليه أن بن تومرت يعتبر الإمامة من الجائزات العقلية و هذا من خلال تخصيصه بابا عن الإمامة، و يتجلى هذا بوضوح في قوله:" .. و هو وجوب اعتقاد الإمامة للكافة."[3]. و يرى بن تومرت أن الإمامة أمر أساسي و مهم لحياة الناس فيقول:"... و هي ركن من أركان الدين، و عمدة من عمد الشريعة، و لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة." [4]،و يضع بن تومرت شرطين أساسيين لكي يتم أمر الإمامة فيقول:".. وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة....لا بد أن يكون الإمام معصوما من الفتن[5] ..." [6]

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص 222.

2- المصدر نفسه،ص222، 223.

3- المصدر نفسه،،ص229.

4- المصدر نفسه ،ص 229

5- أن يكون الإمام معصوما من: الباطل و الجور و البدع و الكذب و العمل بالجهل.

6- المصدر نفسه،ص229.

من خلال قوله يمكن أن نستنتج أن بن تومرت قد ركز على الشرط إذن هذه هي الشروط التي يعتقد بن تومرت أنها من مستلزمات منصب الإمامة:

1- الإمامة للكافة (إبطال شرط القرشية).

2- شرط العصمة للإمام (من: الباطل و الجور و البدع و الكذب و العمل بالجهل.)

و نخلص في النهاية، إلى أنه على الرغم من أن أراء "بن تومرت" كانت متعددة المشارب ، إذ لم يكن يوما أشعريا خالصا، إلا أن خلفاءه اعتبروه كذلك، و أرغموا الناس على حفظ مرشدته و فهم مضامينها، باعتبارها مدخلا سهلا للمذهب الأشعري. [1]

و قد أدت هذه السياسة في نشر مؤلفات "المهدي" و إشاعتها إلى أن أخذت طريقها بين عامة الناس، و جرت بها دروس العلماء وشروحهم في مختلف الأفاق المغربية،كما ساعدت في بروز عدد من المفكرين حملوا راية المذهب الأشعري عاليا، من أبرزهم القاضي:" **أبو بكر بن العربي**".

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

5-2- ابن العربي (ت 543 هـ/1148م):

5-2-1- حياته:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري، ولد في اشبيلية بالأندلس عام 468هـ/1075م في بيت علم و جاه[2]، تلقى ثقافته الأولى على يد أبيه و خاله.[3] زار في شبابه مصر و العراق و بيت المقدس و دمشق و الحجاز و هناك تلقى العلم على أهلها حتى برع في علوم السنة و تراجم الرواة و أصول الدين و أصول الفقه. [4]

و قد أخذ "ابن العربي" في رحلته عن جملة من العلماء، نذكر منهم "أبو بكر الطرطوشي"[5]،

1- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين و الموحدين، ص 218.

2- ابن بشكوال: المصدر السابق: ج 2، ص: 590.

3- المقري: نفخ الطيب، ج2،ص: 233.

4- جاسم محمد القاسمي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص: ص: 94.

5- ينظر:رسالة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي (520 هـ) إلى ابن المظفر، الملحق رقم:10،ص376.

و "أبو الحسن الطيوري"، و "أبو بكر الشاشي".[1] و في بغداد لقي حُجة الإسلام "أبا حامد الغزالي"، فلازمه مدة و درس عليه بعض كتبه، و ذكر هو نفسه ذلك إذ قال: «قرأت عليه جملة من كتبه و سمعت كتابه الذي سماه "بالإحياء لعلوم الدين"».[2] و لقد كان ابن العربي من أهل التفنن في مختلف العلوم مع براعته في الفقه والحديث، ثاقب الذهن حافظ البديهة، حريصا على نشر العلم وآدابه، وكان فصيحا حافظا أديباً وشاعرا، كثير الملح خفيف المجلس، وقد حكى ابن الزبير في صلته: أن القاضي ابن العربي في مقامه بإشبيلية كان ملتزما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أصيب من جراء ذلك بنهب كتبه وماله، فاحتمل ذلك وأحسن الصبر[3] ، وقد تولى أبو بكر قضاء إشبيلية في رجب من سنة 528 هـ/1133م فنفع الله به لصرامته في الحق ونفوذ أحكامه، وكانت له على الظالمين والباغين غلظة.

و تشير بعض المصادر إلى ان "ابن العربي" إجتمع "بابن تومرت" في بغداد[4]، و في الحقيقة أن ذلك الأمر لم يكن لكون "ابن العربي" رجع من المشرق قبل رحلة "بن تومرت" بسنوات[5]، فمع سنة 492 هـ/1098م بدأت رحلة العودة "لابن العربي"، و لما وصل إلى إشبيلية قصده طلاب العلم من كل جهة، و بلغ ذروة مكانته في العلم و التدريس أيام حكم المرابطين، و كان من بين العلماء الذين أخذوا و درسوا على "ابن العربي" القاضي "عياض اليحصبي" و ابنه القاضي "محمد بن عياض" و المؤرخ "ابن بشكوال" صاحب كتاب "الصلة"، و "أبو العباس أحمد بن أبي الوليد ابن

1- المقري: نفح الطيب: ج 2، ص: 234.

2- أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي: العواصم من القواصم، تحقيق: عمار طالبي (نشره بعنوان آراء ابن العربي الكلامية)، ج1 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،(ب- ت)، ص: 19 .

7- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض،ضبطه و حققه و علق عليه: مصطفى السقا و آخرون، ج3،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة،1361هـ/1942م، ص:64.

4- المقري: نفح الطيب، ج 2،ص: 233.

5- مجهول،: الحلل الموشية، ص: 148.

رشد" والد الفيلسوف "ابن رشد" و غيرهم[1]، و بقي يدرس قرابة 40 عاما، مما أهله لتولي منصب القضاء مع سنة 528 هـ/1133م. [2]

وقد ترجم القاضي عياض لابن العربي في مشيخته الغنية بقوله: "...واجتاز ببلدنا سبتة فكتبت عنه فوائد وناولني كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني، وحدثني بكتاب الإكمال للأمير بن نصر بن ماكولة... وأجازني في جميع رواياته[3].

و في السنوات الأخيرة من حياته انقرضت دولة المرابطين ،لتقوم على أعقابها دولة "عبد المؤمن بن علي"، و بحلول سنة 542 هـ/1147م، توجه "ابن العربي" إلى مراكش مع وفد من اشبيلية لمبايعة "عبد المؤمن بن علي" خليفة على دولة الموحدين، و فيها تعرض الفقيه"أبو بكر بن العربي" لسخط الخليفة"عبد المؤمن بن علي" لأنه لم يقرر صراحة و على ملأ من الأشهاد أن "محمد بن تومرت" درس على "أبي حامد الغزالي"،و أن هذا الأخير تنبأ له بالمهدية، وبعد رحلة العودة "لابن العربي" أدركته المنية ودفن يوم 07 ربيع الأول 543 هـ/1148م بفاس[4]، و هناك من المؤرخين من يظن أن سبب وفاته يعود إلى السخط الذي تعرض له[5].

و قد ترك ابن العربي إرثا من التآليف والتصانيف ففي التفسير ألف كتابه " أنوار الفجر " الذي قال عنه في كتابه "القبس" أنه ألفه في العشرين سنة ويقع في ثمانين ألف ورقة في ثمانين مجلدا تفرقت بأيدي الناس[6] كما ألف كتابه "أحكام القرآن" و"القانون في تفسير القرآن" وكتاب "الناسخ والمنسوخ" أما في الحديث فألف كتابه "عارضة الأحوذي" الذي شرح فيه جامع الترمذي شرحا رائعا وكتاب "القبس على موطأ الإمام مالك بن أنس" وكتاب "المسالك في شرح الموطأ مالك" وكتاب المسلسلات وكتاب "أسماء الله الحسنى" أما في الفقه وأصوله فله كتاب "المحصول"

1- يحي هويدري، المرجع السابق، ص: 214.
2- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 3،ص: 424.
3- القاضي عياض:الغنية، ص: 34.
4- مجهول: الحلل الموشية، ص: 148.
5- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته ،ج 2، ص: 192 .
6- المقري: أزهار الرياض، ج3، ص:88.

وكتاب الخلافات وكتاب " الكافي بأن لا دليل على النافي " وله غير ذلك كثير من المصنفات منها "السباعيات" و"شرح غريب الرسالة" و "الإنصاف" و "العواصم و القواصم" وغيرها. [1]

5-2-2- دوره في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

يعد "ابن العربي" من طراز العلماء الذين قال عنهم الإمام "الغزالي" أنهم كانوا يقصدون بعلمهم وجه الله لا وجه الدنيا[2]، أما عن علاقته بالفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي، فإن أقل ما يمكن قوله في حق هذا الرجل هو أنه شكَّل إحدى الدعامات التي قام عليها المذهب ببلاد المغرب، فقد لعب دورا بالغا في نشر الفكر الأشعري بهذه البلاد، و يمكن إبراز أهميته في أمرين: [3]

الأمر الأول :في كونه نقل مجموعة من أمَّهات كتب الأشاعرة بالمشرق إلى المغرب الإسلامي، مما سمح للمغاربة بالإقتراب من الفكر الأشعري في مضامينه الأصلية و في مصادره الأولى، و بتداولها فيما بينهم نقلا، و دراسة،و تلقيا، و بهذا كانت هذه العملية ناجحة لتهيئة الجو أمام توسيع رقعة انتشار العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب الإسلامي، و تكريسها و تثبيتها و إعطائها السند المرجعي الكفيل بتطويرها أكثر.[4]

و من الكتب التي حملها "ابن العربي" إلى الأندلس نذكر "مدارك العقول" ، "البرهان في أصول الفقه"، "العقيدة النظامية"، "غياث الأمم" لإمام الحرمين "الجويني"، **و** أحضر من تأليف "الغزالي" كتاب "محك النظر"، كتاب "تهافت الفلاسفة"، كتاب "الإقتصاد في الإعتقاد"، و كتاب "إحياء علوم الدين"، **و** أحضر معه أيضا كتاب "الجامعان الخفي و الجلي" "لأبي إسحاق الإسفراييني"، "إختصار تفسير الطبري"، "تفسير القرآن" "للقشيري".[5]

الأمر الثاني: فيتمثل في كونه وضع عددا من التصانيف و الرسائل التي نطقت بالجانب العقدي الأشعري، من أهمها "الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى و صفاته العليا"، "رسالة الغرّة في الرد على

1- المقري: أزهار الرياض، ج3، ص:94.
2- يحي هويدري:المرجع السابق، ص: 214.
3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص:52.
4- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ، ص: 52.
5- ابن العربي:المصدر السابق، ج 2،ص52.

ابن حزم"، "الوصول إلى معرفة الأصول".، "العواصم من القواصم"،"الدواهي و النواهي".، "قانون التأويل"،"نزعة الخاطر وتحفة الخواطر"، كتاب "المسقط في شرح المتوسط"، كتاب "المتوسط في معرفة صحة الإعتقاد و الرد على من خالف السنة من ذوي البدع و الإلحاد". [1]

إن هذا الثبت الذي قدمناه عن مؤلفات "ابن العربي" العقدية يضم كتبا مفقودة، و أخرى مخطوطة ،و أخرى مطبوعة، لكنها جميعا تتحرك داخل مناخ الفكر الأشعري و تتكلم باسمه، و هي تشهد على الدور المهم و الكبير الذي لعبه "ابن العربي" في هذه الفترة، التي كانت تقتضي من المدافعين الأوائل عن الفكر الأشعري أن يسهموا إسهامات كبيرة في التأليف على هذا المذهب ،و الدفاع عنه في الكتب و الرسائل، و هذا ما يتجلى واضحا في أعمال هذه الشخصية. [2]

و مما تجدر الإشارة إليه أن شهرة "ابن العربي" لم تكن في علم الكلام و إنما كانت في غيره، إذ نبغ في الفقه و علوم القرآن ،و الحديث و ألف فيهم التآليف التي أعلت من شأنه و تناقلها العلماء من بعده. [3]

و الواقع أن شخصية "ابن العربي" في إطار الفكر الأشعري ،هي شخصية متبحر فذ، مطّلع له نظرياته المتميزة، و آراؤه الخاصة، ويبدوا ذلك جليا من خلال مؤلفاته التي سبق و أن أشرنا إليها من قبل، خاصة كتابه "العواصم من القواصم" الذي توفر بين أيدينا، حيث تظهر فيه شخصيته الفكرية بشكل واضح من حيث إبداء أرائه و إبراز مواقفه الخاصة و تفرده ببعض الدقائق، و مما يزيد من تميّز "ابن العربي" في كتاباته العقدية في هذه الفترة هو كثرة مصادره.

و على الرغم من أن الكثير ممن عاصروا "ابن العربي" من أمثال " أبو الحسن بن حرزهم" ممن أعقبوا عصره شهدوا له بإمامته في هذا المذهب، و اعترفوا له بقيمته العلمية و دوره الكبير في تثبيت دعائم هذا المذهب و الدفاع عنه.

و هنا نتسائل كيف ساهم أبو الحسن بن حرزهم في خدمة المذهب الأشعري ببلاد المغرب؟

1- المقري: نفح الطيب، ج 2، ص: 242.

2- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص: 103 .

3- ابن شكوال: المصدر السابق،ج 2،ص: 591.

5-3- أبو الحسن بن حرزهم (ت 559هـ/ 1163م)[1]:

هو علي ابن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، بن زيان، بن يوسف، بن سومران، بن حفص، بن الحسن، بن محمد بن عبد الله، بن عمر، بن عثمان بن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]، من أهل مدينة فاس بها ولد و نشأ و توفي، أخذ عن عدة شيوخ من أشهرهم أبو بكر بن العربي(ت 543هـ/1148م)، و أبو بكر ابن مالك، و أبو عبد الله بن الخياط، كما أخذ عن أبيه إسماعيل[3]، و عن ابن النحوي، لكنه اختص بعمه أبي محمد صالح ابن حرزهم[4] و عليه كان أكبر اعتماده. و معلوم أن صالحا هذا كان قد رحل إلى المشرق و درس على أبي حامد الغزالي(ت505هـ/1111م) قبل رجوعه إلى فاس، فإليه يرجع الفضل في إقبال ابن حرزهم على العلوم الصوفية و الكلامية حتى صار من أفقه لأهل بلده و أعلمهم و أزهدهم.
يقول عنه التنبكتي:"...كان فاسيا عالما فقيها محدثا حافظا مدرسا، زاهدا في الدنيا سالكا في طريق القوم، من أهل التحقيق مشاركا في علوم الشريعة لكنه أميل لعلوم الباطن، أحكم كتاب إحياء الغزالي و ضبط مسائله فكان يستحسنه و يثني عليه..."[5]
و قال عنه ابن القاضي:"...كان رحمه الله معظما للعلم موفيه حقه، منقبضا عن أبناء الدنيا، و كان فقيها عارفا بالمسائل و الفقه و الحديث و معرفة التفسير و التصريف، و كان يتكلم على رعاية المحاسبي، و كان ورعا عارفا بالكلام مع الورع و الزهد في الدنيا و التخشن في الملبس..."[6]

1- ينظر ترجمته: ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف،ص168؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس،ص66؛ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص162، 163؛ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير و عز الحقير،ص-ص:12-14؛ التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ص309؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2،ص464-466.

2- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص162؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج2،ص464.

3- ابن الزيات: التشوف،ص94، 95.علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص122.

4- ينظر ترجمته: ابن الزيات، التشوف،ص94.

5- التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ص309، 310.

6- ابن القاضي: المصدر السابق، ج2،ص464.

و قد تمتع أبو الحسن بمكانة ارتقى خلالها الدرجات الرفيعة عند الحكام المرابطين، إلا أنه خالفهم و سلك طريق مخالفا لهم، إلا و هو طريق التصوف، فانكب على قراءة إحياء علوم الدين، للغزالي، و كتب المحاسبين و كتب مكي بن أبي طالب و غيرها.[1]

و قد أثر أبو الحسن على الفكر الشرعي و الصوفي في المغرب أيما تأثير، و استطاع أن يؤسس مدرسة صوفية مغربية تخرج منها علماء و زهاد بارزون من أمثال أبي الحسن بن خيار، و أبي محمد التادلي، و أبي إسحاق المعروف بابن المرأة ، و أبي الصرح أيوب الفهري، و أبي يعزى يلنور، و أبي مدين الغوث و غيرهم.[2]

و قد سلك ابن حرزهم في منهجه الصوفي طريق" أهل الملامتية" و لم يكن يعرف ذلك الطريق بالمغرب، فكان أهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله و لكن لصدقه كانت القلوب مائلة إليه[3].

يقول ابن الزيات عنه:"....كان من كبار الفقهاء و كان زاهدا في الدنيا سالكا سبيل التصوف، ذا كرامات و فراسات. و كان والده من كبار الصالحين و كذلك أخوه..."[4]

و قد كان أبو عمرو عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي أحد الأعلام الذين أخذوا عن هذا الفقيه الصوفي الكبير و تأثروا به تأثرا واضحا في سيرتهم و في كل مناحي حياتهم، فبالإضافة إلى التأثير الصوفي الذي تركه فيه، كان لأبي الحسن الفضل الأول في تعليم أبي عمرو مبادئ العقيدة الأشعرية، فلا زلنا نذكر أن السلالجي لما تلقف كتاب " الإرشاد" و جاء يستشيره في دراسته شجعه أبو الحسن على ذلك، بل و أخذ يبسط له معانيه في حدود ما وصلت إليه معارفه في ذلك العلم، و هكذا قعد السلالجي يدرس " الإرشاد" على ابن حرزهم رغم أن هذا الأخير " كان يفتر في مواضع منه". و بذلك يكون ابن حرزهم ممن درس له علم الكلام بالإضافة إلى التصوف و الفقه.[5]

1- ابن الزيات: التشوف،ص170؛ علال البختي: عثمان السلالجي،ص101.

2- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص 163.

3- علال البختي: عثمان السلالجي،ص122، 123.

4- ابن فنقد: أنس الفقير،ص12.

5- ابن الزيات: التشوف،ص199؛ علال البختي: عثمان السلالجي،ص123.

لكن دوره العقدي تقلص بعد هذه الفترة ليفسح المجال أمام متبحر آخر لنشر المذهب الأشعري. ألا و هو " **أبو علي المسيلي**".

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

5-4- أبو علي المسيلي (ت 580هـ/1185م):

هو حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو علي،يعود أصله إلى مدينة المسيلة، رحل إلى مدينة بجاية و توفي بها سنة(580هـ/1185م)، كان فقيها مالكيا، حافظا و متكلما، و هو من أصحاب الولي الزاهد الشيخ أبي مدين التلمساني، تولى القضاء ببجاية إلى أن دخلها بنو غانية بقيادة علي بن غانية الميروقي سنة 580هـ/1185م، و احتلوها و أكرهوه على مبايعتهم فرفض و اعتزل القضاء، و اهتم بالتدريس في مساجدها و نشر العلم و التأليف إلى أن مات سنة 580هـ/1185م و دفن بمقبرة باب أمسيون[1]، ذكره الغبريني في كتابه فقال:" جمع بين العلم و العمل و الورع، و بين علمي الظاهر و الباطن، له المصنفات الحسنة و القصص العجيبة المستحسنة"، و قد ترك مؤلفات كثيرة ذكرها الغبريني و علق عليها منها : التذكرة في أصول الدين، النبراس في الرد على منكر القياس، و التفكر فيما تشتمل عليه السور و الآيات من المبادئ و الغايات،و هو كتاب اتبع فيه منهج أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء في طريق عرض القضايا و تحليلها حتى لقب بأبي حامد الصغير، و قد قال فيه الغبريني : " ....و كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد و أسلم، و دل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول و المنقول، و علم الظاهر و الباطن، و من تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، و لم يفتقر فيه إلى تبيين و هو كثير الوجود بين أيدي الناس،و كثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به و إيثارهم له."[2]

1- ابن فنقد القسنطيني: أنس الفقير،ص34؛ الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص34، 35؛ ؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ، لبنان، 1400هـ/1980م،ص299.

2- الغبريني: عنوان الدراية، ص33، 34؛ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير،ص34؛ بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص.96

و كان أبو علي حسن من أهل النسك و الدين، حيث كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد.

و يذكر الغبريني : " أن الفقيه أبا علي المسيلي، عرض له في ولايته مرض اقتضى أن يستنيب من ينوب عنه في الأحكام الشرعية، فاستناب حفيده، و كان له نبل فتحاكمت عنده يوما إمرأتان ادعت إحداهما على الأخرى إنها أعارتها حليا و إنها لم تعده إليها و أجابتها الأخرى بالإنكار فشدد على المنكرة و أوهمها حتى اعترفت ، و أعادت الحلي ...و كان من سيرته إذا انفصل عن مجلس الحكم يدخل لجده أبي علي، و يعرض عليه ما يليق عرضه من المسائل، فدخل عليه فرحا ، و عرض عليه هذه المسألة فاشتد نكير الفقيه رحمه الله و جعل يعتب نفسه و قال له : إنما قال النبي صلى الله عليه و سلم " البينة على المدعي و اليمين على من أنكر."[1]

غير أن دوره في علم الكلام الأشعري كان محدودا، بالمقارنة مع من ستكون له اليد الطولى في النهوض بالمذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، ألا و هو "**السلالجي**".

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

5-5- السلالجي (ت 594هـ/1197م):

5-5-1- حياته:

هو الشيخ المتكلم النظار أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي الأصولي ولد سنة (521هـ/1125م)[2]، ينسب إلى بيت عرف بالثروة و الفقه، أصله من العرب القيسيين، أما تسميته بالسلالجي فهي نسبة إلى جبل سليلجو، الذي كان يتردد إليه من فاس[3]- و ينتمي

1- الغبريني : المصدر السابق ، ص ص37.

2- الكتاني: سلوة الأنفاس، ج2،ص241، 242؛ ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 198؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص163 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص458؛ العباس بن ابراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام،راجعه عبد الوهاب منصور، ج9،ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م،ص06؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص149؛ جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص81. 89. 90.

3- الكتاني: سلوة الأنفاس، ج2،ص 242 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص458؛ ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش، ج9،ص06؛ أما كنون و البختي فينقلان عن المديوني:" و سليلجو اسم بلد من

السلاجي إلى قبيلة مسراتة التي هي فخذ من قبيلة مديونة، و لذلك يقال له أحيانا المسراتي -[1] هذه الأخيرة التي استوطنها بعد نزوحه من مراكش.[2] طلبا للتحصيل العلمي و بحثا عن وسيلة يعيش منها، و لماذا لا تكون عن طريق العلم و التحصيل، باعتبار أن الفقهاء كانوا أصحاب امتياز في المجتمع؟[3]

و لكن يبدوا أنه رغم انتقاله لمدينة فاس إلا أن أحواله المعيشية لم تتحسن، بل ظل يعاني الفاقة، و أصبح بعض زملائه يستضيفونه عندهم و يساعدونه.[4]

و قد تلقى السلاجي تكوينه الأول بمنطقته سليلجو، و لا شك أنه حفظ القرآن الكريم قبل انتقاله إلى مدينة فاس، و التي عندما وصلها قصد المساجد الصغيرة بقصد دراسة العلوم التي يعتبرها المغاربة ضرورية لمن أراد أن يواصل دراسته في المستوى الأعلى، فتمكن من القرآن الكريم و أتقن قواعد اللغة العربية، كما حفظ مجموعة من المتون العلمية التي تسمح له بالارتقاء إلى الصف الأعلى، و بهذا التحق بجامع القرويين.[5]

و يشير كنون إلى عصر السلاجي الذي كان مواتيا لتطلعاته و جهوده العلمية لنشر المذهب الأشعري فيقول:"...و كان المغرب في أيام طلبه لا يزال يعتنق مذهب السلف في العقيدة، و صادف ظهور الموحدين و دعوتهم إلى المذهب الأشعري فتكبد المشاق في طلب هذا العلم. ثم جاهد جهاد الأبطال في سبيل نشره و تعميمه بين الناس و من ثم قيل إنه هو الذي أنقذ أهل

=بلاد مديونة في قبلة فاس و عملها و على مسيرة يوم و نصف منها" و على هذا يكون أصل أبي عمرو جبل أو بلدة سليلجو و هو منطقة تابعة لمديونة، النبوغ المغربي، ج1،ص149؛ عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص82.

1- الكتاني: سلوة الأنفاس،ج2،ص242؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج2، ص458؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص82.

2- الكتاني: سلوة الأنفاس،ج2،ص241، 242؛ ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج2، ص458

3- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص91.

4- الكتاني: سلوة الأنفاس،ج2،ص242 ؛ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج2، ص458.

5- السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06؛جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص94.

فاس من التجسيم،؛ أي من اتباع مذهب السلف الذي كان الموحدون يسمون أتباعه مجسمين، نكاية بأعدائهم المرابطين الذين كانوا على هذا المذهب..." [1]

فدرس الفقه فقرأ مختصر ابن أبي زيد الفقهي(الرسالة) على يد أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي[2].كان له الفضل في صرف أبي عمرو السلالجي عن العقيدة السلفية إلى دراسة الفكر الأشعري، يقول السلالجي:"... كنت أقرأ مختصر ابن أبي زيد على يد أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي رحمه الله، فسلمت عليه ذات يوم فلم يرد علي السلام، فسألته عن موجب ذلك فقال: إنك لا تقصد وجه الله تعالى بعلمك، فلذلك لا يرد عليك السلام، و ينبغي أن تهجر. فانصرفت مهموما..."[3] و من هنا أخذ السلالجي الفقه و بعض أمور العقيدة من أستاذه الأول.

كما قرأ موطأ مالك و حفظه و أتقنه على يد أبي الحسن بن خليفة(ت 560هـ/1146م)[4] و بذلك يكون السلالجي قد اغترف من ثقافة عصره بالقدر الكافي ، الذي أهله لأن يصبح عالما بارزا بين أقرانه، علما أن ثقافة السلالجي في عصر المرابطين كانت ثقافة فقهية. مفروضة من طرف السلطات الرسمية بإملاء من الفقهاء و بواسطتهم.[5]

و قد أقبل على دراسة الحديث من أجل الإلمام بقواعد السنة و المعرفة بالمصطلحات الحديثية حتى يسهل عليه الفهم و التعامل مع روايات الموطأ ، و هنا يذكر علال البختي نقلا عن أبو الحسن بن مؤمن (ت 598هـ/1201م)[6] قوله:"...أن السلالجي درس سنن الترمذي... و أنه

1- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص149.

2- الفقيه الفاسي محمد بن عيسى التادلي، من كبار علماء الدولة المرابطية، و من أكبر شيوخ جامع القرويين، ينظر ترجمته: ابن الأبار: التكملة، ج1،ص530؛ جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص127-129.

3- ابن الزيات: التشوف إلى رجلا التصوف،ص198؛ عبد اله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص149؛ جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص128.

4- أحد علماء الأندلس و قضاتها، يعرف بابن الموصلي، و كان من أهل العلم و النباهة، ولي القضاء على اشبيلية بعد أبي بكر بن العربي؛ ينظر ترجمته: جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص.135،134

5- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص95، .96

6- هو علي بن عتيق بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بم محمد بن مؤمن الأنصاري الخزرجي من ذرية سعد بن عبادة بن الصامت يكنى ب أبا الحسن، ولد سنة(523هـ/ 1129م)، من أهل قرطبة، اعتنى بالرواية و قيد و كتب

التقى المحدث الشيخ الفاضل أبا مروان بن مسرة فسأله الرواية عنه فأذن له و ناوله " كتاب البخاري" و كتاب" السنة لأبي داود" و كتاب" آدب الكتاب" و أجازه بجميع مروياته...كما ذكر أن أبا عمرو سمع كتاب الترمذي من الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن جعفر..."[1]

و من هنا نعرف أن السلالجي قد ألم ألماما شاملا بكتب الحديث من صحيح البخاري إلى سنن الترمذي ، وصولا إلى سنن أبي داود و كتاب الموطأ.

كما أخذ التصوف على يد أستاذه أبو الحسن بن حرزهم (ت 559هـ/ 1163م) و بلغ فيه أعلى المقامات و الدرجات حتى عدَّه ابن الزيات و غيره من كبار صوفية المغرب في القرن السادس الهجري، رغم أن هذا العلم كان محظورا و معارضا من طرف السلطة المرابطية و رجالها، الذين قاموا بمصادرة كتب المتصوفة في بعض الفترات و بإحراق بعضها كما فعلوا مع كتاب " الإحياء".[2]

إلى جانب ذلك أقبل على دراسة أصول الفقه، ذلك العلم الذي كان يعد في عصره من العلوم الغريبية المحظور دراستها.[3] و يرجع سبب ذلك إلى أن الفقهاء رأوا أن هذا العلم يرتكز على الاستدلالات الفكرية و النظرية، و يرتبط بالمصادر و الأصول التي تبنى عليها عملية الاجتهاد ، فحاربوه لأنه يخالف ميولهم الفقهية الجامدة، و لأنه يفضح و يكشف هشاشة منهجهم الفقهي ، و يعري أسلوبهم المتحجر و يبرز عيوبه.[4]

فدرس كتاب" التقريب" على يد أستاذه أبي الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي (ت 567هـ/1171م)[5]، و في هذا الصدد يقول ابن الزيات:" أنه- السلالجي- لقي أبا الحسن

=لشيوخه- الذين تجاوزوا 150 شيخا- في كتابه" بغية الراغب و منية الطالب" و له نظم جيد و تآليف في الطب و الأصول، ينظر: ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص161؛ علال البختي: عثمان السلالجي،ص-ص:159-161.

1- علال البختي: عثمان السلالجي،ص96-98.

2- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1،ص149؛جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص100، 101.

3- السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06؛جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص102.

4- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06؛جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص102.

5- هو الفقيه و الخطيب و الأصولي علي بن محمد بن خليل أبو الحسن و عرف بابن الأشبيلي، من علماء حاشية السلاطين الموحدين بمراكش، و اعتلى هذه المكانة نظرا لتمكنه من الفكر الأشعري – مذهب الموحدين العقدي- فقد قدم على بقية

علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي و كان له بصر و خبرة بكتاب الإرشاد. فلازمه مدة يسيرة حصل له فيها فهم الإرشاد و فتح عليه كل ما انغلق عليه معانيه."[1]، و ينقل لنا البختي عن ابن مؤمن تلميذ السلاجي ما نصه:"....لما رحل أبو عمرو إلى مراكش لازم الفقيه الإمام أبا الحسن علي بن الإشبيلي و انتفع به، و فتح على يده أصول الدين، و أصول الفقه، و مسائل الاتفاق و الاختلاف، و في مسائل القلوب على طريقة المحاسبي، حتى بلغ في ذلك المنتهى و لحق درجة المجتهدين و النظار المفتين و انحاز عن رتبة المستفتين"[2] ،هذا و يعزي كنون إتقان السلاجي لعلم العقائد لأستاذه الأشبيلي.هذا الإتقان الذي سيمكنه من التآليف في هذا العلم[3]

إن تحول السلاجي إلى علم الكلام الأشعري كان بتشجيع من شيوخ التجديد في عصره، أولهم أبو الحسن بن حرزهم (ت595هـ/1163م) الصوفي الكبير، و الذي عرفنا عنه عدائه الشديد للمدرسة الفكرية المرابطية توجا و منهاجا، و ثانيهم أبو عبد الله بن الرمامة (478-567هـ/1085-1171م)[4]، حيث يذكر لسان السلاجي بداية توجهه لهذا العلم بحادثة وقعت يوردها ابن الزيات فيقول:"...فلقيت فتى من أصحابي. فبت عنده و كان الفتى بطالا و أبوه (أخوه) من طلبة العلم. فجعلت انظر في كتبه . فوقع بيدي من علوم الاعتقاد التقريب و الإرشاد. فأعجباني و قال لي صاحبهما: هذا الإرشاد هو المدخل إلى هذا العلم. ثم حملته إلى ابن حرزهم و ابن الرمامة و استشرتهما في قراءته فاستحسناه و أشارا علي بالنظر فيه. فقلت لابن حرزهم: أتأذن

=العلماء و قربه الخليفة عبد المؤمن بن علي، و كان أول عهده به سنة(541هـ/1156م) عندما أهدى له كتابه " المعراج"، ينظر:ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة،ص160، 161؛ البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص124، 125.

1- ابن الزيات: المصدر السابق،ص200؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06؛ البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص102، 126.

2- البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص126.

3- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص150.

4- محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي من كبار علماء فاس، و أصله من قلعة بن حماد، ألف كتاب " تسهيل المطلب في تحصيل المذهب " ، وكتاب " التبيين في شرح التلقين " واختصر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وكان من الفقهاء البارعين.ينظر:الفاسي التميمي: المصدر السابق: ص502؛ عبد الله كنون: المرجع السابق،ص150؛البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص129، 130.

لي في قراءته عليك؟ فقال لي: لا أجيده. فاءن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فنظره. فأخذته عليه- فكان يبصرني في مواضع منه-."[1]

و هذا يدل على قلة بضاعته في هذا العلم، و مع ذلك فقد بذل مجهودا في تدريسه لتلميذه السلالجي، عارضا له أهم قضاياه و تفصيلاته.[2]

و يورد ابن الزيات حادثة في هذا الشأن وقعت للسلالجي بعد أن نظر في كتاب الإرشاد حتى استظهره حفظا، فيقول:"...ثم نمت يوما في المسجد الجامع فرأيت في النوم شخصين قصدا إلى. فدفع أحدهما يده إلى صدري. فانفتح و أخذ الآخر يصب الملح فيه و هو يلتحم إلى أن التحم الشق كله. فانتبهت من نومي و أنا أجد الألم في صدري. فقمت إلى مهدي[3] الخطيب بالجامع فقصصت عليه الرؤيا. فقال لي: ما هو اعلم الذي تنظر فيه الآن؟ فقلت له: انظر من علم الاعتقاد في كتاب الإرشاد. فقال لي ألزمه. فإنه سيفتح لك فيه."[4]

و من هنا نستنتج أن السلالجي قد أخذ عن شيوخه أهم ما كان يبحث عنه، و هو تفاصيل المذهب الأشعري الذي دفعه فضوله العلمي إلى الإيمان به و اعتناقه. حتى صار من أكبر شيوخ الفقه، و من كبار علماء وقته و متصوفة مرحلته. و قد رفع بعض المؤرخين درجته في علم الكلام بالمغرب الإسلامي إلى درجة "أبي المعالي الجويني" في المشرق[5]،و لقبه ابن الزيات بـ:" إمام أهل المغرب في علم الإعتقاد" و ذلك لسببين:

الأول: لإطلاعه الواسع على كتب علماء و منظري المذهب، بما فيه كتاب "الإرشاد" لـ"لجويني"[6] لـ"لجويني"[6] ،حتى قال عنه السملالي أن السلالجي:"...رتبته كرتبة أبي المعالي في العلم، و هو منقذ أهل فاس من التجسيم..."[7]

1- ابن الزيات: التشوف،ص 198، 199.

2- البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص112.

3- المهدي بن عيسى خطيب القرويين إلى أن عزله الموحدون سنة 540هـ، ينظر: ابن الزيات: المصدر السابق،ص199.

4- ابن الزيات: المصدر السابق،ص199؛ علال البختي: عثمان السلالجي،ص112.

8- ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص 45.

6- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198.

7- السملالي: الإعلام بمن حل مراكش، ج9،ص06.

الثاني: لدوره الكبير في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، حتى قيل أنه «هو الذي أنقذ أهل فاس من التجسيم، و عنه نشأ في المغرب علم أصول الدين»[1]، و ما قيل فيه ذلك إلا لأنه أسهم إسهاما كبيرا في تكريس المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي في وقت كانت فيه العامة على مذهب أهل التسليم و التفويض، مما جعلهم عرضة للقذف بتهمة التشبيه و التجسيم، و ألصقوا بهم صفة الحشوية لابتعادهم عن التأويل العقلي.[2]

و قد أحدث المجهود الذي قام به "السلالجي" في هذا المضمار قطيعة واضحة مع المذهب العقدي الذي كان سائدا من قبل، و ذلك بإحلال مذهب عقدي جديد محلَّه صار علامة على الدولة الموحدية الجديدة.[3]

أما عن مؤلفات هذا الرجل فإن الخزانات العامة و الخاصة لم تحتفظ لنا بكتب السلالجي، و لم تشر لنا المصادر و كتب التراجم عن إمكانية وجود انتاج فكري و علمي، إلا ما أورده الباحثون و نسبوه إليه مثل: "العقيدة البرهانية"[4]، و بعض الأشعار[5] منها ما ذكرها ابن الزيات و هي:

" إذا العلم لم تغشى غرائبه قلبي ۞ و لا شاقني منه إلى المنهل العذب
و لا أنا ممن جاوز الدرب ناهضا ۞ و لا أرضى مقامي من ربي
و لا كان حظي منه إلا حكاية ۞ على الناس أتلوها فحسبي إذا حسبي
أليس عجيبا أن نفسي حقيقتي ۞ و ما سلمها سلمي و لا حربها حربي
تمر بنا الأيام تحت لحاجة ۞ و ما ينقصني لومي عليها و لا عتبي
أيا ذات نفسي فأرفقي بي فإنها ۞ لطائف تستولي فتنبي بما تنبي
هي العروة الوثقى هي السنة التي ۞ يمر عليها مقتفي أثر الركب
و لا ترض بالحظ الخميس سفاهة ۞ فمثلك من قد حل في المنزل الرحب
تجافوا عن الدار التي أصبحوا بها ۞ على غربة و استوطنوا حضرة القرب

1- ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45.
2- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 270.
3- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، ص 305.
4- للإطلاع على النص الكامل "للعقيدة البرهانية" ينظر: الملحق رقم12،ص 378-382.
5- علال البختي: عثمان السلالجي،ص183.

و إن كان لا ينجيك إلا ركوبها ۞ فماذا التجافي عن مجاورة الرب" [1]

و منذ بداية المسيرة العلمية لهذا الرجل أراد رجال الدولة الجديدة- الموحدية- تقريبه و إلحاقه بحاشيتهم فعزف عن ذلك، و انقطع إلى بث العلم، مخلصا النية في ذلك لله عز وجل.[2]

5-5-2- دوره في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

يرى أحنانة أنه على الرغم من عطاءات هذا الرجل و دوره الكبير في ترسيخ المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، إلا أن النصوص التاريخية لضنينة علينا بالإشارات و التلميحات إلى الأصول و المصادر التي اعتمدها السلاجي في هذا المذهب،[3] بينما يبرز لنا علال البختي بعضا من مصادر هذه العقيدة فيقول:".. ذكر ابن رشيد السبتي(ت 721هـ/1321م) أن العقيدة البرهانية المشهورة بالسلالقية...(هي) على صغر جرمها مختصر الإرشاد..."، و قد تكررت هذه المقولة عند غيره في مناسبات كثيرة[4]، حتى لقد شاع أن البرهانية عمل مركز هدف به السلاجي تلخيص مسائل كتاب الإرشاد للإمام الجويني (ت 478هـ/1085م) و اختزال آرائه في قضايا العقيدة الأشعرية[5]. و التي التي جعلته إمام أهل المغرب في العقيدة الأشعرية، و كل ما بقي من مؤلفاته عقيدته الصغيرة الموسومة ب"عقيدة البرهانية في علم الألوهية" و الشهيرة بالبرهانية أو السلاجية، و قد سلك فيها صاحبها طريقة الإمام "الجويني" في كتابه الإرشاد".[6]

1- التشوف إلى رجال التصوف،ص200، 201.

2- عبد الله كنون:النبوغ المغربي،ج1،ص149.

3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص 112.

4- منهم عبد الرحمن بدوي الذي يقول:"... و له- يقصد كتاب الإرشاد- مختصر بعنوان" العقيدة السلاجية" كتبه أبو عمرو عثمان السلاجي..." ، مذاهب الإسلاميين(المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية،القرامطة، النصيرية)، دار العلم للملايين، بيروت، 1997،ص692.

5- علال البختي: عثمان السلاجي،ص.189

6- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص 113.

و يذكر "ابن الأحمر" و " السملالي" بأنه وضع عقيدته هذه لامرأة أندلسية تدعى خيرونة(ت594هـ/1197م)[1]" حتى يسهل عليها تناول و حفظ معتقدات الأشاعرة[2]، و هذا ما يؤكده كنون و علال البختي و ذلك بإرجاع تأليف عثمان السلالجي للعقيدة البرهانية إلى تلميذته النجيبة المرأة الصالحة خيرونة ،فمن أجلها قام السلالجي بوضع عقيدته، و نزولا عند رغبتها بادر إلى ذلك، و ينقل لنا نصا عن ابن مؤمن ما مفاده: "... كان بمدينة فاس امرأة تسمى خيرونة و كانت من الصالحات القانتات الزاهدات العاقلات المؤمنات، و كانت تعظم(أبا عمرو) و توقره و تلزم مجلسه، فرغبت إليه أن يكتب لها في لوحها شيئا تقرأه على ما يلزمها من العقيدة، فكان يكتب لها في لوحها فصلا متى كلفته ذلك، فكانت تحفظه فإذا حفظته و محته كتب لها ثانيا، فكان ذلك دأبها حتى كملت لها عقيدة و كتبتها و كتبت عنها و لقبت بـ البرهانية... "[3]

غير أنه و مهما كانت دواعي التأليف فالذي يهمنا من هذه العقيدة هو الدور الذي نهضت به في ترسيم المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي.

على الرغم من غنى بلاد المغرب خلال هذه الفترة بكتب العقائد الأشعرية، إلا أن العقيدة البرهانية كانت تحتل من بين هذه العقائد مكانة سامية، فتلك الكتب و الرسائل العقدية لم تنهض بمثل ذلك الدور، و لم نقم بمثل تلك المهمة التي قامت بها عقيدة السلالجي في ترسيخها للمذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي. [4]

و يشيد البختي بدور العقيدة البرهانية" فيقول:" إن هذه العقيدة المختصرة فعلت في الفكر العقدي المغربي ما لم تفعله المؤلفات الضخمة، و أثرت فيه بما لم تؤثره الكتب المطولة، فقد كان لحجمها الصغير و دقة عباراتها، دور فعال في إقبال المغاربة عليها بكل أصنافهم و فئاتهم و أعمارهم، فالتفوا حولها و قاموا بحفظها و تعلمها و شرحها كل حسب طاقته و إمكانياته.

1- الزاهدة خيرونة أو خدونة من بين النساء المتميزات لهذا العصر و اللائي كان لهن دور بارز في الترويج لعلم الكلام الأشعري بالمغرب و فاس ، و هي من النساء الأندلسيات اللاتي دخلن المغرب و اتصلت بأعلامه و توفيت به. و تعتبر من كبار الزاهدات العابدات. ينظر: علال البختي: عثمان السلالجي،ص170.

2- ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06.

3- عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1،ص150؛ علال البختي: عثمان السلالجي،ص171.

4- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص 115.

و لئن كان الاعتقاد لدى الكثير من الباحثين بأن مؤلفات" المهدي" بن تومرت العقدية كانت العامل الأساس في انتشار الفكر الأشعري بالمغرب، فإن العقيدة البرهانية لمؤلفها السلالجي لا تقل عنها تأثيرا في تحقيق ذلك الانتشار. بل ربما كان دورها في ذلك أكبر و أوضح". [1]

إذن فعقيدة "بن تومرت" "المرشدة" بذاتها لم يتأت لها أن تضاهي بامتياز عقيدة السلالجي هذه، و ما ذلك إلا لأن البرهانية تتميز بشمولها لمجموع ما تدور عليه عقيدة الأشاعرة، في حين لا تتطرق "المرشدة" لكثير مما يجب اعتقاده في هذا المذهب [2]

لقد عكست عقيدة "البرهانية" بالفعل العقيدة الأشعرية الرسمية للبلاد، و لعل شمولها لمجموع ما ينبغي إعتقاده ،و اختصارها ،و سهولة تناولها لهي من بين الدواعي الحقيقية التي جعلت الشُّراح يتولونها بالشرح المتوسط ،و الطويل، و يعتنون بها الاعتناء الكبير و المهم [3] منهم أبي عبد الله الكتاني(ت 596هـ/1199م) [4] الذي كان له السبق التاريخي في شرح" العقيدة البرهانية" و تظهر أهمية هذا الشرح و قيمته العلمية في كونه أقرب الشروح عهدا بفترة السلالجي. [5] و منهم أيضا الرعيني (ت 598هـ/1201م) [6]، الذي أثبت البختي شرحه للعقيدة البرهانية من خلال رسالة الأحوال لعبد الله الهبطي(ت 936هـ/1556م) الذي يقول فيها:((قال الإمام الرعيني أيضا- رضي الله عنه- في شرح "البرهانية":...و قد اختلف الناس في الأحوال فذهب أكثر الناس في الأحوال فذهب أكثر الأشعرية و بعض المعتزلة إلى نفيها و ذهب أكثر المعتزلة و جماعة من أهل

1- علال البختي: عثمان السلالجي،ص184، 185.

2- انظر: السلالجي: البرهانية، ضمن كتاب :تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي ليوسف أحنانة، ص: 247 – 252؛ جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص-ص:559-565.

3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص: 112.

4- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي و يعرف بابن الكتاني، كان من أكبر أئمة فاس و المغرب علما وورعا، ينظر: ابن الزيات: التشوف،ص335؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص164، عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1،ص150؛ علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص162.

5- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص208-.212.

6- هو محمد بن عبد الرحمن الرعيني السرقسطي، كان فقيها متحققا بعلم الكلام متقدما فيه يناظر عليه في الإرشاد لأبي المعالي و غيره، تولى القضاء بالقرب من مدينة فاس، ينظر: ابن الأبار:التكملة،ج1،ص275.

السنة إلى ثبوتها كأبي المعالي و غيره...))[1]، و من شراحها أيضا أبو عبد الله بن الزق(كان حيا سنة 612هـ/1215م)[2]، و منهم أبو بكر بن الخفاف(ت: ق7هـ/13م)[3] الذي ألف شرحين مهمين ، الاول شرح كتاب الإرشاد سماه" اقتطاف الأزهار و استخراج نتائج الأفكار لتحصيل البغية و المراد من شرح كتاب الإرشاد" ، و الثاني شرح "للعقيدة البرهانية" لم يضع له عنوانا.[4] و منهم "أبو الحسن بن علي عبد الرحمن اليفرني المكناسي" (ت 734 هـ/1334م)[5] ،صاحب الشرح الكبير على البرهانية و المسمى "المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية"،[6]و ممن تولّوا تدريسها و شرحها نذكر أيضا
"أبا سعيد بن محمد العقباني" (ت 811 هـ/1408م) .[7]

1- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص 212-214.

2- هو محمد بن عبد الله بن حسن الزرهوني الفاسي الأصل أبو القاسم، كان مبرزا في النحو ذكيا متيقظا، دارسا لعلوم الأوائل متقدما في علم الكلام و الأصول، ينظر: علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص214.

3- هو أبو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الاندلسي، عرف بالتدريس في مدينة تازة لإلى أن توفي.ينظر: علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص 215.

4- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص 214-220.

5- هو علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني المكناسي الشهير بالطنجي أبو الحسن، الفقيه الحافظ الإمام العالم الفرضي، أخذ عن أبي الحسن الزرويلي ، و أخذ عنه الإمام السطي و غيره، و يعد من كبار الأعلام، ترك لنا بعض التآليف منها: تقييد على المدونة. ينظر: التنبكتي: نيل الابتهاج،ص325؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص218؛ علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص 225.

6- يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري، ص ص: 113؛ للوقوف على مصادر و منهجية و قيمة هذا الشرح ينظر: علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص 226-233.

7- هو أبو عثمان بن محمد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي نسبة لعقبان إحدى قرى الاندلس و هو تجيبي النسب، ولد بتلمسان سنة 720هـ/1320م، أخذ عن الآبلي و السطي و غيرهما، تولى التدريس و القضاء ببجاية و تلمسان و سلا و مراكش، و يعتبر من كبار الفقهاء المتنورين، حتى قيل عنه رئيس العلماء و العقلاء، له عدة تآليف: شرح الحوفية في الفرائض، و شرح المفيدة للخونجي في المنطق، و شرح التلخيص لابن البناء، و شرح سورة الأنعام و الفتح، و قصيدة ابن ياسين في الجبر و المقابلة، و شرح البردة، و شرح ابن الحاجب الأصلي، كما ألف كتابا في أصول الدين، و شرح البرهانية. ينظر: التنبكتي: نيل الابتهاج، ص189، 190؛ ابن مريم: البستان،ص107،106؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص250؛ علال البختي: عثمان السلالجي،ص237، 238؛ عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد 26، 1975م، ص:145.

و منهم أيضا "عبد الرحمن بن سليمان السملالي" (ت 882 هـ/1477م) [1].

الذي شرح العقيدة البرهانية في تأليف سماه" تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان".[2] و قد واصل الشراح[3] الاهتمام بهذه العقيدة حتى بعد وفاة السلاجي، و هذا ما يزيد من أهميتها في نشر العقيدة الأشعرية.[4]

و إلى هنا يمكن أن نتساءل فنقول: ما هي إذن أهم الآراء التي وردت في هذه المنظومة " العقيدة البرهانية" ؟ الواقع أن كل ما ورد في العقيدة "البرهانية" يحمل طابعا أشعريا لا غبار عليه، لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو ما يلي:

- مسألة حدوث العالم:

يقسم السلاجي العالم الموجود الذي يحصر الموجودات في الجواهر و الأعراض، و هو تقسيم أراد به السلاجي إقامة أرضية لبناء مجموعة من الاستدلالات العقلية المتسلسلة، و التي يصل بها إلى إثبات وجود البارئ و صفاته.[5]

و يعرف السلاجي " الجوهر[6] بأنه المتحيز" و في موضع آخر يقول:" الجوهر حقيقته التحيز، و المتحيز يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات المحاذيات "، و في موضع آخر يقول:" الجوهر هو القابل للأعراض"، و يقول أيضا:" الجوهر يجوز عليه التأليف و التركيب"[7]

1- هو عبد الرحمن بن سليمان أكرام أو الكرامي أو الكزامي السملالي، و هتعتبر أسرة الكراميين أسرة عريقة يرتفع نسبها إلى ابن العربي المعافري، و أول ما ألف في علم الكلام شرح البرهانية، و هذا ما جعل أهل السوس ينكبون على دراستها حتى كان هذا العلم في مرتبة ثانية من العلوم التي اهتموا بها، ينظر: علال البختي: عثمان السلاجي،ص239، .241

2- للوقوف على مصادر هذا الشرح و قيمته ينظر:علال البختي: عثمان السلاجي،ص241-.243

3- منهم : الجزولي (ت.ق.10هـ/16م)، و المديوني و الغربي، و شارح مجهول، و الجدميوي، و الهبطي (ت 963هـ)، و التنبكتي (ت 1036هـ).ينظر: علال البختي: عثمان السلاجي،ص243-253.

4- يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري، ص ص: 113- 114

5- علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص 270.

6- الجوهر "هو الذي يقبل من كل جنس من أجناس الأعراض عرضا واحدا لأنه متى كان كذلك كان جوهرا، و من خرج عن ذلك خرج عن أن يكون جوهرا". الباقلاني: التمهيد،ص17.

7-السلاجي: البرهانية،الملحق رقم 12،ص378-382.

و بهذا التعريف يكون السلالجي قد وافق مجموع الأشاعرة، و بصفة خاصة قد وافق ملهمه الإمام الجويني في تعريفه للجوهر بأنه المتحيز.[1]

كما يعترف السلالجي بانقسام الأجسام و يؤكد أنها تنتهي في انقسامها فيقول:" ...و الدليل على ثبوت الجواهر تناهي الأجسام في انقسامه. فذلك هو الجوهر، لأن القسمة هي الافتراق. والشيء الواحد لا يفارق نفسه. فكل ما تألف معه فهو على حكمه. وبه تفضل الأجسام بعضها بعضا، في الكبر والصغر، كالذرة والفيل. لأن ما لا يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى وأيضا فإن ما لا يتناهى يستحيل دخوله في الوجود..."[2] و بهذا يكون السلالجي من أنصار النظرية الأشعرية التي تقول" الجزء لا يتجزأ "[3]

و بهذا يكون السلالجي قد أثبت نظرية" الجوهر الفرد"، كما نجده يثبت هذه النظرية بقوله:".... وبه تفضل الأجسام بعضها بعضا، في الكبر والصغر، كالذرة والفيل..."[4] و بهذا القول يكون السلالجي قد رد على المعتزلة- لاسيما مذهبهم النظامي- و كذلك على مذاهب الفلاسفة الذين يعتبرون الجسم المحسوس واحد في نفسه، و لكنه مع ذلك يقبل الانقسامات اللامتناهية.[5]

و كذلك الذين يرون "...أن لا جزء إلا و له جزء، و لا بعض إلا و له بعض، و لا نصف إلا و له نصف، و أن الجزء جائز تجزئته أبدا و لا غاية له من باب التجزؤ.."[6] أما الأعراض[7] فيعرفها السلالجي بقوله:"..العرض هو المعنى القائم بالجوهر.."[8]

1- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص273.

2- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

3- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص275.

4- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

5- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص281.

6- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق،ج1،ص236.

7- الأعراض" هي التي لا يصح بقاؤها، و هي التي تعرض في الجواهر و الأجسام، و تبطل في حال ثاني حال وجودها" . الباقلاني: التمهيد،ص18.

8- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

و هنا نجد أن السلالجي قد اختار في تعريفه هذا موافقة مجموع الأشاعرة في تعريفه للعرض خصوصا الباقلاني و الجويني.[1] و قد ذهب السلالجي إلى تأكيد ثبوت الأعراض فقال:"... والدليل على ثبوت الأعراض تناوب الأحكام الجائزة الطارئة، وتعاقبها على محالّها إذ لو كانت واجبة لها لاستحال تبدلها، ولتساوت الجواهر فيها. فاختصاص كل جوهر بحكم يجوز على مماثله دليل على معنى يخصِّصه، ويتعين قيامه به. إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إجابه لغيره..."[2] و قد أخذ السلالجي في سبيل البرهنة على هذه المسألة عند الأشاعرة الطريق الأول؛ أي مثبتي الأحوال بحيث نجده يضع مجموعة من القواعد و الضوابط دونها لا يصح الاستدلال على ثبوت الأعراض إلا بعد الاعتراف بها و هي:

1- أن الجائز لا يثبت بدلا من جائز آخر إلا بمرجع.

2- أن العدم لا يكون مرجحا و لا مخصصا.

3- أن صفة النفس لا تتبدل.

4- أن ما صح على احد المثلين صح على مثله.

5- أن الباقي لا يفعل.

6- أن الفاعل لا بد له من فعل لأجله يسمى فاعلا.

7- أن الصفة إذا قامت بمحل توجد حكما لما قامت به لا لغيره.[3]

و يشير السلالجي لهذه القواعد بقوله:"... لو كانت واجبة لها لاستحال تبدلها، ولتساوت الجواهر فيها. فاختصاص كل جوهر بحكم يجوز على مماثله دليل على معنى يخصِّصه، ويتعين قيامه به. إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إجابه لغيره..."[4]

و يثبت السلالجي الأعراض بقوله:"... والدليل على حدوث الأعراض طريانها على محالّها. وانتفاؤها بعد وجودها دليل على حدوثها. إذ لو ثبت قدمها لاستحال عدمها."[5]

1- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص285.

2- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

3- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص287.

4- السلالجي: البرهانية،ص الملحق رقم 12،ص378-382.

5- المصدر نفسه، الملحق رقم 12،ص378-382.

و هنا يكون السلالجي قد اعترض على من يقول أن الأعراض لم تحدث، و لكنها كامنة في المحل الذي لم توجب له حكما، و هذا الاعتراف يسمى عند المتكلمين بـ نظرية" الكمون و الظهور".[1]

و كذلك اعترض على من قال: لم تنكرون على القائل بأنه لم يطرأ الشيء عن عدم سابق، بل الطارئ متنقل إلى المحل الذي شوهد فيه ضرورة من محل آخر، و الذي انعدم و انتقل إلى محل آخر.[2]

و من أجل استكمال البرهنة على حدوث العالم يقول السلالجي:" ...و الدليل على حدوث الجواهر، أن الجواهر لا تعرى عن الاجتماع والافتراق, والحركة والسكون حوادث. وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها. كان حادثا مثلها.."[3]، و يقول أيضا:"...إنما خصص الاستدلال بقبيل الأكوان دون سائر الأعراض، و إنما كانت الأعراض كلها مساوية للأكوان من جهة أن كل عرض حادث كالأكوان، و أن كل جوهر لا يخلوا عن واحد من قبيل الأعراض كونا. كان العرض أو غيره، و لكن العلم بملازمة الجوهر للأكوان من بين سائر الأعراض تدرك بالضرورة."[4]

من خلال عرض الأقوال السابقة يكون السلالجي قد انتهى من إثبات حدوث الجواهر و الأعراض، و به يكون قد تم له تأكيد حدوث العالم بكليته- حسب المنهج الأشعري العام- لأن العالم في نهاية المطاف إن هو إلا " جواهر و أعراض" و على هذا يكون إثبات حدوث العالم عندهم قد مر بأصول و محطات ضرورية.[5]

- مسألة وجود الله:

يرى علال البختي أن التأكيد على حدث الجواهر و الأعراض و من خلالهما على حدث العالم من قبل السلالجي في عقيدته البرهانية ليس هو المقصود؛ و إنما هو وسيلة أراد السلالجي التمسك

1- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص.287

2- الإيجي: المواقف،ص100؛ جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص294.

3- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

4- المصدر نفسه، الملحق رقم 12،ص378-382.

5- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص302.

بها من أجل توظيفها و الاستدلال بنتائجها عندما يقع الحديث عن الهدف الأسمى و هو إثبات وجود الخالق– سبحانه و تعالى–.[1]

و في هذا الصدد يذكر السلالجي في برهانيته:"... و الدليل على ثبوت الصانع. أن العالم جائزٌ وجودُه، وجائزٌ عدمُه. ولا عدمه بأولى من وجوده. فلما اختص بالوجود بدلا عن العدم المجوز، افتقر إلى مختص. وهو الفاعل المختار."[2] و هنا نلاحظ أن السلالجي اختار مسلك الإمكان(الممكن) أو كما سماه هو " بالجائز" للاستدلال على وجود الله.

و هنا يمكن القول أن السلالجي كان مخلصا لفكر الغزالي و لشيخه الجويني في هذه المسألة، و كذلك اعتمد نفس مسلكهما– مسلك الإمكان– و استعمل نفس دليل الغزالي عندما أثار " قاعدة الجائز"، و استدل بها على العالم كله– بينا بقية الأشاعرة يستدلون على الأمور الجزئية– و هذا ما يوضحه بجلاء قوله:"...إن العالم جائز وجوده و جائز عدمه..."[3]

– مسألة الصفات:

لقد أثبت السلالجي الصفات في عقيدته" البرهانية"، و تعرض للحديث عنها من خلال الفصول التي خصصها لصفاتها الأربعة[4] و هي: القدم، و القيام بالنفس، و المخالفة للحوادث، و الوحدانية.

ففي صفة القدم و التي تحدث عنها في الفصل السادس :"... و الدليل على قدم الصانع، أنه لو كان حادثا، لافتقر إلى محدِثٍ أحدثه. وكذلك القول في محدثه. وذلك يؤدي إلى التسلسل. والتسلسل يؤدي إلى نفينا. ونفينا مع وجودنا محال. وما أفضى إلى محال فهو محال. فوجب أن يكون قديما."[5] و من هنا نستنتج من كلامه أنه يثبت صفة القدم للخالق – سبحانه و تعالى–

1– جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص307.

2– السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378–382.

3– المصدر نفسه، 12،ص378–382 ؛ جمال علال البختي: المرجع السابق،ص313.

4– الصفة الخامسة نفسية و هي البقاء، لم يشر لها صراحة السلالجي في برهانيته و دمجها مع صفة القدم.

5– السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378–382.

أما صفة القيام بالنفس فقد أكد على ثبوت هذه الصفة بقوله:"... والدليل على أنه تعالى قائم بنفسه، وجوبُ اتصافه بأنه حي، عالم، قادر. والصفة لا تتصف بالأحكام التي توجبها المعاني. فلما وجب اتصافه تعالى بها حتما، وجب أن يكون قائما بنفسه."[1]

و نستنتج من كلامه أنه يثبت ما أثبته غيره من الأشاعرة من أن القائم بالنفس هو الموصوف و ليس صفة، أجل لقد اعتبر السلالجي أن ما يدل على قيامه- سبحانه و تعالى- بنفسه و استغنائه عن المحل هو تعالى قابل للوصف بالحياة و القدرة و غيرها من صفات المعاني.[2]

أما صفة مخالفة الحوادث فنجد السلالجي يقول في استدلاله في هذه الصفة:"... والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث، هو أن المثلين كل موجودين متساويين في جميع صفات النفس. و الرب تعالى مقدس عن سمات الجواهر والأعراض. فوجب أن يكون مخالفا لها."[3]

أما صفة الوحدانية فنجده يستدل كعادته بالدليل العقلي و يدعمه لأول مرة بالاعتماد على الدليل الشرعي، و ذلك من خلال قوله:"و الدليل على وحدانيته تعالى، أنا لو قدَّرنا إلهين، وقدَّرنا من أحدهما إرادة حركة جسم في محل واحد. في وقت واحد، ومن الثاني إرادة تسكينه في تلك الحال بعينها، لم يخل من ثلاثة أحوال: إما أن تنفذ إرادتهما جميعا. أو لا تنفذ إرادتهما جميعا. أو تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني. ومحال أن تنفذ إرادتهما جميعا، لاستحالة اجتماع الضدين، ومحال ألا تنفذ إرادتهما جميعا لاستحالة عرو المحل عن الشيء ونقيضه، ومحال أن تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني، إذ في ذلك تعجيز من لم تنفذ إرادته. والعجز ينافي الإلهية، لأن العجز لا يكون إلا عرضا، وقيام العرض بالقديم محال. وما أفضى إلى المحال كان محالا. وكذلك القول في الاتفاق لأن اتفاقهما مشروط بجواز عدمهما؛ وما ثبت قدمه استحال عدمه.

1- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

2- جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص347.

3- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

فخرج من ذلك أن الفعل ينافي اللإثنينية في وصف الألوهية،كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [1] و قال: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [2] وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [3] " [4]

و يدعى هذا الدليل عند المتكلمين بدليل" التمانع"- فقالوا يمتنع وجود موجودين كل واحد منهما واجب لذاته- الذي ذاع ذكره و اشتهر الاستدلال به عند كل الفرق الكلامية من القديمة إلى الحديثة. [5]

أما الصفات المعنوية فيذكرها و يثبتها السلالجي منها صفة العلم الذي يقول عنها:"..و الدليل على أنه تعالى عالم، قادر، استحالة صدور الفعل الرصين، المحكم، المتين، المتقن من غير عالم ولا قادر. وثبوت لطائف الصنع، وما تتصف به السماوات، و الأرضون، وما بينهما من الانتظام والإتقان دليل على أنه تعالى عالم قادر." و كذلك يرى السلالجي أن القدرة الثابتة ل:"... استحالة صدور الفعل الرصين، المحكم، المتين، المتقن من غير عالم ولا قادر. وثبوت لطائف الصنع، وما تتصف به السماوات، و الأرضون، وما بينهما من الانتظام والإتقان دليل على أنه تعالى عالم قادر" [6].

كما يثبت صفة الإرادة لله -عز وجل- فيقول:"... ثم اختصاص الأفعال بأوقاتها، وخصائص صفاتها بدلا عن نقائضها الجائزة عليها دليل على أنه تعالى مريد." ، و صفة الحياة فيقول:" وثبوت هذه الصفات دليل على أنه تعالى حي لاستحالة ثبوت المشروط مع انتفاء شرطه." [7] و مقصود

1- سورة: الأنبياء، الآية:22.

2- سورة : غافر، الآية:62.

3- سورة: الشورى، الآية:09.

4- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

5- الإيجي: المواقف،ص278.

6- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

7- المصدر نفسه، الملحق رقم 12،ص378-382.

كلامه أن ثبوت الصفات السابقة دليل على حياته- سبحانه و تعالى- فلما صح ثبوتها أنه تعالى حي، و هذا قياس على الشاهد، إذ يشترط في العالم القادر المريد أن يكون متصفا بالحياة.[1]

كما يثبت السلاجي صفتي السمع و البصر لله – سبحانه و تعالى- فيقول:"... ثم الحي يجوز أن يكون سميعا، بصيرا أو مؤوفا وكذلك القول في الكلام والإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عنهما. فلما استحالت النقائض على البارئ تعالى قطعا، وجب أن يكون سميعا بصيرا..."[2]، كما يثبت السلاجي صفة الكلام لله عز وجل، و يظهر أنه استدل في إثبات هذه الصفات أيضا بطريقته في إثبات السمع و البصر، ألا و هي طريقة "نفي النقص" أو " الآفة" عنه سبحانه و تعالى، فالسلاجي يرى أنه تعالى حي، و الحي يصح وصفه بالكلام أو بضده و هو الخرس، و بما أن الخرس نقص فيستحيل على البارئ أن يتصف به، فتعين اتصافه بالكلام ضرورة لأن القابل للشيء لا يخلو عنه أو عن ضده.[3] إذ يقول:"... وكذلك القول في الكلام والإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عنهما. فلما استحالت النقائض على البارئ تعالى قطعا، وجب أن يكون سميعا بصيرا متكلما."[4]

و قد أثبت السلاجي صفة الإدراك، بينما نفى أكثر المتكلمين هذا الحكم ضمن الصفات المعنوية و اكتفوا بالأحكام السبعة السابقة، معتبرين أن الإدراك يندرج ضمن العلم بينما ذهب الجويني و السلاجي و غيرهما إلى إثبات هذا الحكم.[5]

و في هذا الصدد يقول السلاجي:"... وكذلك القول في الإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عنهما. فلما استحالت النقائض على البارئ تعالى قطعا، وجب أن يكون سميعا بصيرا متكلما مدركا."[6]

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص382.

2- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

3- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص391.

4- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

5- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص.392

6- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

أما القسم الثالث من لصفات فيطلق عليها السلاجي اسم الصفات الأزلية(صفات المعاني) و التي يثبتها بقوله:"... والدليل على ثبوت الصفات الأزلية العلة والحقيقة، فمهما ثبت حكم معلل بعلة، وجب طردها شاهدا وغائبا. إذ لو جاز ثبوته من غير علة لوجوبه، لجاز ثبوت العلة من غير حكمها لوجوبها. وقد تقرر في الشاهد أن كون العالم عالما معلَّلٌ بالعلم، وكذلك القول في الحقيقة؛ فمهما ثبتت حقيقة في محقق، وجب طردها شاهدا وغائبا. وقد تقرر في الشاهد أن حقيقة العالم من قام به العلم. إذ لو لم يقم به، لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره. وكذلك القول في جميع الصفات."[1] و يبدوا جليا أن السلاجي سلك الطريقة الخامسة في لإثبات صفات المعاني و التي تقوم على الجمع بين الشاهد و الغائب أو قياس الغائب على الشاهد عن طريق جامعي" العلة" و " الحقيقة".[2]

ثم قال السلاجي:" وكذلك القول في جميع الصفات."[3] يعني به أن سائر الصفات من قدرة و إرادة و حياة و سمع و بصر و كلام و إدراك يصح إثباتها بطريقة العلة و الحقيقة.[4]

و قد أثبت السلاجي في برهانيته قدم الصفات الأزلية إذ يقول:"... فخرج من ذلك أن البارئ سبحانه حي بحياة قديم، عالم بعلم قديم، قادر بقدرة قديمة، مريد بإرادة قديمة، سميع بسمع قديم، بصير ببصر قديم، متكلم بكلام قديم، مدرك بإدراك قديم. إذ الموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه..."[5]

– رؤية الله:

يرى السلاجي في المسألة :"... والدليل على جواز رؤيته تعالى أن الإدراك شاهدا يتعلق بالمختلفات لا يؤول اختلافها إلى وجودها، وإنما يؤول إلى أحوالها. والإدراك لا يتعلق بالأحوال، إذ

1- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

2- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص403.

3- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

4- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص408.

5- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

كل ما يرى ويميز عن غيره في حكم الإدراك فهو ذات على الحقيقة، والأحوال ليست بذوات. فإذا رئي موجود لزم تجويز رؤية كل موجود..."[1]

و بالمقارنة نجد أن بن تومرت رغم إثباته للرؤية الآخروية إذ يقول:"...و ما ورد من الشرع في الرؤية يجب التصديق به...من غير تشبيه و لا تكييف. لا تدركه الأبصار بمعنى النهاية و الإحاطة و الاتصال و الانفصال لاستحالة اتصافه بحدوث المحدثات."[2]

و هنا نلاحظ إعراض "المهدي" عن إثبات جواز الرؤية بالأدلة العقلية و إهماله التعرض لمصحح الرؤية(الوجود) الذي اعتمد عليه الأشاعرة مما يدل على انه خالفهم في هذا الأصل. و أكثر من هذا فإن المرشدة لم يرد فيها صراحة إثبات الرؤية و اكتفى بن تومرت فيها بالقول بأن الله " لا يتخصص في الذهن و لا يتمثل في العين و لا يتصور في الوهم و لا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام و الأفكار ليس كمثله شيء و هو السميع البصير."[3]

- الفعل الإنساني و العدل الإلهي:

إن كل ما ذكره السلالجي بخصوص كل من الفعل الإنساني و العدل الإلهي قليل في برهانيته إذا ما قورن مع بقية مواقفه و آرائه الأخرى، و ما ورد يمكن أن نقف عليه كالأتي:

منها قوله:"... ومن الجائزات خلق الأعمال؛ فلا يجب على الله تعالى فعل، ولا يتحتم عليه ثواب ولا عقاب. فالثواب منه فضل. والعقاب منه عدل. يخص من يشاء بما يشاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [4] "[5]

و استكمالا للقضايا التي تناولها السلالجي في هذا الفصل نضيف قوله:"... و أن جملة أحكام التكليف وقضايا التحليل والتحريم، والتحسين والتقبيح، متلقاة منه عليه السلام، لا مجال للعقول فيها..."[6]

1- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.
2- ابن تومرت: أعز ما يطلب،ص221.
3- ابن تومرت: (المرشدة) أعز ما يطلب،ص226.
4- سورة : الأنبياء، الآية:23.
5- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.
6- المصدر نفسه، الملحق رقم 12،ص378-382.

هذه إذن كل مواقف السلاجي في موضوع الفعل الإنساني و العدل الإلهي، و رغم وجازتها، فإننا حاولنا أن نستخلص منها كمجمل أراء السلاجي المتعلقة بالمسائل التالية:

- قضية الفعل الإنساني و أن الله خالق الأعمال تتجلى في قوله:" و من الجائزات خلق الأعمال".
- قضية تأثير القدرة على الحادثة- بما أن الله هو خالق الأفعال- فلا شك أن القدرة الحادثة عند السلاجي لا تأثير لها عنده.
- قضية الإرادة الإنسانية تتجلى في قوله:" يخص من يشاء بما شاء".
- مسألة العدل الإلهي في قوله:" و لا يتحتم عليه ثواب و لا عقاب".
- مسألة الصلاح و الأصلح في قوله:" لا يجب على الله فعل"
- موضوع الحسن و القبح العقليين أو الشرعيين تتجلى في قوله:" أن جملة أحكام التكليف وقضايا التحليل والتحريم، والتحسين والتقبيح، متلقاة منه عليه السلام."

و على العموم يمكن أن نعطي عدة ملاحظات من خلال مواقف السلاجي في قضية الحرية الإنسانية و عدالة التكليف كانت تميل إلى إعلان" مبدأ الثواب و العقاب" بتفضله- سبحانه و تعالى- و عدله.[1]

- موقفه من النبوة و السمعيات:

يقصد بالأمور السمعية عند المتكلمين تلك الأمور التي يتوقف عليها السمع كالنبوات، أو تلك التي ترتبط بالسمع كالمعتاد. و أسباب السعادة من الإيمان و الطاعة و الكفر و المعصية و غيرها، و النبوة هي الإخبار عن الله- سبحانه و تعالى- بواسطة الشيء المؤيد بالمعجزة المثبتة صدقه.[2] و في هذا الصدد يقول السلاجي:"... و من الجائزات انبعاث الرسل وتأييدهم بالمعجزات..."[3]

1- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص 378-382؛ علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص467.

2- علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص471.

3- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

و هذا يعني أن النبوة و الرسالة [1] عند السلاجي و غيره من الأشاعرة جائزة.

أما رأيه في المعجزة [2] فإن السلاجي يضع لها شروطا لا تتحقق و لا يصدق الرسول إلا إذا توافرت و يتجلى ذلك في قوله:"... ولها شرائط؛ منها أن تكون فعلا لله خارقة للعادة، وأن يقع بها التحدي، وأن تكون موافقة للدعوى، وأن يعجز المتحدون من المعارضة والإتيان بمثلها..."[3]

و هنا نستنتج أن الشروط التي وضعها السلاجي لتحقق المعجزة تتمثل في:

1- أن تكون فعلا لله.

2- أن تكون غير معتادة و لا معهودة.

3- أن تقع بعد تحدي.

4- أن تقع مثلما اتفق عليه في التحدي.

5- أن تؤدي إلى عجز المعارضين و المتحدين.

و رغم أن السلاجي و المتكلمين يشترطون هذا لصحة المعجزة إلا أن تحققه عند بعض الناس- غير الأنبياء- لا يعني أن ما جاءوا به يعتبر دليلا على أنهم رسل من عند الله، لأن المعجزة لا تدخل على الرسالة إلا إذا كانت دعوى الرسالة مقارنة لها. فالخوارق للعادات تظهر مثلا للسحرة و الكهان و الكذابين و الأولياء ، و ستظهر للدجال...غير أن معجزة الرسول تختلف عن أعمال خوارق وغير الرسول من حيث إنه يستحيل المضاهاة و التقليد في حقها، و يعجز من يجابه بها عن دفع التحدي لأنها فعل معجز.[4]

و يضرب لنا السلاجي مثالا عن المعجزات عند نبينا محمد ﷺ فيقول:"... وقد تحدى سيد الأولين والآخرين محمد صل الله عليه وسلم بضروب من المعجزات، منها القرآن العظيم، وانشقاق

1- الرسالة : هي قول الله لمن اصطفاه من عباده: أرسلتك و بعثتك فبلغ عني و نحوه من الألفاظ، و لا يشترط في من يبعثه الله أي شرط و لا استعداد، بل الله يختص برحمته من يشاء من عباده، و هو اعلم حيث يجعل رسالاته.ينظر الإيجي: المواقف،ص337

2- المعجزة: هي ظهور أمر مخالف للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى عن المعارضة، و هي نوعين نوع وجودي، و نوع منعي. علال البختي: المرجع السابق،ص.476

3- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

4- بنسعيد العلوي: الخطاب الأشعري،ص137.

القمر، ونطق العجماء، وتكثير القليل، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام، وأنباؤه عن الغيوب التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي، فظهرت موافقة لدعواه، وامتنعت المعارضة من الخلائق أجمعين وكل ذلك معلوم ضرورة..." و نلاحظ من خلال هذا القول أن السلالجي أثبت نبوة محمد ﷺ بل الأكثر من ذلك فقد اعتبره خير المخلوقات و سيد الأولين و الآخرين.

كما خصص السلالجي في فصل النبوات محورا كاملا متعلق بعصمة الأنبياء، فقد اعتبر أن"...ومن أحكام الأنبياء عليهم السلام وجوب العصمة لما يناقض مدلول المعجزات عقلا، وعن ما سواها من الكبائر إجماعا..."

أما موفقه و رأيه من حقيقة الإيمان فقد عبر عنه السلالجي بقوله:"... وأن الإيمان هو التصديق. فمن صدق الله بقلبه فهو مؤمن." [1]

و يقول أيضا:" فلا يجب على الله تعالى فعل، ولا يتحتم عليه ثواب و لا عقاب. فالثواب منه فضل. والعقاب منه عدل. يخص من يشاء بما يشاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [2] "

كما نجد موقف السلالجي يتفق مع ما تطرق الأشاعرة له حول" مرتكب الكبيرة"، حيث كان حكمهم عليه موافقا لموقفهم من العصاة، فأعلن السلالجي:"... ومن مات وقد فارق كبيرة ولم يوفق إلى التوب، فأمره لله تعالى، إن شاء عفا عنه، أو شفع فيه شفيعا، أو عاقبه مدة وأدخله الجنة."[3] بهذا القول عبر السلالجي عن موقف المذهب الذي يرى أن مرتكب الكبيرة لا يقطع بعقابه- كما يزعم الخوارج الذين قالوا انه يخلد في النار- و لا يحكم بأن الله سيعفو عنه- كما يدعي المرجئة- بل هو في المشيئة ، إن شاء تجاوز أخطائه و أدخله الجنة.[4]

أما عن موضوع التوبة فإن السلالجي يرى حقيقتها في " ... الندم. لأجل ما فات من رعاية حقوق الله تعالى. "[5]

1- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

2- سورة : الأنبياء، الآية:23.

3- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

4- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص500.

5- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

و معنى كلامه أن التوبة هي شعور الفرد بأنه أذنب، ثم عزم على استدراك ما فاته من الواجبات، و الرجوع عن المعاصي و المخالفات إلى الطاعات و المبرّات.[1]

و بخصوص حكم التوبة يرى السلالجي أن" ... فمما اجتمعت عليه الأمة وجوب التوبة عند مفارقة الذنب. وهي على الفور، لا تجوز الفسحة فيها."

إذن التوبة عنده واجبة و فورية و لا يجوز التأخير فيها، و يضيف السلالجي أن التوبة إذا توفرات شروطها قبلت من الله عز وجل:"... فإذا توفرت عليه شرائطها فقد وعد قبولها."

أما موقفه من بقية السمعيات فنجد السلالجي يقول:"... فوجب الإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم من الحشر، والنشر، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة وأنباء الآخرة جملة وتفصيلا."[2]

هذه هي الأمور التي أخبر و أوصى بها الرسول ﷺ و التي ذكرها السلالجي في برهانيته من مجوزات العقول لا إحالة في العقل لإمكان وقوعها، و بما أنها وردت بها قواطع الشرع المنقول فلذلك يلزم عدم الشك في حصولها.[3]

إذن هذه هي أهم مواقف و آراء السلالجي في الأمور السمعية، و التي أثبت فيها كل ما أخبر عنه الشرع، و الجدير بالذكر أن الأدلة السمعية عند السلالجي تنحصر في الكتاب و السنة و الإجماع، و قد اعتبر الإيمان بهذه المصادر من أركان العقيدة، إذ بها تثبت الشريعة و العقيدة و يتجلى هذا من خلال قوله:"... و أن أصول الأحكام: الكتاب، السنة، والإجماع وما اجتمعت عليه الأمة وعلماء الأم فهو حق لا يجوز العدول عنه. ومشاقتهم فسق وضلال."[4]

– **الإمامة:** إن أول شيء يجب الإشارة إليه أن السلالجي يعتبر الإمامة من الجائزات العقلية و هذا من خلال تصنيفه لها في باب " الجائزات" ،كما يظهر في البرهانية و يتجلى هذا بوضوح في قوله:" و من الجائزات عقد الإمامة"[5]

1- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص502.

2- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

3- علال البختي: المرجع السابق،ص505.

4- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

5- المصدر نفسه، الملحق رقم 12،ص378-382.

و يرى السلاجي أن الإمامة تنعقد بالطرق السنية التي أجمع عليها أصحابه من الأشاعرة و هي: طريق الاختيار ، و طريق النص، غير أن طريق النص عنده ليس طريقا إجباريا و لا طريقا واحد لإثباتها كما عند الشيعة و لهذا يؤكد أن الإمامة :"... و ليس من شرطها أن يكون منصوصا عليه بل تثبت نصا واجتهادا. فهذا ما اجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين."

من خلال قوله يمكن أن نستنتج أن السلاجي قد ركز على الشرط الثاني للإمامة و هو الاجتهاد – الاختيار– لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ . و في هذا الصدد يقول عن شروط الإمامة:"... ولها شرائط: منها أن يكون الإمام قرشيا، مجتهدا مفتيا، وأن يكون ذا كفاية ونجدة عند نزول الدواهي والملمات. و ليس من شرطها أن يكون منصوصا عليه بل تثبت نصا واجتهادا. فهذا ما اجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين." [1]

إذن هذه هي الشروط التي يعتقد السلاجي أنها من مستلزمات منصب الإمامة:

1- الاجتهاد و الإفتاء.

2- الكفاية و النجدة.

3- القرشية.

4- إبطال شرط العصمة للإمام.

– موقفه من الصحابة:

أما عن موقفه من موضوع المفاضلة بين الصحابة فإننا نجده لا يتفق مع مرجعيات الفكر الأشعري، و قد اكتفى في هذه القضية بتأكيد موقف أبي الحسن الأشعري معلنا أن "... و أفضل الناس بعد نبيهم أبو بكر، ثم عمر ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلي رضي لله عنهم. فهم الخلفاء الراشدون المهديون حشرنا الله في زمرتهم."[2]

مما سبق يتبين أن أراء السلاجي الكلامية التي عكستها عقيدته البرهانية؛ أراء أشعرية واضحة اتسمت بالدقة المنهجية، و بالتركيز على أسس و أصول القضايا التي تنبني عليها المواقف الكلامية.

1- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382؛ علال البختي: السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص520.

2- المصدر نفسه، الملحق رقم 12،ص378-382.

أما عن تأثير العقيدة" البرهانية" على الفكر الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي فيمكن إيجازه فيما يلي:

- من الأدوار المهمة التي لعبتها العقيدة البرهانية في نشر الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي؛ علاوة على البساطة و الشمولية التي اتسمت بها مما سهل على العامة الإطلاع عليها، هو جلب كتاب أشاعرة المشرق لشرحها، إذ أن رغبة بعض العلماء في شرح هذه العقيدة دفعتهم إلى الإطلاع على تفاصيل المذهب الأشعري و دقائق الأمور فيه، و زيادة الوقوف على نصوص أصحابها، مما حداهم للاجتهاد في جلب كتب علم الكلام من المشرق و جعلها متداولة أكثر ببلاد المغرب الإسلامي.[1]

- ساعدت وجازة و اختزال البرهانية و كذا اتفاقها مع الاتجاه العقدي الرسمي للمغاربة، بالغ الأثر في سرعة انتشارها في الأوساط الخاصة و العامة بالمغرب. مما وجه لها الاعتناء بها خلال الفترة الموحدية و حتى في الفترة التي تلتها.[2]

- و مما يدل أيضا على أهمية عقيدة "السلالجي" ودورها في ترسيم المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي هيمنتها على المجال التعليمي لأمور العقائد بهذه البلاد؛ ذلك أنها ظلت تدرَّس في المدارس و الجوامع، و تمارس هيمنتها الكبيرة باعتبارها تعكس العقيدة الرسمية للبلاد إلى غاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث سيتم الاستعاضة عنها بعقائد الإمام "السنوسي"(ت 895هـ/1490م)[3].

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري ، ص: 114.

2- علال البختي: السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص197.

3- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، نسبة إلى القبيلة المعروفة بالمغرب الأقصى، يصعد نسبه إلى(نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما)، محدث و مفسرو هو من كبار علماء تلمسان و زهادها، له عدة تآليف: عقيدة أهل التوحيد و تسمى العقيدة الصغرى، و العقيدة الوسطى، و شرح صغرى الصغرى، و شرح صحيح البخاري،و غيرها.للمزيد ينظر: ابن مريم: البستان،ص237-239؛ نويهض: معجم أعلام الجزائر،ص180، 181.

- وجدت العقيدة "البرهانية " قبولا من طرف المغاربة، بالمقارنة مع " مرشدة" بن تومرت التي ضمن لها الانتشار بفضل رعاية السلطان.[1]

-كما جاءت العقيدة البرهانية كاملة مستوفية كل الأمور التي تخص عقيدة الفرد المغربي من حق الله و صفاته و رسله و الأخبار الغيبية المرتبطة بالرسالة، كما يستطيع من خلالها الخروج بموقف واضح حول موضوع الإمامة، على عكس مرشدة بن تومرت التي كانت ناقصة في عدة جوانب و اقتصرت على إعطاء تصور عام لأركان العقيدة الإسلامية، فلم يتعرض بن تومرت إلى موضوع الإلهيات و النبوات و الإنسانيات، بسبب أن تأليفها كان بداية مشوار بن تومرت الدعوية، فلم تكن آراؤه قد استوت بعد.[2] كما أن تأليفها طغت عليه نوايا سياسية، و هنا نستنتج أن انتشار البرهانية كان نابعا من رغبة علمية للمغاربة بعيدا عن تأثير أي هيئات أو سلطات حاكمة.[3]

- لاقت العقيدة" البرهانية " اهتمام الشرّاح بحيث وضعت لها العديد من الشروح تجاوزت 13 شرحا- تمت الإشارة لها سابقا- كما أن فترات الاهتمام بهذا المصنف العقدي امتد من عصر المؤلف 6هـ/12م إلى القرنين11-12هـ/17-18م، مما يؤكد أن تأثير البرهانية على فكر المغاربة كان كبيرا، بل امتد هذا التأثير خارج بلاد المغرب الأقصى ليشمل الاهتمام بها بلاد المغرب الأوسط و الأدنى ثم الأندلس بل إلى أعماق السودان[4] و آسيا[5] ،على العكس من ذلك نجد أن مرشدة بن تومرت فإن شروحها لم يتجاوز08 شروح جلها كانت سطحية موجزة، و شراحها نحو بشرحهم مناحي روحانية حاد بها عن الغرض العقدي الموضوعة له، و هذا ما يؤكده النجار بقوله:" لا يفوتنا أن نلاحظ من خلال ما تقدم من مظاهر العناية بالمرشدة، أن انتشارها و العناية بها شرحا و تدريسا في المغرب كان أكثر بروزا في الأوساط الصوفية."[6] و هذا ما جعل المرشدة غير

1- علال البختي: السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص.197

2- النجار: المهدي ابن تومرت،ص 450.

3- علال البختي: السلاجي و مذهبيته الأشعرية،ص201.

4- المرجع نفسه ،ص201، 202.

5- عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين،ص692.

6- النجار: المهدي ابن تومرت،ص 463.

قادرة عن تلبية حاجات المغاربة العقدية و لم تكفهم مشقة الرجوع إلى المؤلفات العقدية الأخرى لاستكمال قناعاتهم و اعتقاداتهم في الأمور الكلامية.[1]

– إن عقيدة البرهانية هي خلاصة لما تناقله السلف و وصل إلى الخلف في أمور الاعتقاد إلى عصر السلالجي، و قد حاول صاحبها أن يعطي لها مشروعية دينية من خلال قوله:".. فهذه عقيدة أهل السنة تلقاها الخلف عن السلف لا يسع أحد جهلها. أعاننا الله على القيام بها والرعاية بحقوقها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..." [2] يعني أن عقيدته هاته هي التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة و التابعين.

و بهذا صارت العقيدة " البرهانية" المصدر الأساسي الذي ينهل منه طلبة العلم و الباحثون في علم الكلام الأشعري، ووقفت عليه الأوقاف و الأحباس و اعتنى الناس بها عناية بالغة.

و نظرا لأن "السلالجي" كان واعيا كل الوعي بالدور المنوط بعقيدته البرهانية في القضاء على رواسب فكر أهل التسليم و التفويض الذي كان سائدا من قبل و في نشر المذهب الجديد، فقد صرح بأمله في أن تنتشر هذه العقيدة بين أهل المغرب الإسلامي، و دعا الله أن يعينه على تثبيتها و إستمراريتها و رعايتها .[3]

و بهذا يكون السلالجي قد أسس لمدرسة كلامية أشعرية صرفة بالمغرب أخلصت للمذهب الأشعري أيما إخلاص، و استطاعت أن تصبح منارة لهذا المذهب و لأهل السنة في بلاد المغرب.

و صفوة القول فإن شخصية "السلالجي" مثلت حلقة من حلقات إسهامات مفكري الأشاعرة الذين لهم السبق في ترسيم المذهب الأشعري و نشره في أوساط المغرب الإسلامي.

1- علال البختي: المرجع السابق،ص201.

2- السلالجي: البرهانية، الملحق رقم 12،ص378-382.

3- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري ، ص: 252.

توفي في جمادى الثانية من سنة 564هـ.[1] و قيل 574هـ/1178م[2] ،و قيل سنة 594هـ/1197م[3] ليترك المجال لأحد تلاميذه من أجل إكمال مسيرة نشر الفكر الأشعري ببلاد المغرب إلا و هو **الإمام الكتاني**.

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

5-6- أبو عبد الله بن الكتاني (ت 596هـ/1199م):

هو العلامة المتكلم، الأصولي الأديب، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي، المعروف بابن الكتاني من أهل مدينة فاس.[4]كان من أكبر أئمة فاس و المغرب علما وورعا و زهدا و عبادة.[5]

قال عنه ابن الزيات:"... من أهل فاس و به مات... و صلى عليه الفقيه أبو يحيى أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق، و كان الكتاني آخر أئمة المغرب ..."[6]

و قال عنه ابن مخلوف:"...أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم المعروف بالكتاني الفاسي الفقيه الفاضل آخر أئمة المغرب..."[7]، وكان إماما في علم الكلام و أصول الفقه، مدرسا لذلك حياته كلها، و كان له حظ من الأدب، و له رجز في أصول الفقه.[8]كما عرف بالزهد في الدنيا و

1- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف،ص198؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص266؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص16؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج2، ص458؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش،ج9،ص06.

2- الكتاني: سلوة الأنفاس،ج2،ص،242، 243؛عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1،ص150، نقلا عن ابن مؤمن تلميذ السلالجي في كتابه "البغية" قام البختي بترجيح هذا التاريخ لعدة اعتبارات.للمزيد ينظر: علال البختي: السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص-ص:176-179 .

3- ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا،ص45.

4- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف،ص335؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص164، ابن القاضي:جذوة الاقتباس،ج1،ص220؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1،ص.150

5- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص.162

6- ابن الزيات: المصدر السابق،ص335.

7- ابن مخلوف: المصدر السابق،ص164.

8- عبد الله كنون: النبوغ المغربي،ج1،ص150؛علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص162.

الإعراض عنها و عن أهلها و ذلك على سنن أهل العلم و الدين، و له في ذلك شعر نقله ابن الزيات يقول فيه:

غنيت بنيل الحق عن كل كسب ۞ فما بعد نيل الحق للنفس مطمح
و يكسبني علمي بقدر سكينة ۞ و تنزو بي الأوراح طورا و تجمح
قبضت عناني عن مخالطة الورى ۞ و قلت: سبيل الصبر أولى و أنجح
و لكن ضرورات المعيشة ربما ۞ تغير في وجه المراد و تقدح.[1]

و يقول عنه ابن القاضي:"...كان من أئمة المغرب في العلم مقدما في فنون العلم زاهدا في الدنيا مقبلا على الآخرة، لزم العبادة و الصوم..."[2]

تنقل بين فاس و القيروان و الأندلس، بسبب أحداث وقعت له هناك، فأرسل السلطان في طلبه، و درس على يد عبد الله بن يبقى و على أبي عمرو السلاجي، أخذ عنه علم الكلام و أصول الفقه.[3] و في هذا الصدد يقول ابن الزيات:"... و كان الكتاني آخر أئمة المغرب فيما أخذه من أبي عمرو (السلاجي) من علوم الاعتقاد..."[4]

و قد أخذ عنه و سمع منه زمرة و نخبة من العلماء الكبار، كانوا منارات للعلم بعده في سائر أرجاء المغرب الكبير، منهم: أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد(ت 614هـ/1217م) قرأ عليه علم الكلام و أصول الفقه و صحبه إلى أن مات، و منهم أيضا أبو الحسن بن العطار(ت 640هـ/1242م) الذي كان من أكبر أصحابه متقدما في معرفة علم الكلام و الاعتقادات، و منهم أحمد بن خلف الشريشي(ت641هـ/1243م)[5] الذي كان بارعا في علم الكلام.[6]

1- ابن الزيات: المصدر السابق،ص 335-337.
2- ابن القاضي:جذوة الاقتباس،ج1،ص220.
3- علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص162.
4- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف،ص335.
5- ينظر ترجمته: السملالي: الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، ،ج2، ص-ص:143-146.
6- علال البختي: المرجع السابق،ص.163

و منهم أبو عبد الله محمد الناميسي الذي كانت له مشاركة متميزة في علم الكلام، و أبو عبد الحسن الشاري السبتي(ت 649هـ/1251م) الذي يقول:" أخذت عنه- يقصد الكتاني- جملة وافرة من إرشاد أبي المعالي و تلخيصه- يقصد البرهانية- تفهما، و سمعت عليه رجزه".[1]

و قد تأثر ابن الكتاني بشيخه السلالجي في تخصصه الأشعري و حتى في سلوكه الصوفي فهو القائل:

و ما أبقى الهوى و الشوق مني ۞ سوى نفس تردد في خيال

خفيت من المنية أن تراني۞ كأن الروح منى في محال[2]

لقد اعتلي ابن الكتاني منزلة رفيعة عند أساتذته و علماء عصره، و هذا بسبب قدراته العلمية و سيطرته على المذهب الأشعري في العقيدة- مذهب الدولة الرسمي- و كان هذا سببا أيضا في خلافته لأبي عمرو عثمان السلالجي - بعد وفاته- على كرسي العقيدة و الأصول في القرويين، فقام أهل فاس و الوافدين عليها من مختلف أنحاء بلاد المغرب و الأندلس مبادئ و تفاصيل الفكر الأشعري، انطلاقا من " العقيدة البرهانية" السلالجية، و من كتاب الإرشاد- المرجع الأساسي للسلالجي و تلامذته في العقيدة-[3]

هذا و قد خلف تآليف علمية منها: تلخيص "للعقيدة البرهانية"، و له أيضا كتاب تفسير الأكيال و الأوزان نقل عنه بعض شراح الرسالة.[4] كما ألف رجزا في أصول الفقه.[5]

توفي في ذي الحجة سنة 596هـ و قيل 597هـ ، و دفن خراج باب الجيسة ، و نظرا لمكانته العلمية شهد جنازته أبو دبوس الموحدي أمير الوقت[6]

1- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص150؛ علال البختي: المرجع السابق،ص164.

2- ابن القاضي:المصدر السابق، ج1،ص220؛ علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية ،ص162.

3- علال البختي: المرجع السابق ،ص163.

4- كنون: المرجع السابق،ص150.

5- علال البختي: المرجع السابق ،ص164.

6- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص164؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ص220؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1،ص150؛ علال البختي: المرجع السابق،ص164.

و على الرغم من أننا لم نتمكن من الوقوف عند جميع من أسهموا في هذه الفترة، و من كان لهم كذلك ذائع الصيت، و كبير الشهرة في هذا الميدان من أمثال : "أبي الحسن علي بن محمد بن خليل الأشبيلي" (ت 567 هـ/1171م)، فقد تحدث عنه ابن صاحب الصلاة قائلا فيه أنه كان عالما فاضلا يتكلم في المجلس العالي مسترسلا بالمذاكرة متمهلا على حسن أدب في المناظرة، فإذا خرج منه تذاكر مع طلبة الحضر بما وعى من الخليفة من علم "المهدي"، و بين لهم ما ناله من العلم النبوي.[1]

و منهم أيضا "أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الصفير الأنصاري" (ت 559 هـ/1164م) الذي نظمه "عبد المؤمن" بين طلبة الموحدين، فتلقى مبادئهم و برع في عقيدتهم و علمها للناس، فولاه "عبد المؤمن" قضاء غرناطة، ثم قضاء أشبيلية.[2]

و من طبقة الإمام الكتاني برز أشعري أخر هو محمد بن عبد الرحمن الرعيني السرقسطي يلقب بالركن و يكنى أبا عبد الله (ت598هـ/1201م)، قال عنه ابن الأبار:" كان فقيها متحققا بعلم الكلام، متقدما فيه يناظر في الإرشاد لأبي المعالي و غيره...وولي قضاء معدن عوام بمقربة من مدينة فاس"[3]، و هو أحد شراح البرهانية – كما ذكرنا سابقا- و هذا يدل على رسوخ قدمه و تجديده في علم الكلام الأشعري بالمغرب.[4]

و من قرناء ابن الكتاني أيضا نجد علم آخر من كبار أعلام الأشاعرة، و هو علي بن عتيق بن مؤمن الأنصاري الخزرجي(ت 598هـ أو 600هـ/1202م أو 1203م)، من أهل قرطبة و نزل بآخرة بمدينة فاس، و قد تعمق في العلم على يد أبي عمرو السلالجي، حيث ذكر انه قرأ عليه علم التوحيد،و علم الحديث و الفقه، و شيئا من علم التفسير، إلا أنه اختص به في علم الكلام و

1- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص: 160.

2- لسان الدين ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ، ج 1 ، ط2 ، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1973م،ص: 67.

3- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص275؛ علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص212.

4- ابن خمير السبتي: مقدمات علم المراشد إلى علم العقائد، تقديم و تحقيق جمال علال البختي،ط1،مطبعة الخليج العربي،تطوان،1425هـ-2004م،ص27؛ علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص213.

خصوصا من كتاب علم الإرشاد. و بفضله مواهبه و عقله الراجح صارت له المكانة السامية في الفكر الأشعري.[1]

و من أشعريي هذه الفترة أيضا عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي القصري(ت 608هـ/1211م)، و كان فقيها صوفيا متكلما.[2] قال عنه التنبكتي:" كان متقدما في علم الكلام، مشاركا في العربية و غيرها متصونا، له تآليف منها:"كتاب تفسير القرآن"، و " شعب الإيمان"، و "كتاب المسائل و الأجوبة". "[3]

و منهم أيضا أبو الحسن بن خروف الحضرمي الإشبيلي(ت609هـ/1212م)، الذي أقرأ بالأندلس و المغرب، و مناهم انجازاته العلمية ردوده على أبي المعالي الجويني في كتابه الإرشاد و على أبي محمد بن حزم في بعض مقالاته.[4]

و من الأشاعرة الكبار في القرن السابع الهجري أيضا نجد أبو الحسن علي بن الأنصاري الخزرجي الفاسي الإشبيلي ابن الحصار(ت610هـ/1213م)، كان محدثا و فقيها عارفا بالأصول و الكلام متحققا به. و له مؤلفات مفيدة أهمها: مقالة الإيمان و الإسلام، و عقيدة سماها تلقين الوليد و خاتمة السعيد.[5]

و منهم أيضا محمد بن عبد الله بن حسن الزرهوني الفاسي الأصل أبو عبد الله الزق(كان حيا سنة 612هـ/1215م)، أخذ بفاس عن جماعة من الأندلسيين أشهرهم أبو الوليد بن رشد الصغير، و أبو محمد بن الخراط، و قد أبدع في علم الكلام و الفلسفة، و له تآليف أهمها" شرح العقيدة البرهانية" للسلالجي، و له تعليقات مفيدة عليها.[6]

و هناك أشعري آخر سطع نجمه ببلاد المغرب و الأندلس هو أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد بن نوي(ت 614هـ/1217م) من أهل مدينة فاس ولد سنة:554هـ/1159م، أخذ عن

1- ابن خمير: المصدر السابق،ص27.

2- المصدر نفسه،ص28.

3- التنبكتي: نيل الابنهاج بتطريز الديباج،ص278.

4- ابن خمير: المصدر السابق،ص28.

5- ابن الأبار: التكملة، ج2،ص686؛ التنبكتي: نيل الابتهاج،ص316؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2،ص470.

6- ابن خمير: المصدر السابق، ص29؛ علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص214.

جماعة من الشيوخ منهم القاضي ابن مضاء، كما أجازه ابن بشكوال و عبد الحق الأزدي و غيرهما، و تلقى علم الكلام و الأصول على يد السلالجي و صحبه إلى أن مات.[1]

تولى التدريس في فاس و مراكش و إشبيلية، و أقرأ بها كبرا علمائها،[2] و قد وصفه ابن الآبار بقوله كان :"...إماما في علم الكلام و الأصول، مثقفا به، متقدما في الحفظ و الذكاء، مع المشاركة في الفنون..."[3]

و منهم الشيخ الفقيه، الفاضل المحقق، الأصولي، المتقن المجيد "أبو علي عمر بن ملك المرساوي" (كان حيا في القرن7 الهجري/13 الميلادي) الذي قال فيه "الغبريني" أنه كان أعلم وقته بعلم الكلام، و كان محققا له محصلا لمعانيه كليا أو جزئيا، و كان أحفظ الناس بدقائق تفاصيله، و كان طريقه في ذلك على طريق الأقدمين مثل "الجويني" و "أبي بكر الطيب الباقلاني".[4]

و منهم أيضا يحي بن عبد الرحمن الأشعري، القرطبي أبو عامر (ت 640هـ/1242م)، ولد بقرطبة سنة 563هـ/1167م، و قد سمع من أباه أبا الحسين و ابن بشكوال و أجازه أبو بكر بن الجد و أبو عبد الله بن زرقون، و كان إماما في علم الكلام و أصول الفقه ماهرا في المعقولات و نوظر عليه في شامل أبي المعالي و إرشاده و غيرهما، و له تآليف جليلة في ذلك، و أقرأ صحيح البخاري تفهما، ولي قضاء بلده إلى أن تملكه الروم سنة 663هـ/1265م، كما تولى قضاء غرناطة ثم صرف، توفي بمالقة بفالج.[5]

ونحن و إن لم نذكرهم كلهم فلا يعني أننا نحط من شأنهم أو نقلل من أهميتهم و دورهم في تمثيل الفكر الأشعري و الدفاع عنه، و إنما جاءوا في فترة كان فيها المذهب قد أخذ طريقه إلى الانتشار و الذيوع، و مذهب أهل التسليم و التفويض إلى الانحطاط و الزوال، و ذلك بفضل

1- ابن الأبار: التكملة، ج2،ص740؛ ابن خمير: المصدر السابق، ص29؛ التنبكتي: نيل الابتهاج،ص626؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2،ص550؛ علال البختي: المرجع السابق،ص166.

2- ابن خمير: المصدر السابق، ص29؛ المرجع السابق،ص167.

3- ابن الأبار: التكملة، ج2،ص740.

4- الغبريني: عنوان الدراية،ص226.

5- التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ص631، 632.

الإسهامات البليغة التي قام بها كل من: "بن تومرت" و "ابن العربي" و " ابن حرزهم" و" أبو علي المسيلي" ، و "السلاجي" و "ابن الكتاني" و غيرهم كثير.

ها نحن نخرج من إطلالتنا على أعلام كبار و على فترة مهمة من تاريخ المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي و على إسهامات هؤلاء الأعلام في مجال العقائد، و التي كانت تهدف إلى نفس الهدف و ترمي إلى ذات الغاية.

و قبل أن نأتي على ختام هذا الفصل علينا أن نشير إلى أنه بمجرد ما تغلغل هذا المذهب، و توسعت دائرة نفوذه و ترسيمه في المغرب الإسلامي، و أضحى المذهب الرسمي للدولة، حتى بدا و كأن هناك مجاليين معرفيين، مجالا خاصا بالثقافة العامة المنظمة، و فيه تنتظم الثقافة العقدية انتظاما يتلقاه المتعلمون داخل حقل تعليمي مضبوط و منظم، و مجالا خاصا بالثقافة العفوية، و يشكل الثقافة التلقائية المتداولة في الكلام الشفوي و الدارج في كلام الناس، و التي تتضمن بطريقة غير واعية أقوالا و عبارات ذات حمولات لا أشعرية.

غير أنه يجب أن نشير أيضا أنه لا يمكن أن نعتبر الآراء المتأخرة عن الأشعري مسلّمات يمكن عبرها تقييم موقف الأشعري نظرا إلى اختلاف الدوافع التي أسهمت في بلورتها والغايات التي كتبت من أجلها. فقول ابن خلدون مثلا بأن الأشعرية انتصار للعقائد السلفية والذبّ عنها بالحجج العقلية ، لا ينطبق على الأشعرية في مختلف مراحلها. إذ يفصل بين ابن خلدون والأشعري أكثر من أربع مائة سنة. وهي فترة كفيلة بتغيير "الأدوار الحضارية". فليس المنتمي إلى الأشعرية في القرن الرّابع الهجري هو نفسه من حيث خصائصه المنتمي إليها في القرن السابع الهجري و لا الناظر إليها أيضا.[1] و في هذا الصدد يقول ابن خلدون: "إن الذين جاءوا بعد أبي بكر الباقلاني الذي هو تلميذ أبي الحسن الأشعري كالغزالي وابن الخطيب والبيضاوي و الجرجاني خلطوا مع العقيدة الأشعرية الفلسفة وعلم الكلام لتناسب الرد على خصوم العقائد الإيمانية من الفلاسفة والمبتدعة، ثم توغل جماعة من المتأخرين بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة حتى التبس عليهم شأن الموضوع في العلمين، فحسبوه واحد من اشتباه المسائل فيهما"[2].

1- المبروك المنصوري: الأشعرية في بلاد المغرب،ص03.

2- ابن خلدون: المقدمة،ص837.

كما ينقل لنا جيلاني عبد المغيث قول الحسن بن أحمد العبادي الهشتوكي المالكي –حفظه الله- في كتابه "الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله العلوي" : " وبهذا النص يمكن لنا أن نعرف أن الانحراف تسرب إلى العقيدة الأشعرية من هذا الخلط الذي وقع فيه المتأخرون من أنصار أبي الحسن الأشعري عن حسن نية، ويمكن لنا أن نعين القرن الخامس كتاريخ لبداية هذا الخلط الذي استمر منذ ذلك الحين، حتى جر على العقيدة الإسلامية صعوبة جافة، وأصبحت نستلزم معرفتها التي عهدناها في العصور الأولى بسيطة سهلة، تقديم الفلسفة والمنطق، وعلم الكلام، ليتسنى بذلك معرفة طرق الجدل الذي وضعت في قالبه، وليت الذين خلطوا تلك العلوم بالعقيدة الإسلامية سلكوا سبيلا وسطا، فمن آنس نفسه القدرة على ممارس الجدال والنقاش ضد الفلاسفة الملحدين والمبتدعة، درس العقيدة ممزوجة بتلك العلوم الضرورية للتمرس على الجدال والمناظرة، ومن أراد العقيدة الإسلامية كما هي خالصة من الشوائب فتكفيه دراسة العقيدة وحدها بدون تلك العلوم.[1]

و بحديثنا هذا نكون قد وصلنا إلى ختام هذا الفصل و الذي عبَّر عن مرحلة من مراحل سيرورة المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، مرحلة شهد فيها هذا المذهب ترسيمه و تغلغله بشكل واسع، فحق لها أن تمثل و بجدارة قمة الهرم بالنسبة لمسار المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي.

1- عبد المغيث جيلاني: المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس أعلامها و جهودها،ص35.

خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين، فقد توصلنا للنتائج التالية:

أولا: شهد المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين مرحلة ترسيمه و انتشاره و تغلغله ببلاد المغرب الإسلامي"، و ما ذلك إلا لكون هذا المذهب كان مذهبا رسميا للدولة و تلقى دعما سياسيا و علميا و كان تحت لواء السلطان، كما ارتبط بمحاربة دولة المرابطين و محاربة عقيدتهم الرسمية عقيدة أهل التسليم و التفويض، فقد اختلطت العقيدة الأشعرية بإيديولوجية الموحدين اختلاطا ليس بوسع أحد أن ينكره.

ثانيا: عرفت فترة الموحدين ظهور علماء برعوا في علم الكلام الأشعري، من أمثال: بن تومرت، و ابن العربي، و ابن حرزهم، و أبو علي المسيلي، و السلالجي و الكتاني و غيرهم كثير، فكانوا ممثلين بحق للفكر الأشعري ببلاد المغرب، تأثروا و أثروا في الفكر المغربي من جميع النواحي بمؤلفاتهم التي بقيت تدرس و تحفظ و تشرح إلى قرون حتى و إن سقطت الدولة الموحدية.

ثالثا: كان للفكر الأشعري المغربي ثوابت خاصة تميزه؛ و هذا ما لاحظناه من خلال أن ممثلي الأشعرية بالمغرب مثل السلالجي و بن تومرت الّذي عبرا عن مسائل الأشاعرة بمواقف جديدة تختلف عن موافق أساتذتهم و أعمدة الفكر الأشعري بالمشرق الإسلامي (مثلا اتفق معهم في: القدرة الإلهية و الفعل الإنساني، و العقاب و الثواب و الرؤية، بينما نجده يختلف معهم في: بعض الصفات في علاقتها بالذات الإلهية، و التكليف بما لا يطاق، و الإيمان) و من هنا نستنتج أن الفكر الأشعري المغربي لم يظل رهين المدرسة الأشعرية في المشرق الإسلامي.

رابعا: و الجدير بالذكر أن الآراء المتأخرة عن الأشعري ليست مسلمات يمكن عبرها تقييم مواقف الأشعري التي صدرت عنه خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، فليس المنتمي إلى الأشعرية في القرن الرّابع الهجري هو نفسه من حيث خصائصه المنتمي إليها في القرن السابع الهجري، و هذا لا ينطبق على الأشعرية في مختلف مراحلها، إذ لاحظنا أن الأشعرية تعرضت للانحراف مع مطلع القرن السادس الهجري من خلال تبني الآراء العقدية– التأويل، و العصمة، و المهدوية و غيرها– و التي صدرت عن بن تومرت و من جاء بعده.

الخاتمة

و في نهاية هذه الدراسة و التي حاولنا من خلالها معالجة المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين:(**5-7هـ/11-13م**)، و بعد اطلاعنا على المصادر و المراجع و الدراسات المتخصصة، استطعنا الوصول إلى النتائج التالية:

أولا: شهدت بلاد المغرب تنوعا مذهبيا خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين، فعرفت التربة المغاربية ولوج و تسرب مختلف الفرق و المذاهب العقدية من فكر خارجي، و اعتزال، و إرجاء و تشيع، غير أنه لم يكتب لها البقاء فزالت و اندثرت بزوال دعاتها، و لم يبق لها أي أثر.

ثانيا: كان من الطبيعي أن تنتقل المذاهب الفقهية من المشرق إلى المغرب الإسلامي، حيث أن المغرب الإسلامي قد دخلته المذاهب المختلفة مثل المالكية و الظاهرية و الشافعية و الحنفية و الحنبلية و الشيعية و غيرها كثير ، ذلك تحت تأثير الرحلات التجارية و العلمية في إطار التواصل الحضاري و الثقافي و الروحي بين المشرق و المغرب،و قد ساهم في انتشارها طلبة العلم المغاربة و المشارقة الذين وفدوا على هذه البلاد، غير أن الوضع المذهبي ببلاد المغرب قد أخذ شكله النهائي بسيطرة شبه كاملة للمذهب المالكي، و ذلك منذ نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث أخذ المذهب المالكي يسود المغرب و الأندلس حتى أصبحت له السيادة الكاملة خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين لاسيما على عهد الزيريين و المرابطين.

ثالثا: فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني و الثالث الهجريين تحديا عقديا على أهل السنة مشرقا و مغربا، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثر بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطرا كبيرا على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات، و كان من بينهم الإمام أبو الحسن الأشعري(ت324هـ/935م) الذي تمرس بمناهج المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذا إلمام واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقترح منهجا عقديا جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام.

رابعا: عرف أهل المغرب المذهب الأشعري في فترة مبكرة، ربما و صاحب المذهب على قيد الحياة، و الغالب بعدها بقليل إذا اعتبرنا أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ/967م) ، و خلال هذه الفترة كان هذا الفكر مقتصرا على عدد محدود من الأفراد، ، ليتم اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي مع منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي- أي تقريبا مع بداية العصر المرابطي-. و قد كانت للعوامل الدينية و العلمية، و حتى التاريخية و السياسية، الأثر الحاسم في انتشار و تغلغل هذا المذهب في بلاد المغرب.

خامسا: تمكن المذهب الأشعري ببلاد المغرب من الانتشار ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري و ذلك بفضل جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم، سواء من علماء المشرق مثل: الإمام الباقلاني، و الإمام الجويني، و الإمام الغزالي الذين سخروا لذلك عددا من الدعاة الذين تفرقوا في العالم الإسلامي مشرقا و مغربا، ووصل بعضهم إلى المغرب الإسلامي. من أمثال عبد الله الأذري و أبا طاهر البغدادي و القلانسي و القابسي و غيرهم كثير، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.

سادسا: لاحظنا أن المذهب العقدي و الفقهي الذي كان سائدا و رسميا في زمن المرابطين ، هو مذهب الإمام مالك (أهل التسليم و التفويض) الذي كان له أقطاب يدافعون عنه — الفقهاء على وجه الخصوص- و ممثلون يبسطون مبادئه و محتوياته؛ و لكن على الرغم من ذلك فقد عرفت هذه الفترة تمثيلا قليلا لأفكار الأشاعرة، حيث انحصر علم الكلام الأشعري و أصبح له ممثلين قلائل، بالمقابل برز علم الكلام السني و ازدهر الفقه الاستدلالي و من أعلام هذا التوجه ابن رشد الجد (ت520هـ/1126م)،كما شهدت هذه الفترة سيطرة كاملة للفقهاء على جميع مناحي الحياة ، و أصدروا قرارات خطيرة على المستوى الديني- حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي- التي انعكست نتائجها على المستوى السياسي؛ حيث استغل ابن تومرت هذه الحادثة و انطلق من خلالها و من خلال اقتصار أفكار هؤلاء الفقهاء على فروع الفقه المالكي ليحارب السلطة المرابطية.

سابعا: شهد المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين مرحلة ترسيمه و انتشاره و تغلغله ببلاد المغرب الإسلامي"، و ما ذلك إلا لكون هذا المذهب كان مذهبا رسميا للدولة و تلقى دعما سياسيا و علميا و كان تحت لواء السلطان، كما ارتبط بمحاربة دولة المرابطين و محاربة عقيدتهم الرسمية عقيدة أهل التسليم و التفويض، فقد اختلطت العقيدة الأشعرية بإيديولوجية الموحدين اختلاطا ليس بوسع أحد أن ينكره. و لا شك أن الإصلاح الديني، الذي حاول الموحدون تطبيقه بالمغرب قد ترك أثارا هامة في الحياة الدينية بالمغرب الإسلامي، إذ أصبح المذهب الأشعري مذهب العامة و الخاصة، و بهذا خرجت العلوم الدينية من طور منابذة الرأي و العقل و انتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازنا و اعتدالا.

ثامنا: كما تكونت لدينا صورة واضحة عن مسار هذا المذهب،و التي ارتأينا أن نجسدها في أطوار الحضور الأشعري، ذلك بالاعتماد على المعالم التي ميزت كل طور، و بالاعتماد على المنهج الإحصائي الوصفي، حيث حاولنا تحديد نسبة مئوية لكل طور حسب نسبة انتشار هذا المذهب و تغلغله.

و مع ذلك فإن هذه المحاولة، لم تكن عبثا، و إنما مبنية على أساس المعطيات التاريخية الواردة في المصادر و المراجع حول هذا الموضوع، و التي عملنا على استنطاقها قدر الإمكان علّنا نخرج منها بنسبة تعكس لنا مدى ما بلغه هذا المذهب خلال فترة زمنية تحددها معالم تاريخية تحكمت في سيرورة الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي.

إنّ أول معلم اعتمدنا عليه هو تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، أما المعلم الثاني هو تاريخ دخول ابن تومرت بلاد المغرب بعد رحلته إلى المشرق، و بين هذين المعلمين تحدد لنا الطور الأول لهذا المذهب، و هو طور لم يرق فيه الوجود الأشعري إلى مستوى تكوين مدرسة أشعرية مغاربية، و كل ما هناك تمثيلات فردية ليس إلا، و هذا ما جعلنا نحدد نسبة انتشار هذا المذهب في هذا الطور مابين(20-30%)

فلو كانت النسبة أقل من هذه لكان دخول هذا الفكر حدثا عابرا غير ذي بال، و لو كان كذلك فكيف نفسر تلك المخاوف المتزايدة للدولة المرابطية من هذا المذهب ،و المتمثلة في تقديم طلب لابن رشد (ت520 هـ/1126م) للإفتاء في كيفية التعامل معهم، و كذا

إقدام الأمير المرابطي على بن يوسف (500 – 537هـ/ 1106-1142م) على حرق كتب الغزالي خاصة ما نطق منها بالفكر الأشعري .و إذا كان هناك احتمال يقول بارتفاع النسبة أكثر من ذلك نقول : أنّ الأمور التي لا خلاف فيها هو أنّ الدولة المرابطية ظلت متمسكة بعقيدة أهل التسليم و التفويض إلى آخر أيامها، و كل هذا يعني أنّ النسبة الأكبر من المغاربة كانوا يتبعون العقيدة التي تتبناها الدولة، و ربّ قائل :" الناس على دين ملوكهم."

أما المعلم الثالث يتمثل في سقوط دولة المرابطين، و المعلم الرابع قيام دولة الموحدين و بينهما انحصر الطور الثاني لهذا المذهب و هو طور ترسيمه و تغلغله، ففيه شهد المذهب الأشعري انتشارا واسعا و تغلغلا كبيرا، بعد أن اتخذته الدولة الموحدية مذهبا رسميا لها فكانت نسبة انتشاره في نظرنا تقارع (70%)، و لما لا تبلغ هذه النسبة إذا كانت المادة التاريخية تؤكد أنّ الخلفاء الموحدين استعانوا في نشر هذا المذهب بقوة السيف، و لهذا أقبل عليه المغاربة بشكل مكثف طوعا أو كرها، و مما يدعم ذلك الانتشار الواسع هو خلو الساحة الفكرية المغاربية من الاتجاهات المعارضة لهذا المذهب و إن وجدت فإنها كانت تلوذ إلى الصمت و السكينة.

تاسعا: كان للفكر الأشعري المغربي ثوابت خاصة تميزه؛ و هذا ما لاحظناه من خلال أن ممثلي الأشعرية بالمغرب مثل السلاجي و بن تومرت الذي عبر عن مسائل الأشاعرة بمواقف جديدة تختلف عن موافق أساتذته و أعمدة الفكر الأشعري بالمشرق الإسلامي (مثلا اتفق معهم في: القدرة الإلهية و الفعل الإنساني، و العقاب و الثواب و الرؤية، بينما نجده يختلف معهم في: بعض الصفات في علاقتها بالذات الإلهية، و التكليف بما لا يطاق، و الإيمان) و من هنا نستنتج أن الفكر الأشعري المغربي لم يظل رهين المدرسة الأشعرية في المشرق الإسلامي.

عاشرا: و الجدير بالذكر أن الآراء المتأخرة عن الأشعري ليست مسلمات يمكن عبرها تقييم مواقف الأشعري التي صدرت عنه خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، فليس المنتمي إلى الأشعرية في القرن الرّابع الهجري هو نفسه من حيث خصائصه المنتمي إليها في القرن السابع الهجري، و هذا لا ينطبق على الأشعرية في مختلف مراحلها، إذ لاحظنا أن الأشعرية تعرضت

للانحراف مع مطلع القرن السادس الهجري من خلال تبني الآراء العقدية- التأويل، و العصمة، و المهدوية و غيرها- و التي صدرت عن بن تومرت و من جاء بعده.

من كل ما سبق تأكد لدينا أن المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي عرف حضورا قويا و قفزة نوعية سواء من حيث مضامينه و ثوابته أو منهجيته .

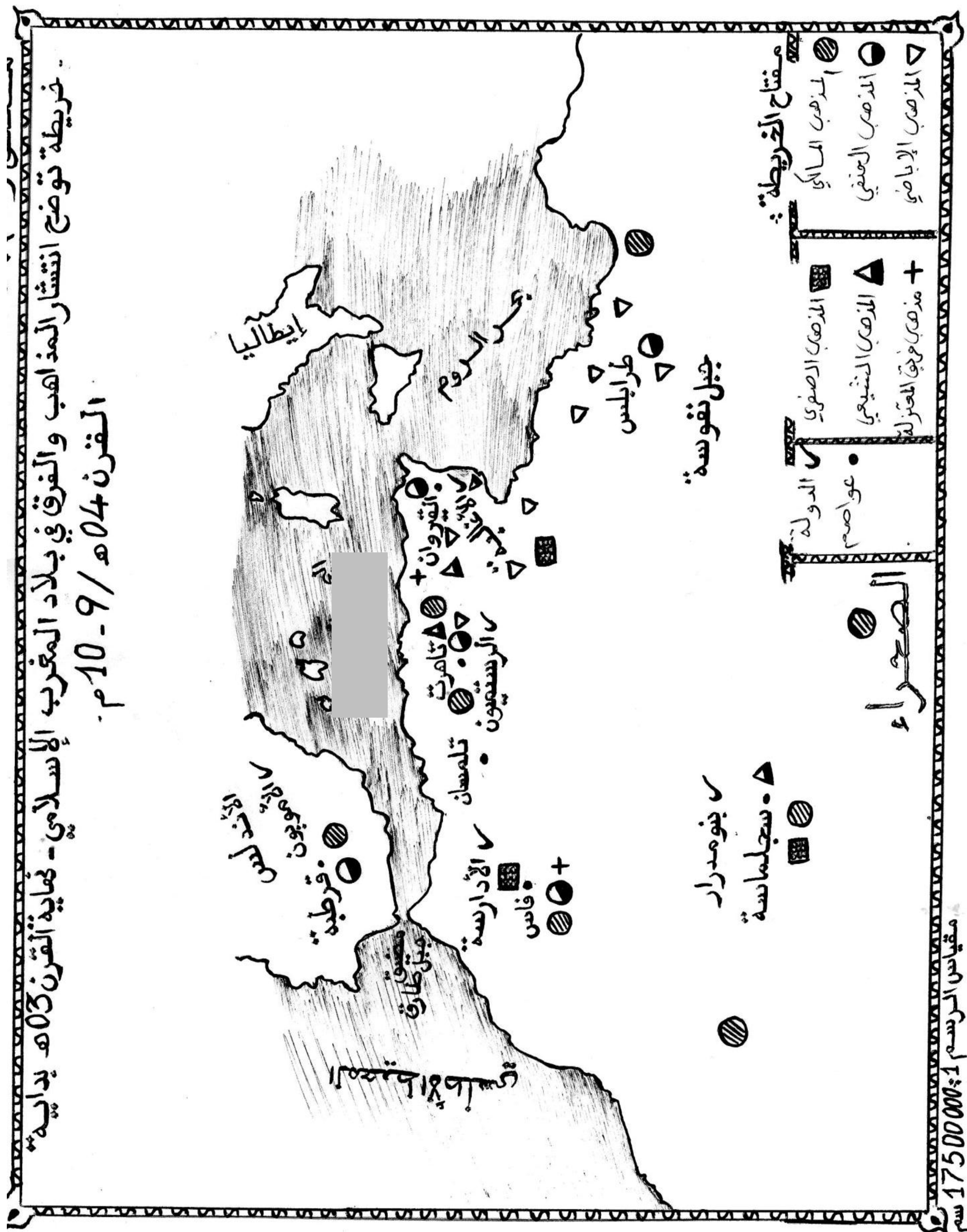
و في الأخير، نقول أن هذه الدراسة التي تقدمنا بها، ما هي إلا خطوة أولى في بداية البحث، ما أحوجنا لدراسات مستقبلية تكملها، و تسلط الضوء على الجوانب التي لم نحط بها.

و الله من وراء القصد و هو المستعان و عليه التكلان.

و صلى اللهم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و على آله و صحبه أجمعين.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-4هـ/9-10م[1]



1- من إنجاز الطالب بالاعتماد على المصادر و المراجع السابقة.

الملحق رقم (02): جدول يمثل أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين(3-4هـ)

الفترة الزمنية	المؤلفين	عناوين المؤلفات
القرن الثالث للهجرة	- محمد بن سحنون (256هـ/870م)	- "الحجة على القدرية". - "الرد على أهل البدع" - "رسالة في آداب المناظرة" - "الرد على الفكرية" -"الرد على الشافعي وأهل العراق" - "الإيمان والرد على أهل الشرك" - "الإمامة" - "تحريم المسكر" - "الإباحة" - "الأشربة"
	- عبد الله بن غافق التونسي(275هـ/888م).	- "ألف رسالة في الإيمان"
	- يحي بن عمر الكناني (281هـ/894م)	- "الرد على الشكوكية" - "الرد على المرجئة" - النظر إلى الله"
	-أبو عبد الله علي بن البجلي	- ألف كتاب"الرد على الشكوكية"
	-ابن أبي زيد القيرواني (286/899م)	- "المعرفة واليقين" - "كشف التلبيس" - "الرد على القدرية" - "مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي" - "الإقتداء بأهل السنة" - "رسالة النهي عن الجدل" - "الإستظهار في الرد على الفكرية" - "تفسير أوقات الصلوات"

		-"فضل قيام رمضان" -"الذب عند مذهب مالك"
	- أبو جعفر المعافري (301هـ/913م)	- ألف كتاب "نسب الشيعة"
	- أبو إسحاق القلانسي(302هـ/9م)	- ألف كتاب "الإمامة"
	- ابن الحداد (302هـ/914م)	-ألف كتاب في خلق القرآن. - "الاستواء" - "المقالات"
القرن الرابع للهجرة	-عبد الرحمن القصري(322هـ/934م)	- ألف كتاب"تحديد الإيمان من شرائع الإسلام"
	- عبد الله بن أبي مسرور التجيبي ابن الحاج (346هـ/957م)	- ألف كتاب "المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان"
	- ابن اللباد (333هـ/1012م)	- ألف كتب في الرد على الشيعة" - عصمة النبيين - " إثبات الحجة في بيان العصمة"
	أبو الحسن القابسي(403هـ/1012م)	ألف كتاب "المنقذ في شبه التأويل"
	القاضي نعمان (363هـ/974م)	ألف كتب تخدم المعتقد الشعبي: - "دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام" -الهمة في آداب الأئمة - كتاب "الطهارة" - كتاب " كيفية الصلاة" - كتاب "الإقتصار" - "الإمامة لمولانا على بن أبي طالب

1- من انجاز الطالب بالاعتماد على مجموعة من المصادر و المراجع السابقة.

الملحق رقم (03)[1]

رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الى شيوخ الاباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم (1) . صلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

اتانى كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف امركم فى كثرة من بحضرتكم من اهل الخلاف لكم . ولعمرى ما اكثرتهم وان كثروا باكثر ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم يهون عليكم كثرتهم على اخلافكم . نسأل الله العون والتوفيق فى جميع اموركم ، وان يكفنا واياكم بأسهم ، وان يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . فلعمرى لقد اسرنى ما انتهيتم اليه من امركم ، وان كان ذلك لم يخف عنا ، غير انا لم نظن الذى كتبتم به الى . والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه .

اتانا كتابكم بمسائل ، فمنها ما رأيت ان أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت

ألا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير الا الذى رأيته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وارفق لضعيفكم واعطف فى الذى أجيبكم فيه ، فما كان من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ فى رواية او خبر او غير ذلك فمن نفسى .

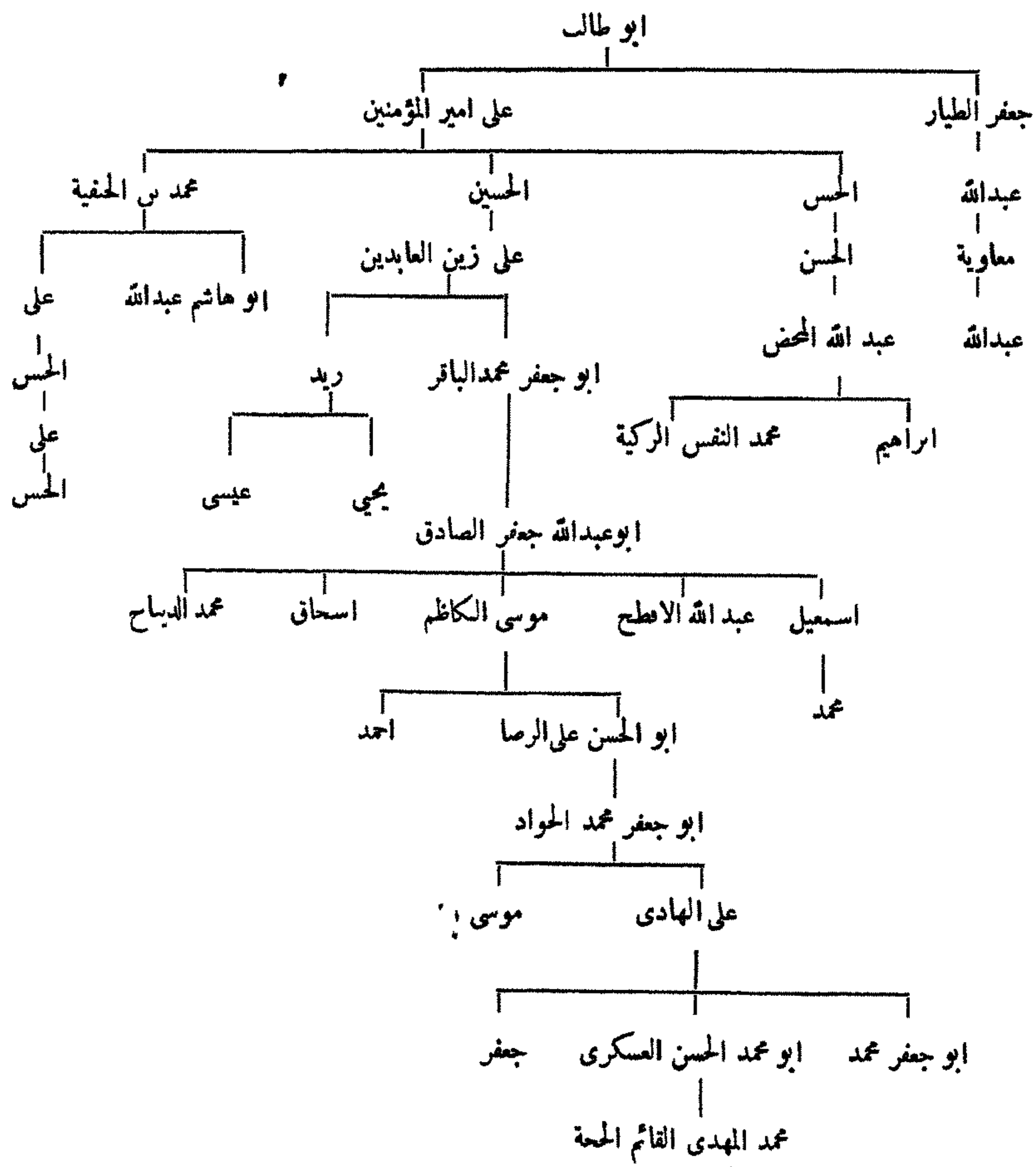
استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى . .

ذكرتم فى كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمكم الله أنه (1) .. الـخ .

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منصف القرن الرابع الهجري،ص: 311، 312.

الملحق رقم(04):[1]

شجرة نسب آل أبي طالب.



1- النوبختي: فرق الشيعة،ص115.

الملحق رقم (05) :

شرح قول المعتزلة في التوحيد و غيره.

" أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء و هو السميع البصير، و ليس بجسم، و لا بشبح، و لا جثة، و لا صورة، و لا لحم، و لا دم، و لا شخص، و لا جوهر و لا عرض، و لا بذى لون و لا طعم و لا رائحة و لا مجسة، و لا بذى حرارة و لا برودة و لا رطوبة و لا يبوسة، و لا طول و لا عرض و لا عمق، و لا اجتماع و لا افتراق، و لا يتحرك و لا بسكن، و لا يتبعض، و ليس بذى أبعاض و أجزاء، و جوارح و أعضاء، و ليس بذى جهات، و لا بذى يمين و شمال و أمام و خلف و فوق و تحت، و لا يحيط به مكان، و لا يجري عليه زمان، و لا تجوز عليه المماسة و لا العزلة و لا الحلول في الأماكن، و لا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، و لا يوصف بأنه متناه، و لا يوصف بمساحة و لا ذهاب في الجهات، و ليس بمحدود، و لا والد و لا مولود، و لا تحيط به الأقدار، و لا تحجبه الأستار، و لا تدركه الحواس، و لا يقاس بالناس، و لا يشبه الخلق بوجه من الوجوه، و لا تجري عليه الآفات، و لا تحل به العاهات، و كل ما خطر بالبال و تصور بالوهم فغير مشبه له، لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات، موجودا قبل المخلوقات، و لم يزل عالما قادرا حيا، و لا يزال كذلك، لا تراه العيون، و لا تدركه الأبصار، و لا تحيط به الأوهام، و لا يسمع بالأسماع، شيء لا كالأشياء، عالم قادر حتى لا كالعلماء القادرين الأحياء، و أنه القديم وحده، و لا قديم غيره، و لا إله سواه، و لا شريك له في ملكه، و لا وزير له في سلطانه، و لا معين على إنشاء ما نشأ و خلق ما خلق، لم يخلق الخلق على مثال سبق، و ليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر و لا بأصعب عليه منه، لا يجوز عليه اجترار المنافع و لا تلحقه المضار، و لا يناله السرور و اللذات، و لا يصل إليه الأذى و الآلآم، ليس بذى غاية فيتنامى، و لا يجوز عليه الفناء، و لا يلحقه العجز و النقص، تقدس عن ملامسة النساء، و عن اتخاذ الصاحبة و الأبناء.

فهذه جملة قولهم في التوحيد، و قد شاركهم في هذه الجملة الخوارج و طوائف من المرجئة و طوائف من الشيعة، و إن كانوا للجملة التي يظهرونها ناقضين، و لها تاركين."[1]

1- الأشعري: مقالات الإسلاميين،ص: 216، 217.

الملحق رقم (06):

باب ما تنطق به الألسنة و تعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات.

يقول أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني" (310-386 هـ / 922-996م):

" من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان: أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له. ليس لأوَّليته ابتداء ولا لآخريَّته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في مائية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم؛ العالم، الخبير، المدبر، القدير، السميع، البصير، العلي، الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله، وأن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفذ. والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدّره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا قضاه وسبق علمه به. ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد، تعالى أن يكون لأحد عنه غِنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم، والمقدر لحركاتهم وآجالهم، الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم.

ثم ختم الرسالة و النذارة و النبؤة بمحمد نبيه ﷺ ، فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون، وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات، وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرا إلى مشيئته. إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومن عاقبه بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ويخرج منها بشفاعة

النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته، وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به، وألحد في آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته، وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ويؤتون صفائحهم بأعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا، وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم.

والإيمان بحوض الرسول ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدَّل وغيَّر. وأن الإيمان قول باللسان ولإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعم إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون.

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة. وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه. وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب. والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم وإتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون. وصلى الله على سيدنا محمد نبيه، وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا "[1]

الملحق رقم 07:

1- الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه و صححه الشيخ عبد الوراث محمد علي،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،(ب.ت)،ص-ص:7-10.

فتوى لأبي الفضل بن النحوي (ت 513هـ) حول إحياء علوم الدين للغزالي.

(نص رسالة فقهاء تلمسان)

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كتب فقهاء تلمسان عن حضرتهم إلى الفقيه الإمام أبي زكريا القلعي قلعة سرموا إلى اليخفشي المتكلم المقيم بالإسكندرية سنين، وإلى من بها من متكلمي الفقهاء بما هذا نسخته:

ما يقول الفقهاء السادة وفقهم الله لطاعته وعصمهم من معصيته في كتاب الفقيه حامد الغزالي المسمى بإحياء علوم الدين، هل النظر فيه جائز، وهل وضعه على مذهب أهل السنة، وغير مخالف لفقهاء الأمة الذين تقدموه، فقد طعن فيه في بلا د المغرب ورُمي بالزندقة لما ظهر لهم في كتابه، وقد أحرق هذا الكتاب في بعض بلاد المغرب، ونحن متوقفون عن ذلك في بعضها لما نرجو من جواب الفقهاء لمعرفتهم بالرجل وعلومه ومعاني ألفاظه وما كان عليه، فبينوا لنا جميع ذلك مأجورين إذ أنتم أعرف بالرجل وبكتابه مما نرجو إن شاء الله تعالى.

(جواب أبي الفضل ابن النحوي)

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

و للفقيه الإمام الفاضل الزكي أبي الفضل ابن النحوي رحمه الله مخاطبا لأهل تلمسان في مثل مجاوب الزناتي:

جمع الله قلوبكم على التقوى حتى تقوى، ورفع مثواكم عن الدنيا التي هي أدنى إلى الأخرى التي هي أحرى، وعقد ألوية مساعدكم بالقيام في دينه، وجعل أوعية قلوبكم مجلوة بيقينه، وصهر ألسنتكم التي تلهجون بها من سيوفه الماضية، وأمكنتكم التي تحتلونها من حصونه المانع الواقية، حتى لا تركنوا لمخايل الباطل العارضة في جهام الجهل على ظلام الظلم {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم، ولن يتركم أعمالكم} {ولينصرن الله من ينصره، إن الله قوي عزيز} {إن يمسسْكُم قرحٌ فقد مَسَّ القوم قرحٌ مثله، وتلك الأمثال نُدَاوِلُهَا بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهيدا، والله لا يحب الظالمين}، {وسيعلمُ الذين ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلِبُون}.

وما جرى به القضاء في كتاب إحياء علوم [الدين] فقد سبق يه العلم في أول التكوين، و (ذلك تقدير العزيز العليم) و[تدبير] القوي الحكيم. ونسأل الله تعالى تدارك العصاة الخاطئين بتوبة تُحيي منهم ما أماتته الذنوب، وترد إليهم عازب الرأي حتى تقر بصوابه القلوب. ولهذا الأمر ما بعده، والله لا يخلف وعده. والقوم قد زلت بهم القدم، وسيحيط بهم الندم {أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُن}،{ولو ترى إذ فَزِعُوا فلا فوتَ وأُخذوا من مكان قريب}،{وحيلَ بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبلُ إنهم كانوا في شك مريب}، وحزب الله هم الغالبون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

فيا إخواني الذين رأيت بعين الخيرة جميل نياتهم وكريم طوياتهم، كونوا قداة الخلق، وأحيوا عادة الحق، واضربوا بصارمه وجه مراغمه، (ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)، و(إنه لقول فصل وما هو بالهزل).

وقد بلغني ثبوتكم على دينكم، ومضاؤكم على يقينكم، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم، ومنقبة من الزمان الأقدم. والله يثبت على الحق أقدامكم، وينهض على عدوكم إقدامكم. ومتى استولت العامة عماها ولم تزعها الخاصة بهداها انتشرت ظُلم الباطل وغياباته في آفاق البلاد، وتعددت خدع الشيطان و غواياته إلى أوهام العباد، فحتم على المستضاء [به] أن يطلع على جهاتها ما يتجلى لها الغاشي.

ولقد حضرتني من النصرة، ولزمتني بالغيبة والحضرة، ما نحوت إليه حامدا، واستوليت عليه صاعدا. وأبو حامد الغزالي على الجملة والتفصيل، صاحب نقطة التحصيل ونكتة التوصيل. محمود المقال والفعال، ممدوح الجواب والسؤال. ومعروف المقدار في سائر الأقدار. قد أخذت تصانيفه بنواصي العباد، ووطنت دواوينه صياصي البلاد، فتتابع التسليم لها، وتعاضد الإقرار بها. فبأي مبالاة تقع بمثالة العوام، و ثفاية الهوام، الذين لم يصحبوا فريقه، ولم يسلكوا طريقه، ولم يتنقبوا في بلاده، ولا قاربوه في مُراده ومَراده، ولا قاموا إليه بسلطان، ولا نهضوا نحوه ببرهان. وقد وقعت على أحوالهم الهاجمة، فما رأيت بهجة تروق، ولا سمعت لهجة تفوق. وإنما هو انتحاء وانتحال، ومجال في محال. ومسألة واحدة من مسائلهم لم يحددوا إليها دليلا، ولم يأخذوا نحوها سبيلا، ولم يأتوا إليها من بابها، ولا نطوا بها سببا من أسبابها. بل لا تسمع

إلا تشنيعا مهولا، و تبشيعا مصولا، وأنفاسا مختلف، وأقوالا متكلفة لا يخفى تلفيقها من جهات، ولا تأليفها عن ترديدات. لا فارس مشيح يرفع رأيه، ولا ممارس مليح يظهر آيه.

وكم من عائب قولا صحيحا ۞ وآفتُه من الفهم السقيم

فليت شعري بماذا يهنون، وإلى ماذا يهتدون، وأفهامهم قاصرة، وأذهانهم حاصرة. نسأل الله رجعتهم وتوبة عليهم، وفتحا مبينا فيهم ونصرا عزيزا عليهم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسلام عليكم ورحمة الله."[1]

1- محمد المغراوي: فتوى لأبي الفضل بن النحوي حول إحياء علوم الدين للغزالي،ص-ص:125-128.

الملحق رقم (08):

سؤال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حول الأشعرية و جواب الإمام أبو الوليد ابن رشد عليه:

" سؤال أمير المسلمين، (رضي الله عنه):للقاضي أبي الوليد بن رشد، (رضي الله عنه) ما يقول الفقيه، القاضي الأجل،الأوحد، أبو الوليد- وصل الله توفيقه و تسديده، و نهج إلى كل صالحة طريقه- في الشيخ أبي الحسن الأشعري، و أبي اسحق الاسفرايني، و أبي بكر الباقلاني، (و أبي بكر ابن فورك، و أبي المعالي) و أبي الوليد الباجي و نظرائهم ممن ينتحل علم الكلام، و يتكلم في أصول الديانات و يصف الرد على أهل الأهواء، أهم أئمة رشاد و هداية، أم هم قادة حيرة و عماية؟ و ما تقول في قوم يسبونهم ، و ينتقصونهم، و يسبون كل من ينتمي إلى علم الأشعرية، و يكفرونهم و يتبرؤون منهم، و ينحرفون بالولاية عنهم، و يعتقدون أنهم على ضلالة و خائضون في جهالة، ماذا يقال لهم، ويصنع بهم، و يعتقد فيهم، أيتركون على أهوائهم، أم يكف من غلوائهم، و هل ذلك جرحة في أديانهم،(و دخل في ايملنهم)، أم لا؟.بين لنا مقدار الأئمة المذكورين، و محلهم من الدين، و أفصح (لنا) حال المنتقص لهم، و المنحرف عنهم، و حال المتولي لهم، و المحب فيهم، مجملا،مفضلا و مأجورا، إن شاء الله تعالى.

الأشعرية هم العلماء على الحقيقة.

فأجابه ابن رشد، رحمه الله: تصفحت، عصمنا الله، و اياك، سؤالك هذا، ووقفت عليه.

و هؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير، و ممن يجب الاقتداء بهم، لأنهم قاموا بنصر الشريعة، و أبطلوا شبه أهل الزيغ و الضلالة، و أوضحوا المشكلات، و بينوا ما يجب أن يدان به (من) المعتقدات، فهم، بمعرفتهم بأصول الديانات، العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عز وجل، و ما يجب له، و ما يجوز عليه، و ما ينتفي عنه، اذ لا تعلم الفروع الا بعد معرفة الأصول.

فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم، و يقر لهم بسوابقهم، فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (و الله أعلم) بقوله:" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين"، فلا يعتقد أنهم على ضلالة إلا غبي جاهل، أو مبتدع زائغ، عن الحق مائل، و لا يسبهم، اليهم حلاف ما هم عليه الا فاسق، و قد قال الله عز وجل :((والذين يؤذون المومنين و المومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و اثما مبينا)) -الأحزاب 58-

فيجب أن يبصر الجاهل منهم، و يؤدب الفاسق، و يستتاب المبتدع، الزائغ عن الحق، اذا كان مستهلا ببدعته، فان تاب و الا ضرب أبدا، حتى يتوب، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بصبيغ المتهم في اعتقاده، من ضربه اياه حتى قال:" يا أمير المؤمنين ان كنت (تريد) دوائي فقد بلغت مني موضع الداء، و ان كنت تريد قتلي فأجهز علي فخلى سبيله.

و الله أسأله العصمة و التوفيق، برحمته، قاله محمد بن رشد." [1]

الملحق رقم(09):

سؤال الأمير أبي إسحاق بن علي بن يوسف وجواب ابن رشد عليه:

« وكتب إليه الأمير أبو إسحاق بن أمير المسلمين من مدينة إشبيلية سائلا عن أئمة الأشعريين، هل هم مالكيون أم لا؟ وهل ابن أبي زيد ونظراؤه من فقهاء المغرب أشعريون أم لا؟ وهل أبو بكر الباقلاني مالكي أم لا؟

الجواب: لا تختلف مذاهب أهل السنة في أصول الديانات، وما يجب أن يعتقد في الصفات ويتأول عليه ما جاء في القرآن والسنن والآثار من المشكلات، فلا يخرج أئمة الأشعرية بتكلمهم في الأصول واختصاصهم بالمعرفة بها عن مذاهب الفقهاء في الأحكام الشرعيات التي تجب معرفتها فيها تعبد الله به عباده من العبادات، وإن اختلفوا في كثير منها فتباينت في ذلك مذاهبهم، لأنها كلها على اختلافها مبنية على أصول الديانات التي يختص بمعرفتها أئمة الأشعرية ومن عني بها بعدهم. فلا يعتقد في ابن أبي زيد وغيره من نظرائه أنه جاهل بها، وكفى من الدليل على معرفته بها ما ذكره في صدر رسالته مما يجب اعتقاده في الدين.

وأما أبو بكر الباقلاني فهو عارف بأصول الديانات وأصول الفقه على مذهب مالك بن أنس رحمه الله وسائر المذاهب، ولا أقف هل ترجح عنده مذهب مالك على سائر المذاهب لمعرفته بوجود الترجيح أو اعتقاده أنه أصح المذاهب من غير علم فمال إليه، والعالم على الحقيق هو العالم بالأصول والفروع، لا من عني بحفظ الفروع ولم يتحقق بمعرفة الأصول، وبالله التوفيق »[2]

1- أبو الوليد بن رشد الجد : مسائل أبو الوليد ابن رشد،ج1، ص- ص:716- 718.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد، ج2، ص 931-932.

الملحق رقم(10):

رسالة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي (520 هـ) إلى ابن المظفر:

" أما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيت الرجل وكلمته، فوجدته رجلا جليلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله، واجتمع في العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد ينسلخ من الدين، فلما عمل (الإحياء) عملا يتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير دري بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر. ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله صل الله عليه وسلم فلا أعلم كتابا على وجه البسيطة – في مبلغ علمي – أكثر كذبا على رسول الله صل الله عليه وسلم منه. سبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني: (رسائل أخوان الصفا)، وما مثل من قام لينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة، وآرائهم المنطقية، إلا كمن يغسل الماء بالبول..

ثم يسوق الكلام سوقا، يرعد فيه ويبرق، يمني ويشوق؛ حتى إذا تشوقت له النفوس، قال (هذا من علم المعامل، وما وراءه من علم المكاشفة، ولا يجوز تسطيره في كتاب)، أو يقول: (هذا من سر القدر الذي نهينا عن إفشائه)! وهذا فعل الباطنية، وأهل الدغل والدخل، وفيه تشويش للعقائد، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة. فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه، لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقد ما سطره، فما أقرب تضليله!

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار، فإنه إن ترك انتشر بين ظهور من لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال، فيحرق قياسا على ما أحرقته الصحابة رضي الله عنهم من صحائف المصحف التي كان فيها اختلاف ألفاظ ونقص آي. وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين، وطبقات الصالحين.

ومعظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجال صالحون، لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصولا لديانات، ولا يفهمون الإلهيات، ومن كان كذلك لم يكن له أن يقفوا ما ليس له به علم، والسلام"[1].

1- ابن الأثير:الكامل، ج8، ص294؛ ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج 6،ص226.

الملحق رقم(11):

عقيدة "المرشدة" لابن تومرت(ت 524هـ/1130م)

نص المرشدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

"...اعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوي والسفلي، والعرش والكرسي، والسماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذر إلا بإذنه، موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتخصص في الذهن، ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام، والأفكار، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك، حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، و يعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورق إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب، ولا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك والغناء، وله العزة والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان، كوّن المكان، ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، لا يلحقه وهم، ولا يكفيه عقل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.."[1]

1- محمد بن تومرت: أعز ما يطلب،ص226؛ عبد الله كنون: عقيدة المرشدة للهدي بن تومرت،ص-ص:101-103.

الملحق رقم(12):

متن العقيدة البرهانية للسلالجي (ت 594هـ/1194م).

" بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام العالم أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي:"

[الحمد لله رب العالمين كما هو أهله. وصل الله على محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وآله وأصحابه وسلم تسليما]

اعلم أرشدنا الله وإياك أن العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تبارك وتعالى، وصفات ذاته. ثم إن العالم على قسمين: جواهر هو المتحيز. والعرض هو المعنى القائم بالجوهر.

فصل

والدليل على ثبوت الجواهر تناهي الأجسام في انقسامه. فذلك هو الجوهر، لأن القسمة هي الافتراق. والشيء الواحد لا يفارق نفسه. فكل ما تألف معه فهو على حكمه. وبه تفضل الأجسام بعضها بعضا، في الكبر والصغر، كالذرة والفيل. لأن ما لا يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى وأيضا فإن ما لا يتناهى يستحيل دخوله في الوجود

فصل

والدليل على ثبوت الأعراض تناوب الأحكام الجائزة الطارئة، وتعاقبها على محالّها إذ لو كانت واجبة لها لاستحال تبدلها، ولتساوت الجواهر فيها. فاختصاص كل جوهر بحكم يجوز على مماثله دليل على معنى يخصِّصه، ويتعين قيامه به. إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إجابه لغيره.

فصل

والدليل على حدوث الأعراض طريانها على محالّها. وانتفاؤها بعد وجودها دليل على حدوثها. إذ لو ثبت قدمها لاستحال عدمها.

فصل

والدليل على حدوث الجواهر، أن الجواهر لا تعرى عن الاجتماع والافتراق, والحركة والسكون حوادث. وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها. كان حادثا مثلها.

فصل

والدليل على ثبوت الصانع. أن العالم جائزٌ وجودُه، وجائزٌ عدمُه. ولا عدمه بأولى من وجوده. فلما اختص بالوجود بدلا عن العدم المجوز، افتقر إلى مختص. وهو الفاعل المختار.

فصل

والدليل على قدم الصانع، أنه لو كان حادثا، لافتقر إلى محدِثٍ أحدثه. وكذلك القول في محدثه. وذلك يؤدي إلى التسلسل. والتسلسل يؤدي إلى نفينا. ونفينا مع وجودنا محال. وما أفضى إلى محال فهو محال. فوجب أن يكون قديما.

فصل

والدليل على أنه تعالى قائم بنفسه، وجوبُ اتصافه بأنه حي، عالم، قادر. والصفة لا تتصف بالأحكام التي توجبها المعاني. فلما وجب اتصافه تعالى بها حتما، وجب أن يكون قائما بنفسه.

فصل

والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث، هو أن المثلين كل موجودين متساويين في جميع صفات النفس. والرب تعالى مقدس عن سمات الجواهر والأعراض. فوجب أن يكون مخالفا لها. وذلك أن الجوهر حقيقته المتحيز. والمتحيز يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات. والمحاذيات. وذلك يدل على حدوثه. والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه. وأيضا أن الجوهر هو القابل للأعراض. وذلك يدل على حدوثه. والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه. [وأيضا أن الجوهر يجوز عليه التأليف. والتركيب يدل على حدوثه. والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه]. وأما العرض فحقيقته ما يقوم بالجوهر. وذلك يدل على افتقاره إلى محل. والرب تعالى متعال عن الافتقار على الإطلاق. والعرض لا يبقى زمانين. والرب تعالى قديم. وما ثبت قدمه استحال عدمه. والعرض لا يتصف بالأحكام التي توجبها المعاني. والرب تعالى موصوف بها حتما. فتقرر بمجموع ما ذكرنا نقدس الرب سبحانه عن سمات الحوادث. فوجب أن يكون مخالفا لها.

فصل

والدليل على أنه تعالى عالم، قادر، استحالة صدور الفعل الرصين، المحكم، المتين، المتقن من غير عالم ولا قادر. وثبوت لطائف الصنع، وما تتصف به السماوات، و الأرضون، وما بينهما من الانتظام والإتقان

دليل على أنه تعالى عالم قادر. ثم اختصاص الأفعال بأوقاتها، وخصائص صفاتها بدلا عن نقائضها الجائزة عليها دليل على أنه تعالى مريد. وثبوت هذه الصفات دليل على أنه تعالى حي لاستحالة ثبوت المشروط مع انتفاء شرطه. ثم الحي يجوز أن يكون سميعا، بصيرا أو مؤوفا وكذلك القول في الكلام والإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عنهما. فلما استحالت النقائض على البارئ تعالى قطعا، وجب أن يكون سميعا بصيرا متكلما مدركا.

فصل

والدليل على ثبوت الصفات الأزلية العلة والحقيقة، فمهما ثبت حكم معلل بعلة، وجب طردها شاهدا وغائبا. إذ لو جاز ثبوته من غير علة لوجوبه، لجاز ثبوت العلة من غير حكمها لوجوبها. وقد تقرر في الشاهد أن كون العالم عالما معلَّلٌ بالعلم، وكذلك القول في الحقيقة؛ فمهما ثبتت حقيقة في محقق، وجب طردها شاهدا وغائبا. وقد تقرر في الشاهد أن حقيقة العالم من قام به العلم. إذ لو لم يقم به، لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره. وكذلك القول في جميع الصفات. فخرج من ذلك أن البارئ سبحانه حي بحياة قديم، عالم بعلم قديم، قادر بقدرة قديمة، مريد بإرادة قديمة، سميع بسمع قديم، بصير ببصر قديم، متكلم بكلام قديم، مدرك بإدراك قديم. إذ الموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه.

فصل

والدليل على وحدانيته تعالى، أنا لو قدَّرنا إلهين، وقدَّرنا من أحدهما إرادة حركة جسم في محل واحد. في وقت واحد، ومن الثاني إرادة تسكينه في تلك الحال بعينها، لم يخل [من ثلاثة أحوال] إما أن تنفذ إرادتهما جميعا. أو لا تنفذ إرادتهما جميعا. أو تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني. ومحال أن تنفذ إرادتهما جميعا، لاستحالة اجتماع الضدين، ومحال ألا تنفذ إرادتهما جميعا لاستحالة عرو المحل عن الشيء ونقيضه، ومحال أن تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني، إذ في ذلك تعجيز من لم تنفذ إرادته. والعجز ينافي الإلهية، لأن العجز لا يكون إلا عرضا، وقيام العرض بالقديم محال. وما أفضى إلى المحال كان محالا. وكذلك القول في الاتفاق لأن اتفاقهما مشروط بجواز عدمهما؛ وما ثبت قدمه استحال عدمه. فخرج من ذلك أن الفعل ينافي اللاإثنينية في وصف الألوهية، كما قال تعالى:{لو كان فيهما آله إلا الله لفسدتا}[الأنبياء: آية 22] وقال: {ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو}[غافر: آي 62] وقال: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}[الشورى: آية11]

فصل

والدليل على استحالة تناهي المقدورات جواز وقوع أمثال ما وقع. والجائز لا يقع بنفسه. وفي قصر القدرة عليه استحال وقوعه. وذلك يؤدي إلى جمع الاستحالة والإمكان فيما علم فيه الإمكان، وكذلك المعلومات، و المرادات، ومتعلقات الكلام.

فصل

والدليل على جواز رؤيته تعالى أن الإدراك شاهدا يتعلق بالمختلفات لا يؤول اختلافها إلى وجودها، وإنما يؤول إلى أحوالها. والإدراك لا يتعلق بالأحوال، إذ كل ما يرى ويميز عن غيره في حكم الإدراك فهو ذات على الحقيقة، والأحوال ليست بذوات. فإذا رئي موجود لزم تجويز رؤية كل موجود.

فصل

ومن الجائزات خلق الأعمال؛ فلا يجب على الله تعالى فعل، ولا يتحتم عليه ثواب [ولا عقاب]. فالثواب منه فضل. والعقاب منه عدل. يخص من يشاء بما يشاء {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء: آية 22]

فصل

و من الجائزات انبعاث الرسل وتأييدهم بالمعجزات، ولها شرائط؛ منها أن تكون [فعلا لله] خارقة للعادة، وأن يقع بها التحدي، وأن تكون موافقة للدعوى، وأن يعجز المتحدون من المعارضة والإتيان بمثلها.

فصل

ومن أحكام الأنبياء عليهم السلام وجوب العصمة لما يناقض مدلول المعجزات عقلا، وعن ما سواها من الكبائر إجماعا. وقد تحدى سيد الأولين والآخرين محمد صل الله عليه وسلم بضروب من المعجزات، منها القرآن العظيم، وانشقاق القمر، ونطق العجماء، وتكثير القليل، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام، وأنباؤه عن الغيوب التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي، فظهرت موافقة لدعواه، وامتنعت المعارضة من الخلائق أجمعين وكل ذلك معلوم ضرورة، فوجب الإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم من الحشر، والنشر، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة وأنباء الآخرة جملة وتفصيلا.

و أن جملة أحكام التكليف وقضايا التحليل والتحريم، والتحسين والتقبيح، متلقاة منه عليه السلام، لا مجال للعقول فيها. و أن أصول الأحكام: الكتاب، السنة، والإجماع وما اجتمعت عليه الأم وعلماء الأم فهو حق لا يجوز العدول عنه. ومشاقتهم فسق وضلال. فمما اجتمعت عليه الأمة وجوب التوبة عند مفارقة الذنب. وهي على الفور، لا تجوز الفسحة فيها. وحقيقتها الندم. لأجل ما فات من رعاية حقوق الله تعالى. فإذا توفرت عليه شرائطها فقد وعد قبولها. ومن مات وقد فارق كبيرة ولم يوفق إلى التوب، فأمره لله تعالى، إن شاء عفا عنه، أو شفع فيه شفيعا، أو عاقبه مدة وأدخله الجنة. وأن الإيمان هو التصديق. فمن صدق الله بقلبه فهو مؤمن.

فصل

ومن الجائزات عقد الإمامة ولها شرائط:

منها أن يكون الإمام قرشيا، مجتهدا مفتيا، وأن يكون ذا كفاية ونجدة عند نزول الدواهي والملمات. و ليس من شرطها أن يكون منصوصا عليه بل تثبت نصا واجتهادا. فهذا ما اجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فصل

و أفضل الناس بعد نبيهم أبو بكر، ثم عمر ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلي رضي لله عنهم. فهم الخلفاء الراشدون المهديون حشرنا الله في زمرتهم.

فهذه عقيدة أهل السنة تلقاها الخلف عن السلف لا يسع أحد جهلها. أعاننا الله على القيام بها والرعاية بحقوقها، ولا حول ولا قوة غلا بالله العلي العظيم، فهو حسبنا، ونعم الوكيل. وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما."[1]

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص-ص: 247- 252؛ جمال علال البختي: عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية،ص-ص:559-565.

قائمة المصادر

و المراجع.

1- المصادر العربية:

1- القرآن الكريم، برواية حفص،مطبعة محمد هاشم الكتبي،دمشق،1411هـ.

*** ابن الأبار أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت1260/658):**

2- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزة العطار الحسيني،ج1، ج 2،نشر في مكتبة الثقافة الإسلامية: القاهرة، 1956م.

3- الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ب.ت.

*** ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني(حي في: أواخر القرن17/11):**

4- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م

*** ابن أبي زرع علي الفاسي(كان حيا سنة 726 هـ / 1326م):**

5- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،ج2، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972

*** ابن إسحاق محمد بن يسار المطلبي المدني(ت 151/768):**

6- السيرة النبوية،تحقيق أحمد فريد المزيدي، ج1،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2004.

*** ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي مكرم (ت 630/1232):**

7- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2،ج3،ج7،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

8- الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ،ج5، ج7،ج8، ج9، ج10،ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 .

*** ابن الأحمر إسماعيل(ت 810 هـ/ 1407 م):**

9- بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط،1972.

*** ابن الأهذل الحسين ابن عبد الرحمن(ت855/1451):**

10-كشف الغطاء عن حقائق التوحيد و عقائد الموحدين و ذكر الأشعريين و بيان حال ابن عربي و أتباعه المارقين، تحقيق: أحمد بكير، الإتحاد العام التونسي، تونس، (د- ت)

*** ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597/1200):**

11- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء ،مصطفى عبد القادر عطاء،ج11، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،.1992

12- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط1،دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م

13- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط2، هجر للطباعة و النشر و التوزيع، الجيزة،1409هـ

14- صيد الخاطر، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م

* **ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله سعيد(ت 1374/776)** :

15- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002

16- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق، ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م

17- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال، تحقيق و تعليق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب العربي، الدرا البيضاء، المغرب، 1964

18- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ، ج 1 ، ط2 ، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1973م

* **ابن الزيات أبي يعقوب بن يحي التادلي(618 هـ/1221م)**:

19- التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي،تحقيق أحمد توفيق،ط2،كلية الآداب الرباط،1997.

* **ابن الصغير المالكي (كان حيا في القرن 3هـ/9م)**:

20- أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق: محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986

* **ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله(ت543/1148)**:

21- العواصم من القواصم، تحقيق: عمار طالبي (نشره بعنوان آراء ابن العربي الكلامية)، ج1 ،ج2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،(ب- ت)

* **ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي(ت1089/1678)**:

22- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 3، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، (د-ت)

* **ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد(ت403/1012)**:

23- تاريخ علماء الأندلس، ج2،الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة،1966م.

24- تاريخ علماء الأندلس،تحقيق إبراهيم الأبياري،ج1، ،ط2،دار الكتاب المصري (مصر) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، 1989.

* **ابن القاضي المكناسي أحمد(ت1025/1616)**:

25- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،ج1،ج2، دار المنصور للطباعة و الوراقة،الرباط،1973.

* **ابن القطان علي بن محمد الفاسي(ت628/1230)**:

26- نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق: محمد علي مكي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

* **ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق الوراق(ت380/990)**:

27- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، ب.ن،1971.

* **ابن الوردي زين الدين (ت 749/1348)**:

28- تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: احمد البدراوي، ج 1،دار المعرفة، بيروت،(د. ت)

* **ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي(ت 930/1523)**:

29- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1، مطابع الشعب، القاهرة، 1960م

* **ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت 578 هـ/1182م)**:

30- الصلة،ج 2، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1966.

* **ابن تيمية أبي العباس تقي الدين(ت 728هـ/1327م)**:

31- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق:محمد رشاد سالم، ج7،ج8 (د.ن) (د.م)، 1996.

32- مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج3،ج11، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، السعودية،1995

33- الإيمان الأوسط ، تحقيق محمود أبو سن أبو يحي ، ط1 ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1424هـ

34- الفتوى الحموية الكبرى، ط 4،المكتبة السلفية، القاهرة،1401 هـ

* **ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت 456 هـ/1064م):**

35- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982

36- الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة،ج4، ط2،دار الجيل، بيروت،1996

* **ابن حوقل النصيبي أبي القاسم (ت368/978):**

37- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992.

* **ابن خلدون أبو زكريا عبد الرحمن بن محمد (ت 808/1405):**

38- تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار،ج1،ج2، ج3، ج4،ج6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، لبنان، 2000

39- المقدمة، دار العودة، بيروت، 1981م.

* **ابن خلدون يحي بن أبي بكر (ت 780/1378):**

40- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1،المكتبة الوطنية، الجزائر 1400هـ/1980.

* **ابن خلكان أبي العباس شمس الدين(ت 681 هـ/1282م):**

41- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق: إحسان عباس،ج1،ج2،ج3،ج4،ج7، دار صادر،بيروت،1968.

* **ابن دحية ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن (ت 633 هـ / 1235 م) :**

42-المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة،1954

* **ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن(ت321/933):**

43- جمهرة اللغة، تحقيق:منير بعلبكي،ج2، دار العلم للملايين،بيروت،1987

* **ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد(ت520/1126)** :

44- الكشف في المناهج والأدلة عن عقائد الملة، تقديم و تحقيق: محمد عابد الجابري، ط 1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

45- مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، الدار البيضاء، دار الآفاق الجديدة، ج1،ج2، ط1، 1992.

* **ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي (ت 594 هـ / 1198 م)**:

46- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق، عبد الهادي التازي، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964م

* **ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد (ت327/938)**:

47- العقد الفريد ، ج1 ، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987م

* **ابن عذاري المراكشي أبو العباس احمد بن محمد المراكشي(كان حيا 712 هـ/ 1312 م)**:

48-البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق:ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج1،ج2، ج،4،ط3،دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983

49- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1985

* **ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت 571 هـ/1175م)**:

50- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: احمد حجازي السقا، ط1،دار الجيل، بيروت، 1990م.

* **ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا(ت395/1004)**:

52- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991

* **ابن فرحون المالكي أبو إسحاق إبراهيم بن علي(ت799/1397)**:

53- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،بيروت،1996

* **ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب(ت 810هـ/1407م)**:

54- أنس الفقير و عز الحقير، نشر محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، .1965

55- الوفيات، تحقيق : عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، (د-ت)

* **ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر(ت 1272/744)** :

56- البداية والنهاية ،،ج7 ، ط6 ،مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 1985م

* **ابن مريم أبو عبد الله محمد(ت 1014هـ/1605م)**:

57- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1907

* **ابن منظور الإفريقي المصري محمد بن مكرم(ت1311/711)**:

58- لسان العرب، ج2،ج11، دار صادر، بيروت، د.ت

* **ابن هشام أبو محمد عبد الملك(ت833/218)**:

59- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا و آخرون،ج1، ط2،تراث الإسلام، القاهرة،ب.ت

* **أبو زكرياء يحي بن أبي بكر(ت 1078/471)**:

60- سير الأئمة الرستميين و أخبارهم،تحقيق: إسماعيل العربي، ط 3 ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر,1984

* **أبو شامة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن(ت1266/665)**:

61- الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: محمد حلمي، محمد أحمد، ج 1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، 1956م

* **أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم(ت945/333)**:

62- طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ب.ت

* **أبي الفداء المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي(ت1331/732)**:

63- المختصر لأخبار البشر،تحقيق محمد زينهم محمد عزب و آخرون، تقديم حسين مؤنس،ج1،ط1،دار المعارف،مصر،1998.

* **الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني السبتي (ت 560 هـ/ 1165م)** :

64- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس – من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق – ، طبعة ليدن ، 1866

65- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م

* **الأشعري أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت324/935):**

66- الإبانة في أصول الديانة، تحقيق: عباس الصباغ، ط1،دار النفائس، بيروت، 1997م

67- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين، تعليق أحمد فهمي، ج1،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992

* **الأصبحي مالك بن أنس(ت197/795):**

68- المدونة الكبرى، ج1،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1994.

* **الإيجي عبد الرحمن بن أحمد(ت 756هـ/1355م):**

69- المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ب.ت.

* **الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب(ت403/1012):**

70-كتاب التمهيد، تحقيق: ريتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957م

***البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل(ت256/869):**

71- صحيح البخاري،ط1، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق- بيروت، 1423هـ/2002م.

* **البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت 429 هـ/1037م):**

72- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد بن عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988.

* **البكري أبي عبيد (ت 487 هـ / 1094 م):**

73- المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب(جزء من كتاب المسالك و الممالك)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ب.ت.

* **البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت 555 هـ / 1160 م):**

74- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971م

* **التنبكتي أحمد بابا(ت 1036 هـ/1626م)**:

75- نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج 1و2، ط1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1989

* **الجرجاني الشريف (ت 1413/816)**:

76- شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس في الإلهيات، تحقيق:احمد المهدي، مكتبة الأزهر، القاهرة، ب.ت.

* **الحموي بن عبد الله ياقوت(ت626هـ/1228م)**:

77- معجم البلدان ،ج2 ،ج،4،ج5، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت

* **الحميدي أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر(ت1192/488)**:

78- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م.

* **الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 727 هـ/ 1327 م)** :

79- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975

* **الخشني محمد بن الحارث بن أسد(ت361 هـ/971 م)**:

80- طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني، بيروت،ب.ت.

* **الخوارزمي أبو بكر جمال الدين (ت 232 هـ / 846 م)** :

81- السلطان وأسرار الوزارة ، تحقيق : السحاب أحمد الطحان ، ط1 ، دار الكلمة ، مصر ، 2001

* **الخياط أبو الحسن (ت1058/540)**:

82- الانتصار و الرد عن ابن الروندي الملحد،تحقيق نبيرج، ط2،الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان،1993.

* **الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 699 هـ 1299 م)**:

83- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، و محمد ماضور، ج1،ج2،مكتبة الخانجي (مصر) و المكتبة العتيقة (تونس)،1972.

* **الذهبي أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله(ت958/347)**:

84- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج3، تحيق: محمد بركات، دار الرسالة العلمية، (د.م)، 2009.
86- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناوؤط، ط2، مؤسسة الرسالة، 1982م، ج1، ج7، ج8، ج10،، ج11، ج14، ج18، ج19، ج20.

*** الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد (ت606/1209):**

87- محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و الحكماء و المتكلمين، بذيله تلخيص المحصل : نصر الدين الطوسي، راجعه: عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (ب.ت).
88- اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، مراجعة علي سامي النشار، القاهرة، 1938

*** الرضي الشريف (ت406/1015):**

89- نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب، تحقيق: صبحي الصياح، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

*** الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسي (ت379/989):**

90- تاج العروس من جواهر القاموس، ج 9، المطبعة الخيرية، (د -م) 1928م.

***الزركشي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم(كان حيا سنة 894 هـ / 1489 م):**

91- تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط 1، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

*** الزمخشري محمود بن عمر (ت538/1143):**

92- أساس البلاغة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1992.

*** السبتي ابن خمير (ت 614/1217):**

93- مقدمات علم المراشد إلى علم العقائد، تقديم و تحقيق جمال علال البختي، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 1425هـ-2004م

*** السبكي أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771 هـ/1311م):**

94- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناوي، ج1، ج3، مطبعة عيسى الباقي الحلبي، (ب – م)، 1964م

*** السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902/1497):**

95- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت

*** السكوني عمر (ت717/1317):**

96- عيون المناظرات، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، 1976.

* **السيوطي جلال الدين(ت911/1501)**:

97-تاريخ الخلفاء" الخلافة الراشدة إلى سنة 903هـ"، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، 2004م

98- طبقات الحفاظ،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1983

* **الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر(ت548/1153)**:

99- الملل و النحل، تصحيح و تعليق أحمد فهمي محمد، ج1،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،1992.

100- الملل و النحل،تحقيق أحمد فتحي محمد،ج1،ط1،دار السرور،1948.

* **الضبي احمد بن يحي بن احمد بن عميرة (ت 599 هـ / 1202 م)**:

101-بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، 1884م .

* **الطبري ابن جرير أبي جعفر محمد بن جرير(ت310/922)**:

102- صحيح وضعيف الطبري،تحقيق محمد بن طاهر البرزجي، ج8،دار ابن الكثير، بيروت 2007،

103- تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي،ج3، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، 1987.

* **العسقلاني ابن حجر أحمد بن علي(ت773/1371)**:

104- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج14، دار الفكر، بيروت، 1993

105- تهذيب التهذيب، ج 6، ط1،دار صادر، بيروت ، 1326هـ

106- لسان الميزان، ج 2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971.

* **الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت714/1315)**:

107- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،حققه و علق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات درا الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م

***الغزالي أبو حامد(ت505/1111)** :

108-إحياء علوم الدين ، تحقيق : السحاب الطحان وعبد الله المنشاوي، ج1، ط1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، 1996

109- المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الكريم المراق،الدار التونسية للنشر، الجزائر،1984 .

110- الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي،مصر،.1972

111- سر العالمين و كشف ما في الدارين، المجموعة السادسة من رسائل الإمام الغزالي، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت، 1988.

* **الفاسي التميمي أبي عبد الله محمد محمد بن عبد الكريم(ت603-604/1207-1208)**:

112- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تطوان ، 2002.

* **الفاسي ، عبد الكبير بن المجدوب (ت 1295 هـ / 1878 م) و الخطيب القسنطيني ، احمد بن حسن (ت 810 هـ / 1407 م)** :

113- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ، تحقيق محمد حجي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1996 .

* **الفيروز آبادي محمد يعقوب(ت 1414/817)**:

114- القاموس المحيط، ج1،ج4، دار الجيل، بيروت، د.ت

* **القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد(ت386/996)**:

115- الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه و صححه الشيخ عبد الوراث محمد علي،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،(ب.ت).

* **الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس(ت596هـ/1199م)** :

116- سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن قبر من العلماء و الصلحاء بفاس، حققها ووضع فهارسها الشريف محمد حمزة الكتاني،ج2،ج3،طبع على الحجر بفاس،1316هـ.

* **المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد(ت 1090/483)**:

117- رياض النفوس، تحقيق :بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي،ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

* **المراكشي أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد(ت 647 هـ / 1249 م):**

118- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998

119- وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1997م.

* **المراكشي أبي عبد الله محمد بن عبد الملك(ت1303/703):**

120- الذيل و التكملة، تحقيق إحسان عباس، السفر الخامس، القسم الأول، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان،(ب.ت)

* **المغربي ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي (ت 685 هـ / 1286 م):**

121- كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، ط1 ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1970.

* **المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء(ت 997/387):**

122- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مطبعة بريل، ليدن،1977.

* **المقري التلمساني أحمد بن محمد(ت1631/1041) :**

123- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، ج2،ج3 ،ط1،مطبعة السعادة:مصر، ،1949م

124- أزهار الرياض في أخبار عياض،ضبطه و حققه و علق عليه: مصطفى السقا و آخرون، ج3،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة،1361هـ/1942م

* **المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي(ت845/1441):**

125- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج2، ج3، مؤسسة حلبي و شركائه للنشر و التوزيع ،القاهرة ، ب.ت.

126- المقفى الكبير – تراجم أغلبية و مشرقية من الفترة العبيدية-،تحقيق محمد اليعلاوي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

127- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال،ج1، ط2،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة، 1996

* **الملطي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسيني(ت377/987)**:

128- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ، تقديم و تحقيق و تعليق: محمد زينهم محمد عزب،ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1992

* **النعمان بن محمد القاضي (ت363/973)**:

129- افتتاح الدعوة،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان،2005.

* **النوبختي أبي محمد الحسن بن موسى (ت300/912)**:

130- فرق الشيعة، تصحيح:هـ.رتر، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول، 1931

* **النويري أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي (ت 733 هـ / 1333م)** :

131- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملحم، ج6 ،ج22، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ،

* **الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي(ت914/1508)**:

132- المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب، إشراف محمد حجي، ج2،ج12، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط) و دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1981.

* **بن تومرت المهدي(ت524/1130)**:

133- أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1985م

* **عياض القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي(ت544/1149)**:

134- تراجم أغلبية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض)، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968.

135- ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة رجال مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ج1،ج2،،ج4،دار مكتبة الحياة، بيروت.1967

136- الغنية،تحقيق: ماهر زهير جرار،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان،1982.

* **مجهول(حي سنة 783 هـ / 1381 م)** :

137- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979.

* **مجهول(حي سنة 587 هـ / 1191 م):**

138- الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ب.ت

* **مجهول(حي سنة 712 هـ / 1312 م) :**

139- مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005

2- المراجع بالعربية:

أ- الكتب المطبوعة:

140- إبراهيم القادري بوتشيش: نشأة المدرسة المالكية بالمغرب و الأندلس و علاقة القاضي عبد الوهاب البغدادي، الملتقى الأول، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المؤتمر العلمي لدار البحوث، دبي،2004

141- إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية،ط2، المطبعة العربية،الجزائر، 1993

142- ابن عبود محمد بن عبد السلام :تاريخ المغرب،ط3،دار الكتاب، الدار البيضاء،1961.

143- ابن عثيمين محمد بن صالح: عقيدة أهل السنة والجماعة,مؤسسة الشيخ بن صالح العثيمين الخيرية,ط2,الرياض,1929.

144- ابن مخلوف محمد بن محمد(ت 1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- التتمة-،المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة،1350هـ،

145- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة،1349هـ

146- أبو الفضل محمد أحمد:شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515هـ/686هـ) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م

147- أبو حبيب سعدي: سحنون مشكاة نور و علم و حق، ط1، دار الفكر،دمشق،1981.

148- أبو ريان محمد علي : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: المقدمات، علم الكلام، الفلسفة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، (د_ ت).

149- أبو زهرة محمد: ابن حزم حياته وعصره- آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، 1978

150- أحمد بن حنبل حياته وعصره- آرائه وفقهه ، دار الفكر العربي، بيروت (د.ت)

151- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ب.ت

152- أبو عبد الرزاق أحمد: الأدب في عصر دولة بني حماد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1979م

153- أحمد علي: الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع، دار طالاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م.

154- أحنانة يوسف: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة اليديني، الرباط، المملكة المغربية، 2003

155- إسماعيل عبد الرزاق محمود: الخوارج في بلاد المغرب حتى منصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، 1985

156- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان، ج1 ، ط2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، .1996

157- أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة،1414هـ.

158-السيرة النبوية الصحيحة،ج1،مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة،.1994

159- البدر عبد المحسن بن محمد العباد: قطف الجني الداني" شرح مقدمة ابن زيد القيرواني"،ط2،منار السبيل، الجزائر،2003.

160- التازي عبد الهادي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج5 ،مطابع فضالة ، المحمدية ، 1986

161- التليسي بشير رمضان: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ،لبنان، 2003.

162- التهامي إبراهيم: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، بيروت،2005.

163- الجابري محمد عابد: ابن رشد- سيرة و فكر- دراسة ونصوص، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م

164- العقل الأخلاقي العربي(دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)،ط1، مركز الوحدة العربية،بيروت،2001

165- بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية،1987

166- الجنحاني الحبيب: القيروان عبر العصور" ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

167- الجندي إنعام:دراسات في الفلسفة اليونانية و العربية، ،مؤسسة الشرق الأوسط، بيروت، (د. ت)

168- الحفني عبد المنعم:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ط1،دار الرشاد،1413هـ /1993م

169- الحمادي اليماني محمد بن مالك بن أبي الفضائل:كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، 1985

170- الحوالي سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي،ط1، دار الكلمة للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية،1999.

171- الخطيب علي بن الحسين الهاشمي: وقعة النهروان و الخوارج، مطبعة الحيدري، طهران، د.ت

172- الزركلي خير الدين (ت1976/1396) :الأعلام، ،ج2، ج4،ج5 ، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986

173- السحمراني أسعد: أبو الحسن الأشعري، موسوعة الأديان الميسرة، كتاب جماعي، ط2،دار النفائس للطباعة و النشر، بيروت، 2002م

174- السلاوي أحمد بن خالد الناصري(ت 1315 هـ / 1897 م):الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء،1955

175- السملالي العباس بن ابراهيم(1378هـ/1959م): الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام،راجعه عبد الوهاب منصور،ج2، ج9،ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1413هـ/1993م.

176- السيد أبو مصطفى كمال: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي،مركز الاسكندرية للكتاب، مصر،1996

177- دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م،

178- الشابي علي:مباحث في علم الكلام،ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان،2002

179- الشيخ الفاتح حسن: كبرى الفرق الفكرية والسياسية في الإسلام، دار الجيل، بيروت، 1991م

180- الصالح محمد السيد محمد: أصالة علم الكلام، دار الثقافة و النشر و التوزيع، تونس، 1987م

181- الصلابي علي محمد : دولة المرابطين ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007

182- دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، 1998م

183- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الإيمان، الإسكندرية، (د- ت)

184- الصميدعي علي فليح عبد الله: أهل الذمة في المغرب الأقصى من الفتح حتى نهاية دولة الموحدين،ط1،دار غيداء للنشر و التوزيع، الأردن،2014م

185- الطمار محمد : تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984

186- المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010

187- الطيب محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية ، المجلد 1 ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1997

188- العبادي أحمد مختار : صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ط1 ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2000.

189- في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، القاهرة،.2003

190- العدوي محمد أحمد:الشرح الجديد لجوهرة التوحيد،ط1،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1947م

191- العلوي سعيد بنسعيد: الخطاب الأشعري في دراسة العقل العربي الإسلامي،ط1، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت، لبنان،1420هـ/1992م

192- العمراني يحي بن أبي الخير: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ج1،أضواء سلفية، المدينة المنورة، 1419هـ

193- القاسمي جاسم محمد: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م

194- المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، قطر،2007.

195- المتقي عبد المنعم:موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999

196- المجدوب عبد العزيز:الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع،تونس،2008

197- المحمود عبد الرحمن بن صالح بن صالح:موقف ابن تيمية من الأشاعرة،ج1،ط1، مكتبة الرشد، الرياض،1995م.

198- المدخلي ربيع بن هادي عمير: منهج أهل السنة و الجماعة في نقد الرجال و الكتب و الطوائف،ط1،دار المنهاج،مصر،1423هـ/2002م.

199- المعتق عواد بن عبد الله: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995

200- المعموري الطاهر : الغزالي و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

201- المغراوي محمد: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، فصل من كتاب التاريخ والفقه- أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني- تنسيق محمد حجي، ،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2002

202- فتوى لأبي الفضل بن النحوي حول إحياء علوم الدين للغزالي، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،.1998

203- المغربي علي عبد الفتاح: الفرق الكلامية (مدخل و دراسة)،ط2،مكتبة وهبة، القاهرة،1995.

204- المنوني محمد: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،1989.

205- النجار عامر: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، مصر، د.ت

206- النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت، حياته و آراؤه، ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

207- تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا ،1995.

208- فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط 1 ،دار المغرب الإسلامي، بيروت، ، 1992م

209- النشار علي سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط 3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م

210- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، دار المعارف، (د- ت)، 1966م

211- الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس،2004

212- اليازجي كمال: معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، ط5،دار العلم للملابين، بيروت، 1974م

213- أمين أحمد : فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة، مصر ،20120

214- ظهر الإسلام، ط4،مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1975.

215- بالنثيا انخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،(د_ ت)

216- بدوي عبد الرحمن :مذاهب الإسلاميين(المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية،القرامطة، النصيرية)، دار العلم للملايين، بيروت، 1997

217- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية،ط4،دار العلم ،بيروت، لبنان،.1980

218- بدوي عبد المجيد: التاريخ السياسي و الفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن 5 الهجري حتى سقوط بغداد، ط1،دار المعرفة، جدة، 1983م

219- بروفنسال ليفي: الإسلام في المغرب و الأندلس، ترجمة: محمد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1990.

220- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيلة أمين فارس، منير البعلكي، ط15،دار العلم للملايين، بيروت، 2002م،

221- بك أحمد أمين: المهدي و المهدوية، ط1،شركة نوابغ الفكر، القاهرة،2009

223- بكير محمود أحمد: المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب،ط1، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، 1990

224- بل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1981.

225- بلغيث محمد الأمين : دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006

226- فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي ، ط1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 2007

227- نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، ط1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2007.

228- بن الذيب عيسى و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر ،2007.

229- بن بيه محمد محمود عبد الله: الأثر السياسي للعلماء فى عصر المرابطين، ط 1، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، 2000.

230- بن حمدة عبد المجيد:المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1،مطبعة دار العرب،تونس،1406هـ/1986م

231- بن سعيد أعوشت بكير: دراسات اسلامية في الأصول الإباضية، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988

232- بن عبد الله عبد العزيز: تاريخ المغرب(العصر القديم والعصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء، ب.ت.

233- بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

234- بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م

235- بن محمد نور خالد بن عبد اللطيف: منهج أهل السنة و الجماعة و منهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ج2،ط1،مكتبة الغرباء الأثرية،المدينة المنورة،1995م

236- بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977،ص 163.

237- بولطيف لخضر: الفقيه و السياسة في الغرب الإسلامي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2005.

238- بونابي الطاهر : التصوف في الجزائر - خلال القرنين 6 و 7 الهجريين ، 12 و13 الميلاديين- ، دار الهدى للطباعة ، عين مليلة ، 2004

239- بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1981م

240- تواتي عبد الكريم: مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، ط 1، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م.

241- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،ج2،ج4 ،دار الجليل،القاهرة،.1957

242- حوالة يوسف بن أحمد: الحياة العلمية في إفريقية 90-450هـ،ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1421هـ/2000.

243- خطاب عبد الحميد: معالم في الفلسفة الإسلامية، مطبعة النخلة، الجزائر، 1991م

244- دندش عصمت عبد اللطيف : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (430 هـ - 515 هـ / 1038 م – 1121 م) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988

245- الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1988.

246- رستم سعد: الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط1، أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء،2008م.

247- رفاعي أحمد فريد: عصر المأمون،ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928م

248- روجي إدريس الهادي: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهدي بني زيري من القرن 10 إلى 12م)، تر: حمادي الساحلي، ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1992.

249- زهري خالد: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة(ضمن كتاب:جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري)، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية،ط1،دار أبي رقراق، الرباط،1433ه/2012م.

250- سالم عبد العزيز: المغرب الكبير، ج 2 ، ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981

251- سامعي إسماعيل:دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إل الخامس الهجري(2-5ه/8-11م)، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر،2006.

252- شريف يحي الأمين: معجم الفرق الإسلامية،ط1، دار الأضواء، بيروت 1986

253- شعيرة محمد عبد الهادي: المرابطون و تاريخهم السياسي(430 - 539)، ط1،مكتبة القاهرة الحديثة:القاهرة، ،1969م،

254- شلبي أحمد:موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ط10،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1995م

255- صبحي أحمد محمود:في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين- الأشاعرة،ج2، ط5،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،.1985

256- في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين- الزيدية ،ج3، ط3،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،.1991

2567- في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين-المعتزلة ،ج1، ط5،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،.1985

258- طالبي عمار: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني نموذجا ، فصل من كتاب: الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005،

259- عبد الجبار عماد الدين: فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة و حياتهم لسائر المخالفين، دار التونسية للنشر، تونس، 1974م

260- عبد الحكيم العفيفي : موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، ط1 ، دار أوراق شرقية ، بيروت ، 2000.

261- عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج 3 ،ج4،مطبعة أطلس ، القاهرة ، 1990.

262- عبد القادر محمد أحمد: ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال و الغلو، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 2003م

263- عبد الله أحمد هلالي: الحقيقة بين الفلسفة العامة و الإسلامية و فلسفة الإثبات الجنائي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م

264- عزوز محي الدين: التطور المذهبي بالمغرب(و دراسة قصة حي بن يقظان)، نشر الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1976

265- علال البختي جمال: العقيدة البرهانية الأشعرية لأبي عمرو السلالجي الفاسي،ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان،.2008

266- عثمان السلالجي و مذهبيته الأشعرية(دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية و شروحها)،ط1،دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط،2005.

267- علام عبد الله:الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي،دار المعارف،مصر،1971

268- دعوة الموحدين بالمغرب، ط 1، دار المعرفة، الرباط، المغرب1964.

269- عمارة علاوة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة،(ضمن دراسات و بحوث مغربية)،ط1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة،الجزائر،2008.

270- انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط -دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008

271- عمر موسى عز الدين: الموحدين في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمنهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991 م.

272- عنان محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – ج2، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990

273- عواجي غالب بن علي: فرق معاصرة، ج1، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001.

274- غارديه لويس ، قنواتي .ج:فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية،ترجمة الشيخ صبحي الصالح، ج1،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، 1967.

275- فروخ عمر: المنهاج الجديد في الفلسفة العربية، ط1،دار الملايين، بيروت، 1970م

276- فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

277- فييرو ماريا إيزابيل : الزندقة و البدع في الإسلام، ضمن كتاب جماعي "الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس" بإشراف سلمى خضراء الجيوسي، ط 1، ج 1،ج2،، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

278- قاسم محمود: دراسات في الفلسفة الإسلامية، ط4،دار المعارف، مصر، 1972م

279- نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية، ط3، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1969م.

280- كبير علال خالد: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث- خلال القرنين:5-6 الهجريين- مظاهرها ، آثارها ، أسبابها ، و الحلول المقترحة لها،ط1، دار مالك، الجزائر،2005.

281- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان-دراسة في أسبابها الظاهرة و الخفية-،ط1،دار البلاغ للنشر و التوزيع،الجزائر،2003.

282- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2009

283- جناية المعتزلة على العقل و الشرع - مظاهرها، آثارها ، أسبابها - قراءة نقدية تكشف جنايات المعتزلة و تناقضاتهم و تحريفاتهم في حق العقل و الشرع -،ط1،دار المحتسب،الجزائر،2012.

284- كربخال مارمول : أفريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، ج 2،ج3،.مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984

285- كنون عبد الله: النبوغ المغربي،ج1، (ب.ن)، طنجة،1960.

286- جولات في الفكر الإسلامي،مطبعة الشويخ ديسبريس، تطوان، المغرب، 1400هـ/1980م

287- كوربان هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصر مروة و حسن قبيسي،ط2،عويدات للنشر و الطباعة،بيروت،1998.

288- لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981

289- مؤنس حسين: تاريخ المغرب و حضارته، ج1،ج2، ط1، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، 1992م

290- مارسيه جورج : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، الإسكندرية ، 1991.

291- مجاني بوبة: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، فصل من كتاب(قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي)،ط1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع،قسنطينة، الجزائر،2007.

292- مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

293- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة،المغرب، 1977م،

294- محمد بكاري عبد السلام: تأصيل العقيدة و تأويل آياتها عند علماء المغرب خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين،ط1، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط،2005،ص:89-91؛

295- محمد موسى جلال: نشأة الأشعرية و تطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م

296- محمود حسن أحمد : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.. ت

297- مرحبا محمد عبد الرحمن: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م

298- معتصم محمد: ابن تومرت مساره النفسي و الفكري، صمن كتاب المغرب في العصر الوسيط، تنسيق محمد المغراوي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1999.

299- معلومي عبد المجيد: منهج علماء الأشاعرة في تقرير العقيدة،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2006

300- مقلد الغنيمي عبد الفتاح :موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ج1،ط3،مكتبة مدبولي،القاهرة،1994

301- ملين محمد الرشيد: عصر المنصور الموحدي، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، (د.ت)

302- ميتز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م

303- نصر الله سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس - عهد يوسف بن تاشفين - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985

305- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ، لبنان، 1400هـ/1980م

306- همال الحاج محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ط1، دار ابن حزم، بيروت،2010.

307- هوبكنز .ج.ف.ب : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب : أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا و تونس ، 1980

308- هويدي يحي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج 1،مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، 1966م،

309- وات مونتغمري : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998.

ب – المجلات و الدوريات:

310- أبو عمران الشيخ: فكر المعتزلة، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد38، 1976

311- أحنانة يوسف: المنحنى الشخصي لحياة الامام أبي الحسن الأشعري،مجلة الإبانة، مركز أبو الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية،العدد01،المغرب،2013

312- الجراري عباس عبد الله: المغرب و تيار المذاهب الإسلامي، مجلة الإيمان، جمعية شباب النهضة الإسلامية، العدد06، الرباط، 1966

313- الخالدي عبد الحميد: نبذة مختصرة لبعض علماء الجزائر في العهد الحمادي، مجلة الثقافة، العدد112، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999م

314- الخطاف حسن أحمد:نقد ابن حزم الأندلسي للمذهب الأشعري، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، السنة السادسة و العشرون، العد الخامس و الثمانون، الكويت،2011م

315- السيد عبد الهادي عبد الباقي: المذهب الظاهري نشأته و تطوره بالمغرب و الأندلس حتى نهاية الموحدين،حولية سيمنار التاريخ الإسلامي و الوسيط،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،العدد الثاني، مصر،1433ه/2012م

316- الطاهري عبد الحق: ابن تومرت و المذهب المالكي،دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، السنة الحادية والخمسون، العدد 391، الرباط،2009

317- العلوي القاسمي هشام: الدولة المرابطية تطور سياسي بمرجعية مالكية و أشعرية و امتدادا تاريخي تأهيلي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الرابع و الخمسون،المغرب،2010.

318- العلوي سعيد بنسعيد: قراءة جديدة في فكر الإمام الأشعري، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، السنة العشرة، العدد38، سلطنة عمان،2012

319- المنصوري المبروك: الأشعريّة في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ومفهوم الأدوار الحضارية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة- تونس.(ب.ن)، (ب.ت)

320- المنوني محمد: عقيدة المرشدة للمهدي ابن تومرت، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس ، السنة الثالثة، العدد التاسع، ،1966.

321- الهنتاتي نجم الدين:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، مجلةIBLA، السنة 55، العدد 170 ، تونس،1992م

322- باريش ميمون: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض مراكش، العدد:15، 2000.

323- بشاري لطبفة:أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى اعبد الله بن عباس،مجلة الدراسات التاريخية،العدد الثالث عشر،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر2، 1433ه/2011م.

324- بلحبيب رشيد: التأويل بين الأصوليين و المتكلمين، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،2009،

325- بنكيران فدوى :أصول المنهج الأشعري و منهجه العقدي، مجلة دعوة الحق،العدد 396،دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط،.2010

326- بودلال عبد الرحيم:التأويل عند الأشاعرة، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2009

327- بوعقادة عبد القادر: التحول المذهبي في العهد الصنهاجي- الحمادي الزيري- و أثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافة و التراث، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، السنة التاسعة، العدد الرابع و السبعون، الإمارات العربية المتحدة، 2011

328- جيلاني عبد المغيث:المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها،مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،2009

329- ختيري مليكة: جهود الفقهاء المالكية في ترسيخ المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،.2009

330- عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد 26، 1975م

331- عطا الله الشاذلي: دور القيروان في نشر العلم و المعرفة، مجلة القيروان، لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان، المدار التونسية للنشر، تونس، (د- ت)،

332- مجاني بوبة:أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية،مجلة الدراسات التاريخية، العدد:67.-68، دمشق، كانون الثاني حزيران،1999م

333- مرمول الصالح: "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سيرتا ،معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، العدد04 ، 1980

334- معاريج نزيهة: الفكر الأشعري دعوة سنية و ضرورة حضارية، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،.2009

335- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، مجلة الحياة الثقافية،العدد 208، 2009م

336- هودجسون مارشال:كيف تطور التشيع إلى مذهب، مجلة الاجتهاد، العدد:19، السنة الخامسة،دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، بيروت،لبنان، 1993

337- هويدي يحي: محمد بن تومرت و توفيقه بين الحكمة و الشريعة،مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد12، 1973.

338- يفوت سالم: الأشعرية في المغرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت/باريس، العدد 68، 69، أكتوبر 1989.

ج- المذكرات و الأطروحات الجامعية:

339- المشهداني علياء :فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب - حتى منتصف القرن 6 ه / 12 م - ، أطروحة دكتوراه ، مجلس كلية التربية، جامعة الموصل ، العراق ، 2003.

340- بن لوصيف سمير: موقف أهل السنّة والجماعة من قضية خلق القرآن في القرن الثالث هجري (مشرقا ومغربا)"، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة-الجزائر،2005-2006

341- بوطارن مبارك: تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان و سجلماسة نموذجا(دراسة تاريخية عمرانية)، أطروحة دكتوراه ،معهد الآثار ، جامعة الجزائر،2006.

342- حروز عبد الغني: الحياة العلمية في قلعة بني حماد 408-461هـ/1017-1070م، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر،2011

343- عبده عبد الحليم سلام حورية: علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1974.

344- كعوان حفيظ: أثر فقهاء المالكية الاجتماعي و الثقافي بإفريقية من ق(2-5هـ/8-11م)، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة،2008/2009.

345- مغزاوي مصطفى: دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه (من منتصف القرن 5/11هـ إلى بداية القرن 8/14م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،.2008

346- نوار نسيم: النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب و أثره في تجديد المذهب المالكي " من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية 269-443هـ/909-1051م"، مذكرة ماجستير ،جامعة الجزائر 2، بوزريعة،1432هـ/2011م.

347- هارون فاطمة : السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين (445 هـ - 541 هـ / 1056 م 1147 م) . إبن رشد الجد أنموذجا (520 هـ / 1126) ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1429-1430 هـ / 2008-2009 م.

3- المراجع الأجنبية :

348 - **BOUROUIBA RACHID**: abd al-mu'min (flambeau des almohades) , 2 édition , sned , alger, 1982

349 - **Goldziher**. M.hamed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'ferique au xde siècle.pierre fontana , Alger ,1930

350 -**JULIEN , CHARLES-ANDRÉ**, Histoire De L'afrique Du nord, payot, paris, 1952

351- **KADDACHE MAHFOUD**: l'algerie medievale , société nationale d'édition et de diffusion , alger , 1982

352 - **kaddache Mahfoud,** «L'Algérie des Algériens de la pré histone a 1994» Edif, Alger,2000

353 - **roger idriss Hadi**: issai sur la diffesion de lacharlsme en - afrique cahiers de, tenesie, 2eme, 1953

الفهارس

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأعلام .

3- فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل .

4- فهرس المواقع و الأمكنة و البلدان .

5- فهرس الفرق والمذاهب والأديان.

6- فهرس الملاحق.

7- فهرس الأشكال.

8- فهرس الموضوعات.

1- فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآية	نص الآية	الصفحة
سورة: آل عمران	الآية:102.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ	1
سورة: النساء	الآية: 01.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا	1
سورة: الأحزاب	الآية: 70، 71.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا	1
سورة : الإسراء	الآية: 77.	سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا	27
سورة : التوبة	الآية:112.	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ	33
سورة : البقرة	الآية: 205.	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ	34
سورة: مريم	الآية:69.	ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا	48
سورة: الأنعام	الآية:160.	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ	48
سورة : القمر	الآية:51.	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	48
سورة: القصص	الآية:11.	فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ	49
سورة: الفتح	الآية:18.	لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ	61

		الشَّجَرَةِ	
سورة التوبة	الآية:101.	وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ	61
سورة: التوبة	الآية:118.	لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ	61
سورة: النور	الآية:53.	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ	61
سورة: التوبة	الآية:106.	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	62
سورة : الدخان	الآية:20.	وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ	78
سورة: الإخلاص	الآية:04	وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ	81
سورة: القيامة	الآية:22، 23	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	82
سورة: النساء	الآية:103.	وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ	92
سورة: نوح	الآية:13.	مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا	92
سورة: الأعراف سورة:الشعراء	الآية:110 الآية:35.	قَالُوا أَرْجِهِ وَ أَخَاهُ	92
سورة: التوبة	الآية:107.	وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ	93
سورة: النساء	الآية:165.	أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ	143
سورة: فاطر سورة: فصلت	الآية:11 الآية:46.	وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ	143
سورة : فصلت	الآية:14.	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً	144
سورة: الكهف	الآية:76.	فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ	145
سورة: الصافات	الآية:96	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	145

سورة: فاطر	الآية:03.	هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ	145
سورة: الفرقان	الآية:03.	لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ	145
سورة: النحل	الآية:17.	أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ	146
سورة : المطففين	الآية:15.	كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ	146
سورة : المائدة	الآية:66.	بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	147
سورة: ص	الآية:74.	لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ	147
سورة: الرحمن	الآية:25.	وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ	80، 147
سورة: طه	الآية:04.	الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ	80، 147
سورة: القمر	الآية:14.	تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا	149
سورة : الرحمن	الآية:29	كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	159
سورة: الحديد	الآية:04	و هَوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ	201
سورة: آل عمران	الآية: 200 .	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	217
سورة: الأنفال	الآية: 61.	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ	217
سورة: الشورى	الآية : 35.	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ	217
سورة: آل عمران	الآية : 159.	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ	217
سورة: إبراهيم	الآية:13.	أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	305

سورة: النحل	الآية:51.	لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ	306
سورة: الأنبياء	الآية:22.	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	335
سورة : غافر	الآية:62.	ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	335
سورة: الشورى	الآية:09.	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	82، 97، 335
سورة : الأنبياء	الآية:23.	لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ	338، 341

2- فهرس الأعلام:

– خ –

– ذ –

– ز –

– س –

– ص –

- ط -

- ع -

3- فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل :

الفهـــارس

– أ –

– ب –

4– فهرس المواقع و الأمكنة و البلدان:

الفهـــارس

5– فهرس الفرق والمذاهب والأديان:

- ح -

- خ -

- م -

- ن -

- و -

6- فهرس الملاحق:

رقم الملحق: **الصفحة:**

7- فهرس الأشكال:

فهرس الموضوعات

8- فهرس الموضوعات:

تمت بحمد الله.